

أبو العلاء ومناشيرها

وهو كتابٌ حافلٌ بتاريخه وأخباره، جامعٌ للمباحث الدقيقة في حياته
وآثاره، مُنبهٌ على أوهام الشره والغرب في فهم رُؤيه وأُسراره

عُني بوضعه ووضفه، وقام بجمعه ورضفه

عبد العزيز الميمني الرَّاجلُ في الأُسرَى الهندي
الأستاذ بجامعة علي كره الإسلامية في الهند

وليده

رسالة المتلامكة

تأليف

أبي العلاء المغربي

أبرزها وصحَّها وشرَّها

عبد العزيز الميمني الرَّاجلُ في الأُسرَى الهندي
الأستاذ بجامعة علي كره الإسلامية في الهند

مَشْهُورَات

مَحْذُورَات

لَتَرْكَبُ السُّنَّةَ وَالْجَمْعَةَ

دار الكتب العلمية

بِكُوت - بَنَّا

مشاورات محو الحروف ببيروت



دار الكتب العلمية

جميع الحقوق محفوظة

Copyright

All rights reserved

Tous droits réservés

جميع حقوق الملكية الأدبية والفنية محفوظة
لدار الكتب العلمية بيروت - لبنان.
ويحظر طبع أو تصوير أو ترجمة أو إعادة تنضيد الكتاب كاملاً أو
مجزأً أو تسجيله على أشرطة كاسيت أو إدخاله على الكمبيوتر
أو برمجته على اسطوانات ضوئية إلا بموافقة الناشر خطياً

Exclusive rights by

Dar Al-Kotob Al-ilmiyah Beirut - Lebanon

No part of this publication may be translated,
reproduced, distributed in any form or by any means,
or stored in a data base or retrieval system, without the
prior written permission of the publisher.

Droits exclusifs à

Dar Al-Kotob Al-ilmiyah Beyrouth - Liban

Il est interdit à toute personne individuelle ou morale
d'éditer, de traduire, de photocopier, d'enregistrer sur
cassette, disquette, C.D, ordinateur toute production
écrite, entière ou partielle, sans l'autorisation signée
de l'éditeur.

الطبعة الأولى

٢٠٠٢ م - ١٤٢٤ هـ

دار الكتب العلمية

بيروت - لبنان

رمل الطريف - شارع البحري - بناية ملكارت
الإدارة العامة: عرمون - القبة - مبنى دار الكتب العلمية
هاتف وفاكس: ٨٠٤٨١٠ / ١١ / ١٢ / ١٣ (+٩٦١ ٥)
صندوق بريد: ٩٤٢٤ - ١١ بيروت - لبنان

Dar Al-Kotob Al-ilmiyah

Beirut - Lebanon

Raml Al-Zarif, Bohtory Str., Melkart Bldg. 1st Floor

Head office

Aramoun - Dar Al-Kotob Al-ilmiyah Bldg.

Tel & Fax: (+961 5) 804810 / 11 / 12 / 13

P.O.Box: 11-9424 Beirut - Lebanon

Dar Al-Kutub Al-ilmiyah

Beyrouth - Liban

Raml Al-Zarif, Rue Bohtory, Imm. Melkart, 1er Étage

Administration général

Aramoun - Imm. Dar Al-Kotob Al-ilmiyah

Tel & Fax: (+961 5) 804810 / 11 / 12 / 13

P.P: 11-9424 Beyrouth - Liban

ISBN 2-7451-3619-4



9 782745 136190

<http://www.al-ilmiyah.com/>

e-mail: sales@al-ilmiyah.com

info@al-ilmiyah.com

baydoun@al-ilmiyah.com

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

حمداً لك اللهم! على ما يسّرت وأسديت. وصلاةً وسلاماً على رسولك الذي ابتعثته واخترت واصطفيت. وعلى الذين وازروه وآووه وآثرتهم على الأمم لصحابته وانتقيت. حتى أعليت كلمتك التي كنت أسنيت، وصيرتهم أسوةً لنا حسنةً كما قد أبديت.

وبعدُ فهذا كُتِبَ لي وضعته وسفر صنعته في أخبار شيخ المعرة أبي العلاء - ربّ القريظ والإنشاء - وكأني بمن يستنكر حاجة الناس إليه ويحقق غناهم عنه بعدما قد أكثر الأمم من التأليف فيه ولجوا به وبآثاره فاستنبطوا منها كل عين وأثاروا عن كل دفينه. ولم يتركوا لقائل مقالاً، ولا لفارس مجالاً. فأجالوا فيها القِداح، وشَمروا مُجدين للكفاح.

بيد أنني كنت أرى ولا أقول صواباً أن الحاجة كانت ماسةً بعدُ إلى من يرمي عن كُتب، ويتعرّف بأبي العلاء تعرّف الإنسان بصاحب له ذي أرب. حتى يقضي عن نفسه بعض ما وجب، ويستفيد من شُداد أطراف المباحث ما كان شرد وذهب، ويميز القشر عن اللب، والجريال من الرُّب.

فالمقصد إذاً كان خطيراً، يقتضي من الوقت فراغاً ومن دواوين الأدب نصيراً وظهيراً. وكنت مشغول البال والضمير، ولم يكن بيدي منها نقيير أو قطمير. فكيف الخداء إذاً بغير بعير، أو جوب الفلوات الفينج ونضوى كسير حسير. فكنتُ أتلكأ نظراً إلى صعوبة العمل، وطول الأمد والأمل. وأتجانف بنفسي من الوقوع في مذحضة مَزلة، ليس ما هيضها جَبْر ولا بَلّة.

ولكن لما رأيت هجنة المستعربين ولُثغة المتأدبين، قد قد نكبتهم عن الوصول إلى غاية المأمول فوقعوا في سلا جَمَل، وارتبكت مراكبهم في الوَحَل. اغتنمت الفُرص وانتهزت من الآناء الخُلُس، واستتنطقت الحُبَس. فإني رأيت خفض الصوت وقصر النفس، أحسن بالفتى من العيِّ والخَرَس.

وكان القول طال وتجاذب الناس فيه أطراف مطارف المباحث، من بين مجدّ وعابث. إلا أنني وجدتُ رجلين^(١) هما معوّل الآخرين ومَفزَع الناقلين. فتوخت

(١) د. س. مرجليوت في مقدمة ترجمة الرسائل - والدكتور طه حسين في ذكرى أبي العلاء.

تصحيح كتابيهما عما أتياه من قلة التأمل والتفكير، والارتباك بشتات الأقوال بحيث يشغل الضمير. حتى تتجلى الحقائق في بردها القشيب، وتستعيز الشباب عن المشيب.

ولست أبخسهما حظهما من الإصابة، ولا أغمطهما نعمتهما في الإثابة. فإني صاعد بأنهما أحرزا قصبات الفضل، وفازا من بين الأقران بالخصل. وأجادا وأفادا، وأحسننا وزادا. إلا أنهما مع ما عانيا لم يسلمتا من وهن البيان، شأن الإنسان الضعيف البنيان. ولست إلا كطليح أو كباذ قصيص، لا أقدر على النصيص أو القنيص. فلست أقدم كتابي هذا إلى الخطأ والطلاّب، مدّعياً له البراءة من كل سوء وعاب. أو السلامة من الخطأ والخطل، والزلل والخلل. فحسبي أنّ فيه بُلغة للمستميح، على زمن شحيح. ونقعة لكبد حرّان، ورشفة لغيلل الظمان. والله المستعان، وإليه المَفْزَع وعليه التكلان.

لاهور: منتصف شعبان سنة ١٣٤٣هـ.

عبد العزيز الميمني الراجكوتي

التعريف

بجمعية «دار المصنفين» في أعظم كرة - الهند

هذه جمعية علمية إسلامية خدمت العلوم الإسلامية منذ تأسيسها إلى اليوم خدمة لا ينساها كل من في قلبه حبة من خردل من الإيمان. ألفت عشرات من الكتب النافعة الإصلاحية والدينية بالأوردية لسان مسلمي الهند. أسسها المصلح الشهير الشيخ شبلي نعماني المرحوم واستدّر لها الأرزاق والمؤونات من أقبال الهند المسلمين فدرّت بما قد كفى وأوفى، وخلف المرحوم ثلة من تلامذته الأنجاب يحتذون حذوه، ويقتفون قفوه. يتولّى رئاستهم والقيام بأمورهم محرّر المعارف أشهر مجلات مسلمي الهند صاحبنا الصديق الحفي الشيخ السيد سليمان الندوي أنساً لله في عمره، الذي تعرّف به أبناء البلاد العربية لزيارته لها رئيساً لوفد جمعية الخلافة الهندية المبعوث سنة ١٣٤٣هـ. على أن لصديقي من الآثار الجميلة كتاب «أرض القرآن» وأربع مجلدات من «سيرة النبي ﷺ» التي بدأ بها أستاذه المرحوم ولكن اخترمه ريب المنون قبل أن يُنجز عمله. ونية صديقنا أن يعرّب هذا الكتاب ويقيم بمصر مشرفاً على طبعه ونشره.

ومن مطبوعات الجمعية العربية «نقد تاريخ التمدن الإسلامي» الذي قام بتلفيقه جورج زيدان وقد طبع بمصر والهند مراراً - للشيخ شبلي المرحوم.

و«ملاحظات» على محاضرات جويدي الإيطالي وبسط على أرض الإسلام وجغرافيتها لصديقنا ستطبع.

و«تفسير أبي مسلم الأصفهاني» نتفه من تفسير الفخر ابن خطيب الري الشيخ سعيد الأنصاري.

وأجزاء من «جمهرة التفاسير» لعبد الحميد الفراهي طُبعت مُفرّزة.

إلى غيرها من الأعمال المبرورة والمساعي المشكورة.

ذكر الفتى عمره الثاني، وحاجته ما قَاتَه، وفضول العيش أشغال
وإني أهنئ الجمعية وأشكرها ورئيسها على نشر مثل هذا الكتاب مما كسد سوقه
في هذه الديار.

لا زال شكري لهما مُواصلاً لفظي أو يعتاقني صَرْفُ المَنَّا
غرة شعبان سنة ١٣٤٤هـ.

مؤلف هذا الكتاب

عبد العزيز الميمني الراجكوتي

فهرس

الاختصارات والطبعات المخصوصة
وأما المآخذ والمواد فهي أضعاف أضعافها

-
- | | |
|----------------|--|
| أبو الفداء | - المختصر طبعة الحسينية، مصر. |
| ابن الوردي | - تاريخه المطبوع بمصر سنة ١٢٨٥هـ. |
| { ألف - باء | - لأبي الحجاج البلوي المعروف بابن الشيخ طبعة مصر |
| { ابن الشيخ | - |
| ابن عساکر | - مختصر تاريخه مطبوع بدمشق سنة ١٣٣٢هـ. |
| الأنساب | - للسمعاني طبعة حبيب. |
| ابن القلانسي | - ذيل تاريخ دمشق له، بيروت ١٩٠٨م. |
| ابن القارح | - رسالته من مجموعة رسائل البلغاء. مصر سنة ١٣٣١هـ. |
| ابن خلكان | - انظر الوفيات. |
| أدبا | - معجم الأدباء وهو إرشاد الأريب لياقوت. |
| ابن رشيق | - اسم مقدمتنا على كتابنا التنف. |
| ابن أبي الحديد | - شرحه على نهج البلاغة، مصر سنة ١٣٢٩هـ. |
| ابن الأثير | - كامله، مصر سنة ١٣٠١هـ. |
| البدائع | - بدائع البدائ للآزدي بهامش المعاهد مصر. |
| البلدان | - معجم البلدان لياقوت. |
| البديعي | - الصبح المنبي له بهامش شرح العكبري على ديوان المتنبي، مصر سنة ١٣٠٨هـ. |
| البغية | - بغية الوعاة للسيوطي. |
| البكري | - معجم ما استعجم له كوتنكن سنة ١٨٧٧م. |

- التنوير - شرح السقط، مصر ١٣٠٣هـ.
- التبريزي - شرح الحماسة له، مصر ١٢٩٦هـ.
- التممة - تتممة اليتيمة نسخة باريس الخطية.
- التكملة - لابن الأبار طبعتا إسبانيا والجزائر.
- الجواهر - المضيئة في طبقات الحنفية حيدر آباد.
- خزانة الأدب - لابن حجة مصر.
- حياة الحيوان - للدميري مصر سنة ١٣١٩هـ.
- خر - خريدة القصر للعماد نسخة ليدن الخطية.
- الدمية - دمية القصر للباخري نسخة كلكتة الخطية.
- ذهبي - تاريخ الإسلام، وانظر «ه».
- ذ - ذكرى أبي العلاء مصر سنة ١٩١٤م.
- ر - رسالة، الرسالة، رسائل، الرسائل. أي رسائل المعري اكسفر د
١٨٩٨م.
- رسالة ابن القارح - مجموعة رسائل البلغاء مصر سنة ١٣٣١هـ.
- الرحالة الفارسي - سفرنامه له برلين سنة ١٣٤١هـ.
- س - سقط الزند مع التنوير مصر سنة ١٣٠٤هـ.
- السهيلي - الروض الأنف مصر.
- السمعاني - انظر الأنساب.
- الشافعية - طبقاتهم لابن السبكي مصر ١٣٠٤هـ.
- الشريشي - شرح مقامات الحريري له مصر ١٣١٤هـ.
- شفاء العليل - مصر سنة ١٣٢٥هـ.
- الصبح المنبي - انظر البديعي.
- ص - الصفحة.
- الضرام - ضرام السقط لصدر الأفاضل الخوارزمي.
- العدل - العدل والتحري لابن العديم.
- الغيث - المسجّم للصفدي مصر ١٣٠٥هـ.
- الغفران - طبعة أمين هندية.

- الفوات - فوات الوفيات للكتبي بولاق ١٢٩٩هـ.
- فهرست - أبو بكر الإشبيلي طبعة إسبانيا.
- الكمال ابن الأنباري - انظر النزهة.
- ك - كشف الظنون.
- الكمال - انظر ابن الأثير.
- ل - لزوم ما لا يلزم للمعري مصر ١٣٣٣هـ.
- اللسان - لسان الميزان لابن حجر حيدر آباد.
- معا. المعاهد - معاهد التنصيص مصر ١٣١٦هـ وترجمته مختلصة من الوافي للصفدي، ثم إني رأيت من الوافي نسخة ونقلت منه بعض أبيات.
- مل - الملائكة رسالتهم للمعري.
- مرجليوث - مقدمة ترجمة رسائل المعري، اكسفر د ١٨٩٨م.
- النسب - هو الأنساب للسمعاني «النظرة» - نظرة في النجوم من اللزوم كتاب يبقى بعد في المسودة جمعنا فيه أكثر أفكار المعري تحت عناوين المضامين بحيث يمكن الإنسان أن يرى جُلَّ شعره في معنى من المعاني في موضع واحد.
- نهاية الأرب من أنساب العرب للقلقشندي بغداد ١٣٣٢هـ.
- النوري - نهاية الأرب له.
- النزهة - نزهة الألباء للكمال ابن الأنباري مصر سنة ١٢٩٨هـ.
- النفع - نفح الطيب للمقري مصر وليدن.
- النكت - نكت الهميان للصفدي مصر ١٣٢٩هـ.
- الوفيات - وفيات الأعيان لابن خلكان مصر ١٣١٠هـ.
- هـ. وذهبي - تاريخ الإسلام له - والمراد ترجمة المعري منه المطبوعة مع الرسائل بأكسفر د ١٨٩٨م.
- ي - ياقوت والمراد على العموم معجم الأدباء له.
- اليافعي - مرآة الجنان له حيدر آباد.
- إلى غيرها من كثير من الخطّيات والمطبوعات وصفتها في مظانّها.

أبو العلاء وما إليه

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وبه الحول والقوة

مَعْرَةَ النعمان

لفظها وموقعها ووصفها

فيا برق^(١) ليس الكرخ داري وإنما رماني إليها الدهر منذ ليل
فهل فيك من ماء المعرة قطرة؟ تُغيث بها ظمآن ليس بسال
أشهر الأقوال التي ذكرها ياقوت أن المعرة الشدة والجناية كجناية العر وهو
الجرب وكل عيب، وإلى هذا المعنى نظر صاحبنا في قوله - ل:
يعيرنا لفظ المعرة أنها من العر قوم في العلى غرباء
هذا هو المعروف في القوم إذ جهلوا أصلها - وولع أبناء العصر في إرجاعها إلى
أصول اختلقوها وحدثات لفقوها مما لا برهان لهم عليه^(٢) -

قالوا: والنعمان هو ابن بشير الأنصاري اجتاز بها والياً على حمص من قبل مروان
فمات له بها ولد فسميت به وكانت قبل تدعى معرة حمص كما قال البلاذري^(٣) -
واستضعف ياقوت هذا السبب وظن أن النعمان هو الساطع الجمال وانظره في عمود
النسب. وقال ابن بطوطة^(٤): إن النعمان اسم جبل مطلق على المعرة وقال - كابن العديم

(١) س ٢ : ٤٣.

(٢) فزعم مرجليوث أنه في السريانية معرتا ويشابهها من العربية لفظاً ومعنى المغارة. وقال صاحب (ذ)
إن هذه القرية قد عرفت عند الآراميين أيضاً بهذا الاسم ثم استبعد وجود التشديد فأبدع من قبله رأياً
آخر وهو أن الأصل معرس النعمان من التعريس، ونقل عن نوادر أبي زيد إبدال التاء من السين في
الرجز المعروف - وذهب عليهما أنه ابتلي ببليتين إذ بلى مرجليوث بواحدة - وهما إبدال الضمة بالفتحة
والسين بالتاء - ولسنا نجزم بشيء ولا نحسب به رجماً بالغيب كما أنهما أيضاً لم يجزما.

(٣) فتوحه، مصر: ١٣٨ ونقل سلمون هذا القول ولم يعزه إلى مأخذ فنعي عليه صاحب (ذ) أنه لفق هذا
القول أي أن معرة النعمان كانت تدعى قبل الفتح معرة حمص فيستنتج منه أنها كانت تابعة لها - من
عند نفسه بلا دليل - أقول: وقد عرفت أنه كان مصيباً وأن الخطأ من صاحب (ذ) نفسه.

(٤) المشرق ٨ : ٩٢٠.

في العَدْل والتحرّي - إنها كانت تدعى في القديم ذات القصور. وقال غيره^(١) عُرِفَتْ في زمن الرومان باسم خاليس.

والمعروف في النسبة إليها معري. ونقل السمعاني^(٢) عن أبي النصر الرامشي من تلامذة المعري. انظر ترجمته في ص ٢٢١. أن النسبة الصحيحة إليها معرّمني وإلى معرّة مسرين معرّمني. قال أبو سعد: غير أن أكثر أهل العلم لا يعرف ذلك. والمعري مطلقاً يراد به المنسوب إلى معرة النعمان. ومعرة مصرين بليدة من أعمال حلب بينهما نحو من خمسة فراسخ.

ومعرة النعمان كما قال ياقوت وغيره مدينة كبيرة قديمة مشهورة من أعمال حمص بين حلب وحماة. أقول وكانت من ثغور الشام التي تسمى العواصم سمّاها بها هارون الرشيد لعصمتها ما دونها من بلاد الإسلام من العدو. وقصبتها أنطاكية كما قال ابن حوقل قال: وعدّ ابن خرداذبة^(٣) العواصم فكثّرها وجعل منها كورة مَنبِجَ وشَيزَرَ وأفاميّة وإقليم معرة النعمان كُفّر وطاب وسَلَمِيّة ولُبْنان إلى غيرها - وكانت المعرة تُعدّ منها قبل عهد صاحبنا وفيه وبعده بكثير إلى زمن أبي الفداء صاحب حماة. وكانت العواصم ممالك سيف الدولة كما قال المتنبّي:

وتفتخر الدنيا به لا العواصمُ

وورثها أبناؤه. وقال صاحبنا في حفيده سعيد الدولة^(٤) سنة ٣٩٠هـ:

ولكن بالعواصم من عدي أمير لا يكلّفنا السؤالا

وقد أكثر من الحنين إليها في شعره فمنه ثم من س:

هذي العواصم فاسألينا ما بها وذري مآرب من زرد وراكس

تذكرن من ماء العواصم شربة وزرق العوالي دون زرق جمامه

متى سألت بغداد عني وأهلها فليني عن أرض العواصم سأل

نديمي على أرض العواصم بعدما غدت بها في السوم غير مغال

وورد ذكرها في اللزوم^(٥) أيضاً:

(١) هو إسماعيل بك رافت (ذ) ١٢٤.

(٢) أنسابه، ورقة: ٥٣٦ وفي تقويم أبي الفداء، باريس ص: ٢٦٥، عنه، نسرين ومعرمني، والمعروف: مصرين.

(٣) أقول: وكذا ابن الفقيه في بلدانه ص: ١١١ غير أنه أغفل ذكر المعرة في عدادها.

(٤) كما جاء في عنوان نسخة السقط لهذه القصيدة بدار الكتب الأهلية في باريس، وكذا في نسخة «سقط الزند» ببانكي بور عن نسخة دون ذكر السنة.

(٥) ١٧٦: ٢.

وكانت مخيّم الفتنة فيما بين الحروب والهدنة تارةً بأيدي علوج الروم وأخرى للمسلمين بها دولة وجولة، وسورة وصوله. كما وصفها في غير ما موضع من نثيره ونظامه. فهناك جملة من كلامه:

كتب^(١) إلى عبد السلام البصري: «ومستقرّي معرّة النعمان - والفتنة عندنا صمّاء، طعان بالمُرّان ورماء. إنما يجيء الصيف، وقد سُلّ السيف. ولو قدزّت لم أقدح إلا بمُرّخ^(٢)، ولا سكنتُ بلدًا غير الكرخ». ومن ل:

والشّام فيه وقودُ الحرب مشتعل يشبّه القومُ شدّت منهم الحُجُرُ
لا شامَ للسلطان إلا أن يُرى نَعَمُ البداوة كالنعمان الطارد
إلى آخر الثمانية الأبيات.

ألفنا بلادَ الشام ألفَ ولادة نُلَاقِي بها سُوْدَ الخطوب وحُمْرَها
وجميع قُطّانها على - ما سيأتي - من تنوخ.

والمعرة كما قال ابن حوقل^(٣) مدينة كثيرة الخير والسعة والتين والفستق وما شاكل ذلك من الكروم. وقال ناصِرُ خُسْرُو العَلَوِي وكان زارها في حياة أبي العلاء سنة ٤٣٨هـ^(٤) في رحلته ما ترجمته: ثم وصلنا إلى معرة النعمان وكان بها حصن من الحجارة وكانت البلدة عامرة، ورأيت على بابها أسطوانة من الحجر كُتِبَ عليها شيء بخط غير العربية فسألت عنه بعضهم فقال: إنه طلسم^(٥) للعقرب فإنها لا تدخل فيها

(١) ر ص: ٤٦.

(٢) والمرخ: يكثر بنجد وما والاها ولعله كان يجلب منها إلى الكرخ أو ينبت فيها أيضاً. قال عاصم الأندلسي أستاذ ابن السيد في شرح شعر امرئ القيس تحت قوله:

أمرخ خيالهم أم عشر أم القلب في إثرهم منحدر
المرخ نبات بنجد والعشر بالغور - والأعراب يعملون بيوتهم من نبات الأرض التي ينزلونها فأراد أنجدوا أم غاروا أم لم ينزلوها.

(٣) س: ١١٨.

(٤) لا سنة ثمان وعشرين وأربعمائة كما كررها صاحب (ذ) في ص: ١٢٣ فهذا الوهم إما أن يكون منه أو من مترجم الرحلة بالفرنسية فإن صاحب (ذ) يرجع إلى الترجمة كما قال. ونحن ترجمنا الفصل من أصل سفرنامه «الرحلة» المطبوعة ببرلين سنة ١٣٤١ هـ ص: ١٥.

(٥) قال ابن فضل الله في المسالك: إن بمدينة حمص قبة يزعم أهل المدينة أنها تذود عنهم العقارب وإنك لو وضعت عليها قطعة من الطين حتى تجف ثم تنقلها إلى بيت في غير حمص لما دخلته العقارب وعندي أن مصدر هذه طبيعة الأرض - (ذ) ١٢٤ ويصدق الرحالة في أمر الأسطوانة ما رواه ابن الشحنة في «تاريخه» ص: ١٣٠ عن ابن العديم ولفظه أن العمود القائم بالمعرة هو طلسم للحيات.

وإن أتوا بها إليها من الخارج فلا تقربها بل تفرّ. ويكون ارتفاع الاسطوانة نحو عشر أذرع. ورأيت أسواقها غاصّة. وجامعها على نَشْر من الأرض في وسط البلدة حتى يأتيه الرجال ويدخلوا من أيّ جهة شاؤوا. وله ثلاث عشرة درجة يُرْتَقَى منها. وزراعة أهلها الحنطة وتكثر بها وشجر التين والزيتون والفسق واللوز والعنب كثيرة بها. وماؤها من الآبار والأمطار هـ. وفي رحلة ابن جُبَيْر^(١) «هي سواد كلّها بشجر الزيتون والتين والفسق وأنواع الفواكه. ويتصل التفافُ بساتينها وانتظامُ قُرَاها مسيرةً يومين وهي من أخصب بلاد الله وأكثرها أرزاقاً». ولابن الوردي المعريّ في وصف أعمالها وذكر منتزهاتها كلّ شعر مرقص مُطْرِب^(٢) في ديوانه وذكر من متفرّجاتها عين زُرَيْق ووادي فضالة وعين معراثا والبيدرين وجريا ومشهد يوشع عليه السلام ودير سمعان الذي به قبر عمر بن عبد العزيز (رحمه الله) وماء الهرماس^(٣) ووادي المعرة ودير بيرة دادخين وغيرها ومن شعره فيها:

كم راغب في الراهبات لأنها	بيّض مزنة الخُصور بُكور
المائلات كأنهن ذوابل	المُشْرِقات كأنهن بُدور
حور يصرن إلى جهنّم في غد	عجبي لهن أفي جهنّم حور
أرجاؤه محبوبة، وسُفوحه	مطلوبة، وبهاؤه مورتور
الله كم مرّت لساكنه به	من ليلة ما شابها تكدير
أيام أغصان الزمان وريقة	والعيش غصّ والشباب غرير
والحادثات غوافل عن أهله	والجفن مما لا يُحبّ قرير

إلى آخره وهو طويل. ومن شعره أيضاً:

رعى الله عيشاً بالمعرة لي مضى	حكاه ابتسام البرق إذ هو أومضا
فما المنحنى ما البان ما السفع ما النقا	وما رامة عند المعرة ما الغضا
فوالله لا فضلت في الأرض بقعة	عليها سوى ما فضل الله وارضى

(١) ٢٥٤ ليدن.

(٢) انظر ديوانه ص: ٢٤٧ و ٢٦٢ و ٣٢١.

(٣) قال ابن أبي حصينة:

يا صاحبي سقى منازل جلق	غيث يروى محلات طساسها
من لي برد شبيبة قضيتها	فيها وفي حمص وفي عرناسها
وزمان لهو بالمعرة مونق	بسيابها وبجانبها همراسها

وفي ديوان ابن الوردي سباب بالموحدة - والقصيدة يوجد جلها في «تاريخه» ٢: ٢٠٨.

منازلُ كانت مرتعي زمن الصِّبا فأبعدني المقدور عنها وأنهضا
مراتعُ آرامٍ مراعٍ جيرة مراتع غزلان معاهد تُرتضى
فلله هاتيك الرُّبى وسُفوحها والله عُمر في سواها لي انقضى
وما عن رضى كانت سواها بديلةً لها غير أن الدهر ما زال مُدحضا
وُفستقها مما أهدها صاحبنا إلى بعض الإخوان وسماه غيظَ الجيران ووصفه
بالهضم والغض على جاري عاداته في كل ما يعزى إليه ولفظه^(١). «وفي هذا البلد فستق
رديء يسمّى غيظ الجيران. ومعنى هذا الكلام أنه إذا كُسر ظنّ جيران السوء أنه ملآن
فحسدوا عليه وهم لا يعلمون أنه فارغ. وقد وجهتُ شيئاً منه ليعبّث به أتباعه» اهـ.
وفي فستقها يقول ابن الورديّ:

ففستقها عندي ابتسام ثغوره يضاحك برقاً قد أضاء بذي الأضا
وقال الإصطخري^(٢): هي وما حواليتها من القرى أعذاء^(٣) ليس بجميع نواحيها
ماء جارٍ ولا عين اهـ. وهذا القول يضادّ بعضه ما مرّ من سرد أسماء المنازه غير أن
المؤرخين مجمعون على أن ليس بالمعرة نهر جارٍ ولا عين وأما نواحيها ففيها عدة من
العيون، وهذه صفتها لصاحبنا^(٤) وليكن منك على ذكر^(٥) أن الكتاب إلى أمير فالمقام
مقام التنقيص لا التنويه على ما مضى من عاداته في هضم النفس وكل شيء له به علاقة
ما «وهذه جُمْل من صفة المعرة هي ضدّ ما قال الله عز وجل: ﴿مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعدَ
الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنْهَارٌ مِنْ مَّاءٍ غَيْرِ آسِنٍ﴾ الآية. اسمها طَيِّرة، وعند الله ترجى الخير. المورد
بها محتبس، وظاهر ترابها في الصيف يَبَس. ليس لها ماء جارٍ. ولا تُغرس بها غرائب
الأشجار. وإذا أبرز لأهلها ذُبَح، يؤمل به لديهم الرِّيح. تحسبه صُبغ بخطر. فكأنما
يرمق به هلال الفطر. وقد يجيئها وقت يكون فيها جُدّي المَعز في العِزة كجدي
الفرقد، ومثل حَمَل اللواكب حَمَلُ النَّقْد. ويكر فقيرها على الهداية، قبل أبي الفرخين
ابن داية. حتى يقف ببائع الرُّسل فكأنما وقف برضوان، يستوهبه ماء الحيوان. فإن
سبقه ضياء الفجر فإنه يرجع خائباً» إلى آخر الرُّقعة. قوله إذا أبرز لأهلها الذَّبَح: يَعْضده

(١) رص: ٩١.

(٢) ٦١.

(٣) جمع عذي: كل زرع لا يسقيه إلا المطر.

(٤) رص: ٥٥.

(٥) إذا غتر بوصفه هذا مرجليوث فزعم أنه يضاد ما وصفه الرحالون جهلاً منه بعادة المشاركة في الغض والهضم من شأن كل ما يتعلق بهم.

ما نقله القفطي^(١) من أن أهل المعرة كانوا يوصفون بالبخل أيام أبي العلاء، وأنه كان يضيق بذلك لكثرة الوافدين عليه من الطلاب وقلة ما كان يملك من النفقة عليهم. وفي «الأغاني»^(٢) أن البحري لما عرض على أبي تمام شعره بجمص، وشكا إليه خلته كتب له إلى أهل معرة النعمان وشهد له بالجدق فمدحهم فأكرموه ووظفوا له أربعة آلاف درهم. وهذا^(٣) لا يُنافي ما مرّ لتباين العصرين وقد عانت المعرة^(٤) في عصر صاحبنا من النكبات المُجحفّة ما لا خفاء به.

ولم تزل بأيدي المسلمين^(٥) حتى أخذها منهم الفرنج سنة ٤٩٢هـ، وقتلوا نحو مائة ألف إنسان وسبوا كما قال ابن الوردي^(٦) وبقيت بأيديهم إلى أن فتحها عماد الدين زنكي سنة ٥٢٩هـ.

وأما وصفها الآن^(٧) فهي مدينة من أعمال ولاية حلب وأهلها نحو ستة آلاف نفس ومن مبانيها خان جميل شيده مراد المعروف بالجلبي منذ نيف وثلثمائة سنة وإبازائه خان آخر بناه سنان باشا وقلعة^(٨) متخربة من عهد الصليبيين تعرف بقلعة النعمان. والبساتين المكتنفة لا تزال باقية وإن قل التفافها وسعتها مما كانت عليه في عهد ابن جبير. وهي قديمة سبقت عهد الإسلام كما يدلّ عليه قبور عادية وجدت حديثاً في رُبضها وأثار طامسة تُرى في جهاتها ونقود رومانية! اكتشفت في رَدْمها، ومنها ما يرتقي إلى القرن الثالث للمسيح. وأما جامعها الذي تُظللّه قبة ضخمة قائمة على ثماني أساطين؛ ففيه قسم قديم صبر على كَرّ الحداث من ذلك منارته البديعة الهندسة^(٩)،

(١) (ذ): ١٢٢ ونقله الذهبي أيضاً: ١٣٠.

(٢) ١٨ : ١٦٩، الطبعة الثانية، والوفيات ٢ : ١٧٥، لا ألف درهم كما قال مرجليوث.

(٣) كما نقل صاحب (ذ) عن مرجليوث ١٢٣، وأظنه أخطأ في فهم كلام مرجليوث من عدم معرفته بالإنكليزية.

(٤) وفي غصب قاضي المعرة رديعة لتاجر خبر طريف وشعر ظريف أورده صاحب غور الخصائص : ٥٨.

(٥) الوفيات، ١ : ٣٥.

(٦) «تاريخه»، ١٠ : ١٠.

(٧) جمعنا بين رواية الأستاذ رأفت بك على ما في (ذ): ١٢٤ ووصف لويس شيخو في المشرق ٨ : ٩٢٠ و٩٢١ - وكان زارها بنفسه.

(٨) وفيها يقول ابن الوردي :

وقلعتها عندي وإن بان أهلها كأطول من سهدي عليها وأعرضا

(٩) قال شيخو: إنها من بناء عمر بن الخطاب ولعل القائل: أراد عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه. وذكر شيخو ممن لقبهم بها مفتيها سعدي أفندي - والشيخ محمد رمضان الذي خلف أباه في التدريس لم يلقه ولكن وصف له.

وقسم آخر كانت الزلازل أسقطته فجدد بناءه أبو الفداء . وقد وضع بعض أهل العصر^(١) تاريخاً للمعزة لم يُطبع .

نبهاء أهلها

كانت على صغرها تضاهي أعظم المُدُن ، وكان صيتها في كل صُقع يخترق الأُذُن . وتَدِيرُها كثير من العائلات النبيهة والرجالات الوجيهة . وكان فضلاؤها ينتجعون ريف مصر وسواد العراق ، فيفوزون بأفضل الوظائف وأسنَى الأَعلاق . فمنهم أبو القاسم علي بن الحسن بن علي بن جَلَبَات كان عضد الدولة استعمله على بغداد في أيامه . وقال صاحبنا^(٢) يجيبه :

بنو الجلبات الباعثون من الندى سراياه والغازون وَسَطَ لُهامه
ولولا سعيْدُ بات ندمان كوكب يُريق له في الأرض شَطَرَ مُدامه
وكانت بقايا نعمة عَضْدِيَّة ترُدُّ إلى الزوراء بعضَ اهتمامه
وذامته أفناء العراق وإئما ترحُّله عنهنَّ أكبر ذامه

ووصفه الثعالبي^(٣) بقوله : «أحد أفراد الدهر في الشعر وكنت أنشدت له لَمْعاً أوردتها في النسخة الأولى . ثم وقع إليّ من شعره الصحيح قصائد في الخليفة القادر بالله والوزير أبي نصر سابور بن أردشير فأخرجتُ غُرَرها وهي سوى ما يقع من شعره في مجموع أشعار أهل العراق في الوزير سابور ، وإذا سَقْتُ ذلك أكرر ذكر ابن جلبات^(٤) في جملتهم . ومن أهل العواصم صدقة بن يوسف الفلاحي الذي أرسل من مصر صُحبةً والي الشام^(٥) منتجب الدولة أنوشتكين ناظراً في الأموال ونفقة الرجال بعد أن كان قبلُ خَصِيصاً بعزیز الدولة الروميّ وكان صدقة طلب أبا العلاء إلى حضرة عزيز الدولة على ما يأتي كله في محلّه . ثم إنه ارتفعت به الحال إلى أن صار بعد وفاة الجرجرائي وزيراً للمستنصر الفاطمي سنة ٤٤٠ هـ وفيها قُتل .

وأما بنو سليمان فإن جُلهم تولّى قضاء المعزة كما سيأتي . وقال ابن القلانسي : «في سنة ٤٨٩ هـ توفي أبو مسلم وادع بن سليمان قاضي معرة النعمان والمستولي

(١) وهو الأستاذ السيد سليم الجندي . مجلة المجمع الدمشقي سنة ١٣٣٩ هـ ص : ٣٥٩ .

(٢) س ١ : ١٠٢ وعده البخاري في المعربين فيما أذكر .

(٣) اليتيمة ٢ : ٢٧٠ .

(٤) لم يكرره في هذه النسخة المطبوعة بدمشق . وورد كثير من شعره في سابور في التحفة الناصرية المطبوع بإيران . وتصحف فيه بابن جلباب .

(٥) تاريخ ابن القلانسي : ٧٣ . لا منتخب الدولة كما قد تصحف على مرجليوث ٣١ و ٤٤ .

عليها. وكان له همة مشهورة وطريقة في اليقظة مشكورة هـ. وهذا صريح في أنه تغلب عليها بعد وفاة صاحبنا. وانظر وادعاً في الشجرة وكان القاضي أبو اليسر^(١) شاعر كاتب الإنشاء لنور الدين محمود بن زنكي ثم استعفى فخلفه العماد الأصفهاني.

وفي غير بني سليمان - ممن كان قبل أبي العلاء أو في عصره أو بعده - كثرة. وقد أتى على جُلهم العماد في الخريدة^(٢).

فمنهم بنو أبي حصين ويجتمعون مع بني سليمان في داود بن المطهر وعدد منهم العماد عشرة. وذكرهم السمعاني في الأنساب^(٣) أيضاً. ومنهم أبو الرضى عبد الواحد، ورثي صاحبنا على ما يأتي.

وبنو المَهْثَا وهم نيف وعشرون عند العماد. ومنهم القاضي عبد القاهر بن المهْثَا أبو محمد كمال الدين التنوخي المعري المعروف بخصي البغل ذكر الأزدي^(٤) خبراً في ارتجاله شعراً.

وبنو الدَّوَيْدَة وفيهم كثرة. ومنهم أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن الدويدة ذكره العماد وياقوت^(٥).

وبنو عبد اللطيف. ذكر منهم العماد ستة وأغفل أبا المجد^(٦) مرشد بن علي بن عبد اللطيف المعري المتوفى سنة ٥٥٣هـ.

وذكر الثعالبي في بدء تمة اليتيمة^(٧) من شعرائها المعاصريه ولا بد أن يكونوا عاصروا صاحبنا أيضاً أبا الحسين أحمد بن محمد المعري وأبا الخير المفضل بن سعيد بن عمرو المعري. وقيل^(٨) إن جعفر بن علي بن المهذب - الذي رثاه أبو العلاء بدالية من س - من أهلها.

(١) هو صاحب الحكايات الآتية ذكره العماد وياقوت ١ : ١٦٦ لا أبو النصر كما تصحف على مرجليوث.

(٢) انظره في فهرست خزنة ليدن ٢ : ٢٦٦.

(٣) ورق : ٥٣٦ اليسرى - ومنهم أبو غانم له في المرقصات ص : ٥٠ أبيات ثلاثة.

(٤) بدائع البدائه، ٢ : ٤٧.

(٥) ٢ : ١٩٥ وورد اسمه مصحفاً وكذا في المرقصات : ٤٦.

(٦) وذكره ابن القلانسي ٣٥٤ قال : وكان من الرجال الأشداء الكفاة فيما كان يستنهض به في الأيام الأتابكية وكذلك في الأيام النورية وكان مع ذلك موصوفاً بالخيرية وسلامة الطبع مستمراً في ذلك على منهاج أسرته.

(٧) نسخة باريس الخطية ورأينا صورتها.

(٨) صاحب شرح المجاني : ١٢٤٩.

وشاعر المعرّة على الإطلاق بعد صاحبنا الأمير أبو الفتح بن أبي حصينة شاعر أسد الدولة عطية بن صالح بن مرداس ونصر بن صالح، وولاه ممدوحه المعرّة، ورآه ابن بطلان^(١) المتطبّب لما ورد حلب نحو سنة ٤٤٠هـ بها. وهذا يدل على نبوغه في عصر صاحبنا. وله تأبينه في صاحبنا جيّد تأتي. وتوفي في حدود سنة ٥٠٠هـ - ترجم له ابن عساكر^(٢) والكتّبي^(٣).

ومن أهلها ممن كان يُكنى أبا العلاء - على ما ذكر العماد - أبو العلاء بن عبد الله بن المحسن المعري، وأبو العلاء بن أبي الندى المعري وذكره أيضاً الصلاح في الغيث^(٤) وصاحب المُرُغُوث في «المُرَقَّصات».

وترجم ابن عساكر^(٥) للقاضي الحسن بن إسحاق بن بلبل المعري المحدث الرحلة، ورشاً^(٦) بن نظيف بن ما شاء الله أبي الحسن القاري سكن دمشق وهو معاصر لصاحبنا.

ومن أهلها المعروفين في الأقاليم بله الأداني أبو حفص عمر بن مظفر زين الدين ابن الوردي الشاعر الدّين الفقيه صاحب المقامات والديوان والتاريخ وغيرها.

وإنما أسهبنا^(٧) لئلا يسبق إلى وهم وإهم^(٨) أن المعرّة بليدة أو قرية خاملة، ليس لها من صيت في مجالس العلم الحافلة.

وأما وصفه لها فإنه على عادته كما مرّ وهاكه من الإغريضيّة^(٩) يخاطب الوزير أبا القاسم المَعْرِيَّ «وقد كنت عرَفْتُ سَيِّدَنَا فيما سلف أن الأدب كعهود في غبّ عهود، أرويت النجاء فما ظنُّكَ بالوُهود. وأني نزلتُ من ذلك الغيث ببلد طَسَمٍ، كأثر الوشم.

(١) انظر البلدان رسم حلب.

(٢) مختصر «تاريخه» المطبوع ٣٠٥.

(٣) بولاق ١ : ١٢٢ ومن ديوانه: نسخة باسكوريال، وأورد ابن الوردي في «تاريخه» كثيراً من شعره.

(٤) ٢ : ١٦٨ ص : ٥٠.

(٥) ٤ : ١٥٤ قال ورحل في طلب الحديث إلى دمشق والمقدس والكوفة.

(٦) ٥ : ٣٢١ وتبين كذب المفتري ١٤٤.

(٧) وشعيب بن محمد المعري ترجم له في الفوات ١ : ١٨٧ والسابق المعري المتوفى بعد ٥٠٠هـ

تلميذ التبريزي الفوات ٢ : ١٩٩ والمرقصات ص : ٤٦. وابن شقير الأديب الشاعر وأخوه المحدث

نصر الله الفوات ٢ : ٢٢٩ وابن عوض المعري، المرقصات : ٥٥.

(٨) كما ذهب على مرجليوث حيث زعم أن ما يوجد من أخبار شعرائها في كتب التراجم أقل قليل نظراً إلى أهميتها من جهة السياسة.

(٩) ر ١٩، وصبح الأعشى ١٤ : ١٩٠ وساق الإغريضية بتمامها ونسخته مما في الرسائل - والليبد العدل

والهيبد الحنظل والحريث نبت طيب الرائحة.

منعه القِرَاع، من الإمراع. يا بؤسَ بني سدوسَ العدو حازب، والكلأ عازب. يا خضَبَ بني عبد المدان، ضأن في الحُرْث وإبل في السَّعدان. فلما رأيتُ ذلك أتعبتُ الأظَلَّ، فلم أجد إلا الحنظل. فليس في اللبید إلا الهبيد، جنيته من شجرة اجْتُثَّت من فوق الأرض ما لها من قرار. لبْنُ الإبل عن المرار مُرٌّ، وعن الأراك طيب حَرٌّ. هذا مثلي في الأدب» ا هـ. وقال ابن القارح^(١) فيها وأنشد أربعة أبيات للبحثري وهي:

إن أيامه من البيض بيض ما رأين المفارق السُّود سُودا
وإذا المَحَل ثار ثاروا غيوثا وإذا النقع ثار ثاروا أسودا
يخسُن الذكر عندهم والأحاديث ث إذا حدث الحديد الحديد
بلدة تُنبتُ المعالي فما يثُ غرُ الطفل فيهم أن يسودا

وهذه صفة المعرة به أدام الله تأييده لا خلت منه ومن النعمة عليه وعنده فقد وجدت أهلها معترفين بعوارفه. ا هـ.

أبو العلاء المعري

اسمه، وكُنيتُه، وسياق نسبه

ل:

دُعيتُ أبا العلاء وذاك مَين ولكنَّ الصحيح أبو النزول
سألتكم لا تَكُونِي لتكرمة وصغروني تصغيراً بترخيم
وما ألوَمَك في خفضي ومنقّصتي لكن ألوَمَك في رفعي وتفخيمي
وأحمد سَمَاني كبيري وقلّما فعلتُ سوى ما أستحقُّ به الذمّا

هو أبو العلاء أحمدُ بن عبد الله بن سليمان بن محمد بن سليمان بن أحمد بن سليمان (وسليمان ثلاث مرات^(٢)) على ما في الخريدة) بن داود بن المطهر بن زياد بن ربيعة بن الحرث بن ربيعة بن أنور^(٣) بن أسحم بن أرقم بن النعمان الساطع الجمال

(١) رسالته: ٢٠٤.

(٢) انظر عمود بني سليمان.

(٣) كذا في الوفيات والسمعاني والعيني ١: ٥٤٠ وفي البلدان والجواهر ١: ١٩٦، والخريدة أنور بن أرقم بن أسحم، وفي النكت والأدباء، والنسخة الخطية ببانكي پور: أرقم بن أنور بن أسحم - وهذا عجب من اختلاف الأقوال - وقد تعدد قول ياقوت في كتابيه وهو أعجب، ولم أتمكن من رد السياق إلى أصله وكم في الأنساب من مثله.

ابن عدي بن عبد غَطَفَان بن عمرو بن بَرِيح (بالموحدة المفتوحة كأثير) بن خُزَيْمَة بن تَيْم اللات (هو تيم الله وهو تَنُوخُ أيضاً) ابن أسد بن وَبَرَة بن تغلب بن حُلوان بن عمران بن الحاف بن قُضَاعَة التَنُوخِيّ المعريّ.

وكنيته أبو العلاء بالفتح والمدّ إلا أن الناس كانوا ينطقون بها مقصورة في عصره كما قال. ل:

وَالْإِلْفُ هَانَ لَهُ أَمْرِي فَقَصَّرَنِي كَمَا تَهَوَّنَ عَلَى ذِي الْمَنْطِقِ الْأَلْفُ

وقد شَنَعَ على أبي الحسين النُكْتِيّ البُضْرِي وهو من أصدقاء شيوخه في تسميته إياه محمداً بدل أحمد وأبا العَلَى موضع أبي العلاء تشنيعاً يشوبه هُزْءٌ وأطال، وشَمَّرَ أوردانه للجدال والنضال. مع أن الرجل كان يستحقُّ العُدْرَ من جهة أن صنيعه هذا كان في الشعر ولم يكن لقيه في الدهر إلا مرةً أو مرتين فقال ووصف شعره بالخُلُو عن الزحافات والعِلل وضرورات الشعر والقافية بأسرها في عدة صفحات:

فكيف استجاز أن يَقْصُرَ كُنيّة صديقه: أما السمة فغَيْرَهَا، وأما الكُنيّة فَقْصَرَهَا فإنا لله وإنا إليه راجعون. هذا أمر من أمر الله ليس هو من ضَعَف الشاعر ولا وَهَن القائل ولكنه من سوء الحظِّ لمن خوطب والاتفاق الرديء لمن سُمي وذكر. ولا يَقُلُّ سيدي الشيخ - أدام الله عزّه - قد قصرت الشعراء قديمها ومولدها وأولها السالف وآخرها وفصيحتها الطَّبْعِيّ ومتكلّفها - فإنه لو كان استعمل ضرورة غير تلك لَقَبِلْتُ حُجَّتَهُ، ولكنه ألغى الضرورات بأسرها ورفض العيوب فلم يستعملها. وإنما تَعَوَّثُ من ذلك لأنني قصير الهمة قصير اليد مقصور النظر أي مكفوف مقصور في البيت أي لازم له، فما كفاني ذلك مع قِصَرِ الجسم حتى يضاف إليه قصر الاسم ا هـ.

قُضَاعَة

أمن عدنان هي؟، أمن من قحطان؟

قال ابن إسحاق^(١) كان قُضَاعَة بِكْرَ معدّ الذي به يُكنى فيما يُزعمون، قال ابن هشام فقالت اليمن وقُضَاعَة بن مالك بن جَمِير، وقال السهيلي^(٢): أكثر النسّابين يذهبون إلى أن قُضَاعَة هو ابنُ معدّ وهو مذهب الزُّبَيْرِيّين وابن هشام ثم روى فيه حديثاً مرفوعاً معارضاً له بآخر مرفوع مثله وأنشد رجز عمرو بن مرة الصحابي الآتي [قال ذو

(١) السيرة مع الروض ١: ١٧.

(٢) الروض ١: ١٥ - ومنهم ابن عبد البر، النهاية للقلقشندي: ٣٤ والبكري معجمه ص: ١٣.

الْحَسْبَيْنِ^(١) قال الزبير: الشعر لأفلح بن اليعسوب] وأنشد ابن قتيبة في الميسر له^(٢) للكميت في قضاة وتحولها إلى اليمن على ما سيأتي وأدعائها إليها وهي من نزار^(٣) في قول بعضهم:

فَمَهْلًا يَا قُضَاعَ فَلَا تَكُونِي مَنِحًا فِي قَدَاحٍ يَدِّي مُجِيل
قال: يريد لا تكوني هناك غريبة كهذا المنيح في هذه القداح ولكن ارجعي إلى نسبك في نزار^(٤) هـ. ومثله قول جميل:

أنا جميل في السنام من مَعَدَّ في الدُرَّةِ الحصداء والركن الأشدَّ
وذكر ابن عساكر^(٥) ونشوان الحميري^(٦) أنها نسبت أيام معاوية وابنه يزيد إلى مَعَدَّ فإنهما بذلا لرؤسائهم أموالاً جسيمة على التمدد والانتفاء من التيمّن فساعدهما إلى ذلك بعض رؤسائهم فلما بلغ ذلك قضاة غضبوا وأنكروا فحشدوا واجتمعوا في مسجد دمشق يوم الجمعة على يزيد وهم يرتجزون ويقولون:

يا أيها الداعي أَدْعُنَا وَأُبَشِّرْ نحن بنو الشيخ الهجان الأزهر
قضاة بن مالك بن حمير النسب المعروف غير المُنْكَرُ
مَنْ قَالَ قَوْلًا غَيْرَ ذَا تَنْصَرُ

أي دخل في النصارى، فالحقهم يزيد باليمن. وكان معاوية أطعم عمرو بن مرة خراج العراقيين في ذلك فأنكر وأنشد شعراً منه:

قحطان والدنا الذي تُدْعَى له وأبو خزيمة خنْدِفُ بن نزار
أنبيع والدنا الذي تُدْعَى له بأبي معاشر عائب مَبُور

قال نشوان^(٧): هو قضاة بن مالك بن عمرو بن مرة بن زيد بن مالك بن حمير. قال السهيلي: ولما تعارض القولان في قضاة وتكافأت الحجاج نظرنا فإذا الزبير النسابة ذكر ما يدل على صدق الفريقين وذكر عن ابن الكلبي أو غيره أن امرأة

(١) وذو النسيب أيضاً وهو الحافظ أبو الخطاب بن دحية الأندلسي.

(٢) ص: ٧٢.

(٣) كذا في الموضعين. والظاهر أنه ليس من تصحيف الناسخ فلعله كقول صاحبنا التمضر كما سيأتي. لأن قبائل معد إنما تشعبت من نزار ثم من مضر - فيريدون بمضر ونزار معداً وإلا فظاهر أن قضاة على هذا يكون ابن معد أخا نزار وعم مضر.

(٤) ٥: ٣٩٢.

(٥) مختصر شمس العلوم ص: ٨٦.

(٦) ومثله عند القلقشندي في نهاية الأرب من أنساب العرب، طبع بغداد ص: ٣٢٤.

مالك بن حمير^(١) واسمها عكبرة آمت منه وهي ترضع قضاة فتزوجه معدّ وتبتّاه وتكنّى به ويقال: بل ولدته على فراشه فنسب إليه وهو قول الزبير. وقضاة كما في العين كلب الماء [واسمه عمرو^(٢)]. ١ هـ. قال المبرد في الكتاب «الكامل»^(٣): ومن زعم أن قضاة من بني مالك بن حمير - وهو الحق - قال: فالنسب الصحيح في قحطان الرجوع إلى إسماعيل وهو الحق وقول المبرزين من العلماء إنما العرب المتقدمة من أولاد عابر ورهطه عاد وطسّم وجديس وجزهم والعماليق. فأما قحطان عند أهل العلم فهو ابن الهميسع بن تيمّن بن تبت بن قيذار بن إسماعيل. أقول: ومهما كان فإن قضاة لا تعترف لهم بهذا ولا ذاك وتندّد بالإنكار، والقول في ذلك قولهم فهم أعرف بأبيهم. وأما صاحبنا فإنه على قوله بالاختلاط في الأنساب^(٤) كما نبحت عنه فيما بعد يشير إلى أن المدعين منهم إلى معدّ راغبون ليس إلا حيث يقول، ل:

ولقد علمتُ فما التّمضّرُ نفعي أني سأتبع نيسباً لا بني سباً
وهما حمير وكهلان والنيسب: الطريق الواضح. وليعلم أن المراد بالتمضّر هنا التمعّد.

تنوخ وجلاؤها إلى العواصم

قال السمعاني^(٥) هو اسم لعدة قبائل اجتمعوا قديماً بالبحرين وتحالفوا على التوازر والتناصر وأقاموا هناك فسُموا تنوخاً والتنوخ الإقامة، وجماعة منهم نزلت معرة النعمان (وكذا قال اليعقوبي في بلدانه^(٦)). وذكر البكري^(٧): أن قضاة بن معد ورث من أبيه جدّة وسكن بها أولاده إلى أن قال خُزاعي في امرأة من ربيعة بن نزار شعراً وكان يتعشّقها فتفارق الأمر ونما الشرّ فاجتمعت نزار على قضاة وقهروهم فظعنوا مُتجدين فسارت تيم اللات بن أسد من قضاة مع قبائل نحو البحرين حتى وردوا هَجَرَ ولكن أجّلوا منها أيضاً. ولما نزلوها قالوا للزرقاء بنت زهير الكاهنة: ما تقولين؟

(١) هذا لا يتأتى على صحة قول نشوان والقلقشندي في سياق نسب قضاة.

(٢) وكذا عند البكري: ١٣.

(٣) مصر ١: ٢٢٣ وليسك: ٢٦٥.

(٤) ومن قوله في ذلك - ل:

وأفسد جوهر الأحساب أشب كما اختلطت من الخيل العراب

(٥) ١١٠.

(٦) ٣٢٤.

(٧) معجمه ١٣ - ١٩.

قالت: سَعَف وأمان، وتمر وألبان، خير من الهوان. ثم أنشأت تقول:

وَدَّعْ تَهَامَةٌ لَا وَدَاعَ مُخَالِقٍ بِذِمَامِهِ لَكِنْ قِلَى وَمَلَامٍ
لَا تَتْرُكُنْ هَجْراً مَقَامَ غَرِيبَةٍ أَنْ تَعْدَمِي مِنْ ظَاعِنِينَ تَهَامٍ

قالوا: فما ترين يا زرقاء؟ قالت: مُقَامٌ وَتُنُوخٌ. إلى آخر سجعها. فسميت تلك القبائل تَنُوخَ لقول الزرقاء. ونزلت تنوخ بالبحرين ثم ارتحلوا واختطوا الحيرة ثم أغار عليهم سابور ذو الأكتاف فساروا إلى الحضرمين الجزيرة يقودهم الضيَّز بن معاوية التنوخي. وقال ابن شَبَّةَ ثم طعنت قضاعة كلهم من غور تهامة مُتَجِدِّين غير بعضهم ممن تنخ بالبحرين وانتشر سائرهم في البلاد فوجدوا بلاداً خالية في أطراف الشام وغيرها. انتهت الأسطورة بغاية الاختصار.

وقد أبدع صاحبنا في قوله^(١) في الثلج:

أَتَانَا فِي الْوِلَادَةِ وَهُوَ شَيْخٌ فَأَزْرَى بِالشَّبَابِ وَبِالشَّيْخِ
فَقَالَ أَرِيدُ عِنْدَكُمْ تَنُوخاً فَقُلْتُ أَصَبْتُ إِنَّا مِنْ تَنُوخٍ

وقال البلاذري^(٢): قالوا: سار أبو عبيدة... ثم أتى قَتْسَرِينَ وَعَلَى مَقْدَمَتِهِ خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ فَقَاتَلَهُ أَهْلُهَا... فَصَالَحَهُمْ أَبُو عَبِيدَةَ عَلَى مِثْلِ صَلَاحِ جِمَصَ وَغَلَبَ الْمُسْلِمُونَ عَلَى أَرْضِهَا وَقُرَاهَا وَكَانَ حَاضِرَ قَتْسَرِينَ لَتَنُوخٍ مَذْأُولٍ مَا تَنَخُوا بِالشَّامِ نَزَلُوهُ وَهُمْ فِي خَيْمِ الشَّعْرِ ثُمَّ ابْتَنَوْا بِهِ الْمَنَازِلَ فَدَعَاهُمْ أَبُو عَبِيدَةَ إِلَى الْإِسْلَامِ الْخ. ثم قال بعده بأسطر^(٣) وكان بقرب مدينة حَلَبَ حَاضِرٌ - تدعى حَاضِرُ حَلَبَ - تَجْمَعُ أَصْنَافاً مِنْ الْعَرَبِ مِنْ تَنُوخٍ وَغَيْرِهِمْ. وَنَقَلَ الْقَلْقَشَنْدِيُّ^(٤) عَنِ الْحَمْدَانِيِّ أَنَّ الْمَعْرَةَ مِنْ بِلَادِ الشَّامِ هِيَ صِلِيَّةُ تَنُوخٍ، بِمَعْنَى أَنَّ بِهَا جَمْعَهُمُ الْمُسْتَكْتَرِ.

وكان عند القاضي التنوخي الصغير جزء من أشعار تنوخ في الجاهلية جمعه والده المحسن^(٥) استعاره أبو العلاء ونذكر أمره فيما بعد - وكان صاحبنا يُمْتُ إِلَيْهِ بِنَسَبِهِ فِي تَنُوخٍ قَالَ يَهْنَتْهُ بِمَوْلُودٍ^(٦):

كَتَبْتُ مُحَمَّدًا! نَسَبِي مَفِيدِي وَدَاذَكَ وَالْهَوَى أَمْرٌ بَدِيدِي

(١) انظره في الفائق.

(٢) فتوحه، مصر: ١٥١.

(٣) ص: ١٥٢.

(٤) النهاية: ١٦١.

(٥) بكسر السين المشددة ويأتي.

(٦) ص ٢: ٦٧.

ومن شعره ما قال في صباه - س^(١):

لَتَذْكُرْ قِضَاعَهُ أَيَّامَهَا وَتُزَرُّ بِأَمْلَاكِهَا جَمِيرُ
ومن ل -:

فَشِعَارِي قَاطِعٌ وَكَانَ شِعَاراً لَتَنُوحُ فِي سَالِفِ الدَّهْرِ وَاصِلُ

عمود بني سليمان

ليعلم أن سياق النسب من الخريدة والنكت والوفيات. ولم نعول على تصحيقات المؤلفين. وتبعنا العماد في أن سليمان وهو أول من تولى القضاء منهم هو جد جد (مكرراً) أبي العلاء. ولم نتبع ياقوت والصفدي في جعله جد أبي العلاء. ثم نقل القضاء منه إلى محمد عم أبي العلاء، ثم إلى عبد الله والد أبي العلاء. لأن العماد هو عماد كلهم وممكن أن يكون نُسَاخُ نُسخهم من الخريدة حذفوا من جد المكرر واحداً. وليس بممكن زيادته من الناسخ في نسخة ليدن لأن كلام العماد يختل من ترك التكرير والله أعلم. ولفظ ياقوت: وكان سليمان جد أبي العلاء قاضي المعرة ولي القضاء بحمص وبها مات في سنة ٢٩٠هـ. ثم أنشد الصنوبري في مدحه. وهذا بعينه لفظ الخريدة في جد الجد. قال ياقوت بعد سرد أكثر هؤلاء: «وغير هؤلاء حذف أسماءهم اختصاراً وإنما قصدت الإخبار عن إعرافه في بيت العلم». وقد سردهم صاحب كمال الدين ابن العديم في الباب الثاني من العدل والتحري حتى وصل بهم إلى زمنه وهو منتصف القرن السابع كما سردناهم من غير أن نقف على كتابه والله الحمد.

داود

بن

سليمان

بن

أحمد

بن

(٩) سليمان

بن في خر والنكت والوفيات دون غيرها

(٨) محمد

بن

(٧) أبي الحسن سليمان

أبو بكر محمد (١٠) إن صح قول ياقوت مسلم عم أبي العلاء (١٢)

بن عبد الله (١٣)

(٦) عبد الله وادع القاضي (١٤)

أبو الهيثم عبد الواحد (١١) أبو العلاء. صاحبنا

بن

(٥) أبي المجد محمد أخي أبي العلاء

أبو الحسن علي تولى قضاء المعرة. خر والعدل

أبو مرشد سليمان (١٦) ومدرک

بن أبو سهل عبد الرحمن (١٧)

(٤) القاضي عبد الله أبي محمد وأخوه أبو المعالي صاعد (١٨)

وادع على ما في خر وأدباء وأظنه غلطا وانظر (١٢)

بن

(٣) القاضي أبي المجد محمد

بن

(٢) أبي محمد عبد الله

بن

(١) القاضي تقي الدين أبي اليسر شاعر

أبو المجد سليمان ولد بحلب سنة ٥٤٥هـ خر بن أبو البركات محمد - خر

(ج) أبي إسحاق إبراهيم

بن

(ب) أبي اليسر إسماعيل

بن

(أ) تقي الدين

(أ) مسند الشام كتب للناصر داود وروي عنه ابن تيمية وأخواه. ترجم له صاحب الفوات: ١: ١٢.

(ب) عرفناه من الفوات فقط.

(ج) عرفناه من الفوات ومن التكملة لابن الأبار عدد ١٤٥٨ ويأتي في باب «هو والأندلس».

(١) لا أبو نصر كما قد تصحّف على مرجليوث ص ٣٣ قال العماد: ذكر لي أن مولده بشيّر في جمادى الآخرة سنة ٤٧٦هـ وفي أدباء عنه قال: وكان كاتب الإنشاء لنور الدين محمود بن زنكي قبلي فلما استعفى وقعد في بيته توليت الإنشاء بعده. ونقل عنه في الولادة سنة ٤٩٦ وهذا من اختلاف نسخ الخريدة ثم أورد من شعره جملة.

(٢) وتوفي سنة ٥١٦هـ. خر.

(٣) ولي قضاء المعرة إلى أن دخلها الفرنج سنة ٤٩٢هـ ومات بحماة سنة ٥٢٣ ومولده سنة ٤٤٠هـ وله ديوان ورسائل. ياقوت وخر.

(٤) زعم خر وتبعه أدباء أنه أبو القاضي وادع وأراه غلطا منهما^(١) وحجّتي خط يد النعمان بن وادع على ختام نسخة نقائض جرير والأخطل لأبي تمام وهذا نصّه ورق ١٤٤ نسخة الآستانة «قرأته جميعه في المحرّم من سنة خمس وعشرين وخمسائة وكتب النعمان بن وادع على قولهما في آبائه: أدرك أبا العلاء. مع أنه أدركه حقاً إذ مولده كما قال ٤٣١هـ. وهذا سهل إن جعلنا مسلماً عم أبي العلاء جدّاً له.

وفي إنباء الرّواة للقفطي بخطّه في ترجمة محمد بن حمزة أن له قصيدة مدح بها القاضي أبا محمد عبد الله بن محمد بن سليمان المعري ثم أورد منها ١٣ بيتاً على الراء وأظنه أبا عبد الله هذا والله أعلم.

(٥) كان أسنّ من أبي العلاء.

وأورد ياقوت شعراً له. خر وأدباء. وذكره أبو العلاء بلفظ سيدي في ر إلى خاله أبي القاسم ص ١١٢ والعجب من مرجليوث ص ٤٣ حيث زعم أن الرسائل لا تشير إليه إشارة ما وهو شارحها وترجمانها وأغرب منه زعمه أبا المجد مستملياً له وكلّه غلط لا دليل له. وتوفي سنة ٤٣٠هـ. وقدم أبو العلاء الشيخ أبا صالح

(١) وشاهد وهو أن كنية وادع «أبو مسلم» ومعروف في الكنى تسمية الأبناء باسم الأجداد.

محمد بن المهذب للصلاة عليه - ابن الوردي ١ : ٣٤٥.

ورد في «مصارع العشاق»، قسطنطينية ص ٢٣٤ (قال ابن السراج): لي من جملة قصيدة كتبت بها إلى القاضي أبي مسلم ابن أخي أبي العلاء المعري:

إن غرامي يا أبا مسلم إلى غريمي في الهوى مُسلمي
القصيدة قلت: ولا أدري هل هو أبو مسلم هذا هو ابن أبي المجد هذا أو غيره.

(٦) له شعر في مرثية والده، أورده ياقوت وتوفي بحمص سنة ٣٧٧هـ. خر وأدباء ويأتي ذكره فيما بعد. ويوهم كلام ياقوت وخر أنه تولى قضاء المعرة أيضاً.

(٧) هو الذي تولى قضاء المعرة وحمص. وبها مات سنة ٢٩٠هـ على قول ياقوت إن صح. وقد غلط صاحب ذ ص ١٣٠ حيث زعم أن جده سليمان بن داود تولى قضاءها ثم سرد النسب ص ١٣٥ كما نقلناه من الخريدة. إذ كيف يمكنه أن يجعل سليمان بن داود جده وهو على سياق النسب عنده بنفسه جد جد جد (ثلاثاً) أبي العلاء فقد خبط خبط عشواء ولم يتبع هذا ولا ذاك.

(٨) هو قاضي المعرة أبو بكر الذي جعل ياقوت أخاً أبي صاحبنا.

(٩) جد جد (مرتين) أبي العلاء وأول من ولي قضاءها سنة ٢٩٠هـ كذا في خر وهو الذي وهب في أمره ياقوت فجعله جد أبي العلاء.

(١٠) على قول ياقوت عم أبي العلاء ولي قضاءها بعد سليمان بن أحمد جده على قوله ثم نقل قول الصنوبري الشاعر في مدحه.

(١١) نقل بعضهم عن الوافي أنه كان حياً أيام حصار صالح سنة ٤١٧هـ أو بعده بقليل.

(١٢) ورد ذكره في حكاية وزير محمود وترد. وأغفله خر وأدباء. وقد ذكرنا حجتنا في جعله جد القاضي وادع ولكن ليس في الخط ما يدل على كونه عم أبي العلاء، وإنما علمناه من الحكاية.

(١٣) لم نعلمه إلا من خط النعمان.

(١٤) أبو مسلم تولى قضاء المعرة وكفر طاب وحماه وكان مشهوراً بالكرم. ولد سنة ٤٣١هـ وله رسائل حسنة وشعر بديع ثم أنشد منه شيئاً - أدباء ١ : ١٦٧ و ٢ : ١٩٥ وخر. وفي تاريخ ابن القلانسي ص ١٣٢ أنه توفي سنة ٤٨٩هـ وكان استولى على المعرة. قال: وكان له همة مشهورة وطريقة في اليقظة مشكورة اه وفي نسخة من إنباء الرواة للقفطي بخطه الحظ - أن أبا سعد محمد بن أحمد الشاعر المعري رثاه بقصيدة رائية طويلة أوردها القفطي.

- (١٥) أبو عدي من أهل العلم والفضل صاحب الخط على النقائض لأبي تمام أنشد له ياقوت بيتين - أدباء وخر. قالوا: ومات سنة ٥٥٠هـ ونيف.
- (١٦) ذكره ياقوت والعماد قال: انتقل إلى شيزر بعد أخذ الفرنج المعرة وكوني بها. قال ياقوت: ولي قضاء المعرة وله رسائل وشعر (ثم أنشد له).
- (١٧) ذكره ياقوت قال: ومولده ومنشؤه بشيزر وحماة وتوفي في الزلزلة كانت بحماة سنة ٥٥٠هـ وكان شاعراً مطبوعاً (ثم أنشد له).
- (١٨) ذكره ياقوت قال: مولده ومنشؤه شيزر وحماة ومات بالمعرة (ثم أنشد له).

أخواله آل سبيكة

من مرثية والدته يخاطبها - س^(١):

وكم لك من أب وَسَمَ الليالي على جَبَهَاتِهَا سِمَةَ اللئام
مضى وتَعَرَّفُ الأعلام فيه غنيُّ الوُسْمِ عن ألف ولام

هم كما يظهر من كتبه إليهم ومن شعره فيهم في س كانوا غرة في جبهة الأيام، ودائرة سمامة في وجوه الغطارفة الكرام. مُعْرِقِينَ فِي أَصَالَةِ الشرف، وناشئهم المقتبل لا يقل في السماحة عن أبي ذَلْف، ولا يَنُوءُ يبتغون من فضل الله في كل ناحية وطرف، حرصاً أن يحوزوا كنز النَّطْف. ولكن لا للشَّره والبَطَر، أو التكاثر أو الأَشْر. بل لكسب المعدوم، وفك العاني المظلوم. وصلة الأقارب، والإعانة على النوائب. كما قال في ر^(٢) إلى أبي طاهر: «وإن مروءته تغلب حاله، وتُجَسِّمه السفر وارتحاله».

وجده لأمه محمَّد كان حياً قبل رحلته إلى بغداد فيما يظهر^(٣)، وأقرأه السلام في رقعتين له إلى أبي طاهر وهما ١٢ و ١٤، وكان له ثلاثة من الأولاد الذكور، وهم على ترتيب الأسنان فيما يظهر من فحوى الرسالة الثلاثين وغيرها^(٤): أبو القاسم علي^(٥) بن محمد بن سبيكة، أبو بكر، أبو طاهر المشرف. فأما أبو القاسم فكتب إليه دالية^(٦) من س وكان سافر إلى المغرب ذكر فيها أن بني سبيكة لهم ولوع بالأسفار، وركوب

(١) ٢: ٩٧.

(٢) ص: ٤٣.

(٣) وقال مرجليوث في ترجمة ر إلى أبي طاهر وهي ال ١٤ أنها كتبت بعد سنة ٤٠٠هـ ولم أعثر له على شاهد يعضده وأظنه رجماً منه بالغيب. وعلى كل فإنه قرأ فيها السلام على جده لأمه.

(٤) أعني جميع الرسائل إلى أبي القاسم التي أهدى فيها السلام إلى أبي طاهر.

(٥) التنوير ١: ١٦٥، وعنوان ر ال ١٧ إليه.

(٦) ١: ١٦٥. والذي أظن أن جملة رسائله إلى خاليه في زمن شبابه.

الأخطار، في البراري والبحار. وكانوا يركبون تارة بحر الروم إلى مصر والمغرب، وأخرى في بلاد الجزيرة والعراق لهم مستراذ ومذهب - س.

كان بني سبيكة فوق طير يجوبون الغوائر والنجادا
أبا الإسكندر الملك اقتديتم فما تَضْعُونَ في بلدٍ وسادا
وله إليه من الرسائل الـ ٧ عند طلوعه من العراق وهي مصدر كثير من الفوائد التاريخية والـ ١٧ والـ ١٨ والـ ٣٠.

وأما أبو بكر فإنما لم نعرفه إلا عن ر إلى أبي القاسم في التعزية بوفاته وكان توفي بدمشق وخلف ولداً كَهْلاً وأبناءً لهذا الولد فتياناً^(١).

وأما أبو طاهر المشرف فهو المخاطب بالرسالة الـ ١٠ وكان صاحبنا جشمه أن يستنسخ له شرح الكتاب - كتاب سيبويه - ببغداد لا عكسه^(٢) كما ذهب على كثير من أبناء العصر وبالـ ١٣، وكان له غلام (عبد) لا يزال أبو العلاء يهدي إليه السلام ويظهر تحفيه به وانظر الـ ١٢ والـ ١٣ وكان لأبي طاهر ولد أو أولاد ورد ذكرهم في ر الـ ٣٠.

وأما مولدهم فإنه حلب الشهباء على ما هو الظاهر وهي مقامهم أيضاً غير أن أبا بكر كان توفي بدمشق كما مرّ وهذا مما لا يشك فيه اثنان^(٣) طالعا الرسائل بإمعان.

(١) ر ص: ١١١.

(٢) أي أن يكون أبو طاهر كتب إليه من حلب إلى بغداد أن يستكتب له الشرح كما زعم مرجليوث وتبعه صاحب (ذ): ١٣٢ ولعله بنى زعمه على علمه برحلة صاحبنا إليها. وغريب أن يكون نسي أن أبا طاهر كان سافر إليها أيضاً كما هو في عنوان ر: ١٢ ولفظه: وكتب إلى أبي طاهر ابن سبيكة وكان قدم من العراق الخ، وعنوان ر: ١٣ ولفظه: وكتب إلى... في بعض أوياته من العراق - وكان لأبي طاهر ببغداد أصدقاء كما في ص: ٣١ من ر - وأنني لا أقضي العجب من مرجليوث وهو ترجمان ر: كيف تمكن من فهم جمل في الرسالتين على مزعمه وهي من الـ ١٠: «وفهمت ما ذكره من أمر النسخة المحصلة وهو... الكريم المتكرم وأنا المثقل المبرم - جرى في التفضل على الرسم، وألححت إلحاح الوسم». وذكر أبا عمرو الاسترأباضي في هذه الرسالة. وكان كلفه للغرض عينه كما يظهر من ر إليه وهي الـ ١١ - ثم ختمها بقوله: وأنا أهدي إلى... سلاماً تأرج الكتب بحمله، وترويض المجدية من سبله، فهل تصلح كلمة المجدية من السبل بالمسافر أم بالمقيم. وطالعهما. ثم إنه اقترح عليه في ر الـ ١٢ أن يعرفه بالثمن المصروف (في الاستنساخ) حتى يؤديه إليه - على أن أبا طاهر وهو تاجر لم يكن الشرح مما يهيمه.

(٣) وانظر الرسائل - وأما مرجليوث فإن كلامه ص: ١٤ يوهم خلاف ذلك وإن كانت حوالات الحاشية صحيحة إلا أن كلام المتن موهم ولا شك. وصاحبنا يقرئ في جل رقاعه إلى أبي القاسم السلام على أبي طاهر وهذا لا يمكن إلا على أن يكونا بموضع.

وكان صاحبنا يحبهم من صميم قلبه، ويبذل لهم نخيلة صدره، ويتحنن لهم تحنن النكداء إلى بكره، والطائر إلى وكره. ولم تزل المهاداة الدالة على الوئام والوفاق، قائمة بينه وبينهم على ساق. على رغم آرائه في الأنساب، وإلحاق الجناية بالآباء الأنجاب. قال في ر^(١): «وكيف لا يضطرم شوق ولدته القرابة وأرضعته بلبانها المودة وربته الأيدي المتتابعة». وكانوا يبذلون على ابن أختهم هنّي المطالب وسنّي الرغائب، بل لو قلنا: إنهم هم الذين كفّلوه من ريعانه إلى محتوم إبانته لم تُبعد، وهم الذين أعانوه بالمرافق واللوازم في رحلته إلى بغداد كما يأتي وأما أمه فإنها ترد في محل وفاتها.

ولادته

وُلد بالمعرة يوم الجمعة عند مغيب الشمس لثلاث بقين من شهر ربيع الأول سنة ٣٦٣هـ^(٢) كما قال الكمال ابن الأنباري^(٣) رواية عن التبريزي وابن خلكان والصفدي وغيرهم.

عماه وبعض خصائصه

قال صاحب النزّهة والوفيات: وعَمِي من الجُدريّ أول سنة سبع وستين غشي يمنى عينيه بياض وذهبت اليسرى جملة. قال الحافظ السلفي: أخبرني أبو محمد عبد الله بن الوليد بن عُزَيْب^(٤) (أو غريب^(٥)) الإياديّ أنه دخل مع عمّه على أبي العلاء يزوره فرآه قاعداً على سجادة لبد وهو شيخ [فان] قال: فدعا لي ومسح على رأسي وكنت صبيّاً قال: وكأني أنظر إليه الساعة وإلى عينيه إحداهما نادرة والأخرى غائرة جداً، وهو مجدّر الوجه نحيف الجسم اهـ. وروى ابن العديم في العدل عن ابن مُثَقَد أنه رأى أبا العلاء وهو صبيّ دون البلوغ، ووصفه بقوله: «هو دميم الخلقة مجدور الوجه على عينيه بياض من أثر الجُدريّ كأنه ينظر بإحدى عينيه قليلاً».

قال الذهبي^(٦) والصفدي وأبو الفداء والسيوطي: إنه جُدّر في السنة الثالثة من عمره. أقول وهذا وهم من هؤلاء إذ لم يَحْسَبُوا سنة الولادة وكان وُلد في شهرها

(١) رص: ٤٢.

(٢) وقال أبو الفداء، وقيل: سنة ٣٦٦هـ: ٢: ١٧٦.

(٣) النزّهة: ٤٢٦ والوفيات ١: ٣٤، والنكت: ١٠٩، والمعاهد: ١: ٤٩.

(٤) كما في الوفيات ١: ٣٤.

(٥) كما في النكت والمعاهد وفي العدل غريب.. ولعله تصحيف..

(٦) ١٢٩، النكت: ١٠٩، ٢: ١٧٦، والبغية: ١٣٦ ولأهـ.

الثالث على ما مرَّ. فالصواب إذاً في الرابعة من عمره كما قال صاحبنا نفسه في رسالته^(١) إلى داعي الدُّعاة: «وقد علم الله أن سمعي ثَقِيلٌ، وبصري عن الإبصار كليل، قُضِيَ عليّ وأنا ابن أربع، لا أفزق بين البازل والرُّبع» - قال ابن الأنباري: كان ضريباً أعمى ولم يكن أكمه كما توهمه^(٢) من لا علم له. وورد ذكر الجُدريّ في اللزوم:

أضرُّ من جَدْرِيّ شان حامله بحمله جَدْرِيّ جاء من جَدْر^(٣)
وأنه أورثه دَمامة قال. ل:

الحظّ لي ولأهل الأرض كلهم أن لا يراني أخرى الدهر أصحابي
وشقوة غَشيت وجهي بنضرته أبرُّ من نعيم جرّ أشجابي
وكان يقول^(٤): لا أعرف من الألوان إلّا الأحمر فإنني ألبستُ في الجُدريّ ثوباً
مصبوغاً بالعُصفُر لا أعقل غير ذلك. وكان يحمّد الله على عماء كما يحمده غيره على
البصر، فقد صنع له وأحسن به إذ كفاه رؤية الثقلاء البغضاء على ما نقل الثعالبي من
قوله - وكان قصيراً كما اعترف به في رسالة له^(٥) وكما اعترف به في رسالة له^(٦) وكما
قال. ل:

فلا أجذك رديئاً في ذوي أُمم وكن نبيلاً مع القوم التنابيل
ونحيلاً كما قال. ل:

تَحَقُّوا بالكلام وأكرموني على ما كان من جسد نحيل
وذكياً حكى الذهبي^(٧): أنه أكل في مغارته دُبساً فنقط على صدره منه ولم يشعر
فلما جلس للإقراء قال له بعض الطلبة: يا سيدي أكلت دُبساً فأسرع بيده إلى صدره
يمسه فقال: نعم، لعن الله النّهم. فاستحسنوا سرعة فهمه ا هـ. وروى السيد

(١) أدباء ١: ١٩٨ فيه النازل وهو تصحيف لم يتنبه له مرجليوث - هذا وقال صاحب آثار العجم
بالفارسية ما تعريبه ص: ٤٨ إنه عمي حين بلغ سبعين عاماً وقيل: إنه عمي في صباه ونرجح صحة
القول الأول لما رأينا له من عدة تأليف ا هـ. أقول هذا مبلغه من العلم وما كان أغنائي عن نقل قول
أمثاله من علماء الفرس الذين ليس عندهم خبرة ولا خبر ولا رواية ولا أثر.

(٢) وهذا القول الغريب نقله أبو الفداء أيضاً ٢: ١٧٦.

(٣) قرية تجلب منها الخمر بين حمص وسلمية قال فيها صاحبنا:

لا تقربن جدرياً ما أردت به داء يرى بل شراباً مودعاً جدرا
(٤) وفي ل أشجابي وهو تصحيف.

(٥) نكت: ١٠٩ معاً ١: ٤٩، بغية: ١٣٦، والذهبي: ١٢٩.

(٦) ر ص: ٧٩ - وكذا في حكاية نقلها القفطي أدباء ١: ٢١٥.

(٧) ص: ١٣٠.

العيدروس في النور^(١) السافر عن «آثار البلاد» له ص ١٨١ وفيه: «قوائمه» وهو الصواب و«درهماً». للقزويني أنه كان لأبي العلاء سرير يجلس عليه فجعلوا في غيبته تحت قوائمه أربعة دراهم تحت كل قائمة درهم فقال: إن الأرض قد ارتفعت عن مكانها شيئاً يسيراً أو السماء نزلت أهد وفي روضات الجنات^(٢) عن تلخيص الآثار - أي آثار البلاد المذكور والخبر في أصل الكتاب ص ١٨١. وفيه «أولي الأبصار» بدل البصائر. قيل: إنه أخذ حمّصه وقال: هذا يشبه رأس البازي، وهذا تشبيه عجيب من أولى البصائر فضلاً عن الأكمه (كذا) أ هـ. وقال ابن العديم في «العدل»: إنه كان متوقد الخاطر على غاية من الذكاء من صغره وتحدث الناس بذلك وهو إذ ذاك صبيّ يلعب مع الصبيان. فكان الناس يأتون إليه ليشاهدوا منه ذلك فخرج جماعة من أهل حلب إلى ناحية معرة النعمان وقصدوا أن يشاهدوا أبا العلاء وينظروا ما يحكى عنه من الفطنة والذكاء. فوصلوا إلى معرة النعمان وسألوا عنه، ف قيل لهم: هو يلعب مع الصبيان، فجاؤوا إليه وسلموا عليه، فردّ عليهم السلام. ف قيل له: إن هؤلاء جماعة من أكابر حلب جاؤوا لينظروك ويمتحنوك فقال لهم: هل لكم في المقاناة^(٣) بالشعر، فقالوا: نعم. فجعل كل واحد منهم ينشد بيتاً وهو ينشده على قافيته حتى فرغ محفوظهم بأجمعهم وقهرهم فقال لهم: أعجزتم أن يعمل كل واحد منكم بيتاً عند الحاجة إليه على القافية التي يريد؟ فقالوا له: فافعل أنت ذلك. قال: فجعل كلما أنشده واحد منهم بيتاً أجابه من نظمه على قافيته حتى قطعهم كلهم - فعجبوا منه وانصرفوا. أ هـ:

وفي «آثار البلاد» ص ١٨١ ذكر البعير عنده أنه حيوان يحمل حملاً ثقيلاً فينهض به فقال: ينبغي أن تكون رقبته طويلة ليمتدّ نفسه فتقدر على النهوض به.

وله شعر كثير في عماء. ل:

ذهاب عينيّ صان الجسم آونةً عن التطوح^(٤) في البئد الإماليس
وما بيّ طُرُق^(٥) للمسير ولا السُرى لأنّي ضرير لا تضيء لي الطُرق
عمى العين يتلوه عمى الدين والهدى فليلتي القُصوى ثلاث ليال

(١) ورق: ٣٦٥ نسخة لكنؤ - ومثله في نامه دار نشوران ١: ٣٦٧ طبعة إيران.

(٢) ص: ٧٣ طبعة إيران.

(٣) فن يسمى اليوم مذاكرة الأنفاس وهو أن ينشد كل واحد على روي بيت الآخر وهذا على روي ذلك إلى أن يعيا أحدهما.

(٤) وفي الأصل التطرح مصحفاً.

(٥) بالكسر قوة.

أعمى البصيرة لا يهديه ناظره إذ كلّ أعمى لديه من عصاً هادٍ
 إذا مرّ أعمى فارحموه وأيقنوا وإن لم تكفّوا أن كلكم أعمى
 تصدّق على الأعمى بأخذ يمينه لتهدّيه وامننّ بإفهامك الصّما
 أنا أعمى فكيف أهدي إلى المنهـ ج والناس كلّهم عُميان
 والعصا للضرير خير من القا ند فيه الفجور والعصيان
 وبصير الأقوام مثلي أعمى فهلّموا في جنّدت نّتصادم
 وانظر في المعنى بيتاً له (الأمور) وقطعتين نوّبتين في الفات.

حفظه وواعيته

العُمَيان أصحّ الناس حفظاً وأوعاهم وأذكاهم وأرعاهم . والسبب في ذلك عدم تشبّت الباصرة في المغازي والمسالك وأن كل قوة طَبَعِيّة يزيد فيها الإعمال وينقص منها الإهمال . والعُمَيان أحوجّ من البَصراء . إلى حفظ الأشياء . وقد رُوي في حفظهم أخبار ونوادر، شوارد سوائر . وناهيك بما أَلَمَ به الصَّفَدِيّ منها في النكت^(١) والغيث . والمعروفون بقوة الواعية منهم لا يبلغهم إحصاء، ولا يأتي عليهم أو يعترف بالعجز دون بلوغ الغاية والإيعاء . والعَلَمُ القَرْدُ في ذلك حَبْرُ الأُمّة وتَرْجُمان القرآن عبد الله بن عباس رضي الله عنه وذلك معروف في خبر نافع بن الأزرق^(٢) وعمر بن أبي ربيعة معه

(١) النكت: ٨٤ بعد أن نقل بيتاً للأعشى وآخر لبشار ثم روى عن الجاحظ قوله: «وهذان أعميان قد اهتديا من حقائق الأمور إلى ما لا يبلغه تمييز البصراء . ولبشار خاصة في هذا الباب ما ليس لأحد»، ثم زاد عليه: «قلت: تعجب الجاحظ من قولهما وكيف به لو سمع قول أبي العلاء:

رب ليل كأنه الصبح في الحسـ من وإن كان أسود الطيلسان
 إلى قوله: ثم شاب الدجى س ١: ٩١ و٩٢ - وقوله:

ولاح هلال مثل نون أجادها بجاري النضار الكاتب ابن هلال
 وقال في ص: ٨٣: قل إن وجد أعمى بليداً ولا يراى أعمى إلا وهو ذكي منهم . . . وأبو العلاء المعري . . . والسبب الذي أراه في ذلك أن ذهن الأعمى وفكره يجتمع عليه ولا يعود متشعباً بما يراه . ونحن نرى الإنسان إذا أراد أن يتذكر شيئاً نسيه أغمض عينيه وفكر فيقع على ما شرد من حافظته وفي المثل أحفظ من العُمَيان أوردته الميداني في أمثاله ا هـ أقول ومثل قوله المار في الوصف ما قال يصف الحمائم من قصيدته:

نسبي من الغربان ليس على شرع

س ٢: ٧١.

وورد ذكر العُمَيان في الغيث ٢: ١٨٨ - ١٩٣.

(٢) الكامل للمبرد ٢: ١٥١.

- وحكى ابن حجر^(١) وغيره عن المتنبي أنه تلقى من رجل كتاباً للأصمعي نحو ثلاثين ورقة وأخذ ينظر فيه فقال الرجل يا هذا أريد بيعه فإن كنت تريد حفظه فهذا إن شاء الله يكون بعد شهر. فقال: فإن كنت حفظته في هذه المدة فما لي عليك؟ قال: أهب لك الكتاب فأخذ يتلوه حتى أتى عليه.

ومثله ما يحكى عن أبي تمام^(٢) أن البحري لما أنشد أبا سعيد محمد بن يوسف قصيدته التي أولها:

أفاق صب من هوى فأفريقاً أم خان عهداً أم أطاع شفيقاً

وهي طويلة وسر بها أبو سعيد قال أبو تمام ولم يكن بينهما معرفة أما تستحي هذا شعري تنتحله. ثم أنشدها لم يخرم منها حرفاً فلام أبو سعيد البحري فوجم نادماً وخرج إلى باب الدار حتى رده الغلمان على أبي تمام فقال: الشعر لك ولكن ظننت أنك تهاونت بموضعي وأقدمت على الإنشاد بحضرتي من غير معرفة بيننا ثم عانقه وأخذ يُشني عليه. ونادرة الزمان، في قوة الحفظ وشذوذ النسيان، هو رب القريض والبيان، علامة همدان، بديع الزمان.

ونأتي هنا على أخبار رواها الثقات عن الثقات والأصاغر عن الأكابر سوى بعضها مما وقع فيه خلل في النقل. وما أكثر من يستنكرها من أبناء العصر، إذ حرموا هذه الفضيلة اللهم إلا شردمة منهم نزر. والعرب أحفظ الأمم: «ومن يشابهه أبه فما ظلم». والباعث على ذلك ليس إلا عرقهم في البداوة وسكنى الوبر والمدر. وبعدهم عن الوسائل المغنية عنها في الحضر.

(١) روى السمعاني في الأنساب^(٣) عن التبريزي: أنه كان قاعداً في مسجده بمعرة النعمان بين يدي أبي العلاء يقرأ عليه شيئاً من تصانيفه قال: وكنت قد أتممت عنده سنتين^(٤) ولم أر أحداً من أهل بلدي. فدخل مغافصة المسجد بعض جيراننا للصلاة فرأيته وعرفته وتغيرت من الفرح. فقال أبو العلاء: ما أصابك. فحكيت له أنني رأيت جاراً لي بعد أن لم ألق أحداً من أهل بلدي سنين^(٥) فقال لي: قم وكلمه. فقلت

(١) لسان الميزان ١: ١٦ والبديعي ١: ٧.

(٢) البديعي ١: ٢٤ وغيره.

(٣) ورق: ١١٠، وياقوت عنه ١: ١٧٣، والنكت: ١٠٢، والبديعي ١: ١٠، والبغية: ١٣٦، والمعاهد ١: ٤٩.

(٤) وفي غير نسخة الأنساب أقيمت عنده سنين.

(٥) كذا هنا في الكتب بأسرها إلا أدباء فإنه روى سنتين.

له: حتى أتمم السبق^(١). فقال: قم أنا أنتظرك. فقامت وكلمته بالأذريّة شيئاً كثيراً إلى أن سألت عن كل ما أردت. فلما عُدتُ وقعدت بين يديه قال لي: أيّ لسان هذا؟ قلت: هذا لسان أهل أذربيجان. فقال لي: ما عرفت اللسان ولا فهمته غير أنني حفظت ما قلتما، ثم أعاد لفظاً بلفظ ما قلنا (من غير أن ينقص منه أو يزيد عليه) فجعل جاري يتعجب غاية العجب ويقول: كيف حفظ شيئاً لم يفهمه أهـ. قال يا قوت: وهذا غاية ليس بعدها شيء في حسن الحفظ. وقال الصفدي: هذا أمرٌ مُعجز فإنه بلغنا عن جماعة من الحُفَظ. وما يحكى عن البديع الهمداني وابن الأنباري (لعله أبو بكر محمد) وغيرهما ما هو قريب من الإمكان وأما حفظ ما لم يسمعه (؟ يفهمه) الإنسان ولا يعلم مفرداته ولا مركباته وهو أقل ما يكون أربع مائة سطر (؟ بدون الجواب).

(٢) قال ابن العديم في «العدل» قيل: إنه أملئ من ديوانه لزوم ما لا يلزم في ليلة واحدة نحو ألفي بيت كان يسكت زماناً ثم يُملئ نحو خمسمائة بيت ثم يعود إلى الفكرة والعمل إلى أن كملت العدة المذكورة.

(٣) وروى ابن العديم أيضاً: أن بعض أمراء حلب قيل له: إن اللغة التي ينقلها أبو العلاء إنما هي من «الجمهرة». وعنده من «الجمهرة» نسخة ليس في الدنيا مثلها وأشاروا عليه بطلبها منه قصداً لأذاه. فسير أمير حلب رسولاً إلى أبي العلاء يطلبها منه. فأجاب بالسمع والطاعة وقال: تقيم عندنا أياماً حتى تقضي شغلك. ثم أمر من يقرأ عليه كتاب «الجمهرة» فقرئت عليه حتى فرغوا من قراءتها ثم دفعها إلى الرسول وقال له: ما قصدت بتعويقك إلا أن أعيدها على خاطري خوفاً من أن يكون قد شذ منها شيء عن خاطري. فعاد الرسول وأخبر أمير حلب بذلك فقال: من يكون هذا حاله لا يجوز أن يؤخذ منه هذا الكتاب وأمر برده إليه.

(٤) وروي أيضاً أن البغداديين أرادوا امتحان حافظته فأحضروا دستور الخراج الذي في الديوان وجعلوا يوردون ذلك عليه مُبَاوِمةً وهو يسمع إلى أن فرغوا من ذلك فابتدأوا أبو العلاء، وسرد عليهم كل ما أوردوا عليه.

(٥) روى البديعي^(٢) عن الأمير أسامة (؟) بن منقذ عن أبي العلاء المعري قال: كان بأنطاكية خزانة كتب وكان الخازن بها رجلاً علوياً فجلست يوماً عنده فقال قد خبأت لك خبيئة غريبة ظريفة لم تسمع بمثلا في تاريخ ولا في كتاب منسوخ. قلت: وما هي؟

(١) بمعنى الدرس كما هو مستعمل إلى الآن بإيران والهند.

(٢) الصبح المنبي ١: ٧. وهذه الحكاية توجد باختلاف يسير منسوبة إلى التبريزي في غرر الخصائص:

قال: صبيّ دون البلوغ ضرير يتردّد إليّ وقد حفظته في أيام قلائل عدّة كتب وذلك أني أقرأ عليه الكُرَاسَةَ والكُرَاسَتين مرّة واحدة فلا يستعيد إلا ما شكّ فيه. ثم يتلو عليّ ما قد سمعه كأنه كان محفوظاً له. قلت: فلعله قد يكون محفوظاً له، قال: سبحان الله كل كتاب في الدنيا يكون محفوظاً له ولئن كان ذلك كذلك فهو أعظم. ثم حضر المشار إليه وهو صبيّ دميم الخلقة مجدّر الوجه على عينيه قليلاً وهو يتوقّد ذكاء يقوده رجل طويل من الرجال أحسبه يقرب من نسبه، فقال له الخازن: يا ولدي هذا السيّد رجل كبير القدر وقد وصفتك عنده وهو يحب أن تحفظ اليوم ما يختاره لك فقال: سمعاً وطاعة! فيختار (؟) فليختر) ما يريد. قال ابن منقذ: فاخترت شيئاً وقرأته على الصبيّ وهو يموج ويستزيد. فإذا مرّ بشيء يحتاج إلى تقريره في خاطره يقول: أعذّ هذا. فأردّه عليه مرة أخرى. حتى انتهيت على ما يزيد على كُرَاسَة ثم قلت له يُقنّع هذا من قبل نفسي. قال: أجل حرسك الله قلت كذا وتلا عليّ ما أمليته عليه وأنا أعارضه بالكتاب حرفاً حرفاً حتى انتهيت إلى حيث وقفْتُ عليه؛ فكاد عقلي يذهب لما رأيْتُ منه، وعلمت أن ليس في العالم من يقدر على ذلك إلا أن شاء الله. وسألت عنه فقيل لي: هذا أبو العلاء المعريّ من بيت العلم والقضاء والثروة والغنى هـ. أقول: جمع البديعيّ بين الضبّ والنون وحاول أن يُجري في البراريّ الفُلُك المشحون فإن صاحبنا توفي سنة ٤٤٩هـ. وأسامة وُلد سنة ٤٨٨هـ فلعل الحكاية عن بعض متقدمي بني منقذ قبل أن يملكوا شيزر بنحو نصف قرن أو أكثر أو الأصل: «عمّن حدّثه عن أبي العلاء» فيوجد ثمّ واسطة بينهما. والراجح هو الأول ففي مساق هذه الحكاية في العدل والتحري ما يدلّ على أن صاحب أبي العلاء هو أبو المتوجّج مقلّد بن نصر بن منقذ وكان يسكن حلب وهو الذي ترجم له ابن خلّكان وياقوت والعماد. ولكن هذه الخزانة على ما قال ابن العديم: كانت في كُفر طاب أو في حلب. وذكر خبراً طريفاً عن خزانة جَلَب.

(٦) وروى^(١) أيضاً قال: وأعجب من هذه ما حكى بعض طلبته عنه قال: كان لأبي العلاء جار أعجميّ فاتّفق أنه غاب عن المعرّة فحضر رجل يطلبه قد قدم من بلده فوجده غائباً فلم يمكنه المُقام. فأشار إليه أبو العلاء أن يذكر حاجته إليه فجعل ذلك الرجل يتكلّم بالفارسية وأبو العلاء يُصغى إليه إلى أن فرغ من كلامه. ولم يكن أبو العلاء يعرف بالفارسية ومضى الرجل. وقدم جاره الغائب وحضر عند أبي العلاء فذكر له حال الرجل وجعل يذكر له بالفارسية ما قال. والرجل يبكي ويستغيث ويلطم إلى أن فرغ من حديثه وسئل عن حالة فأخبر أنه أخبر بموت أبيه وإخوته وجماعة من أهله.

(٧) وحكى^(١) أيضاً عن بعض أصحابه أن جارا له سَمَانًا كان بينه وبين رجل من أهل المعرة معاملة فجاء ذلك الرجل وحاسبه برقاع يستدعي فيها ما يأخذه منها عند حاجته إليه . وكان أبو العلاء في غرفة يسمع محاسبتهما . قال : فسمع أبو العلاء السَّمَانَ المذكور بعد مُدَّة يتأوّه ويتململ ، فسأل عن حاله فقال : كنت حاسبت فلانا برقاع كانت له عندي وقد عدمتها ولا يحضرني حسابه فقال : ما عليك من بأس أنا أُملي عليك حسابيه وجعل يملئ معاملته رقعة برقعة والسمان يكتبها إلى أن فرغ وقام . فما مضت إلا أيام يسيرة ووجد السمان الرقاع فقابل بها ما أملاه عليه أبو العلاء فطابق إملاؤه الرقاع ا هـ ومثله ما في الوفيات^(٢) عن أبي بكر النحوي . قال : لما قَدِم الحسن بن سهل العراق قال : أحب أن أجمع قوماً من أهل الأدب ، فأحضر أبا عبيدة الأصمعي ونصر بن عليّ الجهضمي وحضرت معهم ، فابتدأ الحسن فنظر في رقاع بين يديه للناس في حاجاتهم فوَقَّع عليها فكانت خمسين رقعة ثم أمر فدُفِعت إلى الخازن . ثم أقبل علينا فقال : قد فعلنا وخيراً نظرنا في بعض ما نرجو نفعه من أمور الناس والرعية فنأخذ الآن فيما نحتاج إليه . فأقضنا في ذكر الحُفَاط فذكرنا الزهريّ وقَتادة ومررنا فالتفت أبو عبيدة فقال : ما الغرض أيها الأمير في ذكر من مضى وبالحضرة ها هنا من يقول ما قرأ كتاباً قط فاحتاج إلى أن يعود فيه ولا دخل قلبه شيء فخرج عنه ، فالتفت الأصمعي وقال : إنما يريدني بهذا القول أيها الأمير والأمر في ذلك على ما حكى وأنا أقرب إليك قد نظر الأمير فيما نظر فيه من الرقاع وأنا أعيد ما فيها وما وقع به الأمير على رقعة رقعة قال : فأمر وأحضرت الرقاع . فقال الأصمعي : سأل صاحب الرقعة الأولى كذا واسمه كذا فوَقَّع له بكذا والرقعة الثانية والثالثة حتى مرّ في ثَيف وأربعين رقعة . فالتفت إليه نصر بن عليّ فقال : أيها الرجل أثبت على نفسك من العين . فكفّ الأصمعي ا هـ . وأغرب منه وأعجب ما روى الحميدي في الجذوة والخطيب في «تاريخ بغداد» عن البخاري ومُحَنِّته هناك في مائة حديث مقلوبة الأسانيد والمتون وراجع الوفيات^(٣) .

(٨) زعموا^(٤) أن رجلاً من أهل اليمن وقع له كتاب في اللغة قد ضاع أوله فعرضه على طائفة من أهل العلم فكلهم لم ينفعه (؟ يعرفه) ولم يذله على اسم الكتاب فلما عرضه على أبي العلاء أنبأه باسمه واسم صاحبه وأملئ عليه ما ضاع منه . قال ابن

(١) الصبح المنبي ١ : ١١ .

(٢) ١ : ٢٨٩ .

(٣) ١ : ٤٥٥ .

(٤) ابن العديم في العدل وصاحب (ذ) : ٢٢٢ ولعله عن القفطي .

العديم: قيل إن الكتاب هو ديوان الأدب للفارابي. وفي النور السافر للسيد العيدروس: «وذكر عنه أنه أملى المحكم والمخصص من صدره» أقول: لعل الراوي اشتبه عليه تهذيب الأزهري بالكتابين وإلا فإنهما لم يكونا صُتفا بعد.

(٩) حكى بعض العصريين^(١) والعهدية عليه إذ لم يحل على مأخذ أنه سمع محاورة إسرائيليين بالعبرية وهو في شأن غير شأنهما ثم طلب بعد مدة مديدة للشهادة فأعاد تلك المحاورة وهو لا يفقه من العبرية حرفاً اهـ ولم أعثر على الخبر فيما بيدي من دواوين الأخبار. وليس ببذع من صاحبنا إلا أنني رأيت المتأخرين يتكلمون على حفظ ليس حفظ أبي العلاء ولا يرجعون إلى الأصول فيخطبون ويخلطون والعصمة لله وحده^(٢).

هذا وغر أكثر الغربيين قول الصفدي^(٣) أظنه: «وللناس حكايات يَضَعُونها في عجائب ذكائه وهي مشهورة وغالبها مستحيل» وإني لأعجب كيف ذهب عليهم أو خفي عنهم مثل هذا مع أنه ترك شغل السماع والمطالعة حين بلغ من العمر أشدّه وهذه جُمَل من ثره^(٤).

قال في مقدمة س^(٥): وقد كنتُ في ربّان الحداثة وجنّ النشاط مائلاً في صَعُو القريض... ثم رفضته رفض السَّقْب غَرْسُهُ والرُّأل تريكتة اهـ. وفي الملائكة لو أعرضت الأعرية عن النعيب، إعراضي عن الأدب والأديب، لأصيححت لا تُحَسِّن نعيياً اهـ. وفيه وقد حُرِّم عليّ الكلام في هذه الأشياء لأنني طَلَقْتُها طلاقاً بئناً لا أملك فيه الرجعة اهـ. وفيه ولو كنت في عمر الحِجْل لكنت قد أنسيت أو نسيت لأنني حديثي لا يُجْهَل في لزوم عَطْنِي الضيق... وإنما ينال الرُّبُّب من الآداب من يباشرها بنفسه ويُفْنِي الزمن بدرسه اهـ. ومَرَّ لنا نقل قوله من الإغريضية. وفي ر^(٦): إلى الفلاح، وإن العامة عَهدتني في صدر العمر أَسْتَصْحِب شَيْئاً من أساطير الأولين فقالت عالم، والناطق بذلك هو الظالم». ومن ر^(٧) إلى أبي المعلى: «من غدا بفرع ضال، فقد بَعْدَ عهدي

(١) وهو صاحب الإلياذة العربية في مقدمتها: ٣٨، فإن صح اتكاله على الحفظ فهو الخبر الأول هنا.

(٢) ويحيى في أبواب بغداد حكاية عرض المنازي عليه شعره أولاً بالمعرة وثانياً بها وهي الآية المثلى في الدلالة على الحفظ والذكاء.

(٣) معاهد ١: ٤٩ وليعلم أن ترجمته له صدى لصوت الصفدي في الوافي.

(٤) ومن نظمه في المعنى قوله - ل:

وكيف أروم في أدب وفهم

وانظر آخر باب فذلّة الآراء.

(٦) ص: ٦٠.

(٥) ١: ٦.

(٧) ص: ٦٤.

بالنضال. ألم يبلغك... أني دفعت الأدب إلى جانب كليب، وعقدته بأذن الضبيب^(١). هـ. وفي رسالته^(٢) إلى التكتي وكان دعاه أبا العلى (مقصوراً) ومحمداً بدل أحمد فنعي عليه سوء حفظه ثم قال: «فأما أنا فحفظت اسمه وكنيته ونسبه ولم أنس أيامه ولا مذكراته... فعهدي به تعجبه هذه الأرجوزة» ا هـ. وهذا كله دليل على أن هذه المعارف اللغوية والنحوية والتاريخية والدينية وغيرها مما نجده مبعثراً في كتبه ورقاعه، ومما يدهش اللبيب ويكل من حدّ بنانه ويراعه. ومن فنون يضيق عنها نطاق الدهر، وغاية يحضر دونها نجائب العمر. وغرائب الأخبار، وطرائف الآثار. كلّها من مكاسب صباه وشرّحه، وثمر غص لريعان عمره قبل خنكته ورسخه. وظاهر أن عقد الثلاثين لا يفي بجمع مثل هذا العلم الجمّ. ما لم يكن ثمّ واعية لا يشذ عنها شيء حلّ بها أو أمّ، وبحر حفظ لغباه زخّ وطمّ. وكيف لنا بالتكذيب والتبريزي أحد الثقات الأثبات فيما ينقله. وهذا ابن القارح يشهد له بذلك ويفضّله فيه على أعيان أشياخه قال^(٣): «والعجب العجيب والنادر الغريب حفظه... لأسماء الرجال والمنثور كحفظ غيره من الأذكياء المبرزين المنظوم. وهذا سهل بالقول صعب بالفعل» (ثم رجحه فيه على ابن خالويه وأبي الطيّب اللغوي وأبي عمر الزاهد الأسوة في الحفظ).

لولا بدائع صنع الله ما نبتت تلك الفضائل في لحم ولا عصب

وقال الذهبي مع عداوته له: «ويقال عنه: إنه كان يحفظ ما يمرّ بسمعه. وكان عجباً من الذكاء المفرط والاطّلاع الباهر على اللغة وشواهدا»^(٣) - وأوثق من كل ما مر ما رواه ابن العديم في «العدل»: أن بعضهم سأل أبا العلاء عن حفظه فأجابه بقوله: «ما سمعت شيئاً إلّا وحفظته وما حفظت شيئاً فنسيته».

ولكن هذا الحفظ الباهر بطلعته اختلّ في كهولته على ما يقول. ل:

رَضِيَتْ مُلَاوَةً فَوْعِيَتْ عِلْماً وَأَحْفَظْنِي الزَّمَانَ فَقَلَّ حَفْظِي

طلبه للعلم

لم يكن بيته من العلم مجدياً، بل كان جنبه بالأدب مُخَصِّباً. فقرأ أولاً النحو

(١) ٧٧.

(٢) رسالته: ٢١٠.

(٣) ونجد في الأمة الأمية كثيراً من مفلقي الحفظ فإن حرارة البلاد ترقق المزاج وتلطف الأخلاق والأمشاج. والبلاد قد أنجبت وأعرقت. وكنت قد قرأت في بعض الجرائد أن بمدراس صبية من مشرقة الهند حُفِظَت عدة كتب سنسكريتية وهي لم تعد الثامنة من العمر بعد فأشار الأطباء على أهلها أن يخلوها وشأنها في حجرة فارغة من الشواغل إبقاء على دماغها ورقفاً بواعيتها.

واللغة على أبيه بالمعرة وعلى محمد بن عبد الله بن سعد النحوي بحلب وغيرهما من بني كوثر وأصحاب ابن خالويه، ومنهم: أبو القاسم المبارك بن عبد العزيز صديق النكتي الذي بعث إليه أبو العلاء ر ٢٧. وسرد ابن العديم في الباب الرابع من العُدل أسماء شيوخه بالمعرة وحلب وبغداد ولعل هذا وهم منه فإنه لم يتلمذ ببغداد لأحد كما سنبحث عنه.

وأما علمه بالحديث فإنه يحدث عن أبيه وجده^(١). وسمع بالمعرة عالياً من يحيى ابن مسعر^(٢) التنوخي صاحب أبي عروبة الحراني وجزءاً من أبي الفتح^(٣) محمد بن الحسين صاحب خبثمة في صباه^(٤). قال السلفي^(٥) حدثنا الخليل بن عبد الجبار بقزوين وكان ثقة حدثنا أبو العلاء التنوخي بالمعرة حدثنا أبو الفتح محمد بن الحسين حدثنا خبثمة فذكر حديثاً. وروى السيوطي في ختام بُغيته^(٦) بطريقه حديثاً مسنداً يتعلق بغرض لصاحبنا ونلّم بذكره في محله فأحببنا إيرادها هنا. قال: «شافهني أبو الفرج محمد بن أبي بكر بن الحسين المراءغي بالمدينة الشريفة عن والده عن الشرف البارزي أخبرنا الكمال ابن العديم حدثنا أبو عبد الله محمد بن أبي المعالي ابن البتاء البغدادي بدمشق أنبأنا أبو بكر محمد بن عبيد الله بن نصر الزاغوني حدثنا أبو طاهر محمد بن أحمد بن أبي الصقر الخطيب الأنباري من لفظه أنبأنا أبو العلاء المعري قراءة عليه بالمعرة حدثنا أبو زكريا يحيى بن مسعر التنوخي المعري حدثنا أبو عروبة بن أبي معشر الحراني أنبأنا هُوَيْر حدثنا محمد بن عيسى الخياط عن أبي الزناد عن أنس بن مالك (رض) عن النبي ﷺ أنه كان يقول: «إن الحسد ليأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب وإن الصدقة تطفئ الخطيئة كما يطفئ الماء النار، والصلاة نور المؤمن، والصيام جنة من النار». وقال في الغفران^(٧) بعد أن نقل عن أبي معشر المدني في كتاب المبعث حديثاً في ذبحه عليه السلام ذبيحة للأصنام ثم إنه ألقاه بمنع زيد بن عمرو «وفي حديث آخر وقد سمعته بإسناد أن تميم بن أوس الداري كان يُهدي إلى النبي ﷺ في كل سنة راوية من خمر فجاء بها في بعض السنين وقد حُرمت^(٨) الخمر فأراقها. قال السلفي^(٩): قرأ القراءات بروايات وسمع الحديث بالشام على ثقات. وقال السمعاني:

(١) بغية: ١٣٦.

(٢) لا مصير كما هو عند (ذ): ١٤٤ ولعل هذا التصحيف من اتكاله على المآخذ الإفرنجية.

(٣) الأزدي الموصلي الحافظ ألف في علوم الحديث. ترجم له ابن حجر في اللسان ٥: ١٣٩ ومات سنة ٣٧٤هـ.

(٤) ذهبي: ١٣٠، واللسان ١: ٢٠٤. (٥) ذهبي: ١٣٢.

(٦) ص: ٤٥١. (٧) ١٧٦.

(٨) ذهبي: ١٣٥ واللسان عدد: ٦٤٢. (٩) في الأصل حرحت؟

سمع الحديث اليسير وحدث به. وقد عقد الصاحب ابن العديم باباً وهو السادس من العدل ما وقع إليه من حديث أبي العلاء مسنداً وروى منه شيئاً غير يسير.

وأما علمه باللغة والنحو والأدب فهو الغاية القصوى. قال الصفدي^(١) وعدّد من رزقوا السعادة في أشياء لم يأت بعدهم من نالها «وأبو العلاء المعرّي في الاطلاع على اللغة». ولا يكاد يقضي العجب من تبخره من طالع الغفران لا سيما^(٢) تفننه في قوافي بيتين للنمر بن تَوْلَب العُكْلِيّ حتى أتى على جُل حروف المعجم. ونقل المجد في البلغة^(٣) عن محمد بن رادة اللغوي قال: كان بالمشرق لغويّ وبالْمغرب لغويّ في عصر واحد لم يكن لهما ثالث وهما: أبو العلاء وابن سيّده هـ. وروى ابن العديم عن تلميذه التبريزي أنه قال: «ما أعرف أن العرب نطقت بكلمة ولم يعرفها المعرّي».

وأما تبخره في علمي العروض والقوافي فبحسبك فيه مقدّمة اللزوم ورسالة له إلى النُكْتِي وهي الـ ٢٧، وله تأليف فيهما.

وله إلمام بالفقه والفروع والمذاهب. قال صدر الأفاضل في شرح قوله س:

في معشر كجّمار الرمي أجمعها ليلاً وفي الصبح أُلقيها إلى القاع
«في هذا البيت ما ينبّهك على أن أبا العلاء كان قد ضرب في الفقه بنصيب -
وذلك أن كثيراً من الفقهاء يتوهمون أن الإفاضة من المزدلفة إلى مِنى ورَمِي جَمْرَةَ
العقبة بعد طلوع الشمس من يوم النحر والصواب أنهما بعد إسفار الفجر من ذلك اليوم
- فلذلك جعل أبو العلاء رمي الجمار في الصبح فللّه دَرَه من تحرير لا يغيض بحره»
هـ. ومما يدلّ له من اللزوم:

زكّوا على مذهب الكوفي^(٤) أرضكم وجانبوا رأيه في مسكر طُبِخا

وانظر جميع شعره في المذاهب في النظرة.

وأما علمه بالملل والأديان وفِرَق المسلمين فإن صفحات الغفران مُتَرَعّة به ويأتي الإلمام ببعضه آنفاً وفي النظرة. وكذلك الفرائض قال. ل:

هي الدنيا إذا طلبت أهانت وعالت والفريضة ذات عَوَل

وكان يعرف شيئاً من الحساب أيضاً على عماه قال. ل:

وتداني الأيام يحدث نقصا وازدياداً، والجسم للنفس تَبْعُ

(١) غيث ١: ١١٨.

(٢) ص: ١٤.

(٣) في أئمة اللغة (خط).

(٤) أبي حنيفة رح.

خمسة في نظيرها خمس خمسا ت تنمَّت والنصف في النصف رُبْع^(١)
 سما نفر ضربَ المئين ولم أزل بحمدك مثل الكسر يضرب في الكسر^(٢)
 وأما النجوم، فإنه مع عدم إيمانه بأحكامها يعرف ما لا بد للأديب منها قال. ل:
 والمال خِذْن النفس غير مُدَافِع والفقر موت جاء بالإهمال
 أو ما ترى حكم النجوم مصوراً بيت الحياة يليه بيت المال
 وكان آية في معرفة الأخبار والتاريخ الماضي والحاضر، وهذا غفرانه ذكر فيه
 جميع الزنادقة والملاحدة ومستطرفات أخبارهم ومستطرفات آثارهم حتى إنه نقل في
 خبر فتح محمود الغزنوي للهند ما هو معلوم من إحراق المرأة نفسها على زوجها
 الميت ويسمى بلسانهم سَتِي إلى غيره من أخبارهم وآرائهم، وانظر النظر. وهذه
 رسالته في وفاة أبي بكر إلى خاله أبي القاسم تطرّف فيها بذكر أكثر ملوك الأمم،
 ومصيرهم للبلبل والرّم. وصيرها مثلة وأسوة، ولمن أتى بعده من نحو ابن عبدون
 قُدوة. ومن شعره في المعنى. ل:

ما كان في هذه الدنيا بنو زمن إلا وعندي من أخبارهم طرّف
 وهذا كله على أنه كان في صباه ظريفاً يدخل في كل فنّ من الجدّ والهزل. وكان
 يلعب بالشطرنج والنرد على ما حكاه أبو الحسن الدُّلفي وكان رآه في عنقوان شبابه
 بالمعرة على ما حكاه الثعالبي عنه في تتمة اليتيمة^(٣). ومن شعره إلى لاعب. س^(٤):
 أيها اللاعب الذي فرس الشطرنج ج همت في كفه بالصَّهيل

(١) أي يحصل ٢٥ بضرب ٥ في ٥ في الزيادة ٤/١ من ضرب ٢/١ في ٢/١ ولم يفهم المعنى، محشى اللزوم.

(٢) معناه كالسابق.

(٣) نسخة باريس الخطية. وزعم مرجليوث: ٣٠ أن هذا في زمن عزلته وهذا غلط منه ولعله لم يتأمل عبارة التتمة على أنا نربأ بصاحبنا أن يذهب عمره أدراج الرياح، وهو يقول س ٢: ١٤١.

جنيت ذنباً وألهى خاطري وسن عشرين حولاً فلما نبه اعتذرا
 وأما أبو الحسن فقد أفرغت مجهودي في التطلب عنه فوجدته والحمد لله على ذلك في الصباح
 المنبئ: ٤٢٤ وهو أبو الحسن محمد بن بركة بن عبد الله بن حمدان الدُّلفي ترجم له في الأدباء
 ٧: ١٥. الدلفي العجلي النحوي شرح ديوان المتنبي في عشر مجلدات، قال صاحب البغية: ٥٢
 نقلاً عن ياقوت: «إنه كان من أصحاب الرمانى وكان فاضلاً بارعاً ومات بمصر سنة ستين وأربعمائة»
 أقول: كذا فيها هو يورث الاختلاج مع قول الثعالبي أنه لقيه قديماً وحديثاً في مدة ثلاثين سنة إلا أن
 يكون بلغ من العمر ٩٠ سنة.

(٤) ٢: ٢٢٣، هذا الذي نقله صاحب البغية عن الأدباء، يوجد في الجزء السابع منه المطبوع آنفاً.

من يُباريك والبياذق في كفّ ك يَغْلِبُن كُلَّ رُخٍ وفيل
تصرع الشاة^(١) في المّجال ولوجا ء مردّى بالتاج والإكليل
أنت فوق الصّولي^(٢) وفي هذه الخّد ة مُزّر في غيرها بالخليل
ومن ل في الدنيا:

في بُقعة من رُقعة يَسّرت للبيذق الفتك بفرزانها
إن لم تُحوّل فرازينا بياذقهم فالشاة فيل وذاك الفيل فرزان
قال الصفدي^(٣): وقد رأيت أنا غير مرة بالديار المصرية شخصاً متجنّداً يعرف
بعلاء الدين بن قيران وهو أعمى يلعب بالشطرنج مع العوالي ويحطّهم ويغلبهم وما
راعني فيه إلا أنه يقعد ويتحدّث وينشد لنا الأشعار إلى آخر ما حكى من أمره ثم قال:
«وهذا غريب وهو مشهور بالقاهرة لا يكاد يجهله من يلعب بالشطرنج» ثم ذكر رجالاً
يلعبون وهم غُيّبٌ أو على عِدّة رِقاع في وقت. وظني أن صاحبنا أضرب عنه فيما زهد فيه
من زهرات هذه الحياة على أنه يشدّد الإنكار على من يضيع ساعة من عمره فيما لا يعنيه.
والظاهر أنه لم يكن يعرف غير العربية من اللغات إلا أن واعيته البديعة حفظت له
كل ما مرّ بسمعه من كلمات غير العربية فنراه يَنْفُثُ بها نفثاً قال:

لا يُبْصِرُ القَوْمُ في مَغْناكَ غِشْل يد على الطعام إلى أن يُرفع السُّورُ
إذا قيل لك اخش الله مـولـاك فـقل آرا!
والسور دعوة الوليمة وكل سُرور. وآرا نعم. وكلاهما من الفارسية^(٤):
فيا قَسْ وقّع برزق الخطيـ ب وانظر بمسجدنا يا مُنْش
قالوا هو الناظر بالعبرية:

وقفت على كل باب رأيت حتى نهاك أبو ضابط
قالوا: هو كنية الموت بالحَبَشِيَّة:

وأما طلبه فقد انقضى قبل بلوغه عشرين سنة كما صرّح بنفسه وصدع به في^(٥) ر

(١) بالهاء بدون النقطتين.

(٢) في التنوير هو أبو إسحاق ولعل هذا وهم فالمعروف به في الناس أبو بكر الصولي الشطرنجي صاحب أدب الكاتب.

(٣) الغيث ٢: ٥١.

(٤) وذكر في الغفران لفظ الباسنة والجمع بواسن بمعنى الإناء ١٦٩ وهي هندية فيما أحسب.

(٥) ص: ٣٢.

له إلى خاله أبي القاسم: «وانصرفت (عن بغداد) وماء وجهي في سقاء غير سَرَب - ما أَرَقْتُ منه قطرة في طلب أدب ولا مال. ومنذ^(١) فارقت العشرين من العمر ما حَدَّثْتُ نفسي باجتماع علم من عراقي ولا شَام». ولم يتكثر بالشيخ والانتساب إليهم قبل العشرين أيضاً. ونقل القفطي^(٢) عن التبريزي أنه لما قرأ عليه إصلاح المنطق طالبه بالسند فقال له: إن كنت تريد العلم فخذ عني ولا تُعَدُّني وإن كنت تريد الرواية فاطلبها عند غيري. قال القفطي: فهذا يدل على أن أبا العلاء كان يثق بنفسه ويعتقد أنه أدرك اللغة وإنها في عصره لأنضج منها في عصر ابن السكيت. أقول: وكان أبا الفداء لاحظ هذا المعنى حيث قال: لم يتلمذ أبو العلاء لأحد أصلاً. على أن الملك المؤيد رحمه الله وهو بَلَدِيه لم يمنحه استيلاءً بإلحاده كبير جانبٍ من الالتفات. فتراه يأتي^(٣) في ذكره وهو نحو تسعة أسطر بالأقوال المرغوب عنها.

هذا وفي الضرام أنه تلمذ على عبد الوهاب بن نصر المالكي [والظاهر ببغداد أو بعد الرجوع] الذي أرسل إليه أبو العلاء ثلاثين درهماً مع قطعة^(٤) في الاعتذار وذكره في أخرى^(٥) إلى التنوخي الصغير أيضاً - ولعله اغتر بقله في الأولى:

وما أنا إلا قطرة من سحابة ولو أنني صَنَفْتُ ألف كتاب

وفي «الإسعاف»^(٦) «كالبُغية»^(٧): أنه سمع من عبد السلام بن الحسين البصري [ببغداد] ولعله اغتر برواية المعري عنه بلفظ «حَدَّثَنِي» حكاية^(٨) جرت في مجلس السيرافي وكانت سبباً لتجرّد ابن السيرافي يوسف في طلب العلم. ولكن فيها «وكان لي صديقاً صدوقاً» ولا يقال مثل هذا في الشيخ، فكلا الرجلين إما غالط أو مغالط. وكان الرجل أعمى لا يستطيع أن يقرأ بنفسه شيئاً. فإن قرأ له أحد أو ذاكره بشيء لا يتدرج إلى استاذيته وإلا فجملة تلامذته أساتذة له. نعم إن عبد السلام كان أسنّ منه ونذكره في رحلة بغداد.

(١) وأما مرجليوث وكل من قلده من أبناء جلدته ففهم أنه لم يطلب العلم ولا المال بعد العشرين وهذا لا يصح فإنه لم يطلب المال قبل العشرين أيضاً كما هو ظاهر من العبارة.

(٢) (ذ): ٣٠٤.

(٣) ٢: ١٧٦. وقال ابن الوردي في مختصر أبي الفداء وقد طالعت هذه الترجمة فإني رأيت المؤلف (أبا الفداء) سامحه الله غض من الشيخ فأحببت أن أنه على ذلك أ هـ.

(٤) س ٢: ١٣٨ و ١٣٩. (٥) س ٢: ١٤٠.

(٦) في شرح أبيات الكشاف للخضر الموصلي ١٦٣ من نسخة حيدر آباد. وقد زاد ضغثاً على إبالة حتى سماه عبد الله أ هـ.

(٧) ١٣٦.

(٨) الوفيات ٢: ٣٥٠.

بمه ذكر هاتيك العلوم، في اللزوم

النحو واللغة والعروض

تولّى سيبويه وجاش سيب^(١) من الأيام فاختلّ الخليل
ويونس أوحشت منه المغاني وغير مُصابه النبأ الجليل
أتت علل المنون فما بكاهم من اللفظ الصحيح أو العليل
ولو أن الكلام يُحسّ شيئاً لكان له وراءهم أليل
ودلّتهم^(٢) إلى حُقر إياد أصاب الأخفشين^(٣) بصيرُ خطب
وغنل المازني من الليالي بزئد من خطوب الدهر وار
وللجرمي^(٤) ما اجترمت يده وحسبُك من فلاح أو بوار
فأما فرخه^(٥) فبلا جناح يطير بحمل أثقال جوار
ثم بعد وصف الفرخ في ٧ أبيات:
وما نفع^(٦) المبرد من حميم وصادت ثعلباً نُوبَ ضوار
أرى ابن^(٧) أبي إسحاق أسحقه الردى وأدرك عُمرُ الدهر نفسَ أبي عمرو^(٨)
تباهوا بأمر صيروه مكاسباً فعاد عليهم بالخسيس من الأمر^(٩)

(١) مجرى الماء والنهر.

(٢) من التدلية.

(٣) الأكبر والأوسط أي أبو الخطاب أستاذ سيبويه وتلميذه أبو الحسن سعيد بن مسعدة.

(٤) أعشى قيس الأكبر ميمون بن قيس وأعشى باهلة عامر بن الحرث.

(٥) صالح بن إسحاق مولى جرم بن زبان المتوفى سنة ٢٢٥هـ بغية: ٢٦٨.

(٦) كتاب للجرمي في النحو - ابن النديم ص: ٥٧.

(٧) في الأصل: نفع بالفاء مصحفاً.

(٨) أبو بحر عبد الله من متقدمي النحاة توفي سنة ١١٧هـ.

(٩) ابن العلاء معاصر بن أبي إسحاق توفي سنة ١٥٤هـ.

(١٠) وبعده:

بكسوة برد أو بإعطاء بلغة من العيش لاجم العطاء ولا غمر
ولم يصنعوا شيئاً ولكن تنازعوا أباطيل تضحي مثل هامة الجمر

تخيّل من بني الدنيا غداً عجباً
 كأن إعراب أعراب ثووا زمناً
 فناطق يسكن الأمصار من عجم
 وناظم لعروض الشعر عن غرض
 ومغتد بحبال الصيد ينصبها
 لا تقطع الحين مغتاباً لغافلة
 تَوَخَّ نقل أبي زيد وكُتِبَ أبي^(١)
 للمفكرين وكل الناس محسور
 بالدَوِّ فينا بحكم النحو مأسور
 نطق ابن بيداء لَمَّا يخوهِ سُورُ
 وما يُحسُّ بأن البيت مكسور
 كيما يَفِيءَ له من ذاك ميسور
 من النفوس ولا تجلس إلى السَّمر
 عمرو وَخَلَّ كلاماً في أبي عَمَر^(٢)

التجويد

صار الكتاب أغاني الغواة لهم
 صلّوا به، ثم صلّوا في مظالمهم
 تلا كتاب الله من حفظه
 كأنه من سوء أفعاله
 خُمساً وعُشراً أجادوا في قراءتهم
 وانظر كلامه في النظرة في باقي العلوم.

ابن خالويه وأصحابه وآل حمدان

ملوك آل حمدان كانوا في جَلْب العلماء؛ والرغبة في الأدب والأدباء، بحيث سار
 بأخبارهم الركبان، وطار طائر صيتهم في أقاصي البلدان. كانوا يرتاحون للندى،
 ويُزيلون من محروفي العلم الصدى. فاجتمع ببابهم، وانضوى بجناهم. ومال إلى
 حضرتهم، ورغب في كتفهم وناحيتهم، من جَلّة الشعراء وجهابذة الفضلاء، ما صاروا
 محسودين به بين ملوك الأطراف وأحدوثة في السامر والآلاف. وهذا كبش ملوك
 الطوائف وفحلهم فتنا خسرو جلب من حلب أبا علي الفسوي، حتى مال إلى حضرتة
 وضوي. وهذا أبو الطيب لم ير لمدحه محلاً صالحاً بعد سيف الدولة إلا عضد الدولة.
 ولم ينتشر نظام وفوده، ولا سلك عقوده. إلا بعد نكبات الروميين بالشام، ومصابهم
 ببلاد الإسلام بمحن وآلام. ولا نجد في تاريخ المسلمين على سعتة في الصَّقب
 والبعد، ولا في جرائد أخبارهم على طول الأمد. ممدحاً شرواه، ومملكاً يجري

(١) ابن العلاء أو إسحاق بن مرار الشيباني.

(٢) الزاهد غلام ثعلب اتهم بوضع اللغة من جهة سوء حفظه والمحدثون يوثقونه - انظر النزهة وأدباء.

مجره. في إسناء الجوائز والصلّات، وإعطاء اللّهي بعد اللّهي على عَوَادٍ من الدهر الخوّن وهنات. وكان^(١) المتنبي لما عوتب في آخر أيامه على تراجع شعره قال: قد تجوّزت في قولِي واغتنمتُ الراحة منذ فارقت آل حَمْدان. وهذا شاعر أفخم ملوك الطوائف بالأندلس لما رأى صاحبه يتمثل ببيت من شعر شاعر سيف الدولة قال:

لئن جاد شعرُ ابن الحسين فإنّما بجود العطايا واللّها تفتح اللّها
تنبأ عجباً بالقريض ولو درى بأنك تروي شعره لتألّها

على أن كلهم أو جلهم شعراء وصيارفة الشعر وجهابذته. فسيف الدولة شاعرٌ أيُّ شاعر وكذلك أبو فراس^(٢) الذي قيل فيه على قول: «بُدِءَ الشعر بملك وخُتم بملك» يعنون أمراً القيس وإياه. وقد أطنب الثعالبي في ترجمته وإيراد غرر شعره وأسهب. والحق أنه أرقص وأطرب. ومنهم ثم من مُعاصري صاحبنا أبو المطاع ذو القرنين بن ناصر الدولة ترجم له الثعالبي في اليتيمة وتتمتها. وأورد أكثر شعراء حضرة سيف الدولة وناهيك به وببيانه، فقد تسلسل دُرّ بنانه، وعقد جُمانه. فراجع كتابيّه. وأنما نتطرّف ببعض ما وجدناه عند غيره.

وهذا لفظ^(٣) محمد بن حسن الحاتمي في كتاب الهلباجة: «وقد خدمتُ سيف الدولة - وأنا ابن ١٩ سنة تميل بي سِنَّة الصبا وتنقاد بي أريحية الشباب - بهذا العلم، وكان كلفاً به علّقاً علاقةً المُعَرَّم بأهله منقّباً عن أسرارهِ. ووَزِنْتُ في مجلسه - تَكْرَمَةً وإدناءً وتسويةً في الرتبة ولم تُسفر خَدَاي^(٤) عن عِذارِيهِمَا - بأبي عليّ الفارسيّ وهو فارس العربية وحائز قَصَب السبق فيها منذ أربعين سنة. وبأبي عبد الله بن خالويه وكان له السهم الفائز في علوم العربية تصرّفاً في أنواعه، وتوسّعاً في معرفة قواعده وأوضاعه. وبأبي الطيّب اللغويّ وكان كما قيل: حتفَ الكلمة الشُّرود حفظاً وتيقظاً (ثم أورد أبياتاً له في مدح سيف الدولة ثم رسالة مخاطبة جرت بينه وبين المتنبي).

وعمدة الباب العلامة اللغويّ ابن خالويه أبو عبد الله الحسين بن أحمد رُحْلة الشام فقد أقام بحلب إقامة لا ظاعن في بَعْدٍ أو كَثْب. ودّع بلده هَمْدان، وفارق الأوطان. وخيم بحلب إذ وجد الجناح مُخْضِلاً، فأهلاً به وسهلاً لا مجتوياً ولا مجفواً

(١) البديعي ١: ٨٧.

(٢) وبجسبك في فضله وإحراز خصله حكاية ادعائه السرقة في بيت من ميمية المتنبي في عتاب سيف الدولة انظرها عند البديعي ١: ٦٧.

(٣) أدباء ٦: ٥٠٣.

(٤) في الأصل حذاي مصحفاً.

مُهْمَلًا. قال الثعالبي^(١) وابن خلكان: وصار بها أحد أفراد الدهر في كل قسم من أقسام الأدب. وكانت إليه الرحلة من الآفاق. وآل حمدان يكرمونه ويدرسون عليه ويقتبسون منه. وهو القائل دخلت يوماً على سيف الدولة فلما مثلت بين يديه قال لي: اقعد ولم يقل اجلس. فتبينت بذلك اعتلاقه بأهداب الأدب. يعني لأن المختار أن يقال للقائم: اقعد، وللنائم والساجد: اجلس ذهاباً إلى أصلهما من الاشتقاق. وكان درس على أبي عُمَرَ الزاهد وأبي بكر ابن الأنباري وابن دُرَيْد وَنُفْطُويَّة. وروى مثله ياقوت في الأدباء ٤: ٥ عن أمالي ابن خالويه قال سأل الخ. وفي البغية^(٢): رأيت في تاريخ حلب لابن العديم بخطه قال: رأيت في جزء من أمالي ابن خالويه سأل سيف الدولة جماعة من العلماء بحضرته ذات ليلة هل تعرفون اسماً ممدوداً وجمعه مقصور؟ فقالوا: لا. فقال لابن خالويه ما تقول أنت؟ قلت: أنا أعرف اسمين. قال: ما هما؟ قلت: لا أقول لك إلا بألف درهم لثلاثا تؤخذ بلا شكر وهما صحراء وصحارى وعذراء وعذارى. فلما كان بعد شهر أصبت حرفين آخرين ذكرهما الجُزْمِي في كتاب التنبيه وهما صلفاء وصلافي وهي الأرض الغليظة وخَبْرَاء وخَبَارَى وهي أرض فيها نُدُوءٌ ثم بعد عشرين سنة وجدت حرفاً خامساً ذكره ابن دريد في «الجمهرة» وهي سَبْتَاء وسَبَاتَى وهي الأرض الخشنة ا هـ. أقول ولكنه زاد في (كتاب^(٣)) ليس له: ثلاثة أحرف أخرى وهي وخفاء ووحافى أرض فيها حجارة وتَبْخَاء ونباخي ونَفْخَاء ونفاخي ا هـ. ومات سيف الدولة سنة ٣٥٦ هـ. ولم يَرَم ابن خالويه من حلب حتى لقي قضاءه المحتوم، وأجله المرقوم، سنة ٣٧٠ هـ أي حين بلغ صاحبنا ثمانية أعوام غير أشهر فلم يتمكّن من الاقتباس من شموله، أو الاستفادة من دروسه. ولكنه خَلَف أصحاباً وتلامذة أنجباً. أخذ عنهم صاحبنا في حلب وغيرها من أمهات بلاد الشام. وذكر منهم أبا القاسم المبارك بن عبد العزيز في ر له إلى التُّكَيْتِي: والأسف أن الرجلين لم يتعرفا لي بعد مع طول التنقيب. وكان بين أبي العلاء وبين ولد ابن خالويه صداقة ومهاداة فأرسل إليه كتاباً ثبت عليه خط سماعه فأجابه أبو العلاء بقطعة لامية وانظر الملحوظة على ص ٢٨١. وصاحبنا يذكر ابن خالويه بكل أدب. ويصف بحر علمه الزاخر ذا التَّيَّار والعَبَب، ويصبو إليه وإلى ذكره، صَبُوءَ الواله إلى بكره. جرى ذكره في الغفران^(٤) بما نصّه (قال في ابن القارح): «وجلس لهم في بعض المساجد بحلب حرسها الله فإنها من بعد أبي عبد الله بن خالويه عطلت من خلخال وسوار، ونارت من الأدب أشدَّ التَّوار». وكان ابن القارح^(٥) كتب إليه في شأن حفظه ما نصّه بعدما مرَّ ذكره في فصل الحفظ. «حدثني أبو علي الصُّقْلِيُّ بدمشق قال: كنت في مجلس ابن خالويه إذ وردت عليه من سيف الدولة مسائل تتعلق باللغة فاضطرب لها ودخل خزانته وأخرج

(١) اليتيمة ١: ٧٦ وقوله ينتهي على: «يقتبسون منه» والباقي من الوفيات ١: ١٥٧.

(٢) مصر: ٢٠.

(٣) ٢٣٢.

(٤) رسالته: ٢١١.

(٥) ١٧٨.

كتب اللغة وفرّقها على أصحابه يفتشونها ليجيب عنها وتركته، وذهبت إلى أبي الطيب اللغوي وهو جالس، وقد وردت عليه تلك المسائل بعينها ويده قلم الحُمْرة فأجاب به ولم يغيره قدرة على الجواب. وقال أبو الطيب قرأت على أبي عمر [الزاهد غلام ثعلب] الفصيخ وإصلاح المنطق حفظاً اهـ فأجاب عنه في الغفران^(١): «وأما أبو عبد الله بن خالويه وإحضاره للبحث السُخ. فإنه ما عجز ولا أنسخ (أي نسي) ولكن الحازم يريد استظهاراً، ويزيد على الشهادة الثانية ظهاراً.

أرى الحاجات عند أبي خبيب نَكِدْنَ ولا أُمِيَّةٌ بالبلاد
أين كأبي عبد الله؟ لقد عَدِمَه الشام، فكان كمكّة إذ فُقد هشام^(٢) لأن الشاعر رثاه
فقال:

أصبح بطنٌ مَكَّةَ مقشَعِراً كأن الأرض ليس بها هشام

(مع بيتين يتلوانه) وأبو الطيب اللغوي اسمه عبد الواحد بن علي، له كتاب في الإثبات صغير على حروف المعجم في أيدي البغداديين. وله كتاب يعرف بكتاب الإبدال قد نحا فيه نحو كتاب يعقوب في القلب. وكتاب يعرف بشجر الدرّ سلك به مسلك أبي عمرو^(٣) (?) في المداخل. وكتاب في الفرق قد أكثر فيه وأسهب ولا شك أنه ضاع كثير من كتبه وتصنيفاته لأن الروم قتلوه وأباه في فتح حلب وكان ابن خالويه يلقبه فُرموطة الكَبْرُثَل يريد دحروجة الجبل لأنه كان قصيراً إلى آخر ما ترجمه به وإنما طوّلْتُ لأتّي لم أر لأبي الطيب صاحب مراتب النحويين^(٤) ترجمة أوفى من ترجمة صاحبنا. وهذا كله يدل على أن الذين فاقوه في لقاء متقدمي الشيوخ كانوا يعدّونه من بينهم أو أفضل، وأعلى منهم كعباً وأمثلة. وكان ابن القارح تلميذ ابن خالويه وأبي علي وأبي سعيد والرّماني والمرزباني وغيرهم كما صرّح بنفسه في رسالته^(٥). وهذا التّكّي يكتابه صاحبنا مكاتبة الأقران للأقران، ويجري معه في الرّهان، طَلَقَ الجموح ومطلّق العنان. بل يأخذ عليه بعض ما سبق به قلمه أو دعتة إليه الضرورة الشعرية ولا يتحاشى من ذلك ولا يتحرّج، وهو ممن على أقران ابن خالويه تخرّج.

(١) ١٩١.

(٢) ابن المغيرة سيد مخزوم ربحانة قريش. وعزا ابن أبي الحديد هذا البيت في ٤: ٢٩٣ إلى عبد الله بن ثور الخفاجي وفي ٢٩٧ إلى الحرث بن أمية الصعري (?) (الضمري).

(٣) كذا غلطا والصواب: حذف الواو وهو الزاهد المطرّز غلام ثعلب، له كتاب بهذا الاسم. بغية: ٧٠.

(٤) بقي منه نسخة بخزانة العلامة الجليل أحمد تيمور باشا حفظه الله تعالى.

(٥) ٢٠٨.

ومن أصحاب ابن خالويه غير من مرَّ أبو علي الحسن^(١) بن علي الشيزري وأبو بكر الخوارزمي^(٢) وعبد المنعم بن غليون^(٣) والحسن بن سليمان^(٤) إلى غيرهم.

وفاة والده

وبينما كان يشتغل بالتعلم إذا فَجَّهه وفاة والده الحديب عبد الله. وكان مات بِحِمَص سنة ٣٧٧ هـ ليلاً^(٥). أي حين ناهز صاحبنا ١٥ عاماً من عمره^(٦). فرثاه وذكر أنه كان شاعراً كإخوانه وأبنائه وأسلافه، كما في الضرام ومعجم الأدباء - قال. س:

أمولي القوافي كم أراك انقيادها لك الفصحاء العرب كالعجم اللكن

ويدل شعره هذا على أنه كان يحنو عليه، وكان طاهر الذيل ديناً وقوراً لبيباً صموتاً حسن السمّت مرضي الطريقة. ولسنا نتعرض لتهجين^(٧) هذا الشعر لأنه شعر الصبا. والقصيدة جيدة تُنبئ عن بنات الصدر، وتُثم بما سيكون له من الخطر والقدر، في قرص الشعر. وأني لأعجب ممن يضعف كل بيت منه من جهة الصنعة من اعترافه بأنه شعر رجل أوتي الحكم صبيّاً، وخلق المعنى ذكياً. وهذه التأبينة تدل على أنه زهد في الدنيا ورغب عنها ورأى كل حلوها مرّاً مَقَرّاً، وكان صفوها كدراً. وفيه تقوية لقول القفطي والذهبي^(٨) أن شعره في الصبا يُنم عن بعض ما تعلمه بأنطاكية واللاذقية على ما سيأتي فمن ذلك قوله. س^(٩):

جهلنا فلم نعلم على الحرص ما الذي يراد بنا، والعلم لله ذي المن

إذا غيَّب المرء استسرَّ حديثه ولم يُخبر الأفكار عنه بما يُعني

(١) ترجم له ابن عساكر ٤: ٣٣٦.

(٢) نزهة: ٣٨٤.

(٣) الشافعية ٢: ٢١٢. وفي البغية ٢٣٢ عبد المنعم بن عبيد الله وانظر.

(٤) بغية: ٢٣٢.

(٥) كما في مريثته وفي الضرام.

(٦) لا ١٤٨ كما زعم غير واحد منهم صاحب (ذ): ١٤٨.

(٧) كما فعله صاحب ذ ١٤٥ - وفي س كثير من قصائد صباه وبعضها أقدم من هذه القصيدة. ولعله يصعب عليه أن يهجنها مع أنه ليس ثمة دليل على أن هذه قيلت بعد الوفاة متصلاً على أن الوجوه التي أبانها مستبشرة ليس وراءها ما يهم. وعلى أن له من الشعر قبل ١٥ عاماً من عمره ما لا يمكنه أن يستخرج فيه ما يغض به منه إذ ذاك. وانظر: «شعر صباه».

(٨) (ذ): ١٤٥ والعجب من صاحبها حيث يقول بعد نقل قولهما: «ولكنهما لم يرويا شيئاً من هذا الشعر» هذا وقد آتينا بشعره في المعنى.

(٩) ١: ١٩٥.

وانظر في النظرة: «أتى الدنيا كزهاً وفارقها كذلك» وما يجاوره. ثم يقول في أصحاب القبور المجاورة لأبيه:

طلبتُ يقيناً يا جُهينة عنهم ولم تخبريني يا جُهَيْنَ سوى الظنِّ
وذكره ببغداد متناسياً^(١) س:

نسيتُ أبي كما نسيت ركابي وتلك الخيلُ أعوجَ والجديلا

رحلته إلى بلاد الشام وتشتت آرائه وزهده في ملاذ الحياة

ليس بأدينا ما يدل على تعيين سنّتها إلا أننا رأينا أن الرجل لم يكن يحتاج إليها ووالده حيّ وعمره قصيرٌ - أما رحلته إلى حلب فقد ذكرها في قصيدة له^(٢) إلى أبي إبراهيم محمد بن إسحاق العلويّ الحلبي. س:

ليت التحمّل عن ذراك حُلُول والسيرَ عن حلب إليك رحيل
وهو الذي^(٣) رثاء وقد مات بحلب بقصيدة آخرها:

لعلك في يوم القيامة ذاكري فتسأل ربّي أن يخفّف من إثمي
ولعله كان يتردد إليه بحلب إذ أقام بها عند أخواله. وكان أبو إبراهيم ضرب من قرض الشعر بنصيب. فأنفذ إليه نونية أجاب عنها صاحبنا بمثلها^(٤). وله أخ شاعر يدعى أبا إبراهيم^(٥) موسى بن إسحاق أجاب صاحبنا^(٦) عن حاثية له. هكذا علمنا إذ ذاك من نسخ السقط الحاضرة ثم وذكر في الغفران عدة من أمرائها وحوادثها ورجالها^(٧).

(١) ٢: ٢.

(٢) ١: ١٨٣ وفي العنوان اسمه: إبراهيم وهو مصحف عن أبي إبراهيم. وانظر في المتن: ١٨٤ حيث ورد اسمه محمد.

(٣) ١: ٢٠١. قال صدر الأفاضل هذا البيت يشهد لقائله بصفاء الاعتقاد وحسن الإيمان وفي (ذ): ٢٦ أن أبا العلاء لم يسم المرثي في الديوان ولم يدلنا عليه التاريخ وهذا لا يصح فإن اسم المرثي ورد في العنوان وفي القصيدة نفسها مرتين:

(٤) ١: ٩٠ ورد هنا في اسمه في العنوان أبو إبراهيم بن إسحاق وفي نسخة أبو إبراهيم فقط والصواب محمد. انظر بيتاً له ص: ٩٥.

(٥) وكذا وردت هذه الكنية للأخوين وورد اسمه موسى في متن س ١: ٦٤.

(٦) ١: ٥٦.

(٧) عبد المنعم قاضيها أيام شبل الدولة ٥٨ الأمير أبو المرجي: ٦١ طهاتها: ٦٥ الزاهدة حمدونة الحلبيّة: ٧٣. قتل والي حلب أبا جوف: ١٦٩ وابن عساكر ٣: ٤١٨ ابن القارح بحلب: ١٧١.

قال القفطي^(١) والذهبي: إنه بعد أخذه عن علماء بلاده رحل إلى طرابلس وكانت بها خزائن كتب موقوفة فاجتاز باللاذقية ونزل ديراً كان به راهب له علم بأقاويل الفلاسفة فسمع أبو العلاء كلامه فحصل له به شكوك ولم يكن عنده ما يرفع به ذلك فحصل له بعض الخلال^(٢) وأودع من ذلك بعض شعره فمنهم من يقول: ارعوى وتاب واستغفر ا هـ، ومثله عند الصفدي^(٣) والسيوطي والعباسي. ولا نستبعد^(٤) أصلاً أن يستغوي راهب - قد أكل الدهر عليه وشرب - ناشئاً غزاً هم أترابه في اللهو واللعب. وكانت اللاذقية إذ ذاك بيد الروم بها قاض وخطيب وجامع لعباد المسلمين إذا أذنوا ضرب الروم النواقيس^(٥) كياداً لهم ويُنحَلُّ له شعر في المعنى انظره في الحاء من الفائق. وحَدَّث في الغفران^(٦) حكايتين في أبي الطيب وبدء أمره لما كان بديوانها، إحداهما عن رجل منها كان أبو الطيب استخفى عنده. وأما خزانة طرابلس فقد قال ابن العديم: «قد ذكر بعض المصنفين أن أبا العلاء رحل إلى دار العلم بطرابلس للنظر في كتبها واشتبه عليه ذلك بدار العلم ببغداد ولم يكن بطرابلس دار علم في أيام أبي العلاء، وإنما جدد دار العلم بها القاضي جلال الملك أبو الحسن علي بن محمد بن أحمد بن عمار سنة ٤٧٣هـ وكان أبو العلاء مات سنة ٤٤٩هـ ووقف ابن عمار بها من تصانيف أبي العلاء الصاهل والسجع السلطاني والفصول والسادن وإقليد الغايات الإغريض» ا هـ أقول: وكانت الخزانة^(٧) إحدى عجائب الدنيا ولكن أحرقها الفرنج سنة ٥٠٣هـ.

(١) (ذ): ١٦٥، وذهبي: ١٢٩.

(٢) ومر لنا ذكر شعره في الباب من س.

(٣) نكت: ١٠٣، بغية: ١٣٦ ومعا: ١: ٤٩.

(٤) كمرجليوث، فإنه ارتاب من وقوعه زعماً منه أن الأعراب ينسبون إلى الرهبان كل سوء واخترع لدخول الشكوك في عقيدة أبي العلاء وجهاً لا يرتضيه كل من له أدنى مسكة وهو أن الذي هذا صاحبنا حذوه من الشعراء هو المتنبي وكان لا يذكر الأنبياء بالتبجيل ا هـ. وظلم منه أن يقيسه بالمتنبي وهو لم يقتد به في التملق للممدحين ولا في غيره من الأمور. وبينهما في الآراء والأفكار بون ليس بهين فكيف القياس مع الفارق. وحيه للمتنبي ليس إلا من جهة إقامته بوطن أبي العلاء كما كان يحب ابن خالويه وأبا الطيب اللغوي وغيرهما من علماء حلب دون الفارسي مع أن منزلته مما لا يجهله اثنان.

(٥) انظر رسالة ابن بطلان في الحكماء للقفطي مصر: ١٩٥.

(٦) ١٣٦، وشعره في اللاذقية الذي ألعنا إليه بما يقوى المعنى، على أن القفطي:

إذا قالت حذام فصدقوها فإن القول ما قالت حذام

(٧) وكانت تسمى دار العلم وكان بها ثلاثة آلاف ألف ألف (؟) كتاب وخمسون ألف مصحف وعشرون ألف تفسير وقال الشيخ يحيى بن أبي علي حميد النجار الحلبي لم يكن في جميع البلاد مثلاً كثرة وحسناً وجودة. وانظر ما نشر من تاريخ ابن الفرات في الزهراء ص: ١١٠ سنة ١٣٤٤هـ.

وأما رحلته إلى أنطاكية (وتملكها الروم^(١) ٣٥٣ - ٤٧٧ أي مدة حياة أبي العلاء وقبيلها وبُعِيدَها ثم استردّها منهم السلاجقة) فقد مرّ ذكرها في حكاية أسامة في فصل الحفظ - ولم أر أحداً من أصحاب التراجم ذكرها - ولكن شعر ل يشهد لها قال:

لا ينزلن بأنطاكية^(٢) ورعٌ كم حَلَل الدين عَقْدُ للزنابير
بها مُدام كذُوب التبر تَمزُجُه للشاربين وجوه كالذنابير
بيض لوابس ديباج حمدتُ لها سُودُ الإماء وشعري الصنابير

وعندنا ما يَعُضِد قول القفطي والذهبي وهو أنه نقل عن كتاب بدء الخلق من كتب التوراة في الغفران^(٣). قال وذكر من نظر في كتاب المبتدأ حديث طالوت لما أمر ابنته - وهي امرأة داود عليه السلام - أن تُدخله عليه وهو نائم، فجعلت له في فراش داود زِقْ خمر ودسّته عليه وضربه بالسيف وسالت الخمر فظنّ أنها الدم - فأدركه الأسف والندم، فأوماً بالسيف ليقتل نفسه ومعه ابنته فأمسكت يده وحدثته ما فعلته فشكرها على ذلك ا هـ. ولا يُستغرب إن قلنا: إنه أحال على غيره من ناظري الكتاب، تنصلاً من القذف بالإلحاد أو الارتياب. على أن الرجل أعمى لا ينظر. أي إنّ صنيعه هذا أحد الملاحن والمعاذير وهي في الناس تكثر. واستعماله كلمة عبرية وأخرى حبشية على ما مر يشهد لمخالطته بالقوم بالبلدتين النصرانيتين وهذا على كثير من عاداتهم وأخلاقهم التي ألمّ بها في ل وراجع النظرة.

وقال الحافظ ابن حجر^(٤): إنه مكث بصنعاء سنة لا يأكل اللحم ا هـ، أقول: ولعله يريد قبل رحلته إلى بغداد فإنه بعد الرحلة لم يختص بتركه في موطن دون آخر على أن أحداً من مترجميه لم ينقل عنه رحلة بعد الرجوع منها - والصواب أن بدء زهده في ملاذ هذه الحياة: من ترك اللحم والاقتناع بالنبات، وصوم الدهر - غير إفطار العيدين - بعد هذه الرحلة بأعوام. وكذا معرفته بالفلسفة وعلوم الأوائل واختلاف أرباب الديانات والمِلل فكلّه في هذه المدة. وأما المقالات الإسلامية والتّحل، وعلوم أصول الدين والجَدَل، فإنه تعرّف بها على ما هو الظاهر ببغداد، إذ كانت مخيّم المعتزلة والمتكلمين والمَرَاد. وهذه لُمعٌ من كلامه تشير إلى مرامه. قال في ر^(٥) إلى داعي الدعاة: «وقد سمع العبد الضعيف من اختلاف القدماء ثم أطال في ترتيب قضيته

(١) بلدان رسم أنطاكية.

(٢) وانظر لتحقيق لفظها، الغفران: ١٩٠ واللفظة مخففة الياء وشددها كامريء القيس وزهير.

(٣) ١٨٠.

(٤) اللسان ١: ٢٠٤.

(٥) أدباء ١: ١٩٩ و ٢٠٠.

واستنتجها في أن الله (والعياذ به) لا يريد الخير - ثم قال: فلما بلغ العبد الضعيف العاجز اختلاف الأقوال وبلغ ثلاثين عاماً (أي بدء سنة ٣٩٣هـ) سأل ربه إنعاماً ورزقه صوم الدهر. فلم يُفطر في السنة ولا الشهر. إلا في العيدين. وصبر على توالي الجديدين وظنَّ اقتناعه بالنبات. يُثبت له جميل العافية» ثم أتى بما يُستشع ذكره ويستشبع نشره مما يرمي إلى المروق. وأن فتوق دينه كما قالوا: ليس لها من رتوق. وقال في أخرى^(١) إليه: «إنه اجتنب عن اللحم ٤٥ سنة» ولا نسلم قول^(٢) ابن الهبارية إنه توفي بعد إرسال آخر إلى الداعي متصلاً فإن كلام أبي العلاء يكذِّبه، والمرء يصدق فيما يروي عن نفسه. ومما يشهد له قوله. س^(٣):

جَنَيْتُ ذَنْباً وَالْهَى خَاطِرِي وَسَنُ عَشْرِينَ حَوْلًا فَلَمَّا نَبَّهَ اعْتَذَرَا
إِلَّا أَنْ رَأَيْهِ هَذَا كَانَ فَجًّا بَعْدُ لَمْ يَنْضَجْ إِلَّا بِبَغْدَادَ. فإنه تم له بعد الرجوع منها ما أراد كما قال في. ل:

تَنَسَّكَتْ بَعْدَ الْأَرْبَعِينَ ضَرُورَةً وَلَمْ يَبْقَ إِلَّا أَنْ تَقُومَ الصَّوَارِخُ
أَنِّي رَقَدْتُ فَعُمْتُ فِي لُجَجِ الْمُنَى ثُمَّ انْتَبَهْتُ فَعَادَنِي أَقْصَارُ
وَلَمْ يَنْقُلْ أَحَدٌ عَنْهُ أَنَّهُ رَدَّ شَيْئاً مِنْ لَذَائِدِ الدُّنْيَا مَبَاحاً، وَمِنْ رَغَائِبِهَا طُلُقاً خَلَالاً
أَيَّامَ إِقَامَتِهِ بِهَا. فَأَخْبَرْنَا أَنْ نَعِدَ الْقُرَاءَ بِفُرْصَةِ أُخْرَى، وَزُورَةَ تُتْنَى.

بضاعته

وعسره أو يسره

وَحَصَلْتُ مِنْ وَرْقٍ عَلَى وَرَقٍ بَيْضٌ يَشُقُّ مَتُونَهَا الْحَبْرُ
الذي يجزِّم به في الباب، ويُعتَقَدُ حقاً لا مزية تتطرق إليه ولا ارتياب. أنه لم يرث من أبيه كبير طائل، أو خطير نائل. وصدع الرجل في ر^(٤) إلى الداعي أن الذي له في السنة تَيْفٌ وعشرون ديناراً يشرك فيها خادمه (قَبْرٌ أو غيره) ولفظه: «فإذا أخذ خادمي بعض ما يجب، بقي لي ما لا يُعْجِب. فاقتصرت على قول وبُلسن، وما لا يعذب على الألسن. فأما الآن فإذا صار إلى من يخدمني كبير [ما] عندي. وعنده

(١) ص: ٢٠٧.

(٢) أدباء: ١: ١٩٤.

(٣) ١٤١: ٢.

(٤) أدباء: ١: ٢٠١.

هَيِّنَ. فما حظِّي إلا اليسير المتعَيِّن. ولست أريد في رزقي زيادة، ولا أؤثر لسُقْمِي عيادة» اهـ. ثم إن الداعي كتب إلى تاج^(١) الأمراء أن يتقدم إليه بما هو بُلْغة مثله من أَلذِّ الطعام. فأجابه بعد الدعاء للتاج أن يجعل الله له جميع جبال الشام ذهباً. إنه يستحي من حضرة التاج أن ينظر إليه بعين من يرغب إليه في العاجلة. وقال الذهبي وابن حجر ومن تبعه: إنها ثلاثون ديناراً. ولكن القول في هذا قوله. فقُدِّرَها بخمسة وعشرين تقريباً والذي كان يَصِلُ إليه منها زُهاء اثني عشر ديناراً أي نحو خمس جنيهات إنكليزية.

ويدلُّنا غفرانه أن الذي كان خلفه أبوه عَقَّار كان يُكْرِيه ولفظه^(٢): «وكان لي كَرِيٌّ من أهل البادية يعرف بعلوان وله امرأة تزعم أنها من طيِّء الخ». ولعله كان له بعض أراضٍ تُغَلُّ له الثمار وغيرها كما يدل عليه ر^(٣) إلى خاله أبي القاسم في شأن عجوز كانت تخدمه وكان أهدي إلى رجل لم يسمَّه شيئاً من الفستق فهل كان من غراسه كما في ر ١٩.

ويظهر من شعره من أنه كان له بعض ثراء عَبِثَتْ به أيدي الضياع فصار حليف إدقاق. وهو^(٤):

أثارني عنكم أمران: والدَّةٌ لم ألقها، وثناء عاد مسفوتا

أحياهما الله عصرَ البين ثم قضى قبل الإياب إلى الذخرين أنْ مُوتَا

ويشهد له من حكاية حفظه بأنطاكية قول الخازن إنه من بيت الثروة والغنى.

وأما هداياه إلى إخوانه وإعانتته لأصدقائه ونجاح بعض حاجاته التي لها خَطَر فالظاهر أنها من صِلات أخواله وكانت لهم ثروة طائلة كبيرة، ونعمة ظاهرة أثيرة. كما مرّ ولكن لم يكن عليهم كلاً وكلاً يضيّقون به محتملاً. كما كتب إلى خاله^(٥) أبي طاهر وكان استنسخ له من بغداد نسخة شرح السيرافي أن يعرفه ما وزن في القيمة ليبادر

(١) أدباء ١: ٢٠٤. وهو أبو الدوام ثابت بن ثمال بن صالح بن مرداس الذي عمل صاحبنا لابنه عزيز الدولة اللامع العزيزي ويأتي راجع أدباء ١: ١٨٨، وليس صدقة بن يوسف الفلاح كما زعم مرجليوث ولا سماه أحد تاج الأمراء. وكان أمراء آل مرداس يخضعون لدعوة العبيديين وكان الإفتاء بحلب سنة ٤٤٠ هـ وهي سنة هذه المراسلات على مذهبهم كما نقل ابن بطلان وانظر في البلدان، رسم حلب.

(٢) ٢٠٥.

(٣) ص: ٥٠.

(٤) س ٢: ١١٩.

(٥) لا أن يكون كتب خاله إليه من حلب إلى بغداد كما قد أصلحنا هذا الغلط من قبل في ذكر أخواله.

بإنفاذه . وهذا يدلّ على أنه لم يكن يقبل من أخواله أيضاً غير ما يتبرّعون به من تحف الأسفار . وكان قبولها أيضاً على جهة التنصّل والإنكار . نعم إن هداياهم ربما تجاوزت الحاجة إلى الإسراف والتبذير فيشددّ إذا البراءة والنجير^(١) .

وكان قانعاً باليسير ، لم يكن يحرص على التوفير من المال والتكثير . كما قال في مقدمة س^(٢) : «ولم أطرق مسامع الرؤساء بالنشيد . ولا مدحت طالباً للثواب . وإنما كان ذلك على معنى الرياضة وامتحان السوس . فالحمد لله الذي ستر بعقّة من قوام العيش ، ورزق شعبة من القناعة أوفت على جزيل الوفرة» في نسخة بانكي پور «ولم يكن من طلاب الرّفد فالله سبحانه وتعالى يحمد على ذلك ، وفي الإغريقية^(٣) «فأما في النشب فلم تزل لي بحمد الله تعالى وبقاء سيّدنا بلّغتان بلّغة صبر وبلّغة وقر» ومرّ من ر إلى الداعي أنه لا يحب الاستزادة من المال . ولا يؤثر الإثراء على الإقلال . وكان الوزير أبو القاسم المغربي أيضاً طلبه بمصر فكتب إليه مثل ما كتب إلى الداعي^(٤) . ولا كان يحب السفر ليموّل قال . ل :

إلزم ذراك وإن لقيت خاصّة فالليث يستر حاله الإخدار
لم تدر ناقة صالح لما غدت أن الرواح يحمّ فيه فدار
وكون الفتى في رهطه نيل عزّة على أن داء الدهر ليس له حسم

ولم يكن^(٥) تعليمه وتأديبه ترشياً له على أن يحذو حذو المتنبي في الحصول على جوائز الملوك والأمراء . وإنا لنربأ بصاحبنا أن يخلد إلى زهرة الحياة وقد أتينا على شهادة الرجل في نفسه من مقدمة س ، على أنه لا يرى مكاسب الشعراء من الحلال المباح فيما يدين الله به كائناً ما كان ، مع تنفير الرجل عن أكل مال الحرام والترغيب في الحلال . وله في المعنى شعر كثير . ل :

وما شعراؤكم الأذئاب تلصّص في المدائح والسباب
سيان عندي مادح متخرّص في قوله وأخو الهجاء إذا ثلّب

(١) قال في ر : له إلى أبي طاهر ص : ٤٢ : «قد كان يجب . . . أن يقتصر من بر الجماعة على ما سألته من الحاجة المؤنوية . . . فالآن جاءت الحاجة ميسرة والهدية مضاعفة موفرة . . . فالحمد لله ، ولولا التمسك بطاعته والخشية من إمام سخطه . . . أن ما فعل سرف ولو أنه من بحر يغترف . لو كان قليلاً أو وسطاً لكان العذر منبسطاً . فأما هذه القيمة التي هي بغية للمهاجر وبضاعة للتاجر الخ .

(٢) ص : ٦ .

(٣) ر : ٢٠ وفيها النسب وبلّغة وفر بالفاء وصحح من صبح الأعشى ١٤ : ١٩٠ وقد سرد الإغريقية بتمامها ونسخته أصح من نسخة الرسائل . وما للوفر والبلّغة؟ والوفر يريد من الوفار والله أعلم .

(٤) ر ص : ٥٦ ولفظه : لو كنت عن نفسي راضياً لشرقتها بزيارة حضرته ولكني عنها غير راضٍ ا هـ .

(٥) كما زعم مرجليوث : ١٧ .

فِرَقاً شَعَرْتُ بِأَنِّهَا لَا تَقْتَنِي
تَكْسِبُ النَّاسَ بِالْأَجْسَامِ فَاْمْتَهَنُوا
وَحَاوَلُوا الرِّزْقَ بِالْأَفْوَاهِ فَاجْتَهَدُوا
كَلُوا طَيِّباً فَالطَّيِّبُ فِيمَا طَعِمْتُمْ
لَا تَأْتَفَنَّ مِنْ احْتِرَافِكَ طَالِباً
فَالْمَجْدُ أَدْرَكَهُ عَلَى عِيَالَتِهِ
وَمُعَرَّمٌ بِالْمَخَازِي طَالِبٌ صَلََّةٌ
مَتَى مَا تُصِيبُ يَوْماً طَعَاماً لِظَالِمٍ
خُذِي مِنْ رِزْقِ رَبِّكَ غَيْرَ بَسَلٍ
وَيُعْجِبْنِي دَأْبُ الَّذِينَ تَرَهَّبُوا
الْأَيَّاتِ الثَّلَاثَةِ :

وَأَزَوْحُ الرِّزْقِ مَا وَافَاكَ فِي دَعَا
جَهَلْتُ، أَقَاضِي الرِّيَّ أَكْثَرَ مَأْتِماً
لَا خَيْرَ فِي جَزْلِ الْعِطَاءِ أَتَى
يَرْجُو فَيَمْدَحُ غَيْرَ مَرْتَقِبٍ
خَيْرَ لِعَمْرِي مِنْ جَمَائِلِهِ ^(٢) الْكُؤُ
شَهَرَتْ سَيُوفَ الْهِنْدِ طَائِفَةٌ
وَالْبَرَّ يَلْتَمِسُ الْحَلَالَ وَلَمْ أَجِدْ
إِذَا فَاتَكَ الْإِثْرَاءُ مِنْ غَيْرٍ ^(٣) وَجْهَهُ
وَكَذَلِكَ لَمْ يَكُنْ يَسْتَبِيحُ لِأَحَدٍ مِنَ الْمَمْدُوحِينَ أَنْ يَجْلِسُوا لِسَمَاعِ الْمَدَائِحِ وَيَبْطَرُوا.

ل:

وَأَقْلُ عِبَاءٍ مِنْ جُلُوسِ مَمْدُوحٍ لَلْوَفْدِ يَقْصِدُ أَنْ يَرُوحَ مُؤَبَّنَا

(١) كذب.

(٢) يشير إلى خبر النابغة مع النعمان وقوله:

(٣) كذا؟ ولعل لفظة غير مصحفة.

سعدان توضح في أوبارها اللبد

الواهب المائة المعكاء زينها
والجزل بالضم من الجزل محركاً وهو الدبر.

وتحب أن يُثنى عليك بأنك البر التقي وأنت صل أرقم
لا يقال: إنه كذا كان في عزلته ولكن مدح في دور حياته الأول سنة^(١) ٣٩٠هـ
سعيد الدولة حفيد سيف الدولة ولا يخلو مثل هذا عن غرض. فإن ما تقدم عن مقدمة
س ليس إلا لدفع مثل هذا الوهم. على أنه لم ينقل لنا التاريخ أنه دخل حلب حضرة
السعيد بعد سنة ٣٨٣هـ عام ختمه طلبه كما مر، فأين أنشده شعره على أنه كان ثمة
كثير من جلة الشعراء يفضل عليه أشعارهم وهو ابن ٢٠ سنة. فلم يكن هذا المديح
وأمثاله إلا على معنى الرياضة وتمرين خاطر كما مر من قوله: ليس إلا على أن
الرجل كان أحيى^(٢) من العذراء في خدرها فكيف يسمح له حياؤه أن يقوم مقام مجتد
متملق، من أمير متمدح متفيهق. وقد عقد ابن العديم باباً برأسه وهو الـ ١٣ من العدل
فقي قناعة نفسه وشرفها وعقبتها عن أخذ صلوات الناس وظلفها.

ولم يكن^(٣) يصل إليه من تلامذته شيء بل كان بضده يصلهم كما سيأتي في
حكاية البطيخ في ذكر بضاعته. قال الذهبي^(٤) وكان يعتذر إلى من يرحل إليه من الطلبة
فإنه كان ليس له سعة، وأهل اليسار بالمعرة يعرفون بالبخل وكان يتأوه عن ذلك ونذكر
كثيراً من شعره في المعنى ومنه نقداً. ل:

ماذا تريدون ولا مالاً تيسر لي فيستمأح ولا علم فيقتبس
وأما حاله في ذلك ببغداد فهذه أبيات من قصيدة كتب بها إلى أبي حامد
الإسفرائي عند دخوله بها:

ولا أثقل في جاه ولا تشب ولو غدوت أخا عدم وإدقاع
إن الهدايا كرامات لأخذها إن كن لسن لإسراف وإطماع
ولا هدية عندي غير ما حملت^(٥) عن المسيب أرواح لققعاع
مقل من الأهلين يسر وأُسرة كفى حزناً بين مُشت وإقلال
وكان أبو طاهر وصي أصدقاءه من أهلها به فكلما^(٦) سألوه إنجاح حاجة أو قضاء

(١) كما جاء في عنوان أول قصيدة في س في نسخة الخزانة الأهلية بباريس.

(٢) قال س ٢: ٣٧:

لك الخير قد أنفذت ما هو ملبسي حياء وعند الله من قائل علم

(٣) كما زعم مرجليوث: ٣٤ من عدم معرفته بعادة أهل المشرق في ذلك.

(٤) ١٣٠. وهذا التبريزي تلميذه وصله الخطيب أبو بكر إذ كان التبريزي يشتغل عليه بقراءة كتب الأدب

بجامع دمشق بخمسة دنائير ثم بأخرى مثلها. وانظر التذكرة الحفاظ ٣: ٣١٥.

(٥) أي القصيدة.

(٦) ر: ٣١. وذكر أن أهلها عرضوا عليه لما عزم على الرجوع عنها أموالهم عرض الجسد، فصادفوه من =

طلبة يُعرض وينشد (لزهير):

ومن لا يزل يستحمل الناس نفسه ولا يُغفها يوماً عن الذل يُسأَم
وكانت المُهاداة كما مرَّ جاريةً بينه وبين أصدقائه. وكان صريع الدلاء ذو
الخلاعتين البصري المتوفى سنة ٤١٢ هـ استهدها قبيل وفاته خمراً فأرسل إليه قليل نفقة
واعتذر بقطعة منها^(١):

فإن يك ما بعثت به قليلاً فلي حال أقل من القليل

ثم إن القاضي عبد الوهاب المالكي نبا به المقام ببغداد فرحل ولقيه بالمعرة فقراه
أبو العلاء، ولما أراد الثقلة منها إلى مصر حيث توفي بُعيد الوصول على ما يأتي أهدها
ثلاثين درهماً واعتذر بقطعة وهي في س^(٢). وذكر ابن العديم في العدل في الباب
الثاني كثيراً من أمثلة كرمه على قلة ماله، وجوده على نزارة موجوده.

ولعل الأمراء أيضاً كانوا يهادونه وفي س^(٣) قطعة إلى رجل أهدها شيئاً وأخرى^(٤)
إلى من أهدها كتاباً ثبت عليه سماعه - وكان أيضاً يُهدي^(٥) إلى الناس.

وقال الرحالة الفارسي^(٦) وكان زار المعرة سنة ٤٣٨ هـ ما تعريبه: «وكان بها
رجل ضرير يدعى أبا العلاء وكان أمير البلدة، وله من النعمة والعبيد والخدم ما
يُستكثر، وكان جُلّ أهلها كالعبيد له إلا أنه سلك طريق النسك وتردّى ببرجْد في
بيته، وكان يأكل كل يوم نصف مَن من خبز الشعير لا غير^(٧). وبلغني أنه فتح بابه
ويتولّى عنه ثوابه وعماله أمور البلدة إلا فيما يهَمّ فيرجعون إليه. وهو لا يمنع أحداً
مما أتاه الله ويصوم الدهر ويقوم الليل ولا يشغل نفسه بشيء من أمور الدنيا...
وقيل له^(٨): إن الله خَوَّلَكَ ما نرى من المال والنعمة لماذا تعطى الناس وتبذل لهم
ولا تتمتع أنت بنفسك. فقال: ليس لي منه إلّا ما أتبلغ به من القوت فحسب. ولمّا

= غير هـ إلى معروف الأقوام ر ص: ٣٥.

(١) س ٢: ٣٤. (٢) ٢: ١٣٨.

(٣) ٢: ٣٧. (٤) ٢: ٢٢٤.

(٥) أهدى إلى بعض العلوية قليل نفقة واعتذر مع ر ال ٢٩. وإلى مجهول فستقاً مع ر ص ال ٢٩.

(٦) سفرنامه ناصر خسرو، طبعة برلين ص: ١٥.

(٧) من نحو الإدام فإنه ربما تركه ليلاً كما قال:

أقفر من جهتين قفر مفازة
وطعام ليل جاء وهو قفار
أي: بلا إدام.

(٨) وقال:

ويقول الغواة خولك الله
كذبتهم لغيري التخويل

وصلَّتها كان حَيًّا يُرْزَقُ هـ واغتر بنقله هذا بعض أهل العصر^(١) فزعم أنه تولاهما من قَبْلَ صالح حين قال له: قد وهبتها^(٢) لك على ما يأتي في خبر صالح وهذا باطل نفضله. ويستدلُّ لثرائه غير ما مرَّ بحكاية أسامة المارة في حفظه - إلا أنا لم نر للرجل بيتاً فذاً في المعنى ولا أثبتته أحد من مترجميه فلا بدَّ أن نُؤوِّل كل ما جاء من هذا القبيل بأنَّ الرِّحالة استنتج هذا لما سمع باحترام الناس له، فلا غرو أن أهلها زادوا في تكريمه مذ أنقذهم من أيدي صالح، والرِّحالة لم يكن لقيه وإنما روى ما بلغه^(٣) في الخان الذي نزله وبأن بيته لا ريب بيتٌ قُضاةٌ مثرين إلا أنه لم يصله من ثرائهم ما يؤثِّرُ ولعل سببه الفتن المتوالية التي كانت تُهدِّد الشام من هجوم الأعراب وشَنهم الغارات، وطمع الغبيديين في تملك الشامات. وهذا كلُّه من جهة أنا نرى التاريخ^(٤) حفظ لنا تغلَّب القاضي وادع عليها. ومرَّ في بني سليمان فلم أغفل عنه مع اعتناء الناس بشؤونه وأخباره أكثر بكثير من عنايتهم بوادع. ولا نُقل عن أبي اليسر في المعنى شيء. نعم روى ياقوت^(٥) عن الكمال بن العديم قال: قرأت بخط أبي اليسر شاكر المعري أن المستنصر صاحب مصر بذل لأبي العلاء ما يبيت المال بالمعرة من الحلال فلم يقبل منه شيئاً وقال: قَطعتين (وانظرهما في الفائق أسوان. رزقي) ومثله في النكت^(٦) وغيره. وروى^(٧) القفطي أن طُلابه ذكروا بحضرته يوماً بطيخ حلب قال: فتكلَّف أبو العلاء وبعث من جاءه منه بحمل فأكلت الجماعة وأفردوا له منه شيئاً لم يذقه ولم يَعرُض له حتى فسد. والرواية ليست تدلُّ^(٨) على أنه كان يملك من المال وفراً. وانظر فيها لفظة «فتكلَّف» على أنه كان من السهل عليه أن يكتب فيه إلى أخواله وزد عليه أن البطيخ مما لا يُغوز على المُقلِّين. وله كثير من الشعر في معنى القناعة والتبَلُّغ بالكفاف في أدوار حياته الثلاثة. س^(٩):

قَنِغْتُ فخلت أن النجم دوني وسيان التقنُّع والجهاد
فما ينفك ذا مال عتيدي فتى جعل القُنوع له عنادا^(١٠)

ومن المقول ببغداد:

- (١) صاحب (ذ): ٢١٥.
(٢) معناه صفحت عن زلة أهل المعرة من أجلك لا ما زعم صاحب (ذ): ٢١٥ ولفظ أبي غالب المعري وهو العمدة أدبا ١: ٢١٦ قد وهبتهم لك. وأما رواية: قد وهبت لك المعرة وأهلها فليس إلا عن مجهول كما يأتي.

- (٣) سفر نامه: ١٥.
(٤) تاريخ ابن الفلانسى ص: ١٣٢.
(٥) أدباء ١: ١٧٨.
(٦) ص: ١٠٥.
(٧) (ذ): ٢١٦.
(٨) كما اغتر صاحب (ذ): ٢١٦.
(٩) س ١: ٦٥.
(١٠) س ١: ١٧١.

سيطلبني رزقي الذي لو طلبته
رحلتُ لم آتِ قِرواشاً أزواله
والموت أحسن بالنفس التي ألغت
ومن ل وهو كثير جداً:

وهي النفوس إذا تميز بينها
الحمد لله قد أصبحت في دَعَةِ
لكن أقضي مدتي بتقنُّع
كشفي رأسي وافتقاري بها
أرضى الأنام تقي في ذرى جبل
آليت ما مُثري الزمان وإن طغا
ما سَرَّني أني إمام زمانه
فرج دنياك فما يخلدُ الـ
قوتي غِنائي وطمري ساتري وثقي
محمودنا الله والمسعود خائفه
وإذا غلا البُرُّ النقي فشارك الـ
واجعل لنفسك من سليط ضيائها
يكفيك صيفك من ثيابك ساتر
أنهاك أن تلي الحكومة أو ترى
تلك الأمور كرهتها لأقارب
من لي أن لا أقيم في بلد
يظن بي اليُسْر والديانة والـ
أضحت تُظن بك الديانة والغنى
هذا ورب صديق لي أفاد غنى
لي القوت فليعمر سَرْنديب حظها

لما زاد والدنيا حُظوظ وإقبال^(١)
ولا المهدَّب أبغى النيل تقويتا^(٢)
عزَّ القناعة من أن تسأل القوتا

فأعزها في العيش مقتنعاتها
أرضى القليل ولا أهتم بالقوت
يُغني وأفرح باليسير الأروج
خير من التمليك والتاج
يرضى القليل ويأبى الوشي والتاجا
مُثِر ولا مسعوده مسعود
تُلقي إلي من الأمور مقالِدُ
سناقص في العيش ولا الزائد
مولاي كنزي ووَرَد الموت موعودي
فَعَدَّ عن ذكر محمود ومسعود
فرس الكريم وساو طِرْفَكَ تَمَجِدُ
أدماً ونَزَرَ حلاوة من عنجِد
وإذا شتوت فقطعة من بُرْجِد
جَلَفَ الخُطابة أو إمام المسجد
وأصادق فابخل بنفسك أو جُرِد
أذكر فيه بغير ما يجب
علم وبيني وبينها حُجُب
والعلم فاهتاجت لك الحُساد
زهدت فيه على عُلمي وإزهادي
من الدر أو يكثر بغاته تَبْرُها

(١) س ٢ : ٥٥ .

(٢) س ٢ : ١١٩ ، ١٢٠ .

ومن يذخرَ لطول العيش مالا
 ما سرّني بقناعة أوتيئها
 والمُدُّ يكفيك ولكن في
 دنياكم لكمو دوني حكمت بها
 ماذا تريدون لا مال تيسر لي
 ما كنتُ ذا يسر فأجمعه ولا
 واتهامي بالمال كلف أن يُطلد
 ويقول الغواة خولك اللـ
 قطعنا إلى السهل الحزونة نبتغي
 ألم ترني حميث بناتِ صدي
 ولا أبرزتهن إلى أنيس
 ورُضتُ صعبَ آمالي فكانت
 ولم أعرض عن اللذات إلا
 ولي أمل كاتم القنا
 فيا ألف اللفظ لا تأملي
 إني أوارى خَلَّتِي فأريهم
 وما سرّني أني ابن ساسان أغتدي
 فلَسَ ما اخترت أن أزوح من
 يُغني الفتى ملبس يُستّره
 صدقُك صاحبِي لا مال عندي
 ووجدتُ نفس الحرّ تجعل كَفّه

فإن تُقايَ عند الله دُخري
 في العيش مُلكاً غالبٍ ودَمَار
 طبعك أن يُدخَرَ الكُرُ
 حُكم ابن عجلان^(١) يجنيها الذي أبرأ
 فيستماح ولا علم فيقتبس
 ذا صِحة فأخالف التغليسا
 بَ مني^(٢) ما يقتضي التمويل
 ه كذبتُم لغيري التحويل
 يساراً فلم تُلفِ اليسير ولا السهلا
 فما زوّجتهن وقد عَنَسْنَه
 إذا نُورُ^(٣) الوحوش به أنسته
 خيولاً من مراتعها شَمِسَه
 لأن خيارها عني خَسِنَه
 وخال كأقصر سهم يكون
 حراكاً فمالك إلا السُكون
 رِيّاً وفي سرّ الفؤاد أوار^(٤)
 على الملك في الألوان أصبح أو أمسي
 يسار قارون عِفّة وفَلَسَ
 وقوته في دُجى الظلام فقط
 وقد كثر الضيافن والضيوف
 صِفراً وتُلزِمه بما لم يُلزَم

(١) هو مالك. وراجع الخبر في الكامل، لبسيك ص: ١٣٧.

(٢) من الزكاة.

(٣) نوافرها.

(٤) من قوله: «قطعنا» إلى هذا البيت: يرمي إلى غرض غير القناعة، ولعلنا نلم به في أبواب بغداد.

شعر صباه

قالوا: إنه قال الشعر وهو ابن إحدى عشرة سنة أو اثنتي عشرة سنة^(١). إلا أننا أخرنا هذا الباب ظناً منا أنه لم يدرج في س مما قاله بادئ بدء من عمره شيئاً وجُلَّ شعر صباه في س مما قيل بين ١٣ - ٢٠ من عمره - وأظن أن قصيدتيه اللتين أولهما:

أليس^(٢) الذي قاد الجياد مُغَذَّة روافل في ثوب من النقع ذائل
لتذكُر^(٣) قضاة أيامها وتُزَع بأَملاكها جُميرُ

واللتين في عنوانهما قالها في الصبي «أنشأهما في هذا العمر فإن لم يُخلف ظني فقد أتى بفَلَقَة من الفَلَق - ودهاناً بنت طَبَق. حيث قال في الأولى:

إذا الناس حَلَّوْا شعرهم بنشيدهم فدونك مِنِّي كلَّ حسناء عاطل
ومن كان يستدعي الجمال بحلّية أَضَرَّ به فَقْدُ البُرى والمراسل
وهذا المعنى مما لا يستطيعه الفَرَح والثَّيب، فأنتى يكون لقريع منه نصيب.

غير أنه كما قال:

وإنني وإن كنت الأخيرَ زمانه لآتٍ بما لم تستطعه الأوائلُ

ومما يقوّي ما ذهبنا إليه ما قاله التبريزي في شرح السَّقَط أنه كان يغيّر شعر صباه. ويشهد له ما يوجد في عناوين بعض القصائد من لفظة^(٤) «من قصيدة» وأرى أن ما خلا منها من المطالع المصّرعة أيضاً من هذا القبيل. ولم يأت في عنوان رثائه لأبيه إذ تُوفي وعمره ١٥ عاماً شيء من ذكر الصَّبَا فلعلّه قيل بعد وفاته بمدة غير طويلة. ولم يرد ذكر الصَّبَا في أول قصيدة من س وكان قالها سنة ٣٩٠ هـ إذا كان ابن ٢٧ عاماً إلا أشهراً.

فترة الشباب

أو خمسة عشر عاماً وأشهر

لعل رحلاته التي رحلها إلى أمّهات بلاد الشام اختارها بعد وفاة والده لأنه صرّح بنفسه أنه لم يتعلّم بعد العشرين من مُعَرِّق ولا شام. وكان الرأي له بعد مفارقتة والده

(١) نكت: ١٠٣ ومعا: ١: ٤٩.

(٢) س ٢: ٢٠: في عنوانها: «قالها في الصبي».

(٣) س ٢: ٢٤ وفي العنوان كالسابق.

(٤) س ١: ١٦٣ و٢: ٢٤ و١٥.

الرحيم وأدبه العميم أن يتعلل بقاء الرجال، ويتسلى بشد الرجال. فقضى أربه منها قبل سنة ٣٨٣هـ. ثم أقام بالمعرة في بيته يشتغل بالتعليم لبعض أبناء وطنه وسماع كتب النحو والعروض والأدب واللغة والأخبار من أصحابه ليستكثر حفظه من العلوم، ويتقن معرفته بهاتيك الفنون. وفي خلال ذلك كان يمرن خاطره ويروضه على قرض الشعر وإنشاء الأسجاع والترسل إلى علماء الأدب وأمراء بلاده ووزرائها^(١). وقد حفظ لنا التاريخ أنه كان مدة هذه الفترة كليفاً بالعلم مغرّى به غرام المشوق بالشائق. كأنهما العذراء وواق.

رضيحي لبان نذّي أم تقاسما بأسحَم داج عَوْضُ لا نتفرّق
يحبّ منه الاستكثار والاستثثار. وربما ضاق ذرعاً إذ لم يجد في أنحاء بلاده والأقطار. ما يروى غلة حرّان، ويَنقَعُ غليل القلب بالرشّقان. فيحدث نفسه بمفارقة البلاد، والمجال في الأرض والمسترد، وربما تسامى به قرونه المتشوفة إلى رحلة بغداد. كما قال. س^(٢):

كَلِفْنَا بالعراق ونحن شَرخ فلم نلُومُ بها إلا كُهوْلا
إن فسدت من زمي نيّة أو ظهرت منه خبيّات
فالأعوجيّات لنا عُدّة تَقْدُمهنَّ الأرحبيّات^(٣)

إلا أنه كان ينكص على عقبيه يتفكر في مشاق الشقة ومتاعب الرحلة وضيق ذات اليد. وهجوم العلماء بها ما تَعَصُّ بهم ويختنق منها المقلّد إلا أنه يُقنع نفسه ويخفّض جأشه على رأي يرتّيه وفكر ينتحيه وهو أن الرحلة إليها تجلب له من الإكرام واحتفال الكرام حينما يسبقه صيته إليها وسُمعته الطائرة تغلغل قبله بمسمعيها.

وفي هذه^(٤) المدة زاره أبو الحسن الدُلَفيّ المَصيصيّ الكاتب الذي نقل عنه الثعالبي في تتمّة اليتيمة أخباره. فإنه صرّح أنه لقي الدُلَفيّ في مدة ثلاثين سنة، وتوفي الثعالبي سنة ٤٢٩هـ.

ونرى أن جُلَّ شعر السَقَط غير ما قيل في الصبا أو في أمر بغداد والدرعيّات وغير قليل من المقاطيع أنشئ في خلالها. كقطعة له إلى شِطْرَنجِي^(٥) ولا ميّته على لسان

(١) قال الدلفي على ما في التّمّة وحضرته يوماً وهو يملّي في جواب كتاب ورد عليه من بعض الرؤساء: وافي الكتاب وأوجب الشكرا... الأبيات. وهي في الفاتت.

(٢) ٢: ٨٣.

(٣) ١: ١٧٨.

(٤) بدء التّمّة، نسخة باريس الخطية وانظر ترجمته في حاشيتنا في باب طلبه للعلم.

(٥) ٢: ٢٢٣.

سائق الحاج^(١) ورتاء أبي حمزة وكان مات قبل الأربعمئة كما في الجواهر المضية^(٢) ورتاء أبي إبراهيم العلوي^(٣) وقصيدته^(٤) إلى ابن جَلَبات الميمية وما مدح به الأمراء كسعيد الدولة^(٥) وأبي الرضى الفصيصي^(٦) أو أنشأه^(٧) بطلب منهم (وجاء في نسخة بانكي پور أن الأبيات التي أولها «أيدفع» معجزات... اعتباراً هي في جواب ابن جَلَبات أيضاً) وفيها أجاب شاعراً يسمّى المفضل^(٨) عن قصيدة قافية مدحه بها بأخرى على روتها وفيها خاطب أبا الخطاب الجبلي القصير وكان فارق وطنه بالعراق وزاره ببائية^(٩) وكان مدح صاحبنا بقصيدة وأعطاه نُسختها. وفيها صنع لابن السَّقا دالية^(١٠) وكان سألَه أن يعمل له قصيدة إلى صاحبه يصف فيها ما شاهد منه من الوفاء والإخلاص.

وأرى أنه كتب من المعرفة في خلالها إلى خاله أبي طاهر - وكان ببغداد - أن يستنسخ له شرح الكتاب لأبي سعيد السيرافي كما مرّ مع إيضاح مدخضة مزلة هوى فيها كثيرون.

وإن صحَّ خبر عرض أبي نصر المنازقي الوزير شعره عليه بالمعرفة ثم ببغداد كما يأتي بيانه فإنه أيضاً في خلالها.

(١) ٢: ٢١٩.

(٢) حيدر آباد ١: ١٩٦، والرتاء في ص ١: ٢٠٨ وليس المرثي به أبا الخطاب الجبلي كما قاله السمعاني وتبعه ياقوت على ما فصله فيما بعد.

(٣) ١: ٢٠١. وله غير الرثاء إليه وإلى أخيه قصائد ١: ٥٦، ٩٠، ١٨٣. وفي نسخة بانكي پور أن مطلع القصيدة المفضل:

«الطرف منذ زُروح العيس في البرق»

ونقل مطلع نسخ السقط المطبوعة أيضاً عن نسخة. ثم زاد على حاشية قوله: «إنا بعثناك تبغي القول عن كتب» أن المفضل كان تلميذاً له ومثله في التنوير ١: ١٤٣.

(٤) ١: ٩١.

(٥) ١: ١٤، ٤١، ٥٣، ولم يذكر اسمه في الآخريتين.

(٦) س ١: ٣٠ والماهد ٢: ٩٨. وقد عثرت بعدما طال الفحص في إنباء الرواة للقفطي بخطه في ترجمة محمد بن جحدر أن له شعر في مدح أبي الرضى الفصيصي. قال: والفصيصيون مقامهم بحلب وقد كان منهم من يتجند في أيام آل حمدان - ويعلم من رائية المعري أنه من قحطان من تنوخ كما في التنوير.

(٧) ١: ١٤٧.

(٨) س ١: ١٧٢.

(٩) ١: ١٤٧. ولعله المفضل بن محمد أبو المحاسن المعري وكان معاصراً لأبي العلاء وترجم له في البغية: ٣٩٦. أو هو المفضل بن سعد الذي خلف صاحبنا بحضرة عزيز الدولة لما اعتذر بكبره على ما نقله مرجليوث عن الكمال ابن العديم ص: ٣١ ولكن الصواب المفضل بن سعيد بن عمرو المعري. قال الثعالبي في التتمة: ويلقب بالعزيزي هـ. ويأتي في الحكام.

(١٠) ١: ١٥٣.

(١١) ١: ١٧٤.

أبو القاسم الوزير المغربي وأبوه أبو الحسن^(١)

أبو القاسم الحسين بن علي بن الحسين بن الحافظ بن عساكر، وابن خلكان نسبه إلى ساسان ثم منه إلى بهرام جُورَ وأسند هذا الأخيرُ سِياقة النسب إلى ابن الصِّيرفي، وذكر أنه منقول من خط الوزير المذكور، ونقل عن أدب الخواص للمغربي أنه مغربي حقيقة.

ونقل ابن أبي الحديد العلامة المعتزلي عن أبي جعفر العلوي النقيب أنه كان يُنسب في الأزد ويتعصب لقحطان عن عدنان ولأنصار على قریش وكان غالباً في ذلك مع تشييعه. ثم نقل أن القادر وجد في مجموعة بخطه قصيدة طويلة غَضَّ فيها من عدنان إلى غيرها من الهنات، ومنها في النبي ﷺ:

نحن الذين بنا استجار فلم يُضَع فينا وأصبح في أعزّ جوار
بسيوفنا أمست سَخِينَةٌ^(٢) بُرْكَأ في بدرها كنجائر الجَزَّار
إلى آخرها وهي طويلة. ومن أخرى وجدت بخطه:

إن الذي أرسى دعائمَ أحمدٍ وعلا بدعوته على كيوان
أبناءُ قَيْلَةٍ^(٣) وارثو شرف العُلى وعَرَاعُرُ الأَقْيَالِ من قحطان
فَعَضَّ القادر بذلك من دينه. وكان أبو القاسم يتبرأ منهما ويجحدهما. ولسنا نجزم بما أتى به النقيب ولا نظنّ، فإن النقيب ليس بمأمون عندنا فيما له علاقة بالمذهب الذي ينتحله. على أنّ التَّاريخَ يسمّي لنا كثيراً من رجال عصره نُسبَ إليهم ببغداد وأمّهات البلاد ما هم منه بَرَاءُ براءة الذئب من دم ابن يعقوب. فإن صَحَّ وقيل

(١) هو الأكثر وأبو الحسين في بعض المواطن. أظنه تصحيفاً. وأخذنا هذا الفصل عن الوفيات ١: ١٥٥، ور ابن القارح: ٢٠٨، والغفران: ١٨٥ - ١٩١، وابن عساكر ٤: ٣٠٩ (وباقوت في الأدباء ٤: ٦٠) وتاريخ ابن القلانسي: ٦٣ وغيرها. والكامل ٩: ٣٦، ٣٧، ١٣٣، ١٣٧، ١٥٠، وابن أبي الحديد ٢: ٢٦٦ و٤: ٥٠٧، واللزوم ٢: ٣٦٦ وجرزة الحاطب والشريشي وغيرها. قال البخارزي في الدمية: قرأت في رسائل أبي العلاء المعري ما نبهني عليه وعرفني درجته في البلاغة واختصاصه من صناعات النظم والنثر بحسن الصياغة. وكان يلقب بالكامل ذي الجلالتين أ هـ. وهذا يكفي في إثبات فضله.

(٢) نبز لقریش.

(٣) أم الأوس والخزرج.

فيه: «أزدياً مرة وقيسياً أخرى» أنشدنا فيه قول^(١) عُمَرَانِ بْنِ حِطَّانٍ - عاذرين إياه والحق أنه يَسْطُ له العُذْرُ ما عاناه من صروف الحداث:

يا رَوْحَ كَمِ مِنْ أَخِي مَثْوَى نَزَلْتُ بِهِ قَدْ ظَنَّ ظَنُّكَ مِنْ لَحْمٍ وَغَسَّانٍ
حَتَّى إِذَا خِفْتُه فَارَقْتُ مَنْزَلَهُ مِنْ بَعْدِ مَا قِيلَ «عُمَرَانِ بْنِ حِطَّانٍ»
فَاعْذِرْ أَخَاكَ ابْنَ زَنْبَاعٍ فَإِنْ لَهُ فِي النَّائِبَاتِ خُطوباً ذَاتَ أَلْوَانٍ
يَوْمَا يَمَانٍ إِذَا لَاقَيْتُ ذَا يَمَنِ وَإِنْ لَقَيْتُ مَعْدِيّاً فَعَدْنَانِي

كان^(٢) أبو الحسن والده من أصحاب سيف الدولة. قال ابن القارح: «كنت أدرس على أبي عبد الله بن خالويه واختلف إلى دار أبي الحسين^(٣) (كذا) المغربي [بحلب] ثم إنه انتقلت به الأحوال حتى صار كاتب بكجور^(٤) ووزيره. وكان بكجور غلاماً لفرغويه^(٥) أحد غلمان سيف الدولة. وكان فرغويه قد استناب بكجور في حلب فلما قوي أمره قبض على مولاه وحبسه في قلعتها. وأقام نحو ست سنين - ثم إن سعد الدولة أبا المعالي بن سيف الدولة تغلب عليها وأخرجه منها وولاه حمص فكتب إلى العزيز صاحب مصر أن يوليّه دمشق فولاه إياها. ثم كاتبه يُطعمه في أخذ حلب بإشارة من وزيره أبي الحسن فوعده بالإنجاد إلا أن أسباباً عرضت دون مُناه فأخذه سعد الدولة وقتله. وكان أبو الحسن انتقل إلى الرقة لما أحس بسوء العاقبة. ولكن لما سار سعد الدولة إليها أيضاً فرّ منها إلى مشهد عليّ. ثم أن أبا الحسن انتقل منها إلى مصر عند العزيز [وتوفيّ هنا سعد الدولة وخلفه ولده أبو الفضائل سعيد الدولة] فعظم له أمر حلب وهون أمر تملكه عليها له. فسيّر إليها منجوتكين صُحبة أبي الحسن ليقوم بالأمر والتدبير. وتحصّن أبو الفضائل، وكان خادمه لؤلؤ الموكّل به من قبل أبيه كاتب مَلِك الروم بسيل في الاستنجاد فأنجده بخمسين ألفاً^(٦). فجرح منجوتكين إليهم وقتل منهم ونهب وسبى ما شاء. ثم رجع إلى حلب. فلما يئس لؤلؤ من الروم كاتب المغربي وبذل له المال على أن يشير على منجوتكين بالانصراف. فانصرف إلى دمشق. ولكن العزيز لم يعجبه صنيعه هذا، ووجد أعداء المغربي طريقاً إلى الطعن عليه والوقيعة فيه. فصرفه. ثم أرسل منجوتكين في العام القابل إليها وجّهزه بالعدة والعديد. فاستغاث

(١) رأس القعد من الصفرية. وانظر الكتاب الكامل للمبرد مصر سنة ١٣٢٢هـ. ٢: ١٢٣.

(٢) كامل ٩: ١٣٧ وقارح: ٢٠٨.

(٣) (٤) كامل ٩: ٣٦.

(٥) وفي بعض الكتب فرغويه وفي بعضها قرغويه.

(٦) كامل ٩: ٣٧، وعند ابن القلانسي ٤١ بخمسة آلاف، ولكنه غلط يدل عليه ما عند نفسه في ص:

لؤلؤ إلى ملك الروم. فسار بنفسه وهزم المصريين أقبح هزيمة فعظم على العزيز ذلك؛ فخرج بنفسه في عساكر كثيفة ولكنه توفي في طريقه. وخلفه الحاكم ذلك الفاتك القاسي القلب الجسور. وكان من تقلب الوزارة في عهده ما كان. إلى أن تولاه منصور بن عبدون. قال ابن القلانسي وكان نصرانياً خبيثاً وبينه وبين أبي القاسم ووالده عداوة قديمة لأن أبا القاسم صُرف به عن ديوان السواد. فواصل أبو القاسم الواقعة فيه. وكان النصراني المذكور يعتمد فيهم مثل ذلك؛ إذ كان الناظر في الدواوين بمصر. حتى تقدّم الحاكم إلى السياف أن يقتل أبا الحسن ومحمداً ابني المغربي. ففعل. ثم أمره أن يحضر أبا القاسم وأخويه ويقتلهم قال ابن^(١) القارح: «وعدت من الحج إلى مصر وقد قتل الحاكم أبا الحسن. فجاءني أولاده سراً يرومون الرجوع إليهم^(٢). فقلت لهم: خير مالي ولكم الهرب ولأبيكم ببغداد ودائع خمسمائة ألف دينار فاهربوا وأهرب. ففعلوا وفعلت. وبلغني قتلهم بدمشق وأنا بطرابلس» ١ هـ. وهذا كله سنة ٤٠٠ هـ. ونجا أبو القاسم بحيلته وحصل بجلة^(٣) حسان بن المفرج الطائي صاحب الرملة - ويجيء في ذكر ولاية عهده - فاستجاره ومدحه بقصيدة بائية جيدة أوردتها ابن القلانسي^(٤) فسكن حسان جأشه، وبذل له من الوعود ما أزال به استيحاشه. ثم إن أبا القاسم أفسد نية حسان على الحاكم وتوجه إلى الحجاز وأطمع صاحبه أبا الفتوح العلوي في الحاكم ومصر واستقدمه إلى الرملة. فأنفذ الحاكم إلى حسان مالا جزيلاً وأفسد معه حال أبي الفتوح. فسار أبو الفتوح إلى مكة. وقصد أبو القاسم العراق واتصل بفخر الملك الوزير. إلا أن القادر اتهمه بتشييعه وراسل فخر الملك في إبعاده. فاعتذر هذا وأصحابه إلى واسط فبقي معه إلى أن قتل فخر الملك. ثم أنه أخذ في استعطاف القادر إلى أن صلح له بعض الصلاح. فعاد إلى بغداد وأقام قليلاً إلى أن فارقه إلى الموصل واستكتب لصاحبها قرواش. ولكن لما خافه من جهة مكاتبة الخليفة به في أمره سار عنه إلى أبي نصر بن مروان بميافارقين - إلى أن توفي عنده وقيل: عند أحمد بن مروان صاحب ديار بكر وكان^(٥) صار وزيراً له. فحمل تابوته بتوصيته من ميافارقين إلى مشهد عليّ ودُفن في قربه سنة ٤١٨ هـ وكان وُلد سنة

(١) ر: ٢٠٩.

(٢) كذا، ويعني المصريين.

(٣) وهذا هو الصواب لا بجلة بالجيم كما هو عند ابن القلانسي: ٦٢.

(٤) ٦٢.

(٥) وفي ديوان مهيارا: ٥٨، ٢٠٦، قصيدتان طنانتان في مدحه. إحداهما عند تقلده الوزارة سنة

٤١٤ هـ وأنشدها إياه في داره بباب الشعير والأخرى في استعادته إلى بغداد سنة ٤١٥ هـ.

٣٧٠ هـ على ما نُقل عن خطِّ والده^(١).

ولا شك أنه كان حَوْلاً قَلْباً مَخْلُطاً مِزِجاً أديباً مُضْعِفاً شاعراً مُفْلِقاً داهية. وأكثر الناس يرمونه بأدواء. ويصفونه بكل سَوَأةٍ سوء. فمنهم من يطعن في دينه كما مرَّ عن النقيب، وآخر يصفه بِخُبث النية وسوء الطوية كابن الأثير^(٢) وكصاحبه ابن القارح فإنه بلغ في هجوه الغاية كما في الأدياء^(٣) ورسالته^(٤) المكتوبة إلى صاحبنا بعد وفاته ووصفه فيها بالجنون والسامة والحقد وذكر من سوء صنيعه إذ كان يسعى لِنُصْب أبي الفتوح وترشيحه للخلافة ما أضر بنا عنه.

أقول وكتاب مقطّعات مَرَاثِ المطبوع بَلِيدَن في مجموعة جُرزة الحاطب هو روايته عن ثعلب (بالوَجادة) وفي طَرَّتِه «نقلْتُ من خطِّ . . . عليّ بن ثروان بن الحسن الكِندي النحوي ما صورته - كان بخط الوزير أبي القاسم المغربي على وجه الجزء ما هذا حكايته - جزءٌ جميعه منسوخ من خط أبي العباس الخ». وله كثير من الحواشي والشروح عليه الدالة على تضلُّعه من علوم الأدب، ومثله من خط ابن ثروان على ديوان امرئ القيس^(٥) صنع السكّري أنه نقله من خط أبي القاسم المذكور.

عماد المعري

وأما المعريّ فإنه على رغم ابن القارح كان يحسن فيه وفي أبيه الظنّ. ولم يكن عنده لهما قَرَف أو زَنّ. بل عفو وَصَفْح و غَضّ و سَمَح. كما قيل:

إذا ما أتت من صاحب لك زَلّة فكن أنت محتالاً لَزَلّته عذرا

قال في الغفران^(٦): «وأما انحيازه إلى أبي الحسن رحمه الله فقد كان ذلك الرجل سيّداً. ولمن ضعف من أهل الأدب مؤيداً. ولمن قوي منهم واداً. ودونه للثوب مُحاذاً كما قال القائل^(٧):

وإذا رأيت صديقه وشقيقه لم تدِرِ أيهما ذوو الأرحام
وكما قال الطائي:

كل شُعْب كنتم به آل وهب فهو شعبي وشعب كل أديب

(١) الوفيات ١: ١٥٦. (٢) ٩: ١٣٨.

(٣) ٥: ٤٢٥. (٤) ٢٠٨ - ٢١٠.

(٥) راجع فهرس ليدن ٣٤٧، وابن ثروان هذا ابن عم أبي اليمن الكندي، قرأ على الجواليقي وتوفي نحو سنة ٥٦٥.

(٦) ١٨٥.

(٧) الحماسي.

والمثل السائر^(١) على أهلها تجني بَراقشُ . . . وما زال الشبان المجسّون من أنفسهم بالنهضة يبعثون ما شَرَف من المَراهص^(٢) ، وكيف بالسلامة من الواهص^(٣) . ورأى^(٤) الشيخ خير من مشهد الغلام . وقال بعده^(٥) بصفحات : وأما صديقه الذي جُدب عند السبر ، فهو يعرف المثل : «أعرض عن ذي قَبْر» . إذا حجز دون الشخص تراب ، فقد نقضت الآراب . مَنْ ليم في حال حياته ، استحق المعذرة في مماته . ولعله نطق بما نطق في معنى انبساط ، ولا هو بالكلم ساط . وَمَنْ غَفَر ذَنْبَ حَيٍّ وهو يُلْحَق به الأداة ، فكيف لا يغفر له بعد الميتة وقد عَدِمَ منه الشذاة . وسلامٌ على رسم من مخالس ، يعدل بألف تسليمة في المجالس وهو يعرف ما قالوه في معنى البيت «وأتي صاحبي حيث ودّعا» أي أزور قبره اهـ . وهذه نفثات أنطقه بها إخلاص المودة ، والمروّة والفتوة . والوفاء بالإخوان ، والنصح للأصدقاء والخُلان . وتدلّ على ما جُبل عليه الرجل من كرم الشيم ، عن خال وعن عم . «ومن يشابه أبه فما ظلم» . ورثى أبا القاسم في ل رثاء ينبئ عن بنات الشوق والإخاء ، والصدق والصفاء . وهاكه^(٦) :

ليس يبقى الضرب الطويل على الدهر	ر ولا ذو العباله والدُرْحاية
يا أبا القاسم الوزير ترحل	ت وخَلَفَتْنِي ثفال رَحاية
وتركت الكُتُب الثمينة لنا	س وما رُحِت عنهم بِسحاية
ليتني كنت قبل أن تشرب المو	ت أصيلاً - شَرِبْتُهُ بِضُحاية
إن نحتك المنون قبلي فإني	مُنْتَحاهَا وإنها مُنْتَحاية
أُم دُفِر تقول بعدك للذا	ثق لا طَعَم لي فأين فَحاية
إن يخطُ الذنب اليسير حفيظا	ك فكم من فضيلة مَحاية

والبيت الثالث ظاهر في أنه كان جماعةً للكتب^(٧) ، وأنه كان له وَلَعُ بها وَحُب . والآخر في أنه ليس من المكابرين يدعي عِصْمته . إلا أنه يرجو من فضل الله عفوهِ ورحمته .

(١) انظر النويري ٣ : ٤٠ ، والميداني في الطبقات الثلاث ١ : ٤٠٢ ، ٣١٠ ، ٤٢٢ ولاء .

(٢) المراتب .

(٣) الرأي العنيف والكاسر والشادخ .

(٤) الميداني ، الطبقات الثلاث ١ : ٢٥٧ ، ١٩٧ ، ٢٦٧ ولاء .

(٥) ١٩٠ .

(٦) الضرب الخفيف من الرجال . والعباله : الغلظة . والدُرْحاية : القصير . وسحاية القرطاس : ما سحى منه أي أخذ . والفجا بالفتح مقصوراً توابل القدر وأبازيرها . ومحاية مبالغة في المحو .

(٧) نقل مرجليوث أن أبا القاسم وقف كتبه على أهل ميفارقين م ر : ١٦ .

ويوجد له من رإليه ثلاث وهي على الترتيب الذي وُضعت عليه رسالة^(١) المَنيح والإغريضية^(٢) وبطاقة^(٣) له في الاعتذار إذ طلبه إلى حضرته بمصر.

فأما الأولى فالذي انتقيناها منها بعد طول البحث وإعمال الروية أنها رسالة أدبية فحسبُ وصف فيها بلاغة أبي القاسم وأثنى على فضله وأدبه الغزير وأبدى شوقه إليه. ويظهر أن المغربي كان أقام بالمعرة وخالط رجالها في صباه واصطفى صاحبنا صديقاً لنفسه. فلما بلغ مع أبيه مصر كاتب أهل المعرة عموماً وصاحبنا خصوصاً وأرسل جملة من شعره للعرض عليه عادة الشعراء. به ووعد بإرسال شعره ونثره في الآتي أيضاً. فأجابه صاحبنا أن أهلها دَهشوا لما رأوه من معجزات بلاغته، وعجزوا عن الجواب فلم يَنسُوا فيه ببنت شَفَّة. وأن عبده موسى وافاهم بقصيدتين له ميمية وواوية ثم أطنب في وصفهما بالفصاحة وأن أهلها أرادوا أن يجعلوهما إماماً لهم في الآتي في كل ما يقرضونه من الشعر. ثم ذكر غبطة المعرة بإقامته فيها في بعض الأيام الماضية وجَرَّها على غيرها من البلاد ذيل الفخار فبقيت بعد رحيله منها كجسم فارق رُوحاً. ثم ذكر عزمه على أن يتخذ آثاره مشاهد للأدب محضورة. كما يتقيل الخلف الصالح آثار السلف الفاضل. ثم عذر المعرة في الافتراق بأنها لم تكن تصلح لمثله من النبهاء. ثم قال: وقد أفادت هذه البقعة الصيت البعيد وائقادت لها أزمة الجَدِّ السعيد، ليالي أمتتها المكارم عليه، واستودعتها البراعة حدة اصغريه. فظعن وأرجه مقيم، وارتحل وللثناء تخيير. ثم التمس منه على بعد المزار وتناثي الديار. أن لا يحرم أهل المعرة إرشاده وحكمته وإبصاره. فإنه وإن ألقى عصا التسيار بمصر فلا يزال أهل المعرة يَمُنُّون إليه بالحُرْم والمزالف، ويترقبون كلاءته ترقب الصيب الواكف. ثم ذكر أنهم أضعاعوا الفُرصة ولم ينتهزوها بالاقتباس منه أيام كونه بها. ثم قال إنهم وإن فقدوا شيئاً لا خطر له إلا أنه خطير لمثلهم ذوي البضاعة المُرْجاة (وهذه الجملة هي التي أوهمت بعض المستعربة) ثم قال: إن الأولى بحالهم أن لا يضاھوه في الكتابة والشعر إجلالاً له وتكرمة. إلا أن قليل العلم منهم وهم بدار المخافة مرتقبين كل آفة لعله يُستطرف منهم خاصة، وإن زهي أحد منهم على فضله فإنما زهوه على أمثاله من مُقلِّي البضاعة. ثم وصفه بكل فضل وأبدى شكر مَنِّه وأن أدبه في أدبه كالقطرة من الغدير. وذكر أفضال والده عليه. ثم فضله على الأدباء قاطبة وختمها بقوله: «إن إقدامه على حضرته بالمكاتبة لعرض الحال، لا لإبداء الفصاحة في المقال. فإنه ليس عنده منها إلا ذرة»

(١) ص: ٣.

(٢) ١٤، وصبح الأعشى ١٤: ١٩٠.

(٣) ٥٦.

١ هـ. وسردت معنى لا لأنني رأيت بعض المستعربة وقع في وادي تُضَلَّل وسلا جمل، فخلط بين الأب والابن^(١) ولم يعرف الهرّ من البرّ. وزعم أن المغربي (؟) أرسل إلى أهل المعرة عامة كتابه لما كانت العساكر المصرية^(٢) في حصار حلب فانضمت إلى المصريين فحمل عليها الحلبيون إلا أن المصريين أنقذوها من أيديهم. وكل هذه مزاعم أو دعاوى زائفة لم يُقم على شيء منها دليلاً. وما أجدرها بالردّ إلا أننا نُزيّفها لئلا يقع في مَهَوَاتِهَا أحد من الأغرار وكثير ما هم. (١) الكاتب إلى أهلها وليس إلا أبا القاسم وكان وُلد^(٣) سنة ٣٧٠ هـ وما له^(٤) وللسياسة في هذا العمر القصير (٢) لم يُنقذ كتاب المغربي (؟) من حلب بل من مصر كما في ر^(٥) المنيح تصريحاً (٣) وجنوح المعرة وأهلها إلى المصريين باطل. فإن صاحبنا لم يكن يميل إليهم أو إلى مذهبهم بل لا يزال يشتم على نحلّتهم ويثعني على حُكاهم سُوء أعمالهم وانظر النظرة. وإني لأستغرب من هذه الدعوى وهل صاحب حلب في هذه الأيام إلا أبو الفضائل سعيد الدولة وكان من ممدوحى صاحبنا. وأول قصيدة من س مدحه بها^(٦) سنة ٣٩٠ هـ. على أن ابن القلانسي^(٧) ذكر أن أبا المعالي سعد الدولة لما كاتبه رجال فرغويه من حلب ليملكها سار إلى المعرة فملكها أولاً وأخذ منها غلاماً كان غلب عليها يقال له زهير. وكان ذلك سنة ٣٦٦ هـ. فهذا يدلّ على صِلَة المعرة بسعد وسعيد قبل سنة ٣٨٦ هـ التي سماها ذلك المستعرب وبعدها. على أن نراه يفضّل أمراء آل حمدان على غيرهم قال. س^(٨):

لا تَأْمَنَنَّ فوارساً من عامر إلا بَذْمَة فارس من وائل
نقل الخوارزمي عن التبريزي ما خلاصته أن عامر بن صعصعة هم المستولون على العراق والجزيرة والشام. وآل حمدان ملوك حلب من وائل فكأنه يشكو في هذا البيت عامراً ويشكر وائلاً وفيه إيحاء إلى أن فارساً من وائل يعدل بفوارس من

(١) أو نقل عن خلط بينهما وهو مرجليوث في ترجمة الرسائل ص: ٢.

(٢) وقعت هذه الفتن ما بين سنتي ٣٨٢ - ٣٨٦.

(٣) على ما نقل في الوفيات عما وجد بخط والده أبي الحسن.

(٤) على أنه ألف مختصر الإصلاح الذي قرظه المعري في الإغريقية سنة ٣٨٧ وهو ابن ١٧ عاماً، فظاهر أنه أرسل إلى صاحبنا رسالته وهو ابن نحو ١٥ عاماً. لا يقال: إنه وقع ثمة فترة بين الرسالتين فإن فيهما ما يتفيه على أنه وعد في الإغريقية أن ينفذ إليه في كل أسبوع كتاباً. ص: ١٥.

(٥) ص: ٩ ولفظه وإن ضرب أرواق البَيَّة بمصر.

(٦) كما جاء في عنوان نسخة باريس الخطية من س.

(٧) ص: ٢٨.

(٨) ١: ١٥٧.

عامر ا هـ. ومن ل:

يا والي مصر والإقليم قد حفظت
أودعت ضغناً فلا تجحذه مؤدعه
وكل من فوق الثرى خائن
أيا والي مصر لا تظلمن
يقولون في مصر العُدول وإنما
ولست بمختار لقومي كونهم
مضى قَيْل^(١) مصر إلى ربه
أما عرف المقيم بأرض مصر
إن نال من مصر قضاء نازل
والمصر المحلى بأل هو مصر لا غير كما نرجح. وهذا للتنصل وقت الحاجة.

وأما بعض جُمَل من ر لها علاقة جزئية بالسياسة فإنها كما يكتب به الإخوان ليس غير. فقد كتب^(٢) إلى أبي أحمد عبد السلام بعد الرجوع من بغداد والفتنة عند صَمَاء. طبعان بالمُرَّان ورماء. إنما يجيء الصيف وقد سُلَّ السيف الخ. فهل يقول فيها أيضاً أنها سياسية. وكل هذا نتيجة وَلَع أبناء المغرب بالسياسة لا علاقة صاحبنا بها.

وتصدى للرد عليه وشمّر بعض شبان العصر^(٣) إلا أنه وقع في مَهْوَاة أخرى فظنَّ أن كاتب بكجور هو أبو الحسن الحسين بن علي المغربي فجعل الوالد مجموعة الأب والابن حيث كناه بكنية الأب وسمّاه باسم الابن. ثم قال إنا لا نشك في أن الوزير المغربي إنما يطلق على أبي القاسم وحده. أقول ولكن ابن الأثير^(٤) وابن خلدون دعوا الأب أيضاً وزيراً. والأعمال التي دبرها مع بكجور تدلّ على وزارته لا كتابته فحسب. وأما اختلاف المؤرخين في إطلاق لفظتي المغربي^(٥) وابن المغربي على الوالد والولد وعلى عكسه فهذا سائغ فإن كلا منهما مغربي وابن مغربي أيضاً. كما أن الجمهور يطلقون على التبريزي لفظ الخطيب ولكن ياقوت^(٦) يصحح ابن الخطيب فإنه لم يكن

(١) ليلة يريد العزيز والحاكم.

(٢) ر، ص: ٤٧.

(٣) صاحب (ذ): ١٥٩.

(٤) الكامل ٩: ٣٦، والعبر ٤: ٢٥١.

(٥) انظر ابن القلانسي: ٣٥، ٣٨، ٣٩، ٤١، ٦١، ٦٢، وغيره.

(٦) البغية: ٤١٣.

بنفسه خطيباً بل أحد أسلافه ولكننا نرى كِلَيْهِ الإطلاقين سائغاً جارياً. وزعم أن صاحبنا لقّب أبا القاسم الوزير في رسائله ثم استشكل ذلك إذ لم يكن ولي الوزارة بعد. وهذا كله دعاوٍ فارغة فإنّي نقبْتُ عن الرسائل الثلاث فلم أجده يخاطبه بالوزير أصلاً^(١) بل خاطبه بالسيد الجليل وخاطب والدّه بالسيد الأجل والأكبر.

وأما الإغريقية فإنها في تقريظ مختصر إصلاح المنطق الذي وضعه أبو القاسم، وذكر فيها كالأولى أن لوالده عليه أيادي. ووصف شعراً له أرسله. وذكر أن عبديه موسى والزهيريّ ورداه وطلب منه موسى جواب كتاب صاحبه وذكر أن له بلغة يتبرّض بها وأنه في المراسلة به دون والده كمن سجد للشمس زاعماً إياها الإله، وأن الرسالة الأولى عرضت منه موضع الإكرام فبعث أختها راجياً لها بختها. والذي يهّم أنه أظهر فيها وجده إلى زيارة فنائه. والظاهر أن أبا القاسم طلبه إلى حضرته إلا أنه اعتذر عنه برسائلته الـ ٢١.

القاضي أبو حمزة التنوخي^(٢)

وأبو الحسين النكتي وأبو الخطاب الجبلي

فأما الأول فهو الحسن بن عبد الله بن محمد بن عمرو بن سعيد بن محمد بن داود بن المطهر، ويجتمع مع صاحبنا في داود على ما نماء صاحب «الجواهر المضئية»^(٣) قال: ومات قبل الأربعمائة هـ فرثاه أو العلاء بدليته^(٤) التي أولها:

غيرُ مجْدٍ في مِلّتي واعتقادي نَوْحُ بالِ ولا ترنم شاد

وهي^(٥) من غُرر المراثي وحسناتها، ودُرر التآيين لا خَرَزَاتِها. أبان فيها عن صدق الإخاء، والوفاء للأصدقاء، وكان من أسرة الدين والتقوى والإنابة والرّغوى وكان خِذَنَ صِباه لم يَحُلْ لجهل حُباه. قال س^(٦):

كنتَ خلَّ الصبى فلما أراد البيءَ نَ وافقتَ رأيَه في المُراد

(١) بلى خاطبه بالوزارة بعد وفاته في رثائه المار، وكان ولي الوزارة قبل موته مراراً.

(٢) قاضي منبج كان، الوفيات ٢: ٤١٧.

(٣) حيدر آباد ١: ١٩٦.

(٤) س ١: ٢٠٨، وزعم صاحب (ذ): ٢٣٩ أن القصيدة من شعره في دور حياته الثالث بعد الرجوع من بغداد وهذا غلط منه كما ترى.

(٥) قال الصفدي: الغيث ٢: ٢٤٤ وما أكثر حكمة المعري من هذه القصيدة ا هـ.

(٦) س ١: ٢١٥.

ومنه يظهر أنه مات في غضارة شبابه وخلف أخاً يدعى محسناً^(١) ذكره صاحبنا في القصيدة وترجم له صاحب الجواهر^(٢) أيضاً - وأبناء^(٣) ووصفه فيها بالخطابة والفقه ورواية الحديث - والقصيدة تثنى بالخطبة التي توخاها في عزلته من إعراضه عن الدهر ولدته فلا بأس أن نلمع ببعضها، فمنها بعد البيت الأول:

وشبيه صوت النعي إذا قي
أبكت لكم الحمامة أم غث
صاح! هدى قبورنا تملأ الرُح
خفف الوطء ما أظن أديم ال
وقبيح بنا وإن قدم العهد
سير إن اسطعت في الهواء زويداً
رُبَّ لحدٍ قد صار لحداً مراراً
ودفين على بقايا دفين
تعب كلُّها الحياة فما أع
إن حُزنًا في ساعة الموت أضعا
خلق الناس للبقاء فضلت
إنما يُنقلون من دار أعما
ضجعة الموت رقدة يستريح ال
كل بيت للهذم، ما تبتنى الور
والفتى ظاعن ويكفيه ظل السد
بان أمر الإله واختلف لنا
والذي حارت البرية فيه
والليب اللبيب من ليس يغتر

س بصوت البشير في كل ناد
ث على فرع عُصنها المياد
ب فآين القبور من عهد عاد
أرض إلا من هذه الأجساد
د هوان الأبواء والأجداد
لا اختيالاً على رفات العباد
ضاحك من تزاحم الأضداد
في طویل الأزمان والآباد
جَبُ إلا من راغب في ازدياد
ف سرور في ساعة الميلاد
أمة يحسبونهم للنقد
ل إلى دار شقوة أو رشاد
جسم فيها والعيش مثل الشهاد
قاء والسيّد الرفيع العِماد
ذر ضرب الأطناب والأوتاد
س فداع إلى ضلال وهاد
حيوان مستحدث من جماد
بكون مصيره للفساد

قال السمعاني في النسب^(٤) «أبو الخطاب الشاعر الجبلي.. وكان من المُجيدين

(٢) ١٥١ : ٢

(١) س ١ : ٢١٦

(٣) س ١ : ٢١٧

(٤) ورق : ١٢٢. وصحح كلامه من البلدان رسم جبل وفيه اسمه محمد بن علي بن محمد بن إبراهيم كما في التمه أيضاً.

قال ابن ماكولا: له معرفة باللغة والنحو ومدح أبي وعمي قاضي القضاة أبا عبد الله. قلت: وكان بينه وبين أبي العلاء المعري مشاعرة، ومدحه أبو العلاء بقصيدته التي أنشدناها الأديب أبو عبد الله الحسين بن عبد الملك الخلال بأصبهان [قال: أنشدنا] أبو المكارم عبد الوارث بن عبد المنعم الأبهري [قال] أنشدنا أبو العلاء... لنفسه غير مُجد البيت. ومات أبو الخطاب في ذي القعدة سنة ٤٣٩ هـ قال ابن خلكان^(١): وهذا غلط منه بل كتبها أبو العلاء المعري إلى أبي حمزة الحسن بن عبد الله الفقيه الحنفي قاضي مَنبُج كان، وقد ذكر ذلك القاضي كمال الدين عُرْفَ بابن العديم الحلبي هـ. قال العاجز: أما القصيدة فإنها في أبي حمزة حقاً وفي عنوانها يرثي «فقيهاً حنفياً» وسُمي فيها أبا حمزة وأخاه محسناً وأبناءه كما مر. وقد علمت أن محسناً أخو أبي حمزة من الجواهر أيضاً. على أن القصيدة ليست من المشاعرة في شيء. ويلزم على هذا أن يكون في س من الشعر ما قيل بعد سنة ٤٣٩^(٢) وهو باطل؛ وقد نص على ذلك في نسخة بانكي پور ولفظها وقال يرثي الفقيه أبا الحسن بن عبد الله بن عمرو الحنفي. إلا أن ابن خلكان سبق قلمه فتابع السمعاني في قوله: «بل كتبها إلى» الخ، فإن القصائد ليست مما يكتب إلى الأموات. فوجه العبارة: «بل كتبها في» الخ أبو الخطاب يأتي في الزوار أيضاً. وأما قصيدة أبي العلاء إليه فإنها بائنة^(٣) من س أجاب بها عن قصيدة مدح بها أبا العلاء ودفع نسختها إليه وجاء في عنوان البائنة أنه كان مفروط القصر.

وورد ذكر أبي حمزة في ر^(٤) له إلى النُكتي بما نصّه «وأما صديقنا أبو حمزة رحمه الله فقد نقله الله جلّ اسمه من دار الشقاء إلى دار النعيم والبقاء» هـ.

هذا يدل على أن هذه الدرر الثلاث من عقد قد انفصم. فاستأثر بأبي حمزة الأواب الجذع الأزلم. وأما النكتي فإنه أبو الحسين أحمد بن عثمان البصري. ولم أعثر من أخباره غير ر^(٥) وتدل على أن الرجل شاعر أديب راوية وله كتاب في تفسير سورة الإخلاص ذكر أن نسخته كانت عند أبي بكر المؤدّب وذكر صديقاً للنكتي يدعى أبا القاسم المبارك بن عبد العزيز من تلامذة ابن خالويه. وروى عنه أبو العلاء خيراً فلعل النكتي أيضاً من أصحاب ابن خالويه أو من أصحاب أقرانه. وممر أمر قصّره كنية صاحبنا وغيره. وقد أطال صاحبنا في سرد الضرورات الشعرية بما خلا عنه أكثر كتب العروض. وهذا يدل على اضطلاع الرجل من العروض اضطلاعاً لا مزيد عليه. وذكر

(١) ٤١٧: ٢.

(٢) ويأتي في ذكر س: أن آخر قصيدة فيه ما رثي به ابن المهذب نحو سنة ٤٣٥ هـ إن صح قول شارح المجاني ص: ١٢٤٩.

(٣) ١٥٣: ١.

(٤) ٨٧.

(٥) وهي ال ٢٧ ص: ٦٥.

أن صاحبه قبل هذا وأن الرجل رَحَّالة. وأما تاريخ هذا الكتاب فهو نحو ٤٠٠هـ أو بعده. والله أعلم.

أسباب رحلته إلى بغداد

قد نقلنا فيما سبق بيتاً له في أنه كان يُحدِّث نفسه بالرحلة إليها من شَرِّخ شبابه إلا أنها لم تَتَّخْ له إلا بعد الكهولة. فأما جواب مُسائلي لِمَه؟ فإني أسأله لماذا كان رحل إلى حلب وغيرها من بلاد الشام؟ فما أجابني فهو جوابي له حُكَّ «غير التعلُّم». والذي يَخْلُص إلينا من كلامه نثيره ونظامه أنه زارها لدار الكتب، ولقاء فحول العلم والأدب. والاستمتاع بحضور محافلهم وحلقاتهم، والإفادة والاستفادة من محاضراته ومحاضراتهم. لأن عام بغداد في هذا الغرض كان يُفْضَلُ على قَرْنِ المعرَّة. على أنه كان أسأمة بأوطانه الضرب والمَصْرَّة. فإذا السبب الثاني تبرُّمه من الفتن الهائلة، والدول الدائلة. وتَوَثَّبَ أجلاف البدو، وحَمَلَة المصريين والغزو. على ما كان الروميون المُجاورون يسومونهم من أنواع الخسف، ويكيدونهم به من الحيف والعسف، فكأن هاتيك الفتن المتوالية رتقت سائغ منهله فعزم على الرحلة والثقله بعد أن كان يجمع بها في العزلة. وهذه شواهد لسانه ومرقوم بنانه: كتب إلى ابن سحكتين^(١): «وكنتم عرفت أنه من رحل عن بغداد لم يجد منها عوضاً، وإن وجد مَحَلّاً مروّضاً، لأن غابر العلم بها غريص، وصحيح الأدب في سواها مريض» - وكتب إلى خاله أبي القاسم^(٢): «والذي أقدمني تلك البلاد مكان دار الكتب بها [لحماسي]:

ولست وإن أحببت من يسكن الغضا بأول راج حاجة لا ينالها

شرفاً لذلك المنزل منزلاً وللساكين به نفراً ولماء دجلة وادياً ومشرباً. ومما كتب إلى أهل المعرَّة^(٣) وقد عزم على الرجوع «وأحلف ما سافرت أستكثر من النشب ولا أتكثر بلقاء الرجال. ولكن أثرت الإقامة بدار العلم فشاهدت أنفس مكان لم يُسَعِفَ الزمن بإقامتي فيه». ومما كتب إلى الواجكا^(٤) بعد الرجوع: «ولو قدرت لم أقدح إلا بمرخ^(٥) ولا سكنتُ بلداً غير الكرخ». وفي س^(٦):

وما أَرَبِي إلا مُعَرَّس معشر هم الناس لا سوق العروس ولا الشطُّ

قال صاحب التنوير والضرام يعني دار الكتب ببغداد لأنها مجمع العقلاء والعلماء

(١) ر، ص: ٥٧. (٢) ر: ٣٢.

(٣) ر: ٣٤. (٤) ر: ٤٧.

(٥) مر شرحه فيما قبل، والمرخ: يكثر بنجد وما جاورها.

(٦) ٢: ١٢٥.

الذين هم الناس . وسوق العروس مجمع الطرائف بها . ومن ل :

إذا دنوتَ لشام أو مررتَ به فنكّبيه وراء الظهر أو حيدي
قد غيرَ الدهر منه بعد مبتّهج وألحد السيف فيه بعد توحيد
ألفنا بلادَ الشام إلف ولادة نُلَاقِي بها سُودَ الخطوب وحُمُرُها
والشام فيه وقود الحرب مشتعل يُشْبِهُ القومُ شُدَّتْ منهم الحُجُرُ
وبالعراق وميض يستهلّ دماً وراعد بلقاء الشرّ يرتجز
ونراه يكرّر أنه لم ينوها للإثراء ، ولا قام من أحد مقام المستمّيح بالمدح والإطراء . كأنه كان يعلم بما به يُظَنّ ، ويُفَرَفُ ويُرَنّ . س :

وأني تيمّمتُ العراق لغير ما تيمّمه غيلانُ عند بلال^(١)
وكم ماجد في سيف دجلة لم أشم له بارقاً والمرء كالْمُزن هَطال^(٢)
وكتب إلى ابن فورجة وهما ببغداد :

ولو لم ألقَ غيرك في اغترابي لكان لقاءك الحظّ الجزيل^(٣)
وكتب إلى التنوخي الصغير بعد الرجوع :

رحلتُ لم آتِ قِرواشاً أزاوله ولا المهذبَ يوماً ابتغي القوتا^(٤)
والموت أحسن بالنفس التي ألفت عزّ القناعة من أن تسأل القوتا
وقال في مريثة أبي أحمد الموسوي يخاطب ولّديه :

أوضعتُ في طُرُق التشرف سامياً بكما ولم أسلك طريق العافي^(٥)
ومما كتب إلى أبي حامد :

وبالعراق رجال قريبهم شرف هاجرتُ في حُبهم رهطي وأشياعي^(٦)
على سنين تقصّصت عند غيرهم أسِفْتُ لا بل على الأيام والساع
ولا أثقل في جاه ولا نشب ولو غدوتُ أخاً غُدم وإدقاع

وهذا وقال القفطي^(٧) في إنباء الرواة بأنباء النحاة والذهبي^(٨) في تاريخه الكبير :
« إن عامل حلب قد كان عارض أبا العلاء في وقف كان له فسافر إلى بغداد متظلماً منه »

(٢) ٢ : ٥٤ .

(١) ٢ : ٤٥ .

(٤) ٢ : ١١٩ .

(٣) ٢ : ٨٧ .

(٦) ١ : ١٦١ ، ١٦٢ .

(٥) ٢ : ٦٦ .

(٨) ذهبي : ١٢٩ .

(٧) (٣) : ٥٥ .

١ هـ. ولعل العامل هو أبو نصر بن لؤلؤ^(١) المستولي على أبي الفضائل سعيد الدولة، وكان أبوه لؤلؤ من موالي أبي المعالي سعد الدولة بن سيف الدولة، ويُستشكل على هذا أن أبا نصر كان خطب للحاكم العلوي لا للخليفة العباسي حتى يكون مسيره إليه للتعظيم والاستصراخ، ولكنني أرى أن أبا نصر لم يكن ليبدل للفاطمي نخيلة صدره ونصيحة ضميره. ولم تكن الخطبة باسمه إلا استظهاراً على أبي الفضائل واستكفاءً لشرّ العبيديين، ويعجبني قول^(٢) من قال على أنه من الممكن أن نسلّم أن مسيره إلى بغداد كان تبرّماً من أمر اختلال معيشتة لا تظلماً إلى الخليفة في استرداد وقفه وضيّعته. فإننا لم نجد ذكراً للوقف المذكور مدّة إقامته بها. على أن بيتين له من س يكذبان ما رويهما - قال بعد الرجوع يخاطب أهل بغداد:

أثارني عنكم أمران: والدّة لم ألقها، وثراء عاد مسفوتا
أحياهما الله عصرَ البين ثم قضى قبل الإياب إلى الدُّخْرَيْن أن موتا
فقوله أحياهما إلخ صريح في أن ثراء عاد مسفوتا بعد مفارقتها المعرة وقبل رجوعه إليها - لا قبل مفارقتها المعرة - ولم أر أحداً من مترجميه أثبت صلة له بالخليفة إلا دولت شاة الفارسي وقوله مردود عليه كما يأتي. ولا نظن^(٣) أن العامل هو سعيد الدولة، فإننا نرى شيئاً إذاً وأمرأ بدعاً أن ينتزع من صاحبنا وقفه مع أنه لم يكن مضى على مدحه إياه بعدة قصائد كما مرّ إلا بضعة أعوام.

وروى ابن الوردي^(٤) عن الشيخ أبي غالب فيما حدثه أبو العلاء من لفظة أنه نزل بغداد ليقراً بها العلم فلم يصادف بها مثله. وقال ابن العديم في العدل إنه أقام ببغداد بتفقد خزائن الكتب بها. والقولان يؤيدان ما أسلفناه.

بغداد

فيم كانت إذ ذاك؟

كانت بغداد في هذا العصر وقبله وبعده محفوفةً إلى غيرها من حواضر الإسلام بمنافسات السياسة. فعادت مجال فرسان ملوك الأطراف ومطمح أنظارهم المتعارضة

(١) كما يفهم من سوق ابن الأثير ٩: ٩٤، وأبي الفداء ٢: ١٤٠. لا لؤلؤ كما في (ذ): ٥٥. وانظره في الحكام.

(٢) هو المستعرب د، س. مرجليوث.

(٣) كما ذهب على صاحب (ذ): ٥٥.

(٤) ٣٢١: ١.

التي جعلت الخليفة تحت الحراسة. فكان كلُّعبة يرقُصُ على أغراضهم. يُقبل بإقبالهم ويُذبر بإعراضهم، ولا كان لأوامره نجاز، أو إكرام أو إعزاز كما قيل فيما كان قبله من الجيل:

خليفة في قَفْص بين وصيف وبُغَا
يقول ما قال له كما تقول الببغا

وكان المستولى عليه - من ملوك آل بُؤيه - بهاء الدولة بن عضد الدولة ولم يكن قوياً أيّداً، ولا كريماً سيّداً، كان يعيش من خُلُو الجوّ خُلُو البوّ، وإفقار الدوّ كَجَبَّاءٍ تَوّ. إلا أنها مع ضعفها من جهة السياسة كانت مُخَيِّم علماء الإسلام، وآحاد الأنام، ونخبة الأيام، من كل محضّل همام. رَقِيت في العلم رُقِيّاً لم يقدر لها فيما مضى عليها من القرون، على هنات وشجون، وتشتّت الشؤون. والسبب فيما أعلم أن كل الملوك كانوا ارتضعوا أفريق الحضارة الإسلامية ومعاشرتها وتبرّضوا أوشالها وعُمَرَتها وتربّوا في ظلّها السابغ، على كل نبية نابغ. فخرج كلهم ابن بَجْدَتِه، ونسيج وجده. فكان فحل آل بويه عضد الدولة نحوياً أديباً شاعراً. وسيف الدولة لغوياً شاعراً أيّ شاعر. والصاحب والأستاذ ابن العميد لم يُخْلِفا بعدهما من يجاريهما في الرهان. فكيف بإحراز الخُصْل عليهما عند الأقران.

وكانت بغداد مدينة السلام وبيضة الإسلام، فاجتمع بها من أرباب المقالات والملل، والآراء والنحل، والفقه والأصليين والجَدَل. والأخبار والآثار، وعلماء الحديث والنحو والأدب واللغة الأخيار. ما يجاوز أُلُوفاً. ويَعقد على آذان الدهر شنُوفاً. ولم يكن مضى بعدُ على وفاة أبي علي وأبي سعيد والصاحب وابن العميد. والبديع وابن فارس وابن جتّي وهو فارس مضمّار العربية أيّ فارس كبيرُ مُدة، وطويلُ بُرْهة فالعلم بها غُصّ غريض، ولم يكن الجريضُ، حالَ بعدُ دون القريض. فهي غاصة بعلمائها وفقهائها، شاقة بأعيانها ووجهاؤها. وكان بها من أمائلها ممن لم نعر له على صلة بصاحبنا أبو بكر البرقاني وابن المحامليّ من أصحاب أبي حامد والقاضي عبد الجبار المعتزلي والأستاذ أبو منصور البغدادي ومن أعيان العصر القادر بالله الخليفة وبهاء الدولة البُويهّي، والوزير أبو نصر وقِرْواش صاحب الموصل والمهذّب صاحب البطيحة والسلطان محمود الغزنويّ وهو متغلغل في مجاهل الهند. وممن عثرنا له على صلة به شيخ الإسلام أبو عثمان الصابونيّ والإمام الرئيس أبو حامد الإسفرائني وكان ذا كلمة نافذة يحضر حلّقه ٧٠٠ مُتفقاً كما قال الخطيب^(١) ورُجِح^(٢) أنه مجدد المائة

(١) الشافعية ٣: ٢٥، والوفيات ١: ٢٠.

(٢) الشافعية ١: ١٥٥ و٣: ٢٦، وكان يدرس بقطيعة الفقهاء كما سيأتي.

الرابعة وأبو^(١) سعيد الخوارزمي من تلامذته وكان زار صاحبنا بالمعرة سنة ٣٩٨هـ وهو بنّة الحج، وقالوا ولم يكن في عصره بعد أبي الطيب أفقه منه. والإمام أبو الطيب الطبري الفقيه النظار شيخ الخطيب أبي بكر والأمام أبي إسحاق الشيرازي. والقاضي عبد الوهاب أكبر علماء المالكية. وعلي بن عيسى الربيعي صاحب أبي علي الخصاص وصاحب أبي سعيد، والأديب الراوية الجّهيد الواجكا وسيرد والشرفان المرتضى علم الهدى والرضي الشاعر، وهما إذ ذاك مأثرتا بغداد وعلماهما، ورأساها السُرسوران لا قَدَمَها، وأبواهما الشريف النقيب أبو أحمد الموسوي، وأبو القاسم على بن المحسن^(٢) وهو القاضي التنوخي الصغير، إلى غيرهم، وهم كثيرون يُورث سرّهم السأم والملل «وعن البحر اجتزاء بالوشل».

تجهزه للسفر

ووصف طريقه إليها

بينما كان يُعدّ المُعدّات لسفره إذ ورده بالمعرة الشيخ أبو سعيد الخوارزمي الضرير من بغداد في رمضان سنة ٣٩٨هـ. وهو من أكابر أصحاب أبي حامد ويقال إنه لم يكن في عصره من الشيوخ بعد أبي الطيب الطبري أفقه منه، ومات سنة ٤٤٨هـ. ترجم له صاحب طبقات الشافعية^(٣). وكان صحبته كتاب من أبي الطيب الطبري إلى أبي العلاء إلا أن البداية اختطفته في جملة كتبه ونهفته. وقد أخذ صاحبنا في جواب هذا الكتاب المفقود إلا أنه لم يكمل فيُوصّل إليه كما في عنوان ر^(٤) إلا أنني أرى الأصلح أن يصير بنفسه جوابه المُعدّ فإن رحلته كانت أزفت وكأنّ قد ويظهر منه أنه كان متردداً^(٥) بعد في السفر على السفن الدُهم، أو الثوق الجلاد الأدم.

وذكر في رسالته إلى أبي القاسم أن جملة مُعدّات السفر من السفينة والمطية كانت منه وكان أخوه أبو طاهر قد تقدّم إلى معارفه ببغداد في التوصية بصاحبنا وهذا لفظه^(٦): «وما هبطت في طريقي وادياً ولا فرعت جَملاً، ولا حملتني سفينة ولا ذلت

(١) أحمد بن محمد الضرير ترجم له في الشافعية ٣: ٣٣.

(٢) بتشديد السين المكسورة قال في س ٢: ١١٨.

يا ابن المحسن ما أنسييت مكرمة

الخ.

(٤) وهي ال ٢٥ ص: ٦٢.

(٣) ٣: ٣٣.

(٥) ر، ص: ٦٣.

(٦) ص: ٣٠.

لي مطية، إلا بمن الله سبحانه ومِنَ سيدي وعنايته... وقد علمت أنه يعمل ذلك معي لا يريد جزاء ولا شكوراً. وأما سيدي أبو طاهر... ما زالت كتبه تطرقُ أصدقاءه محافظةً على المكارم، ومراعاةً لأمر غير لازم حتى جعلهم إليَّ كعُزف الفرس أو قُوى المرس وكلما عرضوا قضاء حاجة أعرضت عن تكليف المشقة لأنني أعتقد حكمة زهير في قوله:

وَمَنْ لَا يَزُلْ... الْبَيْتَ وَمَرَّ

ولما دخلها كتب إلى أبي حامد عينية من س^(١) وصف فيها طريقه المخوف وسفينته وبذل له فيها وده قال:

إسمع أبا حامد فتياً قُصِدَتْ بها	من زائر لجميل الود مبتاع
مؤدب النفس أكالٍ على سَعَب	لحم النوائب شرابٍ بأنقاع
أرضى وأنصف إلا أنني ربما	أربيت غير مجيز خرق إجماع
وذاك أني أعطي الوسق منتحياً	من المودة مُعطي الود بالصاع
ولا أثقل في جاه ولا نَشَب	ولو غدوت أخا عدم وإدقاع
من قال صادق لئام الناس قلت له	قول ابن أسلت «قد أبلغت أسماعي»

وحضه على استخلاص سفينته ولكنه لم يوفق إلى ذلك وخلصها آل حكار فشكر لهم صنيعهم ونذره فيما بعد:

مطيتي في مكان لست آمنه	على المطايا وسرحان له راع
فارفع بكفي فإني طائش قدمي	وامدُد بضبعي فإني ضيق باعي
وما يكن فلك الحمد الجميل به	وإن أضيعت فإني شاكر داع

فالظاهر إذاً أن يسير من المعرة^(٢) إلى وادي الفرات على التوق حيث كانت سفينته مُعدة فيركب فيها إلى الفارسية بالفاء والراء وهي قرية على ضفة نهر عيسى بعد المحوّل من قرى بغداد بينهما فرسخان وذكرها ياقوت. وفيها أخذها العشارون وكانت من عود الفرصاد وأظنها هي التي كان يركبها أخواله في رحلاتهم إلى بغداد للتجارة. وفي طبقات السقط:

(١) ١: ١٥٨.

(٢) وذهب على مرجليوث ومن تبعه أنه رحل من حلب وهذا غلط فإنه صرح في رسالته ص: ٢٩ إلى أبي القاسم أنه نكب حلب في الإبداء والانكفاء أي الذهاب والإياب. ومثل هذا الخطأ غريب من ترجمان الرسائل، وكم له من مثله.

سارت فزارت بنا الأنبار سالمة تُزجى وتُدفع في موج ودُقاع
والقادسية أذتها إلى نفر طافوا بها فأناخوها بجعجعا
القادسية بالقاف والذال وكذا في طبعات التنوير أيضاً. وهو تصحيف شنيع أوقع
كل من كتب عن أبي العلاء شيئاً^(١) في غلط قبيح. قال الخوارزمي في شرحه هي بالقاف
والراء عن الإمامين صاحب الإيضاح^(٢) وصاحب التنوير وكان الأستاذ البار (يريد
شيخه^(٣)) برهان الدين أبا المظفر ناصر الدين بن أبي المكارم عبد السيد المطرزي
صاحب شرح المقامات والمصباح والمغرب المتوفى سنة ٥٩٦ هـ. قد أسمعني^(٤)
بالقاف والذال وهو سهو لأن القادسية أول منزل في البادية بينها وبين الكوفة مرحلة.
وما للسفينة والبادية؟ وحكى لي بعض إخواني من الأفاضل أنه^(٥) قد وقع فيه بيني وبين
الأستاذ البارع منازعة فتحاكمنا إلى بعض العلماء من مستعربة تلك البلاد فحكم لي
أ هـ. مختصراً قال بعض مستعربة العصر^(٥): إن سفينته لما وصلت الأنبار سالمة وكان
هناك نهر يمكنه المسير فيه إلى بغداد إلا أنه أعرض عنه لعارضة الفصل فمال بسفينته
إلى القادسية من طريق أخرى (؟؟؟) فحبسها أصحاب السلطان^(٦) هناك أ هـ. وهذا
الرجل سار بها في البرّ فإلى للعجب وقد استغنيا عن ردّ قوله بما مضى.

ولا شك أن رحلته هذه واحدة. وذهب على ابن خلكان^(٧) ومنزلته من التحقيق
معلومة أنهما رحلتان له إليهما وهو وهم منه لا محالة. وقلده بعض أهل العصر^(٨) فوقع
فيما وقع فيه. ولم أقف على مصدره بعد. وأما انفصاله من المعرة فالذي نستنتجه أنه
وقع في آخر شوال بل أول ذي القعدة سنة ٣٩٨ هـ، وذلك أنه كان في رمضان بالمعرة
كما مرّ حيث زاره أبو سعيد الفقيه الضرير فلم يكن يمكنه إلا أن يسير في شوال لدنو
العيد. وإن مدّة إقامته بها سنة وتسعة أشهر كما في النزهة^(٩) لابن الأنباري رواية عن

(١) كمرجليوث وكل من قلده من أبناء جلدته وغير جلدته كصاحب (ذ): ١٧٠ وعجب منه أن يقول:
«إنه يصف في العينية طريقه البرية» بذكر الناقة في أولها فهل غفل نظره عن قوله على نجاة من
الفرصاد البيت فإنه كنى بالناقة عن السفينة.

(٢) هو التبريزي.

(٣) فإنه روى عنه السقط قراءة. وانظر مقدمة الضرام.

(٤) لعل الأصل قال: إنه الخ.

(٥) هو مرجليوث في م، ص: ٢١ وسلخ كلامه صاحب (ذ): ١٣٠ وغيرهما.

(٦) ولو أنه نظر عنوان الطائية ٢: ١٢١ س لكفاه وفيه: «وأمر الزورق الذي كان نزل معه إلى بغداد»
وهذا الرجل حبسه في البر على القادسية.

(٧) ١: ٣٤، وتبعه اليافعي ٣: ٦٨.

(٨) كجورجي زيدان وفان كريم الألماني وغيرهما.

(٩) ٤٢٧.

التبريزي تنتهي على رمضان سنة ٤٠٠هـ وكان ودّعها لست بقين منها كما هو في ر^(١) إلى خاله أبي القاسم. وقال ياقوت وتبعه ابن خلكان والصفدي إنها سنة وسبعة أشهر^(٢)، ولا أرى ما ذهبوا إليه صواباً. وذلك أنه لم يدخلها إلا أول سنة ٣٩٩هـ كما في النسب للسمعاني والنزهة. ولعل هذه المزلّة هي التي ثنى من جهتها ابن خلكان رحلته الفدّة حيث زعم أنه دخلها أولاً سنة ٣٩٨هـ ثم سنة ٣٩٩هـ.

ويظهر من ر له^(٣) أنه استأذن أمّه البرّة في أمر هذه الرحلة فأذنت فيها وكانت تحسبها هنيئة. ومُديّنة وبُريهة. إلا أنها طالت، إلى أن وافاها الحمام ففادت. ولم يكن صاحبنا انتحائها للفرار، بل ليقم ببغداد إلى أن يخترمه خلاق على ما قال. ل:

إذا غدوت عن الأوطان مرتحلاً فضاء في البين حذف الواو من يعد

كانت فبانت وما حثت إلى وطن وعاد غاد إلى وكّر ولم تعد

ومن شعره في المعنى. س^(٤):

فيا وطني إن فانتني بك سابق من الدهر فلينعلم لساكنك البال

فإن أستطع في الحشر آت بك زائراً وهيئات! لي يوم القيامة أشغال

ومن ر^(٥): «فشاهدتُ أنفُسَ مكان لم يُسَعِفَ الزّمنُ بإقامتي فيه» - ومما كتبه^(٦)

إلى خاله أبي القاسم ولما فاتني المقام بحيث اخترت الخ ويأتي للبحث تنمة في وداعه لها.

وفي العدل لابن العديم إشارة إلى أن أبا العلاء وصل بغداد يوم موت أبي أحمد

الموسوي مع قوله بأنه وصلها سنة ٣٩٩هـ وهذا تناقضٌ ولعله ممن^(٧) روى عنه فلا

ريب ثمّ أصلاً في أن موت الشريف وقع في جمادى الأولى سنة ٤٠٠هـ، وكان دخول

أبي العلاء بغداد سنة ٣٩٩هـ كما مرّ.

مقامه بها ومنزله

الذي يُرشِدنا إليه بيت من س^(٨) مما كتبه إلى التنوخي الصغير وهو:

(١) ص: ٣٢.

(٢) وكذا في حاشية من شرح التبريزي على السقط. وليس معلقها التبريزي نفسه كما زعم مرجليوث

ص: ٢٠ وكيف يقول هذا القول مع صحة الرواية عنه بسنة وتسعة أشهر.

(٤) ٢: ٥٤.

(٣) ٢٩.

(٦) ص: ٣٣.

(٥) ص: ٣٤.

(٧) وهو عيسى اسكندر المعلوف الذي وصف نسخة العدل المخرومة في مجلة المجمع العلمي بدمشق

سنة ١٣٣٩هـ ص: ٢٣٦ - ٢٤٤.

(٨) ٢: ١٤٠.

أَيَّامٍ وَاصَلَّتْنِي وَدَاً وَتَكْرَمَةً وَبِالْقَطِيعَةِ دَارِي تَحْضُرُ النَهْرَا
أَنَّ مُقَامَهُ الْقَطِيعَةُ. وَبِالْكِرْخِ مِنْ بَغْدَادَ وَهُوَ الْجَانِبُ الْغَرْبِيُّ الَّذِي تَدِيرُهُ مِنْهَا
قَطِيعَتَانِ إِحْدَاهُمَا قَطِيعَةُ الرَّبِيعِ كَانَ يَسْكُنُهَا التُّجَّارُ، وَالْأُخْرَى قَطِيعَةُ الْفُقَهَاءِ، وَلَا نَجْزِمُ
بِإِحْدَاهُمَا لَفَقْدُنَا مَاخِذًا مِنَ التَّارِيخِ إِلَّا أَنَّا نَرْجِّحُ قَطِيعَةَ الْفُقَهَاءِ وَمُسْتَدَلُّنَا بَيْتٌ مِنْ
س (١):

بِمَحَلَّةِ الْفُقَهَاءِ لَا يَعِشُو الْفَتَى نَارِي وَلَا يَنْضُو الْمَطْيَّ عِزَائِمِي
وَإِنْ كَانَ صَاحِبَا التَّنْوِيرِ وَالضَّرَامِ أَرَادَا بِمَحَلَّةِ الْفُقَهَاءِ بَغْدَادَ. وَأُظِنُّ أَنَّ هَذَا مِنْ
عَدَمِ عِلْمِهِمَا بِمُقَامِهِ، وَإِلَّا فَظَاهِرٌ أَنَّ الْمَحَلَّةَ لَا يَرَادُ مِنْهَا مَدِينَةٌ عَادَةً.
وَأَمَّا نَزْوُهُ بِالْكِرْخِ فَقَدْ تَوَاتَرَ لَدَيْنَا دَلَالُهُ. وَبِهِ كَانَ فِي مَحَلَّةٍ بَيْنَ السُّورَيْنِ خِزَانَةُ
سَابُورَ. وَلَعَلَّ مَنْزِلَهُ بِالْقَطِيعَةِ كَانَ مِنْ دَارِ سَابُورِ الْمُلْحَقَةِ بِخِزَانَتِهِ مِمَّا وَقَفَهُ لِأَهْلِ الْعِلْمِ
الَّذِينَ يَسْتَفِيدُونَ مِنْهَا وَذَكَرَهَا فِي س (٢) بِقَوْلِهِ:
وَعُثْتُ لَنَا فِي دَارِ سَابُورَ قَيْئَةً مِنْ الْوُزْقِ مِطْرَبُ الْأَصَائِلِ مِيهَالِ
وَيَأْتِي قَوْلُ مِهْيَارَ فِيهَا.

وَقَالَ أَبُو الطَّيِّبِ الطَّبْرِيُّ (٣) عَلَى مَا نَقَلَ عَنْهُ السُّلَفِيُّ فِي الْجُزْءِ الَّذِي وَضَعَهُ فِي
أَخْبَارِ أَبِي الْعَلَاءِ: «كُتِبَتْ إِلَى أَبِي الْعَلَاءِ الْمَعْرِيِّ الْأَدِيبِ حِينَ وَافَى بَغْدَادَ وَكَانَ قَدْ نَزَلَ
فِي سَوِيقَةِ غَالِبٍ (وَهِيَ مِنْ مَحَالِّهَا) ثُمَّ أَتَى بِأَبْيَاتِهِ وَبِجَوَابِهَا عَلَى اللَّامِ - وَانْظُرْهُمَا فِي
الْفَائِتِ - فَلَعَلَّ نَزْوَهُ بِهَا كَانَ بِأَدْيٍ بَدَأَ عِنْدَ بَعْضِ مَعَارِفِ خَالِهِ أَبِي طَاهِرٍ أَوْ مِنْ مُكَاتِبِيهِ
مِنْ أَعْيَانِ فُقَهَائِهَا، ثُمَّ يَكُونُ انْتَقَلَ مِنْهَا إِلَى الْقَطِيعَةِ.

وَكَانَ الْكِرْخُ إِذْ ذَاكَ مُحِطٌ رِحَالِ أُمَاطِلِ الْفَضْلَاءِ، نَشَأَ فِيهِ نَاشِئَةٌ مِنْ بُلْغَاءِ الْأَدْبَاءِ
وَالشُّعْرَاءِ. وَبِحَسْبِكَ فِي الْبَابِ مَا أَوْرَدَهُ يَاقُوتُ (٤) فِي تَرْجُمَةِ الْبَاخْرَزِيِّ عَنِ السَّمْعَانِيِّ أَنَّهُ
لَمَّا وَرَدَ بَغْدَادَ مَدَحَ الْقَائِمَ بِقَصِيدَةٍ (ذَكَرَ بَعْضُهَا يَاقُوتُ)، فَاسْتَهْجَنَ الْبَغْدَادِيُّونَ شَعْرَهُ
وَقَالُوا: فِيهِ بُرُودَةُ الْعَجَمِ فَانْتَقَلَ إِلَى الْكِرْخِ وَسَكَنَهَا وَخَالَطَ فَضْلَاءَهَا وَسُوقَتِهَا مَدَّةً وَتَخَلَّقَ

(١) ٢ : ١٠٠. قَالَ ابْنُ الْأَثِيرِ ٩ : ١٠٨ كَانَ أَبُو حَامِدٍ الْإِسْفَرَائِينِي يَدْرُسُ بِمَسْجِدِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْمُبَارَكِ
بِقَطِيعَةِ الْفُقَهَاءِ.

(٢) ٢ : ٥١.

(٣) الْوَفَايَاتُ ١ : ٢٣٣، وَالْبِدَائِعُ لِلْأَزْدِيِّ ٢ : ١١٤. وَلَمْ يَذْكُرِ الْأَزْدِيُّ سَوِيقَةَ غَالِبٍ وَأَوْرَدَ الْخَبَرَ مُسْتَدًّا
فَقَالَ: أَخْبَرَنِي ابْنُ الْمُقْدَسِيِّ. قَالَ: أَخْبَرَنِي الْحَافِظُ السُّلَفِيُّ، قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا الْحُسَيْنِ الْمُبَارَكِ بْنِ
عَبْدِ الْجَبَّارِ الصَّيْرِفِيِّ يَقُولُ: سَمِعْتُ الْقَاضِيَّ أَبَا الطَّيِّبِ الطَّبْرِيَّ يَقُولُ: كُتِبَتْ إِلَى أَبِي الْعَلَاءِ الْمَعْرِيِّ
حِينَ وَافَى بَغْدَادَ هـ مُخْتَصَرًا، وَالْيَافَعِيُّ ٣ : ٧٠، وَابْنُ الْوَرْدِيِّ ١ : ٣٦١.

(٤) ٥ : ١٢٣.

بأخلاقهم، واقتبس من اصطلاحاتهم ثم أنشأ قصيدة (ذكر أيضاً بعضها) فاستحسنوها وقالوا: تغير شعره ورق طبعه هـ. أقول وكأن صاحبنا أشار إلى هذا المعنى بقوله - س^(١):

وما الفصحاء الصيد والبدؤ دارها بأفصح قولاً من إمائكم الوُكع
وفي دَرْب الزعفران من الكرخ يقول القاضي أبو الحسن المياني^(٢) الفقيه وكان
رفيقاً لأبي إسحاق الشيرازي في القراءة على أبي الطيب الطبري ويصف ما وشأن
هَمدان:

إذا ذكر الحسان من الجنان فحيّها! بوادي الماوشان
تجد شغباً تُشعبُ (؟) كل هم وملهى ملهى عن كل شان
ومعنى مغنياً عن كل ظبي وغانية تدل على الغواني
بروض مؤنق وخير ماء ألد من المثلث والمثاني
وتغريد الهزار على ثمار تراها كالعقيق وكالجمان
فيا لك منزلاً! لولا اشتياقي أصحابي بدرب الزعفران
أنشدت هذه الأبيات بين يدي أبي إسحاق وكان متكئاً فلما بلغ إلى البيت الأخير
جلس مستوياً وقال المراد بأصحاب درب الزعفران أنا - ما أحسن عمده^(٣) اشتاق إلينا
من الجنة.

دار الكتب القديمة

وأبو أحمد الموسوي وولده

كان ببغداد خزانة الخلفاء وكان فيها من الكتب ما لا يوصف كثرة ولا يقوم عليه نفاسة ولم تزل على ذلك إلى أن دهمت التتر ببغداد - كما في صبح الأعشى^(٤) - وأظن الواجكا من خازني هذه الدار. وذكر في الغفران^(٥) ابن حاجب النعمان وهو أبو الحسين عبد العزيز بن إبراهيم. قال ابن النديم في «الفهرست»^(٦) وقد ترجم له: «ولم يشاهد خزانة للكتب أحسن من خزانته لأنها كانت تحتوي على كل كتاب عين وديوان

(٢) علي بن الحسن بن علي.

(١) ٧٦: ٢.

(٤) ٤٦٦: ١.

(٣) كذا والظاهر ما عمده.

(٥) ١٠.

(٦) ص: ١٣٤، ١٦٦، وكان القادر استوزره ولمهيار الديلمي فيه قصيدة في ديوانه ١: ٦٧.

فرد بخطوط العلماء المنسوبة» الخ. ولا نستغرب أن يكون صاحبنا استفاد منها ومن غيرها من الخزائن الخصوصية. ثم إن بهاء الدولة بن عضد الدولة أنشأ^(١) خزانة بشيراز وولّى رعايتها عليّ بن هلال المعروف بابن البوّاب - صاحب الخطّ الشهير - فلعل هذا كان الباعث لوزيره أبي نصر سابور بن أردشير الملقّب بهاء الدولة المتوفّى سنة ٤١٦هـ على أن أنشأ بالكرخ في محلّة بين السّورين داراً حافلة بالكتب الثمينة العتيقة. قال ياقوت: «بين السّورين محلّة كبيرة كانت بكرخ بغداد وكانت من أحسن محالّها وأعمرها، وبها كانت خزانة الكتب التي وقفها الوزير سابور، ولم يكن في الدنيا أحسن كتباً منها، كانت كلها بخطوط الأئمة المعتمدة وأصولهم المحرّرة، واحترقت فيما احترق من محالّ الكرخ عند ورود طغرل بك أوّل ملوك السلاجقة إلى بغداد سنة ٤٤٧هـ^(٢)» ١هـ. زاد ابن الأثير^(٣) أنه عملها سنة ٣٨١هـ، وجعل فيها أكثر^(٤) من عشرة آلاف مجلّد - وفي الوافي^(٥) أنه جعل رعايتها إلى علويّين أحدهما أبو عبد الله بن الطحاوي العلويّ، وكان حياً سنة ٤٠٢هـ^(٦). هذا وقال ابن الأثير بنفسه في حوادث سنة ٣٨٣هـ: وفيها بنى أبو النصر سابور ببغداد داراً للعلم ووقف فيها كتباً كثيرة على المسلمين المتتبعين بها ١هـ. فانظر فبأيّ قوله تأخذ وعلى أيهما تعول.

خذا بطنَ هَرشَى أوقفهاها فإنما كلا جانبَي هَرشَى لهنّ طريقٌ وتأتي فيما بعدُ حكاية تدل على ما كان لهذه الدار من القيمة إذ ذاك. وأخرى. وسابور هذا كان ممدّحاً جواداً. وبابه محطاً لرحال الشعراء ومَراداً. وعقد الثعالبي في يتيّمته^(٧) باباً لمُدّاحة وأورد كثيراً من أشعارهم. وكان أبو إسحاق الصابيّ. من أصدقائه وله فيه شعر كثير أورد بعضه ابن خلكان^(٨) وياقوت^(٩) - وأظنّ أن لأبي أحمد الموسوي ولديّه يدأ قويّة في إنشائها - ومما يقوّي ظنّي أن الرضيّ أصهر إليه في ابنته فتزوّجها وأورد نسخة هذا العقد وهي من إنشاء الصابيّ صاحبُ صبح الأعشى^(١٠) -

(١) أدباء ٥ : ٤٤٦.

(٢) وقال ابن الأثير ٩ : ١٤٥ سنة ٤٥٠هـ. وعند مرجليوث سنة ٤٥١هـ.

(٣) ٩ : ١٤٥.

(٤) وفي الوافي على ما نقل عنه مرجليوث ١٠٤٠٠ غير مائة نسخة من المصاحف المكتوبة بخط بني مقلّة.

(٥) على ما نقل عنه مرجليوث : ٢٤.

(٦) الكامل ٩ : ٩٨.

(٧) ٢ : ٢٩٠.

(٨) ١ : ٢٠٠.

(٩) أدباء ١ : ٣٤٨، ٣٥٣.

(١٠) ١٤ : ٩٧.

وفي هذه الدار يقول مِهيّار الديلمي كما في الضرام:

نزلنا في بني ساسان دُوراً بها تُسَلَى بيوتك في قُضاعة
إذا ما الضَّيْمُ رابك فاستجيري ذرا سابور وانتجعي بقاعة
ولعل ابن البواب كان يتردّد إليها حيث تَعَرَّفَ به صاحبنا وذكره في شعره.
س^(١):

ولاح هلال مثل نون أجادها بماء النصار الكاتب ابن هلال

وأما خازنها إذ ذاك فإني مع طول التنقيب لم أتمكن من الجزم بأحد الرجلين
الواجبا أو أبي منصور، إلا أن الظاهر ترجيح أبي منصور. والواجبا يكون خازن خزانة
الخلفاء والله أعلم. وأما صاحبنا فإنه يدعوها دار العلم أو دار الكتب، والقديمة صفة
للكتب في اسم دار الكتب القديمة لا صفة للدار كما ذهب على بعض شبّان العصر^(٢).

وأما الشريف النقيب أبو أحمد الحسين بن موسى فإنه كان يتولى نقابة الطّالبيين
قديماً ببغداد والنظر في المظالم والحقّ بالناس، ثم رُدّت هذه الأمور كلّها سنة ٣٨٠هـ
لا سنة ٣٨٨هـ كما ذهب على ابن خلكان، ومستندنا نسخة هذه الولاية بتمامها في
صبح الأعشى^(٣) إلى ولده الرضي^(٤) محمد أبي الحسن في حياة أبيه. وناهيك من
جلالة قدرهم^(٥) أن أبا الفتح عثمان بن جني صنف كتاباً في تفسير أربع قصائد للرضي
وسماه تفسير العلويات. وللرضي في مدحه شعرٌ أنظره في ديوانه. وللمرتضى وهو
أكبر من الرضي في الردّ على أبي الفتح تصنيفان^(٦) تتبّع أبيات المعاني للمتنبي التي
تكلم عليها ابن جني وكتاب النقض على ابن جني في الحكاية والمحكى. وله الأمالي
المعروفة^(٧) بدُرر الفرائد وعرر الفوائد أو الدُرر والغرر. وهؤلاء الثلاثة كانوا في
الشغف بالعلم وأهله، والولع بالمعتنّين بنقله وحمله ما يُخرزون به قصبات السبق على

(١) ٤٤ : ٢.

(٢) صاحب (ذ): ١٦٨ ولفظه: إحداهما قديمة أسسها الرشيد وهي بيت الحكمة والأخرى حديثة
أنشأها سابور ١ هـ. والعجب أنه نقل بعد هذا كلام ياقوت وفيه كما مر لنا نقله اسم دار سابور ودار
الكتب القديمة لا الحديثة. وانظر الأدباء ٦ : ٣٥٨.

(٣) ١٠ : ٢٤٧.

(٤) كأمير لا كما قال صاحبنا س:

خطط العلي بتناصف وتضاف

ساوى الرضي المرتضى وتقاسما

(٥) أدباء ٥ : ٣٠.

(٦) أدباء ٥ : ١٧٤.

(٧) طبع بایران ثم بمصر

أبناء عصرهم وأعيان مصرهم، وكانت حلقاتهم عُصرة فضلاء الدهر ونُخبَة أمثال العصر. وكان الناس يعرضون عليهم الشعر ويمتصّون من أخلاف حوافل محافلهم غزير الدّر. وهذه بعض حكايات ترمي إلى الغرض وتقضي عنا بعض المفترض:

حكى الكمال ابن الأنباري^(١) وابن الجوزي وياقوت وغيرهم أن الربيعي كان على شاطئ دجلة في يوم شديد الحرّ، وهو عريان يَسْبَحُ فاجتاز عليه المرتضى ومعه عثمان بن جني وهما في سُميريّة^(٢) [ياقوت زُرْب] ^(٣) وعليهما مظلة تُظِلُّهما من الشمس. فلما رأى المرتضى عرفه وعرف أن معه عثمان بن جني فقال له: يا مرتضى ما أحسن هذا التشيّع! عليّ (الرّبعي) تتقلّى كبده في الشمس من شدّة الحرّ، وعثمان عندك في الظلّ تحت المنكور^(٤) لئلا تصيبه الشمس. فقال المرتضى للملاح جدّ وأسرع قبل أن يَسْبَنَا.

أورد ياقوت^(٥) في ترجمة أحمد بن عليّ البّتيّ كاتب القادر من نوادره الشائعة، وكان مَزَاحاً «أنه انحدر مع الرضيّ والمرتضى وابن أبي الريان الوزير وجماعة من الأكابر لاستقبال بعض الملوك، فخرج عليهم اللصوص ورُمُوهم بالحراقات وجعلوا يقولون: ادخلوا بأزواج القحاب. فقال البّتيّ: ما خرج هؤلاء علينا إلّا بغيّين. قالوا: ومن أين علمت. قال: وإلّا فمن أين علموا أنا أزواج قحاب».

قال المرتضى^(٦): «دخل عليّ أبو الحسن ابن المحاملي مع أبي حامد الإسفرائني ولم أكن أعرفه فقال لي: أبو حامد هذا أبو الحسن ابن المحامليّ وهو اليوم أحفظ للغة والفقه مني».

نقل ياقوت^(٧) في ترجمة وليّ الدولة ابن خيران أنه سلّم لبعض الأعيان بمصر جزئين من شعره ورسائله ليستصحبهما إلى بغداد ويعرضهما على المرتضى وغيره من الرؤساء ويستشير في تخليدهما دار العلم. فينفذ بقيّة الديوان والرسائل إن علّم أن ما أنفذه قبل ارتضى واستجيد اهـ.

وفي الغيث^(٨) والأدباء أن المرتضى كان جالساً في عليّة له تُشرف على الطريق

= وترجم للولدين ابن خلكان ١: ٣٣٦ و٢: ٢، وللمرتضى ياقوت ٥: ١٧٣ وأبو جعفر الطوسي في فهرسته. وللرّضيّ ترجمة حافلة عند ابن أبي الحديد ١: ١٠ واليتمية ٣: ٢٩٧.

(١) نزهة: ٤١٦، الأذكياء: ٦٥، أدباء: ٥: ٢٨٤، والكمال ٩: ١٦٤.

(٢) (٣) كلاهما ضرب من السفينة وردا في مناقب بغداد لابن الجوزي ص: ٢٧.

(٤) لم أجد الكلمة في المعاجم المعروفة الحاضرة.

(٥) ١: ٢٣٤، وبت بالفتح قرية من أعمال بغداد.

(٦) الشافعية ٣: ٢٠. (٧) ١: ٢٤٢.

(٨) ١: ٢٢٩ - ٥: ١٧٨ - والمطرز هو أبو القاسم عبد الواحد بن محمد بن يحيى بن أيوب ذكره ابن =

فَمَرَّ تَحْتَهُ الْمَطْرُزُ (الغَيْثُ ابْنُ الْمَطْرُزِيِّ) الشَّاعِرُ يَجْرُ نَعْلًا بِالْيَةِ وَهِيَ تَشِيرُ الْغُبَارَ . فَأَمَرَ بِإِحْضَارِهِ . فَلَمَّا حَضَرَ قَالَ لَهُ : أَنَشْدُنِي أَبْيَاتَكَ الَّتِي تَقُولُ فِيهَا :

إِذَا لَمْ تَبْلَغْنِي إِلَيْكُمْ رَكَائِبِي فَلَا وَرَدَتْ مَاءٌ وَلَا رَعَتْ الْعُشْبَا
فَأَنْشَدَهُ إِيَّاهَا فَلَمَّا انْتَهَى إِلَى هَذَا الْبَيْتِ أَشَارَ الشَّرِيفُ إِلَى نَعْلِهِ الْبَالِيَةِ . وَقَالَ لَهُ :
أَهْذِهِ كَانَتْ مِنْ رَكَائِبِكَ ؟ فَأَطْرَقَ الْمَطْرُزِيُّ غَيْثَ سَاعَةٍ ، ثُمَّ قَالَ لَهُ لَمَّا عَادَتْ هَبَاتُ
سَيِّدِنَا الشَّرِيفِ أَيْدَهُ اللَّهُ إِلَى مِثْلِ قَوْلِهِ :

وَحَذَا النُّومَ مِنْ جَفَوْنِي فَلِإِنِّي قَدْ خَلَعْتُ الْكَرَى عَلَى الْعُشَا
عَادَتْ رَكَائِبِي إِلَى مِثْلِ مَا تَرَى لِأَنَّكَ خَلَعْتَ مَا لَا تَمْلِكُهُ عَلَى مَنْ لَا يَقْبَلُ .
فَاسْتَحْيَى الشَّرِيفُ مِنْهُ . وَكَانَ ^(١) الشَّيْخُ صَدْرُ الدِّينِ ابْنُ الْوَكِيلِ يَقُولُ : «وَاللَّهِ إِنْ قَوْلُ
الْمَطْرُزِيِّ عِنْدِي أَحْسَنُ مِنْ قَوْلِ الشَّرِيفِ» .

وَنَقَلَ ابْنُ الْجَوْزِيِّ فِي الْأَذْكَاءِ ^(٢) عَلَى طَرَادِ بْنِ مُحَمَّدٍ أَنَّ يَهُودِيًّا نَازِلًا مُسْلِمًا أَظْهَرَ
قَالَ فِي مَجْلِسِ الْمَرْتَضَى . فَقَالَ الْيَهُودِيُّ أَيُّشُنْ ؟ أَقُولُ فِي قَوْمِ سَمَاهُمْ اللَّهُ مُذَبِّرِينَ يَعْنِي
النَّبِيَّ ﷺ وَأَصْحَابَهُ يَوْمَ حُنَيْنٍ . فَقَالَ الْمُسْلِمُ : فَإِذَا كَانَ مُوسَى أَدْبَرَ مِنْهُمْ (كَذَا) . قَالَ
لَهُ : كَيْفَ ؟ قَالَ : لِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَالَ : وَلِيَّ مُذَبِّرًا وَلَمْ يَعْقُبْ وَهَؤُلَاءِ مَا قَالَ فِيهِمْ وَلَمْ
يَعْقُبُوا . فَسَكَتَ .

فَإِنْ شِئْتَ فَقُلْ هَذِهِ أَسْمَارُ وَحَايَاتُ . وَلَكِنْ عِنْدِي أَنَّهَا آيَاتُ بَيِّنَاتٍ . تَدُلُّ عَلَى
مَزَايَا الْعَهْدِ وَخُصَائِصِهِ ، لِلْبَاحِثِ عَنِ الْعِلْمِ وَغَائِصِهِ ، وَمَا مُنَحَّهِ السَّيِّدِ الْمَرْتَضَى وَبَيْتِهِ مِنْ
الْإِكْرَامِ وَالتَّبَجُّلِ عَلَى مَا أُتِيَ بِهِ وَاتَّقِيَّتِهِ .

الشيخ أبو أحمد عبد السلام

المعروف بالواجكا ^(٣) خازن دار العلم ٣٢٩ - ٤٠٥

هو الأديب ^(٤) النحوي الراوية اللغوي عبد السلام بن الحسين بن محمد بن

الأثير وأورد له أبياتاً قال وتوفي سنة ٤٣٩ هـ وانظر ٩ : ٢٢٦ ، وترجم له الباخري في دمية القصر
وسماه وكناه كابن الأثير والثعالبي في التتمة ودعاه أبا القاسم عبد الرحمن بن محمد ثم أورد له الأبيات
وفيها : إِذَا لَمْ يَخ . والباخري والثعالبي دعواه ابن المطر لا المطر ولا ابن المطرزي وهو الظاهر .

(١) هذه الزيادة من الغيث . (٢) ١٠٥ .

(٣) بغية : ٣٠٥ ، وغفران : ١٨٤ ، والأشبهاء : ٣ : ١٣٣ . وفي فهرست أبو بكر الإشبيلي : ٣٣١ ، وأحمد

عبد السلام بن الحسين بن محمد بن طيفور القرميسيني البصري .

(٤) وزعم مرجليوث : ٢٤ وتبعه صاحب (ذ) : ١٦٧ : أنه صاحب الصوت البعيد في علم تقويم البلدان -

ولم أر هذا عند غيرهما وفيهما عند غيرهما مقنع .

عبد الله البصري - وكان من أصحاب أبي سعيد السيرافي^(١) وابن جني^(٢) والقرميسيني^(٣) النحوي وأبي القاسم الدهكي^(٤) قرأ عليه أشعار ربعة الجوع وجد نسختها ياقوت بخط أبي أحمد. وممن أخذ عنه ابن برهان النحوي^(٥) وعبد العزيز الأزجي^(٦) ترجم له صاحب النزهة^(٧) واختلسه صاحب الضرام وصاحب البغية وقد خبط خطباً شنيعاً^(٨) - وفي فهرست أبي بكر^(٩) الإشبيلي قال أبو بكر المصحفي، قال لي الفقيه الراوية أبو الحسن علي بن إبراهيم في بعض ما كان يُخبرني به: أكبر من لقيت من رُواة كتب اللغة والنحو والتفسير والأخبار ونوادير العرب وأيامها الشيخ أبو أحمد عبد السلام بن الحسين البصري وكان راوية بغداد يومئذ ١ هـ.

وكان لصاحبنا صديقاً صدوقاً، يبجله ويرتشف من كأس وداره صبوحةً وغبوقاً. ولم يتلمذ عليه صاحبنا كما وهم صاحب البغية وقد شرحناه فيما مضى. وروى عنه كثيراً من الأخبار. وسرد بعضها. وهناك هنا ما يصلح منها للأسمار.

نُقل^(١٠) من نسخة لكتاب إصلاح المنطق قال أبو العلاء المعري حدثني عبد السلام البصري. وكان خازن دار العلم ببغداد وكان لي صديقاً صدوقاً قال: كنت في مجلس أبي سعيد السيرافي وبعض أصحابه يقرأ عليه^(١١) إصلاح المنطق فمضى بيت حميد بن ثور (رض):

ومطوية الأقرب أمانها زها فسبت وأماليلها فذميل

فقال أبو سعيد ومطوية أصلحه بالخفض. ثم التفت إلينا فقال: هذه واو رب. فقلت: أطل الله بقاء القاضي إن قبله ما يدل على الرفع. فقال: ما هو؟ فقلت:

أتاك بي الله الذي أنزل الهدى ونور وإسلام عليك دليل

ومطوية الأقرب... فعاد وأصلحه وكان ابنه [أبو] محمد حاضراً فتغير وجهه

(١) لا ابنه أبي محمد يوسف وهو السيرافي الصغير كم زعم مرجليوث: ٢٥ غلطاً. وانظر الحكاية الآتية. وفي آخر نسخة الموشح للمرزباني: أن عبد السلام انتسخها سنة ٣٦٦ هـ وهذا يؤيد ما قلنا.

(٢) نزهة: ٤٠٩، وأدباء: ٥ : ١٩. (٣) أدباء: ٥ : ٤٤٠.

(٤) أدباء: ٥ : ٧٨. (٥) نزهة: ٤٢٨.

(٦) بغية: ٣٠٦. (٧) ٤١٢.

(٨) حيث قلد الصفدي (مرجليوث: ٢٤) في سنة وفاته أنها ٣٢٩ هـ سنة الولادة وقال: إنه قرأ على الفارسي أيضاً. وسمي أباه الحسن وهو الحسين بن محمد نزهة ٤١٢ وغيره.

(٩) ٣٨٧ طبع إسبانيا.

(١٠) الوفيات: ٢ : ٣٥٠.

(١١) وأورد البيهقي التبريزي في تهذيب الإصلاص: ١ : ١٥ والسبت السير السريع.

لذلك فنهض لساعته ووقته والغضب يستطير في شمائله إلى دكانه وكان سماناً فباعها واشتغل بالعلم إلى أن برع فيه وبلغ الغاية فعمل شرح إصلاح المنطق. قال أبو العلاء: وحديثي من رآه وبين يديه أربعمائة ديوان وهو يعمل هذا الديوان ١ هـ. فانظر إلى غزارة أدبه وعلمه وكونه باعثاً على نبوغ عالم من خيرة العلماء بين ظهرائنا.

وفي الغفران^(١) قد شاهدت عند أبي أحمد عبد السلام بن الحسين المعروف بالواجكا رحمه الله - فلقد كان من أحرار الناس - كتباً عليها سماع لرجل من أهل حلب وما أشك أنه الشيخ (يعني ابن القارح) ١ هـ.

وقال في الغفران^(٢) حكى لي الثقة أن أبا عليّ الفارسي كان يذكر أن أبا بكر بن السراج عمل من المؤجّز النصف الأول لرجل بزار ثم تقدّم إلى أبي عليّ بإتمامه ١ هـ. ومن قطعة في س^(٣) بعث بها إلى التنوخي:

جُزءٌ بدّرب جميل في يدي ثقة سألته ردّ مضمون إذا قدرا
ولا ريب أنه أراد بالثقة في البيت الواجكا، فأحرّبه أن يريده به في الحكاية أيضاً. ودّرب جميل الذي كان به منزل الواجكا أغفله ياقوت إلا أن بيتاً من س^(٤) يرشدنا إلى أنه بالكرخ:

وهل يُرْجِس الكرخيّ والدار غربةً من الشأم جسّ الواعد المترج
وكان صاحبنا يجتمع معه كلّ جمعة في مجلس المحاضرات ولعل ذلك في جامع المنصور وقد حقق ظني حاشية في نسخة بانكي بور على قوله إليك زدوني عن حضور بمجمع وهي «مسجد الجامع». ومستندنا ما فاض من أمر المحاضرات والمناظرات به في ذلك العصر^(٥). وقال أهل العصر^(٦): إن ذلك بدار الواجكا ولكن لم يأتوا بما يعول عليه في الباب. قال - س^(٧):

تَهَيَّجَ أشواقِي عَرُوبُهُ إنَّها إليك رَوْتُني عن حضور بمجمع
وله إليه بعد الرجوع عينية من س^(٨) وورد ذكره في عنوان التائية^(٩) إلى التنوخي وفيها أيضاً^(١٠) وفي الرائية^(١١) إليه أيضاً - والطائية^(١٢) التي في عنوانها «يخاطب خازن دار العلم» أيضاً إليه على ما أظن وسيرد أمرها. ومن الرسائل ر ١٦ إليه بعد الرجوع

(١) ١٨٤. (٢) ١٣٧.

(٣) ١٤٠ : ٢. (٤) ١١٠ : ٢.

(٥) انظر حياة الحيوان ١ : ٢٣٥ والشافية ٣ : ١٨٢ وغيرها.

(٦) صاحب (ذ) : ١٧٩ - وكل من تبعه هو -

(٧) ١١٠ : ٢. (٨) ١٠١ : ٢.

(٩) ١١٢ : ٢. (١٠) ١٢٠ : ٢.

(١١) ١٤٠ : ٢. (١٢) ١٢١ : ٢.

ذكر فيها أن كتبه لا تصله فيحتاج إلى الاعتذار، وأنه يشفق إليه وإلى الكرخ شوقاً بلغ الغاية - وتطرب إليه في الـ ١٥ إلى الصابوني - وورد ذكره مراراً في الغفران تصريحاً وكناية كما مضى وكما يأتي.

روى القفطي^(١) أنه عرض على صاحبنا ما بخزائنه من الكتب فلم ير فيها شيئاً غريباً إذ كان قد قرأها كلها بطرابلس إلا ديوان تيم اللات فاستعاره منه وسافر إلى المعرة وهو معه فردّه إليه مع قصيدته التائية ا هـ. والحكاية بحيث ترى مجموعة أوهام وذلك أنه لم يكن إذ ذاك بطرابلس داراً للكتب أصلاً كما قد مضى روايته عن العدل. وإنا نراه يقدر الكتب حق قدرها واستفاد منها علماً جَمّاً. ومن ذا الذي يستغني عن أعلام الأسفار كائناً مَنْ كان، على أنه سيرد بعد هذا ما يردّها، وإن كان ما قاله له وجه لم يكن تطرّبه إلى دار الكتب بلغ به إلى هذه الغاية. على أن الديوان لم يكن منها بل هو صنّع المحسن والد أبي القاسم التنوخي وكان استعاره من أبي القاسم لا من عبد السلام ولم يستصحبه إلى المعرة بل أودعه عَبْدَ السلام وأوصاه أن يوصله إلى التنوخي، والتائية ليست إليه بل إلى التنوخي. ولكن الصاحب ابن العديم قارب في العدل حيث ذكر أن أبا العلاء طلب ببغداد أن تعرض عليه الكتب التي في خزائنها فأدخل إليها وجعل لا يُقرأ عليه كتاب إلا حفظه.

وورد في عنوان العينية^(٢) إليه «عبد السلام صاحب الدولة» جاء في نسخة بانكي بور «صاحب الرواية» وهو الذي صُحّف في النسخ المطبوعة بصاحب الدولة وأوقعنا في عناء ولا توجد هذه الكلمة في سائر النسخ ولا أثبتتها فيه أحد من أصحاب التراجم بل قالوا بأجمعهم إنه تولّى الإشراف على دار الكتب ولا تحقّقت معناها فيه من أيّ جهة كان؟.

رجعنا إلى ذكر المجمع العلمي مع الواجكا - قال بعض الشبان^(٣) وكأن هذا المجمع السريّ هو الذي أسماه إخوان الصفاء لشيوع هذا اللفظ بين المسلمين في ذلك العصر.... حيث يقول....

وإذا أضاعني الخطوب فلن أرى لوداد إخوان الصفاء مُضيعة

ا هـ

أقول وهذا رجمٌ منه بالغيب وغلط، فلم يكن المجمع من السّر في شيء، ولا كان فيه أحد من متلفسفي ذلك العصر. وأكثر أعضاء مجمع إخوان الصفاء كانوا ماتوا عند وروده ببغداد. وأما هذا البيت فإنه أحد أبيات ثلاثة^(٤) قالها على لسان الحافظ

(١) قال صاحب (ذ): ١٧٨ والذهبي - أقول ولعله وهم منه فليس هذا القول في تاريخ الإسلام له.

(٢) س، ٢: ١٠١.

(٣) صاحب (ذ): ١٧٩.

(٤) س، ٢: ١٣٦ وأدباء ١: ١٧٥.

الرحالة المحدث أبي الوليد الحسن بن محمد البلخي الدربندي المتوفى سنة ٤٥٦هـ، ترجم له ابن عساكر^(١) وياقوت رسم «دربند، وكان زاره بالمعرة^(٢)»، وما للمحدثين ومجامع الفلاسفة؟ وورد في حماسة البحري^(٣) لإسماعيل بن بشار وكان قبل ظهور هذه الجماعة بقرنين:

وإن أيقنت أن الغيَّ فيما دعاك إليه إخوان الصفاء
على أن الرجل كان زاره بعد الرجوع بزمان، وكان رَحالة لا يُلقِي عصا التسيار.
ولا يملُ من الأسفار، وله أسوة في هذا الرجم بصاحب الضرام ولفظه «عنى بإخوان
الصفاء أصدقاءه الصافية الوداد، وكأنه يوهم أنه عنى بهم أصحاب الرسائل المعروفة
برسائل «إخوان الصفاء» وهي رسائل فصيحة تشتمل على ضروب الحكمة، صنفها
جماعة من الحكماء منهم (أبو^(٤)) سليمان محمد (ابن) معشر المقدسي، وأبو الحسن
علي بن زهرون^(٥) الزنجاني وأبو أحمد النهرجوري^(٦) وزيد بن رفاعه - وألفاظ هذه
الرسائل للمقدسي^(٧) ا هـ. وهو في الغلط شريكه إلا أن لفظة «كأنه يوهم» يقلل نصيبه
مما ملأ منه عصرُنا عدله.

أبو منصور خازن دار العلم

ذكر في الغفران^(٧) توفيق السوداء التي كانت تخدم في دار العلم ببغداد على زمان
أبي منصور محمد بن علي الخازن وكانت تُخرج الكتب إلى النساخ ا هـ.

فهذا نص في اسمه واسم أبيه. وهذا الرجل بعث إليه صاحبنا بر ال ١٩ خاطبه
فيها: «بسيدي الشيخ»، ورغب في الاجتماع معه والسير إليه ثم اعتذر عنه بعجزه وأن
كُتبه إليه تترى إلا أنه لم يحظ بأجوبتها وأنه أرسل إليه قصيدة لزومية ولم يدر هل
وصلت أم لا؟ فالظاهر أنها بُعيد الرجوع إذ كان يهمس برحلة أخرى إلى بغداد - كما
يشير إليه قوله أدنى إشارة - س^(٨):

أظن الليالي وهي حُوزٌ غوادر بردي إلى بغداد ضيقة الذرع

(١) ٢٤٧: ٤.

(٢) انظره في زواره بالمعرة.

(٣) الخطبة: ٣٦٥.

(٤) الإصلاح من تاريخ الحكماء للقفطي مصر، ص: ٥٩، والشافعية ٣: ٢٧ والملل للشهرستاني.

(٥) عند القفطي هارون.

(٦) عند القفطي المهرجاني.

(٧) ٧٣.

(٨) ٧٩: ٢.

ولا أرى التاريخ يفيدنا أكثر مما مرّ. وأما خزانته التي كان يتولى رعايتها فالظاهر أنها دار الكتب القديمة إلا أنه ليس ثمة نصّ على ذلك - ، وأما الطائفة^(١) فالظاهر أنها إلى أبي أحمد المذكور والله أعلم. (للقاضي علي بن عبد العزيز الجرجاني):

وما أعجبتني قطّ دعوى عريضة وإن قام في تصديقها ألف شاهد

وهناك أبو منصور محمّد آخرُ بُعيد ذلك العصر ورد اسمه بآخر نسخة^(٢) شعر أبي دَهْبَل الجمحي في صورة سماع أخيه الشيخ أبي غالب محمد بن أحمد بن طاهر بن حمّد من الشيخ أبي القاسم التنوخي عليّ بن المُحَسِّن فعُدّد أبو غالب أسماء من سمع الديوان معه وفيهم أخوه المذكور من غير أن يسميه خازناً - وورد اسم أبي غالب محمد مراراً على أول الديوان وآخره مع لفظ الخازن - وهذه الخطوط مما لا يتطرّق إليه أدنى ريب.

وترجم ياقوت لمحمد بن أحمد بن طاهر الخ قال أبو منصور الخازن لدار الكتب القديمة مات سنة ٥١٠هـ. ذكر ذلك ابن الجوزي سمع علي التنوخي الصغير وكان فقيهاً على مذهب الإمامية ثم روى عن غُزَس النعمة في كتاب الهفوات ما خلاصته قال: كان بدار العلم التي وقفها سابور خازن يعرف بأبي منصور. واتفق بعد وفاة سابور بسنين كثيرة أن آلت مراعاة الدار إلى المرتضى فرتب معه آخر يُعرف بأبي عبد الله بن حمّد (? مشرفاً عليه وكان داهية فصمد لأبي منصور كيداً ثم سرد الحكاية. قال ياقوت: هكذا وجدت هذا الخبر وقد وافق رواية ابن الجوزي في كون ابن حمّد خازن الكتب بين السُورين وفي مقاربة العصر وخالفه في الكنية ولا أدري هل هو هذا أو غيره أو قد غلط أحدهما في الكنية والله أعلم. ثم وقفتُ على المذيل الذي للسمعانيّ بخطّه على حاشية (? ملحفاً أن محمد بن عَطَاف الموصلي سأل أبا منصور بن حمّد الخازن عن مولده فقال سنة ٤١٨هـ. قال وسأله غيري فقال سنة ٤١٧هـ، وهذا يدلّ على أن هذه الحكاية ليست عنه لأن المرتضى مات سنة ٤٣٦هـ فيكون حينئذٍ قد كان ابن حمد ابن اثنتي عشرة (? ثماني عشرة) سنة فيستحيل أن تكون الحكاية عنه وعساها عن أبيه والله عز وجل أعلم بالصواب اهـ على طوله. وترجم له ابن حجر أيضاً في اللسان^(٣) وذكر اسمه وكنيته كياقوت، وكذا سَتِي ولادته ووفاته، وزاد

(١) وفي (ذ): ٢١٢ ما يدل على أنها قيلت بعد سنة ٤٢٠هـ وهي دعوة محضة.

(٢) نسخة جامعة لبسبك (ألمانيا) عدد 807، V والعهد القديم: D.C. 354 وقد طبعوها مع صور ورفعتي الأول والآخر بمجلة الجمعية الآسيوية ١٠١٧ - ١٠٧٥ سنة ١٩١٠م.

(٣) ٥ : ٣٨ عدد ١٣٠.

ذكر أخيه أبي غالب. فهذا صريح في أن أبا منصور أيضاً خازن كأخيه أبي غالب كما مرَّ. وقد تَمَكَّنَّا على بُعد عهدنا والحمد لله على ذلك من كشف بعض ما أبهم على ياقوت. وذلك أن أبا منصور صاحب الحكاية في الهفوات هو صاحب أبي العلاء لا أخو أبي غالب الذي رُتِبَ معه آخراً بعد وفاة سابور وهو المذكور في الحكاية بأبي عبد الله بن حَمْد، ولعله كان يُكْنَى إذ ذاك كذلك ثم يكون تَكْنَى بأبي منصور بعد وفاة أبي منصور صاحب أبي العلاء. فهذا يفيدنا أن صاحب أبي العلاء كان خازن دار الكتب القديمة - كما كنا أيدينا ظناً - وأنه بقي بعد وفاة سابور. ويعضده ما مرَّ من أمر ر إليه بعد الرجوع. بقي أمر ترتيب ابن حمد بالخزانة وهو ابن ١٨ سنة، فهذا فيه نوع غرابة أو لعل ابن حمد هذا هو أخوه أبو غالب على أن يكون أسنَّ من أبي منصور بل هو الراجح إن شاء الله. فإذا المترجم في الأدباء واللسان هو أبو منصور بن حَمْد لا شك. وأما أمر إشرافه على الخزانة فلعله مع أخيه أبي غالب أو بعده. هذا ما بلغ بنا البحث إليه وعند الله علم الجليّة.

ولما وقع ياقوت وهو الجذل المحكك والمجرَّب فيما وقع فيه فكيف بقرعَى العصر. إلّا أنني أنقل قول بعض المستعربة^(١) استطرفاً (أ) لقي^(٢) أبا منصور صاحبنا ببغداد (ب) هو الذي^(٣) أرسل إليه طائيته على ما صرَّح به في ر إليه (ج) وأبو منصور^(٤) هذا هو المترجم له في الأدباء (أي المولود بعد رجوع صاحبنا من بغداد بـ ١٨ سنة) (د) وأن قول ياقوت^(٥) «ولا أدري هل هو هذا أو غيره» وهم منه.

فأنت تراه بدعاًو يكذب بعضها بعضاً. فكيف لقيه ببغداد ولم يولد بعدُ وكيف يرسل إليه الطائية ولم يُخْلَق. والطائية ليست مرادة بالقصيدة اللزومية التي ذكر إرسالها في ر إلى أبي منصور. فإنها من س وليس فيه شيء من اللزوم. وكيف يثبت وهم ياقوت بدعوى فارغة.

ولما وصلت إلى هذا الموضع وجدتُ في البغية^(٦) عن ياقوت. راجع الأدباء له ٧: ٤٥، ترجمة لصاحب أبي العلاء إن شاء الله إلّا أنه لم يُسَمَّ خازناً، قال محمد بن عليّ بن عمر بن الجبّان أبو منصور أحد حسنات الريّ وعلمائها الأعيان جيّد المعرفة

(١) هو د، س مرجليوث.

(٢) م، ر ص: ٢٥.

(٣) حاشية ترجمته ر، س ص: ٥٨ والعدد: ٤.

(٤) حاشية الأدباء عدد ١ - ٦: ٣٥٨.

(٥) حاشية الأدباء عدد: ١ - ٦: ٣٦٠.

(٦) ٢٩ - والترجمة أطول مما أوردها.

باللغة باقعة الوقت وفرد الدهر إلى آخر ما وصفه به كان من ندماء الصاحب، وهو صاحب الشامل في اللغة قرئ عليه سنة ٤١٦ هـ وسكن أصبهان وكان من أصحاب أبي علي، وقرأ عليه عبد الواحد بن بزهان أ هـ المقصود منها. وذكر في ترجمة ابن بزهان (بالفتح)^(١) أنه قرأ على عبد السلام، أيضاً وفي النزهة^(٢) أنه كان يُقرئ بالكرخ^(٣) وتوفي سنة ٤٥٠ هـ. فلم يبق كما ترى إلا أمر ولاية الخزائن.

القاضي التنوخي الصغير

٣٧٠ - ٤٤٧

هو أبو القاسم^(٤) علي بن المحسن^(٥) أبي علي صاحب الفرج والنشوار وأشعار تنوخ ابن أبي القاسم علي، وهو القاضي التنوخي الكبير صاحب المقصورة^(٦) ابن محمد بن أبي الفهم داود بن إبراهيم بن تميم بن جابر ينمي إلى تيم اللات ثم إلى قضاة. قرأ على غير واحد من شيوخ بغداد، منهم^(٧) الرّبيعي وابن كيسان والرّزاز وغيرهم. ومن تلامذته الخطيب البغدادي وقد أكثر من الأخذ عنه وهو قارئ شعر أبي دهب عليه، وجُملة السامعين ٢٥ نفساً على ما ورد في صورة سماع الشيخ أبي غالب عليه^(٨) سنة ٤٣٢ هـ، منهم أبو منصور بن حمّد المذكور. كان ثقة ثبتاً قبلت شهادته في حديثه وتقلد قضاء عدّة نواح من المدائن وأعمالها ودرزيجان^(٩) والبردان وقرميسين وغيرها. قال الخطيب وكان دَخله كل شهر من القضاء ودار الضرب وغيرها ستين ديناراً فيمَرّ الشهر وليس له شيء. وكان ينفق على أصحاب الحديث. قال ياقوت وكان الخطيب والصوري وغيرهما يبيتون عنده.

وكان من بيت العلم والأدب والقضاء متحقيقاً بصاحبنا مكرماً له. قرأ عليه مع أنه

(١) ٣١٧ ونزهة: ٤٢٨.

(٢) ٤٢٣.

(٣) نزهة: ٤٣٠.

(٤) ترجم الثلاثة على الولاء في اليتيمة ٢: ١١٦ و ١١٥ و ١٠٥، والأدباء ٥: ٣٠١، ٦: ٢٥١ - ٥: ٣٣٢، الوفيات ١: ٤٤٦، ٤٤٥، ٣٥٣، ودون الأوسط السمعاني ورق: ١١٠، وللحفيد فقط الفوات ١: ٦٨، والضرام في يائنة التهتهة واللسان ٤: ٢٥٢.

(٥) بتشديد السين والكسر. وفي س ٣: ١١٨ يا ابن المحسن... البيت.

(٦) المروج على هامش النسخ مصر ٣: ٤١١ وهي في مدح تنوخ وقضاة.

(٧) ابن الشيخ ٢: ٢٥٦.

(٨) تجاه ص: ٤٤ - ١ سنة ١٩١٠ م من مجلة الجمعية الآسيوية.

(٩) كذا في الأنساب وهي قرية بغربي بغداد. لا أذربيجان كما هو في الوفيات مصحفاً ١: ٤٤٧.

من أقرانه كما في النزهة^(١) والضرام وتاريخ الذهبي لما ورد بغداد شعر صباه أعني ما أنشئ من شعر السُّقُط إلى ذلك الوقت. قال ابن خلكان^(٢) كان يصحب أبا العلاء المعري وأخذ عنه كثيراً. ثم قال إنه كانت بينه وبين أبي زكريا التبريزي مؤانسة واتحاد بطريق أبي العلاء هـ. وفي البغية^(٣) أن التبريزي تلمذ على التنوخي أيضاً. أقول أما المؤانسة فَتَعَمُّ ولكن بعد رجوع صاحبنا بدهر فإن التبريزي وُلِدَ سنة ٤٢١ هـ كما قال ابن خلكان^(٤) نفسه. وأما أن تكون بطريق أبي العلاء، فإني أرتاب فيه فإن الطريق لم تكن وُطِئت قبل ورود التبريزي المعرة وأما بعد رجوعه منها فإن حُتِفَ التنوخي قد دنا. والذي أرى أن يكون قرأ على التنوخي وهو ابن ١٨ سنة، ثم بعد رجوعه من المعرة تكون هذه الوصلة قد تأكدت وإن لم تبق إلا هُنيهة كالبرق الخاطف. وكان يزور صاحبنا بالقطيعة^(٥) محافظة على الوداد، وتأميناً لسوقه من الكساد. وكان صاحبنا يُدَلِّ بأن نسيه في تنوخ ويُرْهِى. وأن مساعي^(٦) بيته لقضاة إليها الموئل والمنتهى. س^(٧):

لولا مساعيك لم نَعُدْ مساعيناً ولم نُسَامِ بأحكام العُلَى مُضْراً
أذاكراً أنت عصراً مَرَّ عندك لي فليس مثلي بناسٍ ذلك العُصْراً
أيامَ واصلتني ودأ وتكرمةً وبالقَطِيعَةِ داري تحضرُ النَهْراً^(٨)
كُنِّي^(٩) محمداً نَسَبِي مفيدي ودأكَ والهُوَى أمرٌ بَسْدي
بنو الفَهم الذين بنى علاهم أبو الفَهم الهُمام الهَبْرِي
سَمَوْا في الجاهلية بالمَعالي وزادوا بعدما بُعث النبي

ومن شعر صاحبنا إليه في س^(١٠) تائيتة الطويلة في أمر ديوان أشعار تيم اللات في الجاهلية جمع والده أبي علي وكان استعاره منه وتركه عند الواجكا ورحل فسأله بعد أن أقرأه السلام أن يسلمه التنوخي. وورد أمره في الرائية^(١١) إليه أيضاً أقول وذكر مترجمو الواجكا أنه كان جواداً ربّما اعترضه السائل وليس معه شيء فيعطيه من الكتب المتقومة شيئاً. وانظر في عنوان التائية «فخشي أن يكون جرت غفلة في أمر الكتاب» فهذا ينظر إلى ما ذكروا. وله إليه يائية^(١٢) ببغداد يهنئه فيها بمولود وُلِدَ له كناه صاحبنا

(١) ٤٢٥ اليائية: ١٣٧. (٢) ٤٤٦: ١

(٣) ٤١٤ - والياضي: ٦٧. (٤) ٢٣٥: ٢

(٥) كما أن صاحبنا كنا يزوره في حلقة على ما يأتي في حكاية يوح.

(٦) مر أمر المقصورة في مدح قضاة أنفاً.

(٧) ١٣٩: ٢. (٨) دجلة.

(٩) ٦٧: ١. (١٠) ١١٢: ٢

(١١) س، ١٤٠: ٢. (١٢) ٦٦: ٢

أبا علي وسماه محمداً. ولا شك أنها قيلت ببغداد ويدل عليه قوله منها:

إذا نأت العراق بنا المطايا فلا كُنَّا ولا كان المطيُّ

على أن ذكر بغداد ورد في عنوان بعض النسخ^(١) أيضاً ولكن ياقوت^(٢) نقل عن بعضهم أن المولود وُلد سنة نيف و ٤٤٠هـ، وروى حكاية تشبهه عن القاضي الدامغاني قال: دخلت على أبي القاسم قبل موته بقليل وقد علت سنّه فأخرج إليه ولده من جاريته فلما رآه بكى. فقلت: يعيش (؟) إن شاء الله وتربيته ويُقرّ الله عينك به فقال: هيهات والله ما يتربى إلّا يتيماً وأنشد (من شعر صاحبنا في اللزوم^(٣)):

أرى ولد الفتى عبأ عليه لقد سعد الذي أمسى عقيماً

فإما أن يخلّفه عدوّاً وإما أن يُربّيه يتيماً

ثم قال: أريد أن تزوّجني من أمه فإنني قد اعتقْتُها على صداق عشرة دنانير ففعلت. وكان كما قال تربى يتيماً وهو أبو الحسن محمد بن عليّ قبل القاضي أبو عبد الله شهادته ثم مات سنة ٤٩٤هـ. وانقرض بيته ١هـ. وترجم له صاحب «الجواهر المضيئة»^(٤). قال: هو أبو الحسين (وقد مرّ عند ياقوت أبو الحسن) محمد ابن عليّ أبي القاسم ١هـ. ثم نقل عن ابن النجار حكاية له وقال: مات سنة ٤٩٤هـ كذا ذكره ابن النجار ١هـ. وهذا كله صريح في أنه وُلد بعد رجوع صاحبنا بنيف وأربعين سنة. فالظاهر أنهما ولدان بينهما نحو من أربعين سنة وكلاهما محمد على اختلافهما في الكنية بأبي عليّ وأبي الحسن. على أنه من الممكن أن يكون تكنيته من صاحبنا لم توافق الرواج والتفاذ. ولصاحبنا في حلقته خبر وسيأتي.

هو في حلقة الرّبعي

روى الكمال ابن الأنباري^(٥) عن التنوخي الصغير وياقوت^(٦) وغيرهما أنه لما ورد إلى بغداد قصد أبا الحسن عليّ بن عيسى الرّبعي [النحوي صاحب أبي عليّ الفسوي] ليقرأ عليه شيئاً من النحو. فقال له: ليضعِد الإصطبلُ. فخرج مغضباً ولم يعد إليه. والإصطبل في لغة أهل الشام الأعمى ولعلها معربة ١هـ. أقول: وكان التنوخي تلميذاً للرّبعي كما ذكر ابن الشيخ البلّوي^(٧). ومثل هذا القَدَح والجَبْه، وإذالة الوجه،

(١) المصرية دون الإيرانية. (٢) أدباء ٥ : ٣٠٢.

(٣) ٢ : ٢٤٩. (٤) ٢ : ٩٨.

(٥) ٤٢٥. (٦) ١ : ١٦٩.

(٧) ٢ : ٢٥٦.

لم يكن يبدع من الربعيّ فما ذاك بأوّل قارورة له كسرت، ولا أول هناة أُثِث. فأَنَّهُ كان مغفلاً مجنوناً، وبسفاسف الأمور مفتوناً. كما نقل كل من ترجم له قال ابن الأُبّاري^(١): «ويُحكى من سيره وتصرفاته ما طيه أحسنُ من نُشره». وقال التبريزي^(٢): سألت أبا القاسم بن بَرّهان فقلت له: يا سيدنا تترك الربعيّ والأخذ عنه مع إدراكك إياه وتأخذ عن أصحابه. فقال لي: كان مجنوناً وأنا كما ترى. فما كنّا نتفق ا هـ. يعني المثل - أنا تيق وأنت متق فكيف نتفق، ومرّ حكاية جنونه مع المرتضى وابن جني. وقال الخفاجي في شفاء الغليل^(٣) اصطبل بلغة أهل الشام معناه الأعمى كما في كتاب الهميان، ولذا قال ابن عباد جُرّوا الإصطبل في حكايته مع المعري ا هـ. وهذا وهم شنيع وتخليط مستهجن لثلاث حكايات هذه إحداها والأخريان ستأتيان في بيان «مجلس المرتضى» على أن اسم كتاب الصّفديّ نُكْتُ الهميان وفيه^(٤) اصطبل بالسين.

اعتراض له على فقهاؤها

من شعره في اللزوم^(٥):

تناقض مالنا إلّا السكوت له وأن نعوذ بمولانا عن النار
يد بخمس مئين عسجداً [١] فُديت ما بالها قُطعت في رُبُع دينار

روى الحافظ عماد الدين أبو الفداء ابن كثير الدمشقي من أصحاب حجة الله على أهل الأرض الإمام ابن تيمية الحراني رضي الله عنه في تفسيره^(٦)، ذكروا أن أبا العلاء المعريّ لما قدم بغداد اشتهر عنه أنه أورد إشكالاً على الفقهاء في جعلهم نصاب السَّرقة رُبُع دينار، ونظم في ذلك شعراً دلّ على جهله وقلة عقله يد... الخ البيتين، ولمّا قال ذلك واشتهر عنه تطلبه الفقهاء فهرب منهم. وقد أجابه الناس في ذلك فكان جواب القاضي عبد الوهاب المالكي رحمه الله أنه قال: «لمّا كانت أمينة كانت ثمينة ولمّا خانت هانت» ومنهم من قال: هذا من تمام الحكمة والمصلحة وأسرار الشريعة العظيمة. فإن في باب الجنایات ناسب أن تُعظم قيمة اليد بخمسائة دينار لئلا يُجنى عليها، وفي باب السَّرقة ناسب أن يكون القدر الذي تُقطع فيه ربع دينار لئلا يسارع الناس في سَرقة الأموال فهذا هو عين الحكمة عند ذوي الأبواب ا هـ.

(٢) أدباء ٥: ٢٨٧.

(١) ٤١٦.

(٤) ص: ١٠٣.

(٣) ص، ٣٣ مصر سنة ١٣٢٥ هـ.

(٥) ٢: ٣١٧.

(٦) ٣: ٣٤٥ بهامش فتح البيان.

وقال الذهبي^(١) أنبأتنا أم العرب فاطمة بنت أبي القاسم أنا فرقد الكِناني سنة ٦٠٨ هـ: أنا السُّلَفي سمعت أبا زكريا التبريزي قال: لَمَّا قرأت على أبي العلاء بالمعرة قوله: «يد بخمس مئي من عسجد» البيتين. سألتَه عن معناه فقال: هذا مثل قول الفقهاء عبارة لا يُعَقَّل معناها. قلت: لو أراد ذلك لقال تعَبَّد. ما لنا ا هـ؟ ولما اعترض على الله بالبيت الثاني قال السُّلَفي إن قال: هذا الشعر معتقداً معناه فالنار مأواه وليس له في الإسلام نصيب ا هـ.

وقال ابن الشيخ البلوي^(٢) الأندلسي صاحب السُّلَفي ويقال: إن المعري كتب إلى ابن حزم بهذا البيت يد... البيت فقال:

صيانة النفس أغلاها وأرخصها خيانة المال فافهم حكمة الباري
بلغ البيت غيره فقال:

بذاك سُنَّة خير الناس قد وردت فلا سبيل إلى تعليل الآثار
ا هـ.

أما جواب ابن حزم فقد عزاه محشي اللزوم إلى القاضي عبد الوهاب. وقال الصَّفدي^(٣) وصاحب المعاهد^(٤) إنه لعلم الدين السخاوي وهو أيضاً من تلامذة السلفي فكيف يمكن أن يغزو ابن الشيخ جواب صاحبه إلى من تقدمهما بنحو قرن ونصف إلا أن روايتهما:

عَزَّ الأمانة أغلاها وأرخصها ذل الخيانة.....
البيت.

وهي الأصلح. وأما عزو المحشي فإنه أراه وهماً منه، كما وهم صاحب النور السافر^(٥). والقزويني في «آثار البلاد» ص ١٨١ أيضاً. في عَزَّوه إلى الشريف الرضي وصاحب روضات الجنات^(٦) في عزوه إلى المرتضى.

(١) ١٣٢ ونقله ابن حجر في لسانه ١: ٢٠٥.

(٢) ٢: ٣٨٢.

(٣) الغيث ١: ٤٨، والنكت: ١٠٧.

(٤) ١: ٥١.

(٥) انظر ص: ٣٦٤ من نسخته الخطية بخزانة الشيخ عبد الحي في لكهنؤ.

(٦) ص: ٧٤ ولفظه: «ومن المشهور أن المعري اعترض يوماً على المرتضى بقوله يد البيت، فأجابه بقوله: عز البيت. وأجابه رجل آخر من أهل المجلس بقوله:

هناك مظلومة غالت بقيمتها وههنا ظلمت هانت على الباري
أ هـ مختصراً.

وقال ياقوت^(١) كَأَنَّ المعري حمار لا يفقه شيئاً ثم أجاب بمثل جواب ابن كثير الآخر. جاء في «روض الأخيار» ص ١١٧ أن الشيخ شمس الأئمة الكردي أجابه بقوله:

قل للمعري عار أيما عار جهل الفتى وهو من ثوب التقى عار
لا تقدرن زناد الشعر من حكم شعائر الشرع لم تقدر بأشعار
فقيمة اليد نصف الألف من ذهب ولو تعدت فلا تسوى بدينار
وتصدى للدفاع عنه محشي اللزوم فقال أرى أن اعتراض المعري واقع على الفقهاء القائلين بقطعها لا على الباري بدليل قوله: وأن نعوذ الخ. لأن بعض الفقهاء قال: لا تُقطع إلا في الثمين من المال وأما الخسيس^(٢) ففيه التعزير والضرب بالحبس والضرب فكأنه لا يرى رأي القائلين بالقطع ويرى أن التقدير اجتهاد فيكون الحكم عليها برُبع دينار مع الحكم لها بخمسائة دينار تناقض^(٣) (؟) اهـ.
ووجدته في اللزوم يخطر عن القطع مطلقاً:

لا تُحدِث القطع في كفٍّ ولا قَدَم ولا تَعْرِضْ بذِي الدنيا لَسَفْكِ دم
وأرى أنه اعترض على الفقهاء في تقدير النصاب كما هو ظاهر من عبارة ابن كثير، ومنشؤه حرصه على الدخول في عداد المتفقهة لما رأى جمهورهم عاكفين ببغداد أو، الافتنان وشحن الخاطر والاستطراف، أو استنزاف ما عندهم من قوة القريحة وجودة الخاطر. لا الاعتراض على حكمة الباري سبحانه. ولو كان هذا دليلاً على كفره لم ينزل عليه القاضي عبد الوهاب بالمعزة بعد الرجوع بزمان مع أنه أول غرض لسهم اعتراضه، ولا شيخ الإسلام الصابوني وهما هما ولكان لسان أهل بغداد طلقاً بتكفيره كما نرى السنة المتأخرين ويا هل ترى دهماء البغادة وأعيان علمائها اجتمعوا للاحتفال بتوديع زنديق ملحد. وهل يريد ما قاله السلفي وهو الذي يقول^(٣) (إن كان قاله):

زعم الجهول ومن يقول بقوله إن المعاصي من قضاء الخالق
إن كان حقاً ما يقول فلم قَضَى حدّ الزناء وقطع كفّ السارق

(١) ١: ١٩٢.

(٢) وذلك أن الكتاب والسنة ساكتان عن تقدير النصاب وأما الأئمة الأربعة فمذهب مالك: القطع في ثلاثة دراهم فصاعداً ومذهب الشافعي: في ربع الدينار ومذهب أحمد: الجمع بين القولين. ومذهب أبي حنيفة وأصحابه وسفيان الثوري: أن النصاب عشرة دراهم مضروبة. وقال بعض السلف لا تقطع الخمس إلا في خمس^(٤) أي في خمسة دنانير أو خمسين درهماً ينقل هذا عن سعيد بن جبير فهو الأوفق بمذهب صاحبنا أن سلم قول المحشي.

(٣) ١: ٤٨ من الغيث.

فليس بيتاه إذا إلا خَطَرَةٌ عَرَضَتْ. وَنَفْثَةٌ مَا نَضِجَتْ وَشِقْشِقَةٌ هَدَرَتْ وَلَمَّا صَادَفَتْ جَوَابَ صَدِيقِهِ عَبْدَ الْوَهَابِ هَدَأَتْ. وَإِلَّا فَمَا مَعْنَى قَوْلِهِ مِنَ الزُّرُومِ:
مَا قِيمَتِي فَلَسْ وَفِي حَكْمِهِ أَنِّي أَوْدَى أَلْفَ دِينَارٍ
وعند الله علم السرائر. وهو يتولى الضمائر.

هو بحضرة القائم الخليفة

لم أرَ أحداً من رُؤاة أخباره ذكر شيئاً مما يجذب إلى معنى العنوان - غير أنني رأيت عند دَوْلَت شاه السمرقندي أسطورةً هي بأساطير رُسْتَم وإِسْفَنْدِيَارَ أشبهُ منها بصحائف التاريخ والأخبار. ورأيت كثيراً من علماء الفرس. والله شهيد أنني لا أريد الغضب منهم أو التنقص لهم ربما يأتون بما يُطْرَى معه البُكم الخُرس. وإني طالما:

جُرِبَتْهُمْ فوجدتهم لَمَّا سَبَرْتَهُمْ زُيُوفٌ

وهذا تعريبٌ زُمَزِمَته وبيان جَمُجَمَته قال في تذكرته^(١). ولأبي العلاء في علم المعاني والبيان عدة كتب (؟؟ فأين هي؟) وكان القائم بأمر الله الخليفة العباسي يكرمه ويفقده (فلماذا رجع إذاً وشكا عُسرته ببغداد^(٢)) وله في مدح آل عباس قصائد (لم نجد منها شفعاً ولا وَثْراً). حُكِيَ أن أبا سعيد الرستمي^(٣) وهو من أعيان الفضلاء وأماثل الشعراء كان يتلمذ عليه لما عمي في آخر عُمره (يا سبحان الله!!) ولذا يدعوهُ أبا العلاء الضرير. وكان كلما أنشأ مديحاً في الخليفة قاده أبو سعيد إلى مجلسه. وقالوا: إن أبواب دار الخلافة كانت من الارتفاع بحيث أن أصحاب الرايات كانوا يدخلون فيها من دون أن ينكسوها. فكلما وصل به الرستمي إلى باب من أبوابها قال له: أنحن أيها الأستاذ. فينثني، فكان الخليفة ومن بحضرته من الأعيان يضحكون على ذلك. فيقول أبو العلاء مستنكراً: لله دَرُكٌ من تلميذ! أ هـ.

ولم يذكر أحدٌ تَلَمَّذَ الرستمي عليه ولا أَحْسَبَهُ من الأحياء إذ ذاك فإنه من الطارئین على باب الصاحب بن عباد، على أن أبا العلاء ممن يرى الموت أمراً وأهناً من أن يصير هُزْأَةً يُسَخَّرُ منه لأبناء الدُّنْيَا. س^(٤).

(١) طبعة ليدن ص: ٢٤ و ٢٥. (٢) ٥٣: ٢

مقل من الأهلين يسر وأسرة كفى حزناً بين مشيت وإقلال
(٣) وهو محمد بن محمد بن الحسين الوفيات ١١: ٢ وأورد كثيراً من شعره صاحب اليتيمة وترجم له السمعاني. ولم أجد بعد سنة وفاته. إلا أن في اليتيمة ٣: ١٣٠ أنه لما شاخ في عهد الصاحب أفل من قول الشعر وهذا يجذب إلى تكذيب الفارسي فإن الصاحب توفي سنة ٣٨٥ هـ.

(٤) ١١٣: ١

فيا موتُ زُرْ إن الحياةَ ذميمة ويا نفسِ جِدِّي إن دهرِكِ هازل
رحلت^(١) لم آتِ قِرْوَاشاً أزاوله ولا المهْدَبَ أبغي النيلَ تقويتا
والموت أحسنَ بالنفسِ التي ألفت عِزَّ القناعةِ من أن تسألَ القوتا

عرض الأشعار عليه بها

نقل الحافظ ابن سيّد الناس اليَعْمَرِيُّ الأندلسي^(٢) أن أبا نصر المنازيّ واسمه أحمد بن يوسف^(٣) دخل على أبي العلاء المعريّ في جماعة من أهل الأدب فأنشد كل واحد منهم من شعره ما تيسر فأنشده أبو نصر:

وقانا لَفْحَةَ الرَّمْضاءِ وإِد سَقَاهُ مُضَاعَفُ الغيثِ العميم
نزلنا دَوْحَهُ فَحَنّا علينا حُنُوّ الوالداتِ على الفطيم
وأَرْشَفْنَا على ظمإٍ زُلَالاً أَلَدَّ من المُدّامةِ للنديم
يَصُدُّ الشمسِ أُنّى واجَهَتْنا فَيَحْجُبُهَا ويَأْذُنُ للنسيم
تروع خِصاءَ حاليّةِ العِذارى فتلمِسُ جانبَ العِقدِ النظيم
فقال أبو العلاء: «أنت أشعر من بالشام» ثم رحل أبو العلاء^(٤) إلى بغداد فدخل المنازي عليه في جماعة من أهل الأدب ببغداد - وأبو العلاء لا يعرف منهم أحداً - فأنشد كل واحد ما حضره من شعره حتى جاءت نوبة المنازيّ فأنشد:

لقد عَرَضَ لنا بِسَجْع إذا أصغى له رُكْبٌ تَلَاخى
شجا قلبَ الخليّ فقليل^(٥) عَنّى وبَرَّحَ بالشجبيّ فقليل ناحا

(١) ٢ : ١١٩.

(٢) ثمرات الأوراق بهامش المستطرف ١ : ٣٣، ونسمة السحر (خط) ١ : ١١٤، والوفيات طبعة غوتنجن ٣ : ١٤ من الحواشي رواية عن تقي الدين التميمي في طبقاته والأبيات الميمية في البلدان رسم منازجرد. قال ياقوت: ولم أسمع في معناه أحسن منه وروايته مضاعف الظل وعلى اليتيم وأرق من المدامة، وأبو الفداء ٢ : ١٦٨ وروايته وقاه مضاعف النبت، والفطيم، وابن خلكان ١ : ٤٥ وروايته كأبي الفداء قال والأبيات بديعة في بابها، والمعاهد ١ : ٨٥، وروايته كالثمرات إلا أرق وأتى بقلب بعضهم للأبيات، ونزهة الأنام ٩٦، والمرقصات: ٤٧ وابن الوردي ١ : ٣٤٩، ونقلها الغرولي من خط ابن سيد الناس (٦٠٠ - ٦٧٢ هـ) وفي مطالع البدور ١ : ٧٠ روى أن أبا نصر المنازي الخ.

(٣) ويأتي في زواره بالمعرة بأبسط مما هنا.

(٤) وفي نسمة السحر ١ : ١١٤ أن هذا العرض الثاني وقع أيضاً بالمعرة بعد نحو عشرة أعوام ولفظه: وكان الشعراء يعرضون أشعارهم عليه الخ. ونقله عنه صاحب نزهة الجليس ١ : ٢٨١.

(٥) وفي الأصل بالعين المهملة، والبيتان الأولان يوجدان في الغيث ٢ : ١٩٩ معزوين إلى ابن قاضي ميلة، وروايته: زها قلب الخلي فقال: غني بالغين المعجمة.

وكم للشوق - في أحشاء صبّ إذا اندملت أجدّ لها - جراحا
 ضعيف الصبر عنك وإن تقاوى وسكران الفؤاد وإن تصاحى
 بذلك بنو الهوى سكرى ضحاة كأحداق المها سكرى صحاها
 فقال أبو العلاء: «ومنّ بالعراق» - عطفاً على قوله (؟) من بالشام ا هـ.

وحكى ابن العديم في تاريخ حلب^(١) ما نصّه: «وبلغني أن المنازي عمل هذه الأبيات [الميمية] ليعرضها على أبي العلاء المعري - فلما وصل إليه أنشده الأبيات، فجعل المنازي كلما أنشده المصراع الأول من كل بيت سبقه أبو العلاء إلى المصراع الثاني الذي هو تمام البيت كما نظمه. ولما أنشده قوله: نزلنا المصراع قال أبو العلاء: حنوّ الوالدات على الفطيم. فقال المنازي: إنما قلتُ على اليتيم فقال أبو العلاء الفطيم: أحسن» ا هـ.

وقال ابن البراق^(٢) في سؤق أخبار حمدة (ويقال حمدونة بنت زياد المؤدّب خنساء المغرب من وادي آش) العوفية ونسب بعضهم إلى حمدة هذه الأبيات الشهيرة بهذه البلاد المشرقية وهي وقانا الخمسة الأبيات - ومن جزم بذلك الرّعينيّ وقال: «إن مؤرخي بلاد الأندلس نسبوها لحمدة من قبل أن يخرج المنازي من العدم إلى الوجود» ا هـ. ولسنا نستطيع أن نجزم بالحكم إلا أننا نستكبر عزو الوهم إلى هؤلاء الجَم الغفير. وما منهم إلا صيرفيّ نحريّ. وأما أبو نصر هذا فإنه ورّر لابن مروان صاحب ميافارقين. وكان فاضلاً شاعراً كافياً، ترسل إلى القسطنطينية مراراً، وكان جماعةً للكتب مُعَرِّماً بها، توفي سنة ٤٣٧هـ - والأبيات عملها في بلدة بُراعا بالعين المهملة وهي فيما بين مَنبِجٍ وحَلَبَ لَمَّا مرّ بواديّه فأعجبه، وهو نَزّه. وفيه يقول ابن الوردي^(٣) المعريّ وفي الباب:

إن وادي الباب قد أذكرني جنة المأوى فلله العجب
 فيه دُوح يحجب الشمس إذا مال قال للصبا جز بأدب
 طيره مُغربة في لحنها تُطرب الحيّ كما تُحيي الطرب
 مرّجه مبتسم مما بكت سُحب في ذيلها الطيّب انسحب
 نهره إن قابل الشمس ترى فضة بيضاء في نهر ذهب

(١) النفع، مصر: ٢: ٤٩٢، وليدن ٢: ٦٣١، وروايته كما أتينا به وحنو المرضعات.

(٢) النفع، مصر: ٢: ٤٩١، وليدن ٢: ٦٣٠.

(٣) ديوانه: ٢٤٢، والأبيات سبعة، وهناك روح تحجب وهو تصحيف لا شك. ثم رأيتها في تاريخه أيضاً ١: ٣٥٠ على الصواب.

والحكاية تدلّ على أن البغاددة كانوا يعرضون عليه أشعارهم، وأن الطارقين لبابه كثيرون، إلا أن التاريخ لم يحفظ لنا أخبارهم.

رواة شعره بها

روى غير واحد^(١) عن التنوخي الصغير أنه قال ورد أبو العلاء بغداد وقرأت عليه شعره. ونقل صاحب البغية^(٢) أن ابن فُورَجَة أيضاً قرأ عليه بها. وظننا أن المقروء ديوان المتنبي وشيء من السقط - وفي الدُمية من رواة شعره من س شيخ الإسلام أبو عثمان الصابوني وأبو محمد الهَمْدَانِي فهل روياه عنه بها أو بالمعزة؟ هذا مما لا نتمكن من الجزم على أحد شِقِيهِ - ويجيء في التلامذة عدة من الأندلسيين فهل لقيه بعضهم ببغداد؟

وارتاب بعضهم^(٣) في قبوله مستدلاً بأن السقط لم يتم إلا بعد الرجوع بعدة أعوام وتدرّج منه إلى أنه لم يكن ببغداد أستاذاً ولا تلميذاً أ هـ. والقول بحيث ترى، فلا يمنع نقص السقط إذ ذاك عن رواية ما تم منه. وإنني أرى أن كان السقط أو جملة شعره إلى آخره سنة ٣٩٨ هـ حاضراً لديه ببغداد، ثم إنه زاد فيه ما قاله بها، أو في أمرها بُعيد الرجوع. ولا بُدّ أن يعطي نسخة شعره للقارئ عليه. نعم إنه أضاف إليه نحو الربع بعد الرجوع. وكذا الدرعيّات فترى أن الأولين كانوا يُفرزونها من السقط وهي في الشروح الحاضرة ملحقة به على أن نُسخَ السقط تختلف في قلة الشعر وكثرته وانظره في بيان تأليفه.

وأما الأستاذية فلا يستنكرها من قرأ هذا الفصل - على أنه إن لم يكن يُقْرَأ فبماذا كان يقضي ساعاته هناك؟ الواجكا وأبو منصور والتنوخي لم يكونوا فارغين لِيَبْقُوا معه آناء الليل وآناء النهار - وعثرت في إفادته لأهلها على خبر طريف وهو: قالوا في بيت س^(٤):

ويوشعُ ردُّ يوحى بعض يوم وأنت متى سفرت رددت يوحى

إن^(٥) أبا العلاء لما ورد بغداد اعترضوا عليه وقالوا: صحفت إنما هي بوح بالباء

(١) الكمال ابن الأتباري وصدر الأفاضل والذهبي وصاحب البغية وغيرهم.

(٢) ١٣٦.

(٣) صاحب (ذ): ١٦٧.

(٤) ١ : ٦٥.

(٥) المعاهد ٢ : ١٨٩، وتاج العروس ٢ : ٢٤٩، وجمعنا بين روايتيهما - وكأنهما روايا عن الاقتضاب ص : ٢٨٠ من دون تنبيه عليه.

الموحدة لا بالياء المثناة في حلقة ابن المحسن [القاضي التنوخي الصغير] واحتجوا عليه بكتاب الألفاظ ليعقوب - فقال: هذه نسخ مُحدثة غيرُها شيوخم، ولكن أخرجوا ما في دار العلم من الكتب القديمة - فأخرجوها فوجدوها مقيّدة بالمشئة التحتية كما قال اهـ. قلت: وممن جزم بالياء الموحدة المبرد وأبو علي البغدادى وابن الأنباري وثبت عليه وجرى في ذلك بينه وبين أبي عمر الزاهد كلُّ شيء حتى قال الشعراء في ما، قال ابن خالويه: ثم أخرجنا كتاب الشمس والقمر لأبي حاتم السجستاني؛ فإذا يوح بالمشئة ورد اللفظتان يُوح (غير مُجرى) ويوحى في الحَلَبِيَّات للفارسي - وقد كثر من غره تصحيف نُسخ الألفاظ لتداوله ومنهم ابن سيده فظن أن يعقوب رواه بالموحدة، وذكرها صاحب «القاموس» في الموضوعين والجوهري في بعض النسخ بالموحدة فقط والسهيلي أيضاً. وهاك ما ورد في طبعة الألفاظ^(١). «ويقال قد طلعت يُوح يا هذا [بالياء غير مصروف فالصواب على ما ذكر - وفي النسخ بُوح بالياء كما ذكره ابن الأنباري وثبت عليه وفي كتاب المعبدى والصيدلاني بوح بالياء بنقطة واحدة]».

فالحكاية صريحة في أن كان ثمة كثير من الحاضرين في حلقة التنوخي من رواة شعره، وأنهم أذعنوا بفضلِه على مشايخهم إذ دلّهم على تصحيفهم الذي ورثه كابرٌ عن كابر وأبقاه الأول للآخر. وأن دار الكتب سواء كانت القديمة أو العباسية بحيث وصفها غير واحد. لا يستغني عنها مقرّ أو جاحد. يهاجر لمثلها على تراخي الشقة ومطلها.

ومما يرمي إلى غرض الباب ما روى ابن الجوزي في الأذكياء^(٢) وياقوت^(٣) في الأدباء ونقله عنهما كثير من العلماء^(٤). قال الأول: روى رفيقنا عبد الكريم بن منصور قال: سمعت المبارك بن أحمد الأفوه (أو الأخوث) يقول: خرج رجل من بغداد على سبيل الفرجة فقعد على الجسر. فأقبلت امرأة من جهة الرُصافة متوجهة إلى الجانب الغربي [الكرخ]. فاستقبلها شابٌ فقال: رحم الله عليّ بن الجهم. فقالت المرأة: رحم الله أبا العلاء المعري. وما وقفا بل مرّ الرجل مشرقاً ومرّت المرأة مغربة، فتبعْتُ المرأة وقلتُ إن لم تقولي لي ما أراد وما أردتِ وإلا فضحتكِ. فضحكت وقالت أراد الشاب بقوله رحم الله علي بن الجهم قوله:

(١) تهذيب الألفاظ ص: ٣٩٠.

(٢) ١٧٤، دون السند والغيث عن الأذكياء والسياق هنا منه ١: ٢٣٦ وهذا يدل على أن طبعة الأذكياء مختصرة وليس الكتاب على غرة الأول.

(٣) أدباء ١: ١٧٦.

(٤) الخزانة: ١٨٦، وثمرات الأوراق بهامش المستطرف ١: ١١٤ والمعاهد ٢: ١٩٧ والبديعي ٢: ١٣٦.

عيونُ المَها بين الرُصافة والجَسر جَلبن الهوى من حيث أدري ولا أدري
وأردت أنا بقولي: رحم الله أبا العلاء المعري قوله^(١):

فيا دارها بالخَيف إن مزارها قريب ولكن دون ذلك أهوالُ

ولفظ ياقوت قرأت بخط أبي سعد [السمعاني وتوفي سنة ٥٦٢هـ] قال: سمعت المبارك بن أحمد ابن الأخوثة مذاكرة: خرج رجل الحكاية. والغرض من سياق هذا السند أن يُستدل به على قرب عهد وقوع الحكاية بعهد أبي العلاء بأهل بغداد. فأخلف به أن أهنته بقولي:

فصيتُك يا شيخَ المعرة طائر مطير العُقَاب حيث ندري ولا ندري
وشعرك ترنوه بلحظ كرامة عيونُ المَها بين الرُصافة والجَسر
تمثّل في شرق وغرب بذكره مشاهدُ أنس للبدأة وللحضر
فسقياً! لعهد كنت بيت قصيده ورعياً! لأيام مزين على النهر

بعض ما استفاد بها

مرّ بعضه في ذكر الواجكا وغيره وهاك ما وجدته غير ما تقدم، وهو لا يخلو عن فائدة أدبية:

(١) قال في الغفران^(٢): كنتُ بمدينة السلام فشاهدت بعض الورّاقين يسأل عن قافية عدّي بن زيد التي أولها:

بكر العاذلون في غَلَس الصب ح يقولون لي ألا تستفيق
ودعا بالصباح فجراً فجاءت قينة في يمينها إبيرق

وزعم الورّاق أن ابن حاجب النعمان^(٣) سأل عن هذه القصيدة. وطلبت في نسخ من ديوان عدّي فلم توجد. ثم سمعت بعد ذلك رجلاً من أهل استرباداً يقرأ هذه القافية في ديوان العبادي ولم تكن في النسخة التي في دار العلم.

(١) س ٢: ٤٩ والقصيدة قالها بمدينة السلام.

(٢) ١٠ - ورواية غيره ودعوا بالصباح يوماً. وللأبيات خبر مستملح أنظره معها في درة الغواص استمبول ١١١، والخزانة الكبرى ٤: ١٣٠، والوفيات ١: ١٩٥، والأغاني الطبعة الثانية ٥: ١٥٨، وابن عساكر ٤: ٤٢٨، وكل من ترجم لحمد الرواية.

(٣) ترجم له ابن النديم ص: ١٣٤. قال: وكان أحد أفراد الزمان في الفضل والنبيل ومعرفة كتابة الدواوين وكان إليه في أيام معز الدولة ديوان السواد ولم يشاهد خزانة كتب أحسن من خزانته لأنها الخ. ومر في فصل دار الكتب.

(٢) وفيه^(١) أيضاً ما فحواه أن بعض الأدباء بمدينة السلام سئل عن قول عمرو بن كلثوم:

فما وَجَدْتُ كوجدي أُمَّ سَقْبٍ أَضَلَّتهُ فَرَجَعْتُ الحَنِينَا
ولا شَمِطَاءَ لَمْ يَتْرَكَ شَقَّاهَا لَهَا مِنْ تَسْعَةٍ إِلَّا جَنِينَا
هل يجوز نصب شمطاء فلم يجب بشيء ثم ذكر جوازَه من وجهين كأنه قال:
ولا أذكر شمطاء أي أنها أوجدُ أو لا تنسَ شمطاء.

(٣) وفيه^(٢) أن رواة بغداد كانوا ينشدون في قِفا بُنِكَ هذه الأبيات بزيادة الواو (يذهبون فيها مذهب الخَزْم) وكان دُرَى رأس المُجِئِر البيت وكان مُكَائِي البيت وكأن السباع البيت. ثم شَتَّع عليهم أنهم تبعوا في ذلك من لا غريزة له في القريض وإلا فأَيَّ فرق يبقى إذا بين النثر والشعر.

(٤) وذكر فيه^(٣) أن لأبي الطيّب اللغوي كتاباً في الإِتباع صغيراً في أيدي البغداديين.

(٥) وذكر ابن الرومي الشاعر والبغداديون يدعون أنه متشيع ويستشهدون على ذلك بقصيدته الجيمية وما أراه إلا على مذهب غيره من الشعراء.

(٦) وفيه^(٤) والبغداديون يحكون أن أبا سعيد السيرافي عمل من كتابه المعروف بالمُفَنِّع أو الإِقْناع إلى باب التصغير ثم تَوَقَّى، وأتمَّ بعده ولده أبو محمد.

(٧) وروي في مقدمة ل^(٥): أنه شاهد بعض المتحققين بالأدب ببغداد يجعل الرويَّ الباء في قول الشاعر^(٦):

يا أيها الراكبان السائران معاً قولاً لِسُنْبِسَ فلتَقْطُفْ قوافيها
قال: وما أحسب هذا ممن قاله إلا وهما لأن الرويَّ الساكن لا يكون بعده وصل. أقول ومستدله فيما ذهب إليه مصطلح الخليل ليس إلا. وخالفه المتأخرون قاطبةً حيث يجعلون الروي في مثله الباء ويوردون مثله في الدواوين في باب الباء لا في الهاء كما فعل في اللزوم. ولم يفهم بعض مستعربة العصر^(٧) مصطلحه في ذلك فحكم

(١) ٩٥.

(٢) ٨٧.

(٣) ١٩٢.

(٤) ١٦١.

(٥) ١٣٧، ومثله في الأدباء ٣: ٨٦.

(٦) ١: ٢٢.

(٧) من شعراء حماسة أبي تمام.

على كثير من شعره في ل في فصل الهاء وغيرها أنه لا يوجد فيه مع أنه موجود في الهاء وغيرها إلا أنه بحث عنه في فصل الياء وغيرها فأخفق.

(٨) قال ابن الوردي^(١) حدث أبو العلاء المعري أن البغداديين حدّثوه بها أنه لما عَبَرَتِ السَّنَةُ (يريد أهلها) بأبي عمر [الزاهد] في الكرخ وهم شيعة بغداد وحوله التكبير والتهليل. قال قائل هذا والله لا كمن دُفنت ليلاً يعني فاطمة عليها السلام فثار أهل الكرخ وقتل بينهم جماعة وطُرح أبو عمر عن النعش وجُرح جراحاً كثيراً.

(٩) وحكى ابن مذهب^(٢) في تاريخه حدّثني الشيخ أبو العلاء المعري أنه سمع عنه (عن الزجاج) ببغداد أنه لما حضرته الوفاة سئل عن سنّه فعقد لهم سبعين وآخر ما سَمِعَ منه: اللهم احشُرني على مذهب أحمد بن حنبل.

وظننا أنه كان يحضر مناظرات الفقهاء ومحاضرات العلماء والأدباء بمحافلهم المشهودة ومجامعهم المحضورة لا سيّما بجامع المنصور، وهو قطب رحي الدهور. ويلاقى نظار أهل الجدل، وعلماء الأديان والملل. فنرى شعره طافحاً في ل بأرباب المقالات، وآرائهم والمنتحلات. فذكر المعتزلة وأئمتهم وآراءهم والمتكلمين وأهل الجبر والقدر والشيعة وأهل السنة والمحدثين والفقهاء والقرامطة والعبيديين وآراء المجوس وديانات الهند وعاداتهم وانظر النظرة. وأكتفي هنا بنقل حكاية في عادة سَتِي عن الغفران^(٣). قال: حدّثني قوم من الفقهاء ما هم في الحكاية بكاذبين ولا في أسباب النحل جاذبين أنهم كانوا في بلاد محمود وكان معه جماعة من الهند قد وثق بصفائهم يُفِيضُ عليهم الأعطية لوفائهم، ويكونون أقرب الجند إليه إذا حلّ وإذا ارتحل وأن رجلاً منهم سافر في جيش جهزه، فجاء خبره أنه هلك بموت أو قتل. فجمعت امرأته لها حطباً كثيراً وأوقدت ناراً عظيمة واقتحمتها والناس ينظرون. وكان ذلك الخبر باطلاً. فلما قدم الزوج أوقد له ناراً جاحمة ليُحرق نفسه حتى يلحق بصاحبته. فاجتمع خلق كثير للنظر إليه. وأن أصحابه من الهند كانوا يجيئون إليه فيؤصّونه بأشياء إلى أمواتهم هذا إلى أبيه وهذا إلى أخيه وجاءه إنسان منهم بوردة وقال: أعط هذه فلاناً يعني ميتاً له. وقذف نفسه في تلك النار. وحدث من شاهد إحراقهم نفوسهم أنهم إذا لدعتهم النار أرادوا الخروج فيدفعهم من حضر إليها بالعصي والخشب فلا إله إلا الله لقد جئتم شيئاً إذًا! هـ. والخبر مما نشاهده كل يوم ليس فيه ذرة من المبالغة. ولعل أخبار الملاحدة^(٤) والزنادقة والمنتبين والمتألّهين من طرائف مكاسبه بها لا من تِلَاد الشام.

(١) هو مرجليوث في حاشية الأدباء ١: ١٩١، ١٩٣ حيث ترك (سطروه) غفلاً إذا لم يجده في ل.

(٢) تاريخ ابن الوردي. (٣) ١٥٣.

(٤) التي نرى منها حياض الغفران مترعة وكأسها دهاقاً.

وَيُرْشِدُنَا بَيْتَانِ مِنْ لَ أَنَّهُ كَانَ يَتَعَرَّفُ بِجَالِيَةِ الْأَقْطَارِ الشَّاسِعَةِ . وَأَنَّ حَلْقَةَ مَعَارِفِهِ
بِهَا كَانَتْ وَاسِعَةً . وَهَمَا :

مَا لِي وَلِلنَّفَرِ الَّذِينَ عَاهَدْتُهُمْ بِالكَرْخِ مِنْ شَاسٍ وَمِنْ إِيلَاقٍ
حَلَقٌ مُجَادِلَةٌ كَشَرَبِ مَهْلَهْلِ^(١) شَرَبُوا عَلَى رَغْمِ بَكَاسٍ حَلَاقٍ

سائر معارفه بها

مَضَى مَعْظَمُهُمْ وَيَأْتِي الْآخَرُونَ فِي زُؤَارِهِ بِالْمَعْرِةِ أَوْ فِي تَلَامُذَتِهِ وَمِمَّنْ لَمْ يُذَكَّرْ
فِي الْمَوْضَعَيْنِ ابْنُ تَمِيمِ الْبَرْقِيِّ ، وَفِي نَسْخَةِ بَانَكِي پُورِ الرَّقِيّ وَلَمْ أَجِدْهَا فِي الْأَنْسَابِ
لِلسَّمْعَانِيِّ وَغَيْرِهِ . هَذَا الرَّجُلُ كَتَبَ إِلَيْهِ أَبْيَاتًا يَشْكُو فِيهَا مَرَضَهُ وَأَنَّهُ لَمْ يَعُدْهُ . فَأَجَابَهُ
بِأَبْيَاتٍ مِنْ س^(٢) وَهِيَ غَايَةُ فِي الظَّرْفِ وَالْمَلَاةِ . تَدُلُّ عَلَى وَلَوْجِهِ بِهَا فِي كُلِّ بَابٍ
وَسَاحَةٍ . وَذَكَرَ فِيهَا أَنَّ شَكْوَاهُ لَيْسَتْ مِنْ عَاهَةٍ أَوْ آفَةٍ . بَلْ هِيَ مِنْ حَدَقِ الْمَرَضِ
الْمُتَرَدِّدَةِ بَيْنَ الْجَسْرِ وَالرُّصَافَةِ :

أُمْعَاتِبِي فِي الْهَجْرِ إِنْ جَارَيْتَنِي طَلَقَ الْجِدَالِ وَجَدْتَ عَيْنَ الظَّالِمِ
خُوشِيَتْ مِنْ شَكْوَى تُعَادُ وَإِنَّمَا شُكَاؤُكَ مِنْ نَظَرٍ بِدَجَلَةٍ عَارِمِ
فَاكْفُفْ جَفُونَكَ عَنْ غَرَائِزِ فَارَسٍ فَالضَّرْبُ يَثْلِمُ فِي غِرَارِ الصَّارِمِ
وَعِيَادَةُ الْمَرْضَى يَرَاهَا ذُو النِّهْيِ فَرَضًا وَلَمْ تُفَرِّضْ عِيَادَةُ هَائِمِ
وَلَا نَعْرِفُ هَلْ كَانَ أَبُو بَكْرٍ الصَّابُونِيُّ وَأَبُو عَمْرٍو الْاِسْتَرَابَازِيُّ - اللَّذَيْنِ كَاتِبَهُمَا فِي
أَمْرِ اسْتِنْسَاخِ شَرْحِ السِّيَرَاثِيِّ - بَعْدُ حَيِّينِ يُرْزَقَانِ ، أَمْ غَالَتْ بِهِمَا أَيْدِي الْحَدِيثِ .

موت النقيب أبي أحمد الموسوي

تُوفِيَ أَبُو أَحْمَدَ وَالِدَ الشَّرِيفِينَ فِي جَمَادَى الْأُولَى سَنَةِ ٤٠٠ هـ فَرْتَاهُ أَبُو الْعَلَاءِ
بِقَافِيَةٍ^(٣) سَاحِرَةٍ وَكَلِمَةٍ سَائِرَةٍ ، أُولَاهَا :

أَوْدَى فَلَيْتَ الْحَادِثَاتِ كَفَافٍ مَالُ الْمُسِيفِ وَعَنْبَرُ الْمُسْتَفِافِ

(١) يريد قوله :

مَا أَرْجَى بِالْعَيْشِ بَعْدَ نَدَامِي كُلُّهُمْ قَدْ سَقُوا بِكَاسٍ حَلَاقٍ .
وإِيلَاقٍ : مَدِينَةُ بِلَادِ الشَّاسِ مُتَّصِلَةٌ بِبِلْدَانِ التُّرْكِ . وَالْبَيْتُ مِنْ كَلِمَةٍ تَمَامُهَا فِي حَرْبِ بَكْرٍ وَتَغْلِبِ عَنْ
مُحَمَّدِ بْنِ إِسْحَاقَ وَغَيْرِهِ ، ص : ١١٤ .

(٢) ٢ : ٩٨ .

(٣) ٢ : ٥٥ ، س .

وهي طويلة قال ابن خلكان^(١) أجاد فيها كل الإجادة . يقول فيها في الشريفين :

أَبْقَيْتَ فِينَا كوكبين سناهما في الصبح والظلماء ليس بخاف
قَدَرَيْنِ^(٢) في الإرءاء بل مطرين في الـ لإجءاء بل قمرين في الإسءاف
ساوَى الرضى المرتضى وتقاسما خِطَطَ العلى بتناصُفٍ وتصافٍ
جَلَفَا نَدَى سَبْقاً وَصَلَّى الأظهر الـ مَرَضَى^(٣) فِيا لِثَلَاثَةِ أَحلافٍ
المُوقِدِي نار القرى الآصال والـ أَسْحَارَ بالأهضام والأشعاف
حمراء ساطعة الذوائب في الدجى ترمي بكل شَرارة كطِراف
وأنا^(٤) الذي أهْدَى أَقْلٌ بَهارة حُسْنًا لأحسن روضة مُئناف
أَوْضَعْتُ في طُرُق التَشَرَّفِ سامياً بكما ولم أسلك طريقَ العافي

قال الزمخشري في الكشف^(٥) في تفسير إنها ترمي بشرر كالفقر الآية بعد أن نقل البتين الموقدي . حمراء . «وكانه قصد بخبئه أن يزيد على تشبيه القرآن ولتَبَجُّجِه بما سُوِّلَ له من توهُم الزيادة جاء في صدر بيته بقوله حمراء توطئة لها ومناداةً عليها وتنبيهاً للسامعين على مكانها . ولقد عَمِيَ - جمع اللُّهُ له عَمِيَ الدارين - عن قوله عز وجل: ﴿كَأَنَّهُ جِمَلَتٌ صُفْرٌ﴾^(٦) فإنه بمنزلة قوله كبيت أحمر وعلى أن في التشبيه بالقصر وهو الحصن تشبيهاً من جهتين من جهة العظم ومن جهة الطول في الهواء وفي التشبيه بالجِمالات وهي القلوس تشبيه من ثلاث جهات من جهة العظم والطول والصفرة . فأبعد الله إغرابه في طِرافه ، وما نَفَخَ شِدْقِيهِ من استطرافه ا هـ .

أقول : وأَيُّمُ اللّهِ إنه جُنَّ جنونَ المُوسوسين ، وهَدَى هذيانَ المُبرُسَمين . أساء سمعاً فأساء جابةً ومن شهل شيئاً عابه . ولم يعمل بما قال الأول المنصف ، لا تَهَرُفَ بما لا تعرف . وقد أحسن الإمام ابن خطيب الرِّيَّ في الرّد عليه في تفسيره ، وأطال

(١) ٢ : ٤ .

(٢) هذه اللفظة طبرة وإن لم يتنبه له أحد كما ذكروا أن المتنبي لما أنصرف من حضرة عضد الدولة ، وكان فيما قال يودعه :

وأيّا شئت يا طرقي فكوني أذاة أو نجاة أو هلاكاً

فكانت الأذاة والهلاك حيث قتل في طريقه تلك .

(٣) كمسعى لا بتشديد الياء على زنة المفعول كما هو في س ، وهو مصدر كالرضى (كإلى) ويستعملان بمعنى المفعول .

(٤) يتضاءل للرضى فإنه أشعر قريش في طوال القصائد وكثرة الشعر .

(٥) الأميرية سنة ١٣١٩ - ٣ : ٢٤٤ .

فراجعهُ . وهذا بلدِيَّة صدر الأفاضل الخوارزمي قال^(١) بعد أن ذكر أن التشبيه في العظم والاستدارة والحمرة وهذا من قوله تعالى ترمي الآيتين . فانظر إلى اتفاقهما في البلدة ، مع التباين في الرفق والشدة ، والتؤدة والجدّة . وصدق أبو الطيّب :

وكم من عائب قولاً صحيحاً وأفثه من الفهم السقيم
وهذا على أن الزمخشري كان مولعاً بالسقط^(٢) فكتب منه نسخة بخطه على ما
راه صدر الأفاضل .

وهذا كله قبل أن ينزل الزوّ - ويتجافى مسافة الدوّ - ويُظلم الجوّ بين المرتضى
وصاحبنا في أمر أبي الطيّب حين لا يُغني ليث ولا لؤ - فقبح الله حصائد الألسنة -
وقلّتات الآوّة - .

هو في مجلس المرتضى أولاً وآخرأ

نقل ياقوت^(٣) وغيره أنه دخل على المرتضى فعثر برجل - فقال من هذا الكلب
فقال المعريّ: الكلب من لا يعرف للكلب سبعين اسماً . وسمعه المرتضى فاستدناه
واختبره ، فوجده عالماً مُشبعاً بالفطنة والذكاء فأقبل عليه إقبالاً كثيراً . وكان أبو العلاء
يتعصب للمتنبي ويزعم أنه أشعر المُحدّثين ، ويفضّله على بشار ومن بعده مثل أبي
نواس وأبي تمام . وكان المرتضى يبغض المتنبي ويتعصب عليه ، فجرى يوماً بحضرته
ذكر المتنبي فتنقصه المرتضى وجعل يتبع عيوبه ، فقال المعري : لو لم يكن للمتنبي من
الشعر إلا قوله :

لك يا منازل في القلوب منازل

لكفاه فضلاً . فغضب المرتضى وأمر بسحب رجله ، وأخرج من مجلسه . وقال
لمن بحضرته : أتدرون أي شيء أراد الأعمى بذكر هذه القصيدة ؟ فإن للمتنبي ما هو

(١) وفي نسخة نسمة السحر ١ : ١١١ بعد نقل قول الزمخشري : ولا أدري من أين له أنه قصد الزيادة
على تشبيه القرآن . فمن المعلوم أن القصر أعظم من الطراف . . . ولكن الزمخشري من فضله كان
حديد المزاج كثيراً ه ونقله عنه صاحب نزهة الجليس ١ : ٢٨٢ .

(٢) الضرام شرح ليت الجياد خرسن يوم حلال .

(٣) الأدباء ١ : ١٦٩ ، والنزهة ٤٢٦ ، البغية : ١٣٦ ، ممرات الأوراق بهامش المستطرف ١ : ١١٣ ،
حياة الحيوان ٢ : ٢٣٠ ، المعاهد ١ : ٤٩ ، ٢ : ١٩٣ ، الصبح المنبي ٢ : ٦١ ، النكت ١٠٣ ،
الخزاة : ١٨٦ ، اليافعي ٣ : ٦٨ .

أجود منها. ف قيل: النقيب السيد أعرف. فقال: أراد قوله في هذه القصيدة:
وإذا أتتكَ مذمتي من ناقص فهي الشهادة لي بأني كامل
ا هـ.

أقول: وهاتان حكايتان وقعتا في أول مدة إقامة صاحبنا وآخرها - ولا بد أن تكون الثانية وقعت بعد وفاة أبي أحمد - وقد أحسن صاحب المعاهد في إفرازهما. وصرح صاحب حياة الحيوان أن القائل له: من هذا الكلب هو ذلك الرجل الذي عثر به لا المرتضى. وهذا التصريح يفيد ما أوهمه ضمير قال عند الآخرين. وقد صدق من عدّ الضمائر من المبهمات.

ومثله ما يروى^(١) عن جُنادة اللغوي كان صاحبنا يعرفه^(٢) أنه حضر مجلس الصاحب بشيراز وهو شعث الزّي، فجلس قريباً منه وكان مشغولاً فلما بصر به قَطَب وقال: قم يا كلب من ههنا، فقال له جُنادة الكلب هو الذي لا يعرف للكلب ثلاثمائة اسم. فمدّ عند ذلك الصاحب يده وقال: قم إلى ههنا فما يجب أن يكون مكانك حيث جلست ورفعه إلى جانبه.

وأما قول المرتضى أتدرون أي شيء الخ فيضاهيه في الفطنة والذكاء^(٣) ما يروى أن سيف الدولة كان يبالغ في مدح المتنبّي، فقال السريّ الرّقاء وكان يحسد منزلته انتخب لي قصيدة له أعارضها - فقال: عارض لنا قصيدته التي أولها:

لَعَيْنَيْكَ مَا يَلْقَى الْفَوَادَ وَمَا لَقِيَ

قال السريّ: فاعتبرتها تلك الليلة فلم أرها من مختاراته - ثم قُطِنَتْ أنه أشار إلى بيت في آخرها:

إذا شاء أن يلهو بلحية أحمق أراه غباري ثم قال له الحق

ا هـ.

وأخطأ أبو المحاسن في زعمه أن الحكاية جرت له مع الرضى كما أخطأ الخفاجي في تخليطه ثلاث حكايات: حكاية مع الربيعي ومع المرتضى وحكاية جُنادة - وقد مرّ -.

وقال بعض أهل العصر^(٤): إن أبا العلاء لم يختار أن يكون متعصباً للمتنبي

(١) البغية: ٢١٣.

(٢) الغفران: ١٧٤، وكان أسامة أستاذ أبي القاسم المغربي.

(٣) الخزائن: ١٨٦، فصاحبنا إذا مصل في هذه الفطنة والسري مجل له، والمعاهد ٢: ١٩٣.

(٤) صاحب (ذ): ١٨٣.

وشديداً على المرتضى كما أن هذا لم يختر أن يكون متعصباً عليه الخ. وكلا شقيته باطل فإن المرتضى حاله في تنقّص المتنبي مما لا يجهره متأدّب قرأ أماليه^(١) وأما تعصّب صاحبنا له فإنه أشهر^(٢) من نار على علم ومن البدر في داجي الظلم. ومرّ لنا حكاية بعض ما يدل عليه وسيأتي بعضه في ذكر ابن قورّجة.

ولم يكن غضب الشريف بهيّن، وإن لم يوجد له ثمّ أثر متبيّن. فإن أسرته كانت تُسامي مُنصب الخلافة^(٣)، وتُناصيها في الوجاهة. وكان أبو أحمد مبعّلاً في الخلافة ودولة بني بُويه. خاطبه بهاء الدولة البُويهيّ بالطاهر الأوحّد، ولّي نقابة الطالبين خمس مرّات، وكان السفير بين الخليفة والبويهيّين والحمدانيّين. والمرتضى كان متكلماً أديباً وله الأماليّ وغيره. على أن صاحبنا كان يَضنّ بعرضه، ولم يكن يسمح أن يبذل ماء وجهه. أو يبقى كلاً على الإخوان مدقّعاً، ومستثقلاً مضيقاً. وهو القائل - ل:

إذا كان إكرامي صديقي واجباً فإكرام نفسي لا محالة أوجب
وانزل بعرضك في أعزّ محلة فالغور ليس بموطن للمُنجد
وجاء في ل بيتان وهما:

وأصحاب الشريف ولا تساو كأصحاب ابن زُرعة وابن سَمَح^(٤)
فأميرهم نال الإمارة بالخنا وتقيهم بصلاته متصيّد
ورواية سرّ العالمين^(٥) المنحول للغزاليّ، ونقيبهُم فإن صحت فهل أراد بهما

(١) مصر ٣: ١٢٨ وغيرها.

(٢) انظر البديعي ١: ٤٧.

(٣) انظر الوفيات ٢: ٢، ومقدمة ابن أبي الحديد.

(٤) هم نصرانيان من أصحاب المنطق، وترجم للأول ابن النديم ص: ٢٦٤.

(٥) طبعة بمبي ٨٥.

وللسيوطي كتاب سماه: التبري من معرة المعري، انتسخت التبري هذا... من نسختين بخزانة بانكي بور: لا تخلوان عن الأغلاط، وهي أرجوزة في نحو أربعين بيتاً. قال خليفة: أرجوزة ذكرها في ديوان الحيوان. وقال: دخل أبو العلاء على الشريف فعثر برجل، فقال: من هذا الكلب فقال الكلب: من لا يعرف للكلب سبعين اسماً، قال: وقد تتبعت اللغة فحصلتها أكثر من ستين اسماً ونظمتها هـ. ومن الكتاب نسخة بخزانة برلين وعددها في فهرس الوارد ٧٠٥٦ أولها:

لله حمد دائم الولي	ثم صلاته على النبي
قد نقل الثقات عن أبي العلاء	لما أتى للمرتضى ودخلا
من ذلك اليفاع ثم الوازع	والكلب والأبقع ثم النازع
والوع والعلوش ثم الوعوع	والشعير الوعواع فيما يسمع

الشریف النقیب أبا القاسم المرتضى؟ لا! بل هو يربأ بنفسه أن يهجو أحداً كما نقل من قوله عبد السلام القزويني المعتزلي ويأتي في الزّوار. فليس مثل هذا إلا من عداد نقده لجملة الطوائف ورجالاتها، وعاداتها وحالاتها.

وروى أبو منصور الطبرسي في كتاب الاحتجاج^(١) والعُهدَة عليه أن أبا العلاء دخل على المرتضى فقال: أيها السيّد، ما قولك في الكلّ؟ فقال السيّد: ما قولك في الجزء؟ فقال: ما قولك في الشّعريّ؟ فقال: ما قولك في التدوير؟ قال: ما قولك في عدم الانتهاء؟ فقال: ما قولك في التحيزّ والناعورة؟ فقال: ما قولك في السبع؟ فقال: ما قولك في الزائد البري على السبع؟ فقال: ما قولك في الأربع؟ فقال: ما قولك في الواحد والاثنين؟ فقال: ما قولك في المؤثر؟ فقال: ما قولك في المؤثرات؟ فقال: ما قولك في التّحسين؟ فقال: ما قولك في السعدين؟ فبهت أبو العلاء فقال: السيّد المرتضى عند ذلك ألا كلّ ملحد ملهد. فقال أبو العلاء: من أين أخذته؟ قال: من كتاب الله عز وجل: ﴿يَبْنِي لَا تَشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ ثم قام وخرج. فقال السيّد قد غاب عنا الرجل وبعد هذا لا يرانا. فسئل السيّد عن شرح هذه الرموز والإشارات فقال: سألتني عن الكلّ وعنده الكل قديم، ويشير بذلك إلى عالم سمّاه العالم الكبير فقال لي: ما قولك فيه أراد أنه قديم فأجبتّه عن ذلك وقلت له: ما قولك في الجزء لأنّ عندهم الجزء، لأنّ عندهم الجزء محدث وهو متولّد عن العالم الكبير، وهذا الجزء عندهم هو العالم الصغير، وكان مرادي بذلك أنه إذا صحّ أن هذا العالم محدث فذلك الذي أشار إليه إن صحّ فهو محدث أيضاً لأنّ هذا من جنسه على زعمه والشّيء الواحد والجنس الواحد لا يكون بعضه قديماً وبعضه محدثاً، فسكت لما سمع ما قلته. وأما الشعريّ أراد أنها ليست من الكواكب السيارة فقلت له: ما قولك في التدوير أردت أن الفلك في التدوير والدوران^(٢) والشعري لا يتقدح في ذلك. وأما عدم الانتهاء أراد بذلك أن العالم لا ينتهي لأنّه قديم فقلت له: قد صحّ عندي التحيزّ والتدوير وكلاهما يدلّان على الانتهاء. وأما السبع أراد بذلك النجوم السيارة التي هي عندهم ذوات الأحكام فقلت له: هذا باطل بالزائد البري الذي يحكم فيه بحكم لا يكون ذلك الحكم منوطاً بهذه النجوم السيارة التي هي الزّهرة والمشتري والمريخ

= هذا الذي من كتب جمعته وما بدا من بعد ذا ألحقته
والحمد لله هنا تمام ثم على نبيه السلام

ونسخة أخرى بخزانة بانكي پور في الهند وأخرى بحيدر آباد.

(١) طبعة إيران سنة ١٣٠٢ هـ ص: ٢٥٥. ونقله صاحب روضات الجنات ص: ٩٤.

(٢) وفي نسخة بالشعري وأما عدم الخ.

وعطارد والشمس والقمر وزُحَل. وأما الأربع أراد بها الطبائع فقلت له: ما قولك في الطبيعة الواحدة النارية يتولّد منها دابةٌ بجلدها تمسّ الأيدي ثم يطرح ذلك الجلد على النار فتحرق الزهومات فيبقى الجلد صحيحاً؛ لأن الدابة خلقها الله على طبيعة النار والنار لا تحرق النار والثلج أيضاً تتولّد فيه الديدان، وهو على طبيعة واحدة والماء في البحر على طبيعتين يتولّد منه السموك والضفادع والحيات والسلاحف وغيرها وعنده لا يحصل الحيوان إلا بالأربع فهذا مناقض بهذا. وأما المؤثر أراد به الزُحَل فقلت له: ما قولك في المؤثرات أردت بذلك أن المؤثرات كلهن عنده مؤثرات، فالمؤثر القديم كيف يكون مؤثراً، وأما اللّحسان أراد بهما أنهما من النجوم السيارة إذا اجتماعا يخرج من بينهما سعد، فقلت له: ما قولك في السعدين إذا اجتماعا خرج من بينهما نحس؟ هذا حكم أبطله الله تعالى ليعلم الناظر أن الأحكام لا تتعلق بالمسخرات لأن الشاهد يشهد أن العسل والسكّر إذا اجتماعا لا يحصل منهما الحنظل والعلقم، والحنظل والعلقم، إذا اجتماعا لا يحصل منهما الدبس والسكّر. هذا دليل على بطلان قولهم وأما قولي: ألا كل ملحد ملهد أردت أن كل مشرك ظالم لأن في اللغة ألحد الرجل إذا عدل عن الدين وألهد إذا ظلم - فعلم أبو العلاء ذلك وأخبرني عن علمه بذلك فقرأت: ﴿يَبْقَى لَا تَشْرِكُ بِاللَّهِ﴾ الآية ١ هـ. على طوله وهذه المحاجة بمذاهب القوم أشبه منها بمذهب أبي العلاء وإنما ذكرتها استطرافاً حتى لا يخلو كتابي هذا عن كل ما يجذب إليه.

شعره بها في الحنين إلى الشام

هو قبل أن يجري بينه وبين المرتضى ما جرى لم يكن ينوي أن يفارق بغداد كما مرّ لنا إثباته إلا أنه لم يكن نسي وطنه بالمرّة فما قال متشوقاً إليه^(١):

فيا دارها.. البيت	وَعَنَيْتَ لَنَا.. البيت
فقلت: تَعَنَيْتُ كيف شئتَ فإنما	غِناؤك عندي يا حمامة إعوالم
تمنيت أن الخمر حلّت لنشوة	تجهلني كيف أطمأنت بي الحال
فأذهل أني بالعراق على شفا	رَذِي ^(٢) الأماني لا أنيس ولا مال
مُقِلّ من الأهلين يُسرّ وأُسرة	كَفَى حَزْناً بَيْنَ مُشْتٍ وإِقلال
متى سألت بغداد عني وأهلها	فإنني عن أرض العواصم سأل

(١) س ٢: ٥١.

(٢) في الأصل بالزاي المعجمة وهو تصحيف.

إذا جنّ ليلي جنّ لبّي وزائد خُفوقُ فؤادي كلما خَفَقَ الآلُ
وماء بلادي كان أنجعَ مشرباً ولو أن ماء الكرخ صهباءَ جِزيالٍ
فيا وطني إن فاتني بك سابق من الدهر فليَنعَمْ لساكنك البال
فإن أستطع في الحشر آتكَ زائراً وهيهات لي يوم القيامة أشغالُ
وكم ماجد في سيف دجلة لم أَشِمْ له بارقاً والمرء كالْمزن هَطالُ
سيطلبني رزقي الذي لو طلبته لما زادَ والدنيا حظوظ وإقبال
وأرى أنه أنشأ في نحو هذه المدة أشعاره في النسيب التي أعجبت ياقوت^(١)
والباخرزي وهي تَشِفّ عن نَوَاه، وتجذب إلى هواه.

أسالت^(٢) أتّي الدمع فوق أسيل ومالت لظلّ بالعراق ظليل
أيا جارة البيت الممنع جاره غدوت^(٣) ومَن لي عندكم بمَقيل
لغيري زكاة من جمال فإن يكن زكاة جَمال فاذكري ابنَ سبيل
ثم لما وافى شهر الله رجب الفرد الأصمّ سنة ٤٠٠هـ وحان ما كان الله حَمّ نراه
أعرض عن التجمّع واعتاض التصريح عن التغمغم.

طربن^(٤) لضوء البارق المتعالي ببغداد وَهناً ما لهنّ وما لي
تمنّت قويقاً والصراة حيالها تُراب لها من أيُنق وجمال
إذا لاح إِماضٌ سترتْ وُجُوهاها كأني عمرو والمطي^(٥) سَعَالٍ
وكم همّ نِضُو أن يطير مع الصبا إلى الشام لولا حَبْسُه بعقال
فيا برق - فهل فيك - البيتين:

دعا رجبٌ جيشَ الغرام فأقبلتْ رِعال تروُد الهمّ بعد رِعال
ولاح هلال مثل نون أجادها بجاري الثُضار الكاتبُ ابن هلال
أإخواننا بين الفرات وجِلَقِ يَدَ الدهر لا خَبَرْتُكم بمُحال
أُتَبُّكُم أني على العهد سالم ووجهي لَمّا يُبْتَذَلُ بُسْؤال

(١) أدباء ١: ١٧٤، والدمية (خط كلكتة) ورق: ٦.

(٢) س: ٢: ١٤.

(٣) ابتكرت إليكم وزركم على العبد.

(٤) ٢: ٣٨ س.

(٥) زعموا أن عمرو بن يربوع تزوج جنية فقيل: استرها من البرق وإلا تفرك فغفل يوماً ففرت، وقالت: أمسك بنيك عمرو أني آبق برق على أرض السعالي ألق التنوير ٢: ٣٩ ابن أبي الحديد ٤: ٤٤٤، أدباء ٥: ٤٥٠.

وَأَنِّي تَيَمَّمْتُ الْعِرَاقَ لَغَيْرِ مَا تَيَمَّمَهُ عَيْلَانُ عِنْدَ بِلَالٍ
فَأَصْبَحْتُ مُحْسُوداً بِفَضْلِي وَحَدَهُ عَلَى بُعْدِ أَنْصَارِي وَقِلَّةِ مَالِي
نَدِمْتُ عَلَى أَرْضِ الْعَوَاصِمِ بَعْدَمَا غَدَوْتُ بِهَا فِي السَّوْمِ غَيْرَ مَغَالٍ
وَمِنْ دُونِهَا يَوْمَ مِنَ الشَّمْسِ عَاطِلٍ وَلَيْلٍ بِأَطْرَافِ الْأَسْتَةِ حَالٍ
أَرْوَحُ فَلَا أَخْشَى الْمَنَايَا وَأَتَّقِي تَدَثُّسَ عِرْضٍ أَوْ ذَمِيمَ فِعَالٍ
وقد أطلنا في سَرْدِ الْأَيَّاتِ وَإِنِهَا النَّمِيرُ غَيْرُ الْمُحَلَّلِ، وَالرَّحِيقُ الْمُسْلَسِلِ. صَارَتْ
لَنَا عُقْلَةُ الْمُسْتَوْفَزِ، فَعُدْرُنَا وَاضِحٌ إِنْ لَمْ تُوجَزْ. وَإِنِّي لَتَذَكِّرُنِي الْأَرِيحِيَّةَ الْأَدْبِيَّةَ حِينَ مَا
يَمُرُّ بِي قَوْلُهُ: «دَعَا رَجَبٌ» الْبَيْتَ مَا كُنْتُ قَرَأْتُهُ فِي الدَّهْرِ الْأَوَّلِ فِي أَشْعَارِ الْهَذَلِيِّينَ^(١)
مِنْ شَعْرِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مُسْلَمٍ:

يَا لِلرِّجَالِ لِيَوْمِ الْأَرْبَعَاءِ أَمَا يَنْفَكَ يُحَدِّثُ لِي بَعْدَ التُّهَى طَرَبَا
إِذْ لَا يَزَالُ غَزَالٌ فِيهِ يَفْتِنُنِي يَأْوِي إِلَى مَسْجِدِ الْأَحْزَابِ مُنْتَقِبَا
يَخْبِرُ النَّاسَ أَنَّ الْأَجْرَ هَمَّتْهُ وَمَا أَتَى طَالِباً لِلْأَجْرِ مُحْتَسِبَا
لَكِنَّهُ شَاقُّهُ أَنَّ قِيلَ ذَا رَجَبٍ يَا لَيْتَ عِدَّةَ حَوْلٍ كُلِّهِ رَجَبَا
يُقَالُ شَهْرٌ عَظِيمٌ الْقَدَرِ فِي سَنَةٍ يَهْوِي لَهَا كُلُّ مَكْرُوبٍ إِذَا كَرَبَا
وَالْأَبْيَاتُ ظَاهِرَةٌ فِي أَنَّهَا قِيلَتْ بَعْدَ تِلْكَ الْوَاقِعَةِ الْمَشْهُومَةِ فِي مَجْلِسِ الْمَرْتَضَى.

أَبُو عَلِيٍّ ابْنِ فُورَجَّةَ الْبَرْوُجَرْدِيِّ

وَبَيْنَمَا كَانَ مُتَرَدِّداً فِي الْإِقَامَةِ وَالرَّحْلَةِ إِذْ أَتَاهُ خَبَرُ مَرَضِ أُمِّهِ فَأَخَذَ يُوَدِّعُ بَغْدَادَ
بِقَصِيدَةٍ مَطْلَعُهَا^(٢) وَهُوَ آيَةٌ فِي بَرَاةِ الْاسْتِهْلَالِ:

نَبِيٌّ مِنَ الْغَرْبَانِ لَيْسَ عَلَى شَرْعٍ يَخْبِرُنَا أَنَّ الشُّعُوبَ إِلَى صَدْعٍ
وَجَاءَهُ ابْنُ فُورَجَّةَ وَهُوَ تَلْمِيزُهُ بِقَصِيدَةٍ بَدِيعَةٍ لَمْ يَصِلْ إِلَيْنَا مِنْهَا إِلَّا
أَوَّلُهَا^(٣):

أَلَا قَامَتْ تَجَاذِبُنِي عِنَانِي وَتَسَالُنِي بَعَرَصَتُهَا مَقِيلَا
وَيَكْفِيكَ مِنَ الْقَلَادَةِ مَا أَحَاطَ بِالْعُنُقِ فَالْبَيْتُ يَدُلُّ عَلَى صِدَاقَتِهِ وَخُلُوصِهِ وَعَلَى أَنَّهُ
حَزَنٌ لِفِرَاقِهِ وَاسْتَوْحَشَ لِفَقْدِ أَنْسِهِ. وَقَدْ أَحْسَنَ غَايَةَ الْإِحْسَانِ وَبَالِغَ فِي الْكُنَايَةِ لِرَجُلٍ قَدْ

(١) الجزء الثاني.

(٢) س، ٢: ٦٨.

(٣) س، ٢: ٨٠.

أجمع على الرحيل . ولم يمتنع بنهي ناه ولا عَذْل ناصح عَذول . وهذا يدل على لطافة فكرته وذكاء فطنته . فأهداه صاحبنا أخرى مثلها ، وكان أحق بها وأهلها . تنظر إلى معناه ، وتجذب إلى مَرَمَاه . أولها :

كفى بشُحوب أوجُهنا دليلاً على إزماعنا عنك الرحيل
ومنها :

وشارَفْنَا فِرَاقَ أَبِي عَلِيٍّ فَكَانَ أَعَزَّ دَاهِيَةً نُزُولاً
ولو لم ألقَ غيرك في اغترابي لكان لقَاؤُكَ الحِظَّ الجَزِيلَا
وهي التي أظهر فيها أنه قد بَتَّ عَزيمَتَه على العُزلة ، وأن هذه الحياة نكداء مشؤومة على ما سيأتي .

وهو محمد بن حَمْد (كَفَلَس) بن محمد بن عبد الله بن محمود بن فُورجَة^(١) صاحب رَدِّين على ابن جَنِّي في تفسير شعر المتنبي : أحدهما الفتح على أبي الفتح ، والآخر التجنِّي على ابن جَنِّي تتبع فيهما أوهامه وسَقَطَاتِه . لقي صاحبنا ببغداد وهو شاب^(٢) ، وكان مقيماً بها^(٣) إلى رحلته وقرأ عليه شيئاً^(٤) . والظاهر كما تقدم أن المقروء شعر السقط وديوان المتنبي . ونقل الرجل عنه فوائد أدبية لا أرى بأساً بإيراد بعضها .

قال أبو الفتح في قول أبي الطيب^(٥) :

قد شَرَفَ الله أرضاً أنت ساكنها وشَرَفَ الناسَ إذ سَوَّكَ إنسانا

(١) ضبطه صاحب الفوات ابن فورجة بضم فسكون فراء مفتوحة فجيم مشددة كما في نسخة التتمة المكتوبة في أول المائة السابعة مشكولاً وفي نسخة إنشاء الرواة بخط القفطي مؤلفه ، وصاحب البغية خالفهم فشدد الراء نقل الأول عن ياقوت : أنه توفي بنهاوند سنة ٣٨٠هـ وهذا غلط . ونقل الثاني عن المجد في البلغة : أنه ولد سنة ٣٣٠هـ وهو أيضاً غلط ، فإنه لقي صاحبنا شاباً ببغداد ويلزم على هذا أن يكون عمره ٧٠ سنة . وعجب منه أنه نقل عن الثعالبي أنه كان موجوداً سنة ٤٤٥هـ فيجب على قوليه أن يكون بلغ من العمر أكثر من ١٢٠ سنة . على أن نقله هذا عن الثعالبي غلط ، فإنه توفي سنة ٤٢٩هـ وأعجب منه أن يرجح أن اسمه حمد ولعله اتباعاً للباخرزي في الدمية وهذا أيضاً غلط فإن صاحبنا دعاه في س ابن حمد كالقفطي وفي كشف الظنون «ديوان المتنبي» : أنه كان حياً سنة ٤٣٧هـ وفورجة أظنه مصغراً والأصل فورجة بمعنى الطفل الصغير .

(٢) لقيه في عنفوان شبابه ، س ، ٢ : ٨٦ .

(٣) س ، ٢ : ٨٣ .

(٤) البغية : ١٣٦ .

(٥) العكبري ٢ : ٤٣٠ ، الواحدي ، بمبني : ١٢٤ .

لو قال موضع سَوَاكَ أنشأكَ لكان جميلاً. قال ابن فُورَجَّة نهاية ما يقدر عليه الفصيح أن يأتي بألفاظ القرآن وألفاظ الرسول ﷺ وألفاظ الصحابة. وعند أبي الفتح أنه يقدر على تبديل ألفاظ هذا الشعر بما هو خير منه، قال: وقرأت على أبي العلاء المعري ومنزلته في الشعر ما قد علمه من كان ذا أدب، فقلت له يوماً في كلمة ما ضَرَّ أبا الطيب لو كان قال مكان هذه الكلمة كلمة أخرى أوردتها فأبان لي عَوَار الكلمة التي ظننتها. ثم قال: لا تظن أنك تقدر على إبدال كلمة واحدة من شعره بما هو خير منها فجرب إن كنت مرتاباً. وها أنا (بدون ذا^(١)) أجرب هذا العهد فلم أقدر وليجرب من لم يصدق يجد الأمر كما قلتُ هـ. فأنت ترى تعظيمه لشيخه وضربه إياه في الأدب مثلاً، وأنا أقول كما قال: إن منزلة أبي الفتح في اللغة أيضاً ليست مما ينكر ولكن فوق كل ذي علم عليم. وورد مثل معنى الحكاية في ر^(٢) إلى النكتي ولفظه: «قد علم أن أحمد بن الحسين كان شديد التفقد لما ينطق به من الكلام. يُغَيِّر الكلمة بعد أن تُروى عنه^(٣) ويفر من الضرورة وإن جذبه إليه الوزن وقد خرم في موضعين (ثم ذكرهما)». وروى عنه حكاية أخرى^(٤) في تعفف المتنبي وطهارة ذيله ونقاء جيبه من الخنا. وروى عنه أشياء أخرى^(٥) وأكثر من نقل شعر السقط وهذا يؤيد ما تقدّم من قراءته إياه عليه ببغداد، والله أعلم.

وله ترجمة في الدمية وإنباء الرواة والتتمة^(٦) وفي الفوات والبغية مع أوهام كثيرة. قال الباخري وشعره فرخ شعر الأعمى، أعني شاعر معرة النعمان وإن كان هذا منتزهاً في معرة العميان. هذا وقد لهج الباخري بكلمة شيخه البخّائي.

مادحوه ومراسلوه شعراً

ولما كان ابن فُورَجَّة ختام من أجابه أبو العلاء نظماً رأينا إلحاق هذا الفصل به - فإنه بعد الرجوع أعرض عن تقارض الثناء وكاذبات المدائح^(٧)، ل:

(١) ولا يجيز مثله النحويون وما أكثر من وقع في هذا الخطأ، وانظر تاج العروس ١: ٣٧ وغيرها. ومثله في س، فها أنا لا أخوان ولا أخان.

(٢) ص: ٦٨

(٣) وانظر رسالتنا «ابن رشيق» المطبوعة في السلفية بمصر ص: ٥٦.

(٤) البديعي ١: ٧٨.

(٥) الواحدي ٢٥ و٢٣٢ وغيرهما.

(٦) ورق: ٥٣٧، باريس - ٢: ١٩٨ - ٣٩.

(٧) قال، ل:

وصفتُك فابتهجتَ وقلتَ خيراً لتجزيني فأدركني ابتهاجي
إذا كان التقارض من مُحال فأحسن من تمادحنا التهاجي
وأزهد في مدح الفتى عند صدقه فكيف قبولي كاذبات المدائح
واعتذر إلى النكتي، وكان كاتبه نظماً ونثراً بقوله: «إنما أجبته بنثر دون منظوم
لأنني منذ سنّوات أعرضتُ عن تلك الهنّوات».

(١) كان بعض الشعراء مدحه وخطبه وذه فأجابه بر ال ٢٣.

(٢) بعض الأعيان كان أنفذ إليه قصيدة له رائية. فشكره بر ال ٤١.

(٣) أبو الحسن محمد بن سعيد بن سنان الذي تقدم إليه برغبة عزيز الدولة
الرومي في اختصار كليله ودمنة برقعة منظومة خاطبة فيها بالأجل بعد أعوام من الرجوع
فأجابه بر ال ٣٦، واعتذر بحدوث مرض أنهك قواه وعاقه عن قبول الخدمة. ويأتي
لابن سنان ذكر فيما بعد.

(٤) النكتي خاطبه بالنثر والنظم بعد فترة على عهد الاجتماع طويلة وكان شعره
من الطويل والكمال والوافر. فأثنى على نظمه وبسط في خلوه من جملة العيوب وقد
فصلها. وهذا الرجل إذ ذاك كان شيخاً هماً وكان صديقاً لبعض أصحاب ابن خالويه
ممن سمع منه أبو العلاء. إلا أن صاحبنا يجري معه في قرن، كأنه لِدَّة له أو قرن ذو
شجن. والرسالة تحتوي من مسائل العروض والقافية عيوناً، ومن أفانين الشعر أفنوناً
فأفنوناً. وهي أحكم رسالة فيما أعلم، وأطولها وحاشاها من إیراث السأم.

(٥) الوزير أبو القاسم المغربي الماز. كاتبه بقصيدتين ميمية ووافية فأجابه برسالة
المنيح وأثنى على نظمه ثناء باهظاً.

(٦) الشريف أبو إبراهيم محمد بن إسحاق العلوي المذكور وأخوه موسى أجاب
عن قصائد لهما وانظر س^(١).

رأينا في نسخة بانكي پور في عنوان «الحائية». وقال: يجيب الشريف أبا إبراهيم
العلوي محمد بن أحمد بن محمد بن الحسين بن إسحاق بن جعفر الصادق عن
قصيدة أولها: بعاذك أسهر الجفن القريحا». فتبين أن ليس لأبي إبراهيم أخ يكون يدعى
موسى بل هو تصحيف محمد والعصمة لله وحده.

= وما شعراؤكم إلا ذئاب
أقارضكم ثناء غير حق
أذهب فيكم أيام شيبى
معاذ الله قد ودعت جهلى
تلصص في المدائح والسباب
كانا منه في مجرى سباب
كما أذهبت أيام الشباب
فحسبى من تميم والرباب

- (٧) أبو القاسم علي بن الحسن بن علي بن جَلَبَات ومَرَّ مدحه بقصيدة فأجابه بميمية. س^(١). «معجزات... اعتباراً» هي في جواب ابن جَلَبَات أيضاً.
- (٨) المفضل مدحه بقصيدة فأجابه بأخرى على زنتها ورويها. س^(٢).
- (٩) أبو الخطاب القصير العراقي مدحه بقصيدة وأثبتها في نسخة دفعها إلى أبي العلاء. س^(٣) فأجابه ببائية.
- (١٠) بعض الشعراء مدحه بقصيدة فأجابه برائية. س^(٤).
- (١١) كتب بعض الناس إليه بشعر نعت فيه الخمر وأهدى إليه شيئاً. فأجابه بقطعة ميمية س^(٥).
- (١٢) القاضي أبو الطيب الطبري كتب إليه حين وافى بغداد ما قد ذكرناه مع جوابه في الفائق.
- (١٣) عاتبه ابن تميم البرقي ببغداد بأبيات وكان مريضاً فلم يعده فأجابه بميمية^(٦) ومَرَّ أمرها.
- (١٤) أبو علي ابن فُورَجَة ومَرَّ أنفأ.
- ولعل كثيرين كانوا يكتبونه نظماً ممن أجابهم نظماً ثم نشرأ ولكن لم يصلنا أخبارهم. فمنهم الواجكا والتنوخي الصغير وأبو منصور الخازن^(٧) محمد بن علي والقاضي أبو الطيب الطبري وغيرهم.

احتفال البغادة لوداعه وتحفيهم به

مرَّ بعضه فيما مضى وهاك ما بقي. كتب^(٨) بعد الرجوع إلى خاله أبي القاسم ورعاية الله شاملة لمن عرفته ببغداد. فلقد أفردوني بحسن المعاملة وأثنوا عليّ في الغيبة. وأكرموني دون النظراء والطبقة. ولما أنسوا تشميري للرحيل وأحسوا بتأهبي للظعن أظهروا كسوف بال، وقالوا من جميل كلّ مقال. وتلفّعوا من الأسف ببرد قشيب

(١) ٩٩ : ١

(٢) ١٤٢ : ١

(٣) ١٥٣ : ١ وهو الجبلي المار ويأتي في الزوار.

(٤) ١٧٢ : ١

(٥) ٣٦ : ٢

(٦) ٩٨ : ٢

(٧) ورد في ر صاحبنا إليه ذكر قصيدة لزومية كان أنفذها إليه.

(٨) ص : ٣١.

وذرفت عيون أشياخ شيب. فلا إله إلا الله أي نابتة ليست لها راعية. وأمروني لرغبتهم في صَّقبي منهم بأمر تنهى عنها القناعة، والله يحسن جزاءهم إن كان ما فعلوه جِفاظاً فهو مئة عظيمة وإن كان نفاقاً فهو عشرة جميلة. وانصرفت وماء وجهي في سقاء غير سرب الخ. وكنت إذا أخبرْتُ رجلاً بمسيري بانت فيه كآبة وبدت عليه كبوة. فكتمت ذلك عنهم كتمان المرأة صرَّتْها بالغيث، ما في جسدها من سوء وعيب. فلما علق حرباء البين تنضبتَه. ووقف صرَد الفراق موقفه كنت وإياهم كأبي قابوس^(١) وبني رواحة قال لهم خيراً وأثنى عليهم وودَّعهم وداع أن لا تلاقي ١هـ. ومن أخرى^(٢) إلى أهل المعرة ويحسن [الله] جزاء البغداديين فلقد وصفوني بما لا أستحق، وشهدوا لي بالفضيلة على غير علم وعرضوا عليّ أموالهم عرض الجَد. فصادفوني غير جدل بالصفات ولا هَش إلى معروف الأقسام ورحلتُ وهم لرحيلي كارهون.

فتراه إذا قد حَظي بها بما لم يحظَ به أمثاله. وهم كثيرون ممن خاب رجاؤه وأخفق آماله. فذمَّ بغداد وأهلها. ولم يستثن شيخها ولا كهلهما. وهذا القاضي عبد الوهاب نبث به بغداد كما ذكر ابن بسام^(٣) كعادة البلاد بدوي فضلها، وعلى حكم الأيام بمُحسني أهلها - فخلع أهلها وودَّع ماءها وظلَّها وحَدَّث أنه شيعه يوم فصل عنها من أكابرها وأصحاب محابرها جملة موفورة وطوائف كثيرة وأنه قال لهم: لو وجدت بين ظهرائيكم رغيفين كلَّ غداة وعشية وعند ياقوت كلَّ يوم مدّاً من الباقلي ما عدلتُ عن بلدكم لبلوغ أمنيّة وفي ذلك يقول:

سلام على بغداد من كل منزل وحقُّ لها مني سلام مضاعف
فوالله ما فارقْتُها على قلى لها وأتي بشطّي جانبَيْها لعارف
ولكنها ضاقت عليّ برُحبها ولم تكن الأرزاق فيها تساعف
وكانت كخلِّ كنتُ أهوى دُؤوه وأخلاقه تنأى به وتخالِفُ

ولما وصل إلى مصر لقي من الإكرام ما لا مزيد عليه ١هـ. وهذا مثل ما جرى على النضر بن شَمِيل^(٤) لما فارق البصرة إلى خراسان. وكل هذا يدل على كثرة العلم

(١) راجع القصة في الأغاني الثانية ٢: ٢٩.

(٢) ص: ٣٤.

(٣) الوفيات ١: ٣٠٤، والحكاية في البلدان أيضاً رسم بغداد، والغيث ١: ٦٨، والشعر الفوات ٢:

٢١ وغلط مرجليوث في زعمه أنه رحل من مصر إلى بغداد ص: ٣٤.

(٤) وانظره في الغيث ١: ٦٩. والقاضي عبد الوهاب أيضاً:

بغداد دار لأهل المال طيبة وللمفالييس دار الضنك والضييق
أفمت فيها مضاعاً بين ساكنها كأنني مصحف في كف زنديق

بالمدينة كثرة أضاعت لحاملها خطراً وقيمة كما قال في ر له ^(١) إلى خاله أبي القاسم: «والعلم ببغداد أكثر من الحصا عند جمرة العقبة . . . ولكن على كل خير مانع» ا هـ - وكان حال بعض علمائها كما قال أبو الطيب الطبري ^(٢):

قوم إذا غسلوا ثياب جمالهم لبسوا البيوت إلى فراغ الغاسل
يعني أن أحدهم حينما يريد أن يغسل ثيابه الوسخة يستعير من صاحبه ثيابه إلى أن يفرغ ذاك ويقعد هذا في البيت غريباً - يعني أن كلاهما لا يملك فضل ثوب.

نيتة على العزلة وهو بها

تقدم لنا أنه لم يكن وردها ليرحل عنها، وكان مزماً على أن يقيم بها إلى أن يوافيه يومه. ولكن لما رأى من تقطيب الرؤساء، والأعيان، وتنافسهم في جلب النار إلى أقراسهم والافتتان. وأن الدنيا كما هي، مفطورة على الشرور والدواهي. وأن لذاث الحياة وרגائبها، والمشتهيات ومطايبها. من تقدير العزيز العليم. لا مدخل للجهد والكذب في زيادة حبة على ما منح الرازق الحكيم كما قال الأول:

وليس الغنى والفقر من حيلة الفتى ولكن أحاط قُسمت وجُدود
وكما قال هو عند الوداع:

سيطلبني رزقي الذي لو طلبته لما زاد والدنيا حُظوظ وإقبال
إذا صدق الجَد افتري العم للفتى مكارم لا تُكْري وإن كذب الخال
ولم يكن يرغب في صلات أجواد الممدحين. فلم يذُل ماء وجهه وهو الخطير الثمين. لهذا الغرض المهيّن. ورأى ميسوره معسوراً، فحبس شخصه في المغارة مأسوراً. حتى لا يُلام إن فرط منه تقصير في حقوق الأصدقاء الكرام. ويُعذّر ولا يقصّر. ومن أفرغ المجهود فقد أعذّر. وأن يأمن آفات المعاشرة من الكذب والتخرض والغُلّ والنميمة والحسد كما قال. ل:

تغيّبت في منزلي برهة ستير العيون فقيّد الحسد
على أنه لم يجد هناك لسلعته متفقاً ولبضاعته مشترياً يعظم له قدره. ويفكه من إसार الزمان فيحلو لي له مرّه. فعزم على ما عزم عليه. وجزم بما به جزم. لا كمن قال قد أحزّم لو أعزّم. ولا تُبعد إن قلنا إن موت والدته الرؤوم نَعَصَ عليه هذا العيش المشؤوم. وأما كلامه في المعنى فهأكه: «وأنا» ^(٣) وحشي الغريزة أنسي الولادة». وكتب

(٢) الوفيات ١: ٢٣٤.

(١) ص: ٣٠.

(٣) ر، ص: ٢٩.

في ر^(١) إلى خاله أبي القاسم: «ولما فاتني المُقام بحيث اخترتُ أجمعت على انفراد يجعلني كالطبي في الكناس. ويقطع ما بيني وبين الناس إلا من وصلني الله به وصل الذراع باليد. والليلة بالغد» وبادر^(٢) أهل المعزة بنيتة هذه إعلاماً. مخافة أن يزوره أحد فيؤليه ملاماً. وقال فيه: «وأحلف ما سافرت أستكثر من النشب ولا أتكثر بلقاء الرجال، فشاهدت أنفوس مكان لم يُسَعَف الزمن بإقامتي فيه». وكتب إلى بعض العلوية^(٣) وكان زاره في منزله القديم فلم يجده هناك «وقد كنت عرفتة بالعراق ما عزمت عليه من انفراد يحجزُ عن المراد. ووجدتُ الوالدة رحمها الله قد سبق بها القدر إلى المدر فأتت النية بالمنية. فانطويت على يأس ومجانبة للناس» وله كثير من الشعر في اللزوم في غرض العزلة والوحدة. وأن بني آدم مفطورون على الشرور والأسواء، وأن الظلمة متقدمة على النور والكدر على الصفاء، وأن العالم كله نجس. وتدرج من هذا إلى زعمه أن الوالد مصدر الجناية مذهب مَزْدَك وأشياعه. وكاد من غلوّه في النفرة من نوع الإنسان. أن يُنسب إلى الفئد والهديان. ونمى سوء ظنه بالناس أن لم يستثن أحداً من الأخيار والأكياس وانظر كله في النظرة. وقال ابن حجر^(٤) وكان لا يحمد أحداً. وهذا بعض شعره في العزلة:

وفي وحدة الإنسان أصناف لذة	وكل صنوف الوحش يجمعها القفر
حورفتُ في كل مطلوب هممتُ به	حتى زهدتُ فما خليتُ والزهدُ
لا توحش الوحدة أصحابها	إن سُهيلاً وحده فارد
إذا حضرتُ عندي الجماعةُ أوحشت	فما وحدتي إلا صحيفةً إناسي
إن صحَّ عقلك فالتفرد نعمة	ونوى الأوانس غايةُ الإيناس
إذا انفرد الفتى أمنت عليه	دنيا ليس يؤمنها الخِلاط
فلا كذب يقال ولا تميم	ولا غلط يخاف ولا غِلاط
تمنيتُ أني بين روض ومنهل	مع الوحش لا مصراً أحل ولا كفراً
في الوحدة الراحة العظمى فأخ بها	قلباً وفي الكون بين الناس أثقال
إن الطبائع لما ألقت جلبت	شراً تولد فيه القيل والقال

(١) ر، ص: ٢٣.

(٢) ر، ص: ٣٤.

(٣) ر، ص: ٣٥.

(٤) اللسان ١: ٢٠٤.

حتى إذا مالكَ الأشياء فرَّقها
هَويْتُ انفرادي كما يخف
وما زال نَعْمَا الرأي لي أن منزلي
أراك إذا انفردتْ كفيت شراً
خبرتُ البرايا والتصعلك والغنى
فأطيبُ أرض الله ما قلَّ أهله
يعاني مقيم بالعراق وفارس
إلزم ذِراك وإن لقيت خصاصةً
لم تدر ناقةً صالح لما غدت
أما العراق فعَمَّت أرضه فتن
والشَّام أصلح إلا أن هامته
وهذه المقاطيع الثلاث تَجْذِب إلى أنه وطن نفسه على المكاره والأحداث إلى أن
يوافيه جِمامه فيدلى في الأجداث . وسُئِلَ به عما قريب .

ولكن أوَّل ما وجد من شعره في العزلة ما أجاب به ابن فورجة كما قدَّمنا:
تأملنا الزمان فما وجدنا
ذو الدنيا إذا لم تحظ منها
وأصبح واحد الرجلين إمَّا
ولو جزت النَّبَاهة في طريق الـ
إلى طيب الحياة به سبيلا
وكن فيها كثيراً أو قليلا
مليكاً في المعاشر أو أبيلا
خُمُول إليَّ لاخترت الخُمولا

سبب رجوعه ورجوعه وطريقه

إذا كنت ذا لبٍّ مكين فلا تقس بحمصك والميماس دجلة والكَرْخا
مرَّ خبره في مجلس المرتضى أنه لقي فيه غضاضةً ومَضْضاً . ورأى ببغداد مظاهر
العزِّ والوجاهة والخفض والراحة ، وأن ليس بيده منها غيرُ الأسف وإسفار الراحة . على
أنه مع ما فيه من تجرُّع غُصص هذه الحياة النكداء ببلدة خِلْوٍ من الأسرة والأوداء . هاج
له من أهل عصره نيرانُ الحسد ، ولَدَّعت جمرتها روحه والجسد . س (١):

فأصبحت محسوداً بفضلِي وحده على بُعد أنصاري وقلة مالي

وكان الرجل من صباه ممنوناً بالخُساد ومكايدهم، ومرتبكاً في أشراك الأعداء ومصايدهم - على ما نعقد له فصلاً - وبينما هو في هم وبلبال، وشُغل بالٍ إذ ورده خبر مرض أمه. وأنه قد أشرف على الضياع ما كان من أهل ثَمه ورَمه. كما قال س^(١):

أثارني عنكم أَمْران والدَّةُ لم ألقَها وثرء عاد مسفوتا
أحياهما اللُّهُ عَصَرَ البين ثم قَضَى قبلَ الإياب إلى الدُّخْرين أن موتا
لولا رجاء لِقائِها لما تَبَعْتَ عَنَسِي دليلاً كَسَرَ الغمْد أصليتا

ومما كتبه^(٢) إلى علوي بعد الرجوع: «وقَدِمْتُ أخا انفاض إلى أمور أنا بها غير راضٍ. من جَذَبَ عامَ اتَّصل في عام بعد عام» ور^(٣) إلى خاله أبي القاسم تُنم بما ستره. وتبدي بعض ما أضمره قال: «وكنْتُ ظننْتُ أنَّ الأيام تسمح لي بالإقامة هناك فإذا الضارية أحجاً بعراقها. والأمة أبخل بضرّتها والعبدُ أشحَّ بكراعِهِ. والغراب أضنَّ بتمرته. ووجدتُ العلم ببغداد أكثر من الحصا عند جمرة العَقْبة. وأرخص من الصيحانيّ بالجابرة. وأمكن من الماء بخُضارة. وأقرب من الجريدة باليمامة. ولكن على كل خير مانع. ودون كل دُرّة خرساء مُوحية أو خضراء طامية.

إذا لم تستطع شيئاً فذرهُ وجاوزه إلى ما تستطيع^(٤)
يكفيك ما بلغك المحلُّ أن عجز ضِلَّ عن شخصك فلا يعجزنَّ عن عضو منك فلما زَبِنْتَ الضروس الحالب، ونَزَتِ العنود تحت الراكب. ومنعت القُلُوعُ النازع... وخيَّب رائداً سحاباً. وكَذَّبَ شائماً برق. وأخلف زُويِعياً مَظَنَّةً، عادت لعتريها لِمِيسُ وذكر وجارهُ تُعالَة وطَرَب لو كُنْته ابنُ دايَّة» ا هـ.

فهذا صريح في أن الرجل كان يرغب من صميم قلبه أن لو آتاه الله رَعَدًا من العيش من وجهه ولكن معظنته أخفقت، ومخيلته أخلفت وقد مضى شعره في المعنى في آخر فصل البضاعة.

ولا بُدَّ تَطَّلَعُ نفسه وفيه بقية من حب الدنيا وتستشرف في هذا الدَّور من الحياة إلى الاستزادة والعليا. ولكنه لما رَوَّض نفسه وقنَّعها على الكفاف إذ ليس الريُّ كما قال عن التشاف. عاد شماسها انقياداً، وألقت إليه مقاداً. فلم يرغب بعد في كنوز المملوك ولا المالِك، وزهد فيها زهد الناسك. كما قال. ل:

(١) ١١٩: ٢.

(٢) ر، ص: ٣٥.

(٣) ر، ص: ٣٠.

(٤) من عينية عمرو بن معد يكرب الزبيدي وهي في الخزانة.

ما سَرَنِي بِقِنَاعَةِ أُوتِيَّتِهَا فِي الْعِيشِ مُلْكاً غَالِبٍ وَدَمَارٍ
وعرض عليه المستنصر العبيدي ما بيت المال بالمعزة من الحلال فلم يقبل على
ما مضى بيبانه. وأحسن أبو ذؤيب أشعر هذيل:

والنفس راغبة إذا رَغَبَتْهَا وإذا تُرِدُّ إِلَى قَلِيلٍ تَقْنَعُ
وأما رجوعه فهو على النوق على طريق الموصل وهو مهلكة مخوف. مُغَارٌّ
للبادية فللجسور المقدام عنه عيافٌ وُصْدُوفٌ، كما قال^(١):

وكم بين ريف الشام والكُرْخِ منها موارده ممزوجة بِسِمَامِهِ
وكتب إلى الواجكا^(٢):

ويؤنسنا من خشية الموت معشر بكل حُسامٍ فِي الْقِرَابِ مودِعٍ
طريقةً موت قُيِّدَ الْعَيْرُ وَسَطَهَا لِيُنْعَمَ فِيهَا بَيْنَ مَرْعَى وَمُشْرِعٍ
وإلى التنوخي^(٣):

وأهل بيت من الأعراب ضفتهم لا يملكون سوى أسيافهم بِيتنا
جُنُّ إذا الليل ألقى سِثْرَهُ بَرَزُوا وَخَفَّضُوا الصَّوْتِ كَيْمَا يَرْفَعُوا الصَّيْتَا
وإلى الخازن^(٤):

وما أذهلتني عن ودادك روعةً وكيف وفي أمثاله يجب الْعَبْطُ
ولا فتنة طائفة عامرية يحرق في نيرانها الْجَعْدُ وَالسَّبْطُ

يشير إلى بدء تغلب صالح بن مرداس وهو من كلاب بن ربيعة بن عامر بن
صعصعة، وإلى حسان وهو من طيء على الشامات كما يأتي.

فسار عن بغداد^(٥) لست بقيت من رمضان سنة ٤٠٠ هـ على طريق الموصل
وميفارقين وممر بطرف حلب الشهباء ولكن لم يعرج عليها ويبن سبب تنكبه عنها ذهاباً
وإياباً في ر^(٦) إلى خاله أبي القاسم. وكان نزل^(٧) في طريقه بالحسنية وهي بلد شرقي

(١) س، ١: ١٠٥.

(٢) س، ٢: ١٠٩.

(٣) س، ٢: ١١٥.

(٤) س، ٢: ١٢٦، وقال صاحب (ذ): ٣١٢: إن البيتين يشيران إلى حصار صالح لحلب وهذا
إسراف. نعم يدلان على ما أتاه قبل سنة ٤١٤ هـ، بالرحبة وأطرافها ويحلب أيضاً.

(٥) ر: ٣٢.

(٦) ر: ٢٩.

(٧) ر: ٣٣.

الموصل فلم يزل في أمن وإفراط من الماء حتى بلغ آمد (ديار بكر) ثم عادت السبيل إلى غوائلها وسدكت الرفاق بمخاوفها.

فما بلغننا إلا جريضاً بلا نقي العظام ولا سنام ولما وصل الرقة^(١) كتب منها إلى خاله كتاباً شرح فيه ما حمله على النزول. ولم يكن وصل المعرة^(٢) بعد إذ أتاه نعي أمه البرة الوصول.

وأورد صاحب ابن العديم في الباب التاسع من العدل عدة قصائد لبعض أنسيائه قيلت في استقدام أبي العلاء والتحفي به.

موت أمه

كانت أمه من أسرة نجبية كما يظهر من بيتيه من س ومرّا. وكان لما توفيت ابن ٣٧ عاماً إلا أشهراً، وكان برّاً بها متحنناً إليها. فرثاها بقصيدتين^(٣) أثبتتهما في س إحداهما ميمية والأخرى لامية وذكر مصابه بها في ر^(٤) إلى خاله أبي القاسم وفي ر إلى بعض العلوية أيضاً.

قال:

سَمِعْتُ نَعِيَّهَا صَمِي صَمَام	وإن قال العواذل لا هَمَام
وَأَمْتَنِي إِلَى الْأَجْدَاثِ أُمُّ	يَعِزُّ عَلَيَّ أَنْ سَارَتْ أَمَامِي
وَأَكْبَرُ أَنْ يُرْتِيَهَا لِسَانِي	بَلْفَظٍ سَالِكِ طُرُقِ الطَّعَامِ
يَقَالُ فِيهِتُمْ الْأَنْيَابَ قَوْلٌ	يَبَاشِرُهَا بِأَنْبَاءِ عِظَامِ
كَأَنْ نَوَاجِذِي رُدِيَتْ بِصَخَرِ	وَلَمْ يَمُرَّرْ بِهِنَّ سَوَى كَلَامِ
وَمَنْ لِي أَنْ أَصَوِّغَ الشُّهْبَ شِعْراً	فَأَلَيْسَ قَبْرِهَا سِمْطِي نِظَامِ
مَضَتْ وَقَدْ اكْتَهَلْتُ فَخَلْتُ أَنِي	رَضِيعٌ مَا بَلَغْتُ مَدَى الْفِطَامِ

قوله: يقال: فيهتم البيتین يشير إلى ما أشار إليه في الأخرى بقوله:

أَرَانِي الْكَرَى أَنِي أَصَبْتُ بِنَاجِدِ	أَلَا إِنَّ أَحْلَامَ الرِّقَادِ لَضُلَالِ
أَجَارَحْتِي الْعُظْمَى تُشَبِّهُ سَاهِيَاً	بَسَنَ لَهَا فِي سَاحَةِ الْفَمِ أَمْثَالِ

(١) ر، ص: ٣٠. وليس هذا الكتاب في جملة رسائله.

(٢) عنوان ميمية الرثاء س ٢: ٨٧ و ر، ص: ٣٥.

(٣) ٢: ٨٧ و ١٣٧.

(٤) ر، ص: ٢٨ و ص: ٣٥.

قالوا: إنه كان أري في المنام أن ناجداً له سقطت فأولاه بموت والدته. وقد علمنا من اللزوم أيضاً سقوط أسنانه بين ٤٠ - ٥٠ من عمره قال:

فمي أخذت منه الليالي وإنني لأشرب منه في إناء مثلم

وكتب إلى أبي الحسن بن سنان^(١) وكان تقدم إليه بأمر عزيز الدولة في اختصار كليله ودمنة وأمثاله: «الآن عَلَّتِ السِّنُّ وَضَعَفَ الجِسْمُ وَتَقَارَبَ الخَطُوءُ وساء الخُلُقُ وعُطِلَتْ رَحَى كانت لي لم تكن تُجْعِج ولكن تَهْمِس. كنت أقصر طَحْنها على نفسي وأتقوى به دون غيري، ولم يكن لها ضمان ولكن فجع بها الزمان. ولم يبق إلا أن يخلو مكانها العامر. فيصبح كأنه المحل الدامر. فأما المنفعة بها فقد انقضت وانقضت. وإن تشبه بها في الظعن أخواتها صار لفظي من أجل ذلك مشينا، وجعلت سين الكلمة شيناً فلم يفهم عني سامع ما أقول» ا هـ. وهذا كله قبل بلوغه الـ ٥٠^(٢) فإن عزيز الدولة قُتل سنة ٤١٢ هـ.

وورد ذكرها في اللزوم على مذهبه في جناية الوالدين على الولد، وليس دليلاً على العقوق:

متى لُمتُماني على زَلّة رجعتُ على أُمّي الهابل
سَعَى لي والدَيّ بغير لُبٍّ وسيان العرائسُ والسعالى

الحنين إلى بغداد وأهلها

وقصائده في أمرها

ذكرنا أنه كان أودع الواجكا ديواناً تيمم اللات ليسلمه التنوخي. فلما وصل المعرفة كتب إليه عينية^(٣) وإلى التنوخي تائيه^(٤) أقرأ فيها عبد السلام السلام، وذكر أنه كان أودع الكتاب إياه حتى يوصله إلى التنوخي إبراء لساحته وتخفيفاً لعُهدته وذمته. ولكن لم يعلم بعد عدة من الأعوام أيضاً علم جلية الأمر فكتب إليه في أبيات ذكر فيها ورود

(١) ص: ١١٩.

(٢) وأبعد صاحب (ذ) فزعم أن هذا قبيل موته. ولعله لا يدري أنه كان يعد نفسه من الكهول وهو ابن ٣٦ سنة كما هو في اللامية إلى ابن فورجة وميمية رثاء أمه. وانظر زعمه هذا في ص: ٦٧ و٢٢٣. وزاد حيث زعم هذا العزيز هو الذي صنف له اللامع العزيزي وهذا وهم وانظره في الحكام والتأليف.

(٣) س، ٢: ١٠١.

(٤) س، ٢: ١١٢.

القاضي عبد الوهاب بالمعرة^(١) :

جزءٌ بدَرْبِ جميلٍ في يَدَيِ ثقةٍ سألته رَدَّ مضمون إذا قَدرا
وكم بعثتُ سؤالاً كاشفاً نبأً عنه فلم أقضِ من علمي به وَطرا
وكان كما مرَّ كتب مدخله ببغداد إلى أبي حامد في أمر استنقاذ السفينة من
العشارين ولكن الرجل لم يوفِّق إلى ذلك . وحاز فضل اليد عليه أبو أحمد الحكاري^(٢)
فخلَّصها من أصحاب الأعشار والظاهر أن هذا التخليص بعد الرجوع بمدة فشكر صنيعه
هذا في طائيته^(٣) إلى خازن دار العلم بقوله :

وعن آل حَكَار جَرَى سَمَرُ العُلا بأكمل معنى لا انتقاص ولا غَمْطُ
فإن ينسهم أمرَ السفينة فضلهم فليس بمنسيّ الفراق ولا الشَّحْط
ثم شكرهم ستة أبيات .

وأما الحنين إليها فهذا شعره من س :

مما كتبه^(٤) إلى التنوخي ببغداد في أمر التهنية :

إذا نأت العراقَ بنا المطايا فلا كنا ولا كان المطايي
على الدنيا السلام فما حياة إذا فارقْتُكم إلا نَعْيُ
ومما أجاب به ابن فُورَجَّة^(٥) :

كَلِفْنَا بالعراق ونحنُ شرخ فلم نُلمم بها إلا كهولا
وشارَفْنَا فراقُ أبي علي فكان أعزَّ داهية نُزولا
وردنا ماء دجلة خير ماء وزُرْنَا أشرف الشجر النخِلا
ورُلْنَا بالغليل وما اشتفينا وغاية كل شيء أن يزولا
ومن عينية قالها يودع بغداد^(٦) :

(١) س ، ٢ : ١٣٩ . وهذا مما يضعف قول مرجليوث : إن عبد الوهاب زارها سنة ٤٢٠هـ . وهذا تخمين منه استدلالاً بقول ابن خلكان إنه توفي بمصر لأول ما وصلها سنة ٤٢٢هـ . ونسب الأمر في الزوار .

(٢) كذا بالحاء في السقط في موضعين . وآل حكار لم أعرفهم مع طول التنقيب والبحث .

(٣) س ، ٢ : ١٢٩ .

(٤) س ، ٢ : ٦٨ .

(٥) س ، ٢ : ٨٣ .

(٦) ٢ : ٧٥ .

على زَفَرَاتٍ مَا يَنْيَنُ مِنَ اللُّذَعِ
تَحَامِلُ مِنَ بَعْدِ الْعِثَارِ عَلَى ظَلْعِ
أَجْدُكُمْ لَمْ تَفْهَمُوا طَرَبَ النَّسْعِ
عَلَى أَنَّهُمْ قَوْمِي وَبَيْنَهُمْ رَبِّي
قَدَرْتُ إِذَا أَفْنَيْتُ دَجَلَةَ بِالْجَرْعِ
عَلَى الْخُمْسِ مِنْ بَعْدِ الْمَقَاوِزِ وَالرَّبْعِ
بِأَفْصَحِ قَوْلًا مِنْ إِمَائِكُمُ الْوُكْعِ
خُلِقْنَ - فَجَانِبَنَ الْمَضْرَةَ - لِلنَّفْعِ
وَأَجْعَلْ زَوْأً مِنْ نَبَانِي فِي سَمْعِي
مِنَ الدَّهْمِ لَا الْغُرَّ الْجِسَانَ وَلَا الدُّزْعِ
بِرْدِي إِلَى بَغْدَادٍ ضَيْقَةَ الذَّرْعِ
حَمِيداً فَمَا أَلْفَيْتُ ذَلِكَ فِي الْوُسْعِ
وَجَالَتْ رِمَامِي فِي رِيَا حَكَمِ الْمُسْعِ
نَصَبْنَا الْمَطَايَا بِالْفَلَاةِ عَلَى الْقَطْعِ
سَحَابَ الرِّزَايَا وَهِيَ صَائِبَةُ الْوُقْعِ

أُوذِعْكُمْ يَا أَهْلَ بَغْدَادَ وَالْحَشَا
وَدَاعَ ضَنْ^(١) لَمْ يَسْتَقِلَّ وَإِنَّمَا
إِذَا أَطْ نَسَعَ قَلْتُ وَاللُّومُ^(٢) كَارِبِي
فَبَيْسَ الْبَدِيلُ الشَّأْمُ مِنْكُمْ وَأَهْلُهُ
أَلَا زَوْدُونِي شَرْبَةً وَلَوْ أَتْنِي
وَأَتَى لَنَا مِنْ مَاءِ دَجَلَةَ نَغْبَةً
وَمَا الْفَصْحَاءُ الصِّيدَ وَالْبِدْؤُ دَارَهَا
أَدْرَتُمْ مَقَالاً فِي الْجِدَالِ بِالسُّنِ
سَأَعْرِضُ إِنْ نَاجَيْتُ مِنْ غَيْرِكُمْ فَتَى
لَبَسْتُ حِدَاداً بَعْدَكُمْ كُلَّ لَيْلَةٍ
أُظَنَّ اللَّيَالِي وَهِيَ خُونُ غَوَادِرِ
وَكَانَ اخْتِيَارِي أَنْ أَمُوتَ لَدَيْكُمْ
فَلَيْتَ حِمَامِي حُمَّ لِي فِي بِلَادِكُمْ
فَدُونَكُمْو خَفَضَ الْحَيَاةَ فَإِنَّا
تَعَجَّلْتُ إِنْ لَمْ أَتُنْ جَهْدِي عَلَيْكُمْ

ومما كتب إلى الواجكا^(٣) بُعِيدَ الرَّجُوعِ :

مِنَ الْإِنْسِ مَنْ يَشْرَبُ مِنَ الْعِدِّ يَنْقَعُ
يَبْتُ جِمَاراً فِي مَقِيلٍ وَمَضْجَعِ
يَطُولُ ابْنُ أَوْسٍ فَضْلُهُ وَابْنُ أَصْمَعَ
وَأَنْهَضَ فَعَلَ النَّاسِكَ الْمَتَشَرَّعِ
رِجَالٌ وَلَكِنْ رَبُّ نَصَحٍ مَضَّعِ
يَقُولُ بِيَأْسٍ مِنْ مَعَادٍ وَمَرْجَعِ

أَلَمْ يَأْتِكُمْ أَنِّي تَفَرَّدْتُ بَعْدَكُمْ
نَعَمْ حَبْدًا قَيْظَ الْعِرَاقِ وَإِنْ غَدَا
فَكَمْ حَلَّةٍ مِنْ أَصْمَعَ الْقَلْبِ آئِسِ
أَخِفْ لَذِكْرَاهُ وَأَحْفَظْ غَيْبَهُ
لَقَدْ نَصَحْتَنِي فِي الْمَقَامِ بِأَرْضِكُمْ
فَلَا كَانَ سِيرِي عَنْكُمْو رَأَى مُلْحَدِ

ومنها :

إِخَاءُ التَّنَائِي لَا إِخَاءَ التَّجْمَعِ

أَبَا أَحْمَدَ اسْلَمْ إِنْ مِنْ كَرَمِ الْفَتَى

(١) ضن بكسر النون كما هو الرواية على ما في الضرام لا كما التنوير بالفتح .

(٢) لا الدوم كما في التنوير مصحفاً .

(٣) س، ٢ : ١١١ .

تَهَيَّجُ أَشْوَاقِي عَرُوبُهُ إِنَّهَا
أَلَا تَسْمَعُ التَّسْلِيمَ حِينَ أَكْرُهُ
وَهَلْ يُوجَسُ الْكَرْخِيُّ وَالِدَارَ غَرْبُهُ
سَلَامٌ هُوَ الْإِسْلَامُ زَارَ بِلَادَكُمْ
وَمِنَ التَّائِيَةِ^(١) إِلَى التَّنُوخِيِّ:

سَقِيًّا لِدَجَلَةٍ وَالْدُنْيَا مُفَرَّقَةٌ
وَبَعْدَهَا لَا أُرِيدُ الشَّرْبَ مِنْ نَهْرٍ
بَتَّ الزَّمَانِ حِبَالِي مِنْ حِبَالِكُمْ
ذَمُّ الْوَلِيدِ^(٢) وَلَمْ أَذْمُمْ جَوَارِكُمْ
فَإِنْ لَقِيتُ وَلِيدًا وَالنَّوَى قَذَفُ
أَعْدُ مِنْ صَلَوَاتِي حَفِظَ عَهْدَكُمْ
أَحْسَنْتُ مَا شِئْتُ فِي إِيْنَاسٍ مَغْتَرِبٍ
وَمِمَّا كَتَبَهُ إِلَى خَازِنِ دَارِ الْعِلْمِ^(٣):

خَلِيلِي لَا يَخْفَى انْحِسَارِي عَنِ الصَّبَا
وَلِي حَاجَةٌ عِنْدَ الْعِرَاقِ وَأَهْلِهِ
سَلَا عِلْمَاءَ الْجَانِبَيْنِ وَفَتِيَّةً
أَعْنَدَهُمْ عِلْمَ السَّلْوَ لِسَائِلٍ
وَمَا أَرَبَى إِلَّا مَعْرَسُ مَعَشَرٍ
وَمَا سَارَ بِي إِلَّا الَّذِي غَرَّ آدَمَا
أَلَا لَيْتَ شِعْرِي هَلْ أَدِينُ رِكَائِبَا
وَهَلْ يُنْشِطُنِي مِنْ عِقَالِي إِلَيْكُمْ
وَإِنْ خَلَطْتَنِي بِالتَّرَابِ مَنِيَّةً

إِلَيْكَ زَوْتُنِي عَنْ حُضُورِ مَجْمَعٍ
وَقَدْ خَابَ ظَنِّي لَسْتُ مَنِي بِمَسْمَعٍ
مِنَ الشَّامِ حَسَّ الرَّاعِدِ الْمَتَرَجِعِ
فَفَاضَ عَلَى السُّنِّيِّ وَالْمَتَشَيِّعِ

حَتَّى يَعُودَ اجْتِمَاعُ النِّجْمِ تَشْتِيَتَا
كَأَنَّمَا أَنَا مِنْ أَصْحَابِ طَالُوتَا
أَغْزَرُ عَلَيَّ! بِكَوْنِ الْوَصْلِ مَبْتُوتَا
فَقَالَ: «مَا أَنْصَفْتُ بَغْدَادَ» حُوشِيَتَا
يَوْمَ الْقِيَامَةِ لَمْ أَعْدَمْهُ تَبْكِيَتَا
إِنَّ الصَّلَاةَ كِتَابٌ كَانَ مَوْقُوتَا
وَلَوْ بَلَغْتُ الْمَنَى أَحْسَنْتُ مَا شِئْتُ

فَحُلًّا إِسَارِي قَدْ أَضْرَبَ بِي الرِّبْطُ
فَإِنْ تَقْضِيَاهَا فَالْجَزَاءُ هُوَ الشَّرْطُ
أَبْنُوهُمَا حَتَّى مَفَارِقُهُمْ شُمُطُ
بِهِ الرِّكْبَ لَمْ يَعْرِفْ أَمَاكُنْهُ قَطُّ
هَمُّ النَّاسِ لَا سَوْقَ الْعُرُوسِ وَلَا الشَّطُّ
وَحَوَاءَ حَتَّى أَدْرَكَ الشَّرْفَ الْهَبْطُ
أُمُطُّ بِهَا حَتَّى يُطَلِّحَهَا الْمَطُّ
رَضَى زَمَنِي أَمْ كُلَّ شِمْتِهِ سَخَطُ
فَبَعْضُ تَرَابِي مِنْ تَرَابِكُمْ خِلَطُ

(١) س، ٢: ١١٩.

(٢) يعني البحرني وقوله:

ما أنصفت بغداد حين توحشت

التنوير ٢: ١٢٠، والغيث ١: ٦٨، وفي الشريشي ٢: ٧٨ عزوه إلى أبي الفتح البستي وأظنه وهماً.

(٣) س، ٢: ١٢٥.

فيا ليتني طارت بكوري إذا دنا
لأقضي هم النفس قبل مجلّة^(١)
نعم حبذا بُؤسَى أزارت بلادهم
ومما كتب إلى التنوخي^(٢):

أذاكر أنت عصراً مرّ عندك لي
أيام واصلتني وذاً وتكرمة
ومن ل:

يا لهف نفسي على أني رجعت إلى
إذا رأيتُ أموراً لا توافقني
ومنه:

شئمت يا همةً عادت شاميةً
ولست ذات نخيل لا ولا أنف
وقد أسهبت وأطنبت. وطني أنني ما قضيت الحق ولا قاربت. وتأملت فرأيت
باعي قصيراً. ونضوي حسيراً. عن تأدية ما عاناه من لذعات الوجد وتباريح الكمد.
مما هذ ركنه الأشد. وساعده الأسد. وأوهن روحه والجسد. فرأيت الأولى الإتيان
بلفظه الذي ما زال يئث. ولا بد للمصدر أن يئث. وإن قلباً لم تُنضج هذه النفثات.
لني فحج يحق أن يحكم عليه بالممات.

نظرة عامة على حياته وعاداته

قال الذهبي^(٣): كان له مغارة ينزل إليها ويأكل فيها ويقول: العمى غورة
والواجب استتاره في كلّ أحواله. فنزل مرةً وأكل دُبساً فنَقَطَ على صدره منه ولم
يشعر. فلما جلس للإقراء قال له بعض الطلبة: يا سيدي أكلت دُبساً فأسرع بيده إلى
صدره يمسّه فقال: نعم لعن الله النّهم. فاستحسنوا سرعة فهمه ا هـ. قال^(٤): وكانت
لي نفس قويّة لا تحمل مئةً أحد، ولو تكسّب بالشعر والمديح لنال بذلك دنيا ورياسة.
وكان أكله العَدَس وحلاوته التين ولباسه القطن وفراشه لبدأ وحصره بورية. وفي ر^(٥)

(١) الصحيفة. وأراد هنا القبر لطيه طي الصحيفة.

(٢) س، ٢: ١٣٩. (٣) ١٣٠.

(٤) ١٢٩، واللسان ١: ٢٠٤.

(٥) أدباء ١: ٢٠١.

إلى الداعي أنه اقتصر على قُول وبُلسن وما لا يعذب على الألسن . وقال الرحالة الفارسي^(١) : إنه لم يكن يأكل غير نصف منّ من خبز الشعير . وربما أكل طعاماً بلا إدام ليلاً كما جاء في ل . وكان إدامه من الزيت وشربه في الفخار كما في ل .

وكان يتجنّب أصناف اللحوم والصيّد والبَيْض وحيوان البحر يذهب مذهب الجَيْنيّة أو البراهمة أو مذهب الرُّهّاد من جميع الأديان في ترك اللذائذ^(٢) . وأبّرّ على البراهمة في الاجتناب من العسل واللبن والأقِط . وزاد إذ اجتنب الجلود واتخذ لنفسه نعلًا من الخشب . وهذا كله من شعره في اللزوم . وله في ضدّ بعض هذه الأغراض أيضاً شعر وانظر النظرة .

ولم يكن يستبيح في حال من الأحوال كائناً ما كان شرب الخمر ، وكان أعدى عدوّها من صباه إلى أن اخترمته المنون . واللزوم طافحٌ بذمّها والتحذير منها وله في المعنى ألوف من الأبيات وليس ثم بيت قد لا أقول بصريح بل يجذب إلى استحلّالها أو تناوله لها . وله في ذمّها كتاب خاصّ سماه خماسيّة الراح ويأتي .

وهذا بعض شعره في غير اللحم والخمر من الأغراض المتقدمة :

أقفرْتُ من جهتين قفر مفازة وطعام ليل جاء وهو قَفار^(٣)
لنفسي ما أطعمتُ لم يدر أكل سواي أحلّوا جاز في الفم أم مُرا

(١) ص : ١٥ .

(٢) هو لم يستقر بنفسه على طريقة كما قال السلفي . ور إلى الداعي استدل فيها أولاً على تحريم اللحم ثم ذكر أن سبب الاجتناب ضيق ذات يده ص : ١٩٩ و ٢٠١ ، ثم صرح في أخرى ص : ٢٠٥ أنه لا يقول بتحريمه وإنما تركه اجتهاداً في التعب ورحمة للمذبح رغبة أن يجازى عن ذلك بالغفران واستدلوا على ذلك بقول تلميذه في رثائه :

إن كنت لم ترق الدماء زهادة فلقد أرقّت اليوم من جفني دما
أن قوله : « زهادة » صريح في مذهبه وتلميذه أعرف به . وفي الزهدة : ٤٢٧ وأدباء ١ : ١٧٠ أنه مرض مرة فوصف له الطبيب الفروج ، فلما جيء به لمسه بيده وقال : استضعفوك فوصفوك هلا وصفوا شبل الأسد . وقال ابن الوردي ١ : ٣٥٨ إن قول تلميذه لم ترق الدماء زهادة يدفع قول من قال : إنه لم يرق الدماء فلسفة ، ونسبه إلى رأي الحكماء وتلميذه أعرف به ممن هو غريب بترجمه بالغيب . وماذا على من ترك اللحم وهو من أعظم الشهوات خمساً وأربعين سنة زهادة ، وقد قال المكي في قوت القلوب إباحة حلال الدنيا حسن والزهد فيه أحسن . ولما أتى رسول الله ﷺ أهل قباء بشربة من لبن مشوبة بعسل وضع القدح من يده وقال : « أما أني لست أحرمه ولكني أتركه تواضعاً لله تعالى » . وأُتي عمر بن الخطاب (رض) بشربة من ماء بارد وعسل في يوم صائف فقال : اعزلوا عني حسابها . وقد نهى النبي ﷺ عن التنعم وكتب الرقائق وغيرها مشحونة بترك السلف الصالح للشهوات والملاذ الفانية رغبة في النعيم الباقي ا هـ .

(٣) بلا إدام .

وإذا غلا البُرّ النقيّ فشارك الـ
 واجعل لنفسك من سليط ضيائها
 وارسم بفخّار شرابك لا تُرد
 يكفيك أدماً سليط ما أريق له
 جَشِبْ كفاك مَطاعِما وعباءة
 يُقنِعنِي بُلْسُنٌ^(٢) يمارس لي
 فُلْسٌ ما اخترتَ إنَّ أروحَ مِن
 فاترك لأهل الملك لذاتهم
 ونشرب الماء براحتنا
 وقوتي الشيء أبى مثله
 أفدتُ بهجران المطاعم صحةً

فرسَ الكريم وساو طِرْفَكَ تَمُجِد
 أدماً ونَزَرَ حلاوة من عُنْجِدٍ^(١)
 قَدَحَ اللجين ولا إناء العسجد
 دم ولا مسّ روحاً إذا جَرَى أَلَم
 أغنثك أن تَتَخَيَّرَ الأوبار
 فإن أتتني حلاوة فبَلَسْ
 يسار قارون عَقَّةً وفَلَسْ
 فحسبنا الكُمأة والأحْبَلُ^(٣)
 إن لم يكن ما بيننا جُنْبُلُ
 فصيحُ هذا الخلق والألكنُ
 فما بي من داءٍ يخاف ولا حَبْنُ^(٤)

في اللباس

لباسي البَرَسُ^(٥) فلا أخضر
 غَالُوا بأثوابهم فما حسنوا
 أجاهد بالظاهرة حين أشتو
 مُقنِعي في الزمان ستري وِدْفِي
 قد شربت المياه بالخَزَفِ الوَخْ
 وتغنّيت في الأمور فنابت
 وربما^(٦) تجبّ في الشتاء من الحميم كما قال:
 مضي كانون ما استعملتُ فيه حميم الماء فاقدّم يا سُبَّاطُ

(١) الزبيب.

(٢) البلسن كبرسن العدس والبلس التين.

(٣) اللوباء. وجنبِل قدح من الخشب.

(٤) دمل.

(٥) القطن.

(٦) لا دائماً فإن خادمته سَكِينة كانت تسخن له الماء كما سيأتي.

هو حبساً

كان يسمي نفسه رهينَ المحبسين كما في عنوان مُلقى السبيل وعند كثير ممن كتب أخباره، أو رهن المحبسين كما في مقدمة اللزوم يريد حبس بصره بالعمى وحبس نفسه. وجعلهما في موضع ثلاثة حيث قال:

أراني في الثلاثة من سجوني فلا تسأل عن الخبر النبـيـث
لفقدي ناظري ولزوم بيتي وكون النفس في الجسد الخبيث

الصلاة

كان مواظباً على الصلوات في مواقيتها. ولم ينقل عنه أحد توانياً في أمرها أو كسلاً. وهذا لزومه مشحوناً بالحض عليها. وليس له كلمة يخالفها في شيء من كتبه قال: ل:

خذوا سيري فهن لكم صلاح وصلوا في حياتكم وزكوا
ولا تُصغوا إلى أخبار قوم يصدّق مئنها العقل الأرك
إذا كنت في دار الشقاء مصلياً فإنك في دار السعادة سابق
إذا الحرّ لم ينهض بفضل صلاته فذلك عبد من يد الدهر آبق
وقال له صل داعي الهدى وقال له ملحد لا تُصل
وقال في ر^(١) إلى الداعي وقد عجز عن القيام في الصلاة فإنما يصلي قاعد وهذا في كبره^(٢) وذكر لنا أنه عجز في هرمه عن الوضوء أيضاً، قال يخاطب الدنيا:

لك أوقاتي فخلي ني إذا قمت أصلّي
ودعيني ساعة في لك لمولاي الأجل
فعُد جسدي للعنصر الطهر تسترخ إذا صرت تقضي الفرض عند التيمم

صومه الدهر

ذكر كما مرّ في ر^(٣) إلى الداعي أنه لما بلغ ثلاثين عاماً سأل ربّه إنعاماً ورزقه صوم الدهر فلم يُفطر في السنة ولا الشهر. وإني لأستبعد أن يكون تمّ له هذا الصوم

(١) أدباء ١: ٢٠٧.

(٢) حين بلغ من العمر ٧٥ عاماً أو يزيدون.

(٣) ١٩٩.

قبل رجوعه من بغداد. نعم كان يُكثر من الصوم فيما بين ٣٠ - ٣٧ من عمره. وذكر الرحالة الفارسي أيضاً صومه للدهر. ل:

طال صومي ولست أرفع سؤمي ووفودي على المنيّة فطرُ
صُمْتُ حياتي إلى مماتي لعلّ يوم الحِمام عيّد
أنا صائم طول الحياة وإنما فطري الحِمام وعند ذاك أُعيّد

صَرورة

ولم يتزوَّج ولا أعقب كما قال:

ونظم أناس تناهى إليّ من عهد آدم ثم انقطع
وأصبحتُ في الدنيا غيبناً مرزاً فأعفيتُ نسلي من أذاة ومن غبن
فإن تحكمي بالجور فيّ وفي أبي فلن تحكّميه في بناتي ولا في أبني
وأرحتُ أولادي فهم في نعمة الـ عدم التي فضّلت نعيم العاجل
ولو أنّهم ظهروا لعانوا شدةً ترميهم في مُثْلِفات هواجل
لو أنّ بني أفضل أهل عصري لما آثرتُ أن أحظى بنسّل
فكيف وقد علمتُ بأن مثلي خسيس لا يجيء بغير فسل
وصرورة في شيمتين لأنني مذ كنتُ لم أخجج ولم أتزوج
وغلا في ذلك حتى عدّ إخراج الولد من العدم إلى الوجود جنابةً من والده عليه.
وهذا مذهب مَزْدَك وأشياعه. وله في المعنى شعر كثير أتينا بأكثره في النظرة.

خُدّامه

ذكر في ر^(١) له إلى خاله أبي القاسم أنه كانت له خادمة عجوز تسمى سُكينة، فاستدعاها إلى حلب لضبط منزله. فاعتلّ أخوها فأرادت الخروج إليه، ولحقت أبا العلاء علةً فآظهرت أن خروجها إليه وأنه محتاج إليها. وكانت هذه العجوز تسخن له الماء وتصلح له القدر وتوقد النار. وعزم على خاله ألا يُوقفها على كتابه لئلا يدركها ما يدرك الآدميين إذا سمعوا في أنفسهم مثل ذلك. وهذا بحيث ترى نهاية المروّة والفتوة حيث حَدَبَ عليها مع كيادها حَدَبَ الأبوة. ولم يسمح أن تكتتب بكلماته فيها. أو تقف على أدنى تقصير دلّ عليه منها. وجاء في قصته مع وزير محمود بن صالح ذكر

غلام له يدعى قَنْبَرًا قَدَّمَ له الوضوء كما في سر العالمين^(١) المنحول إلى الإمام أبي حامد الغزالي. ويظهر من ل أن لم يوف له أحد من خدامه. وأن بعض خدامه لم يكن يطيعه. قال:

ومن عناء الليالي خادم ضَغِنَ إن يُؤمر الإمَرَ يفعل غير ما أُمرا
والعصا للضرير خير من القا ثد فيه الفجور والعصيان
يكفيك عبد وليس يُقْنِعه ألف وكم دُمت وهو لم يَدُم
وهو يأمرنا بالرفق بالحيوان والعبيد ولا يرى للأحرار عليهم فضلاً بل لا يرى
للإنسان على الجماد أيضاً مَرِيَّةً:

يا ضارب العود البطيء وظَهْرِهِ لا وِرَرَ يحمله كوزر الضارب
أزفّق به فشهدتُ أنك ظالم في ظالمين أباعد وأقارب
أنحن أفضل أم أشياء جامدة أضحت سواءً لديها العين والأثرُ
واغفر لعبدك ما يجنيه من زَلل ولا تأيأ بسوءٍ من تأياكا
فالحقّ يحلف ما عليّ عنده إلا كَقَنْبَر

الإقراء والإملاء

كان يقضي عامّة أوقاته في الإقراء والتصنيف والذكر والتسبيح. وقد سمّى لنا مستملياً قال^(٢) في ثَبَّت كُتبه: «لزمّت مسكني منذ سنة أربعمائة، واجتهدت على أن أتوفى على تسبيح الله وتحميده إلى أن أضطرّ إلى غير ذلك فأمليتُ أشياء، وتولّى نسخها الشيخ أبو الحسن علي بن عبد الله بن أبي هاشم أحسن الله معونته. فألزماني بذلك حقوقاً جمّة وأيادي بيضاً لأنه أفنى^(٣) فيّ زمنه ولم يأخذ عما صنع ثمنه. والله يحسن له الجزاء ويكفيه حوادث الزمن والأرزاء» ١ هـ. وهذا الرجل عمل أبو العلاء لابنه كتابين في النحو ذكرناهما في الثبوت. ولعله لم يكتف به وحده وفي ر^(٤): «أنه لم يبق عنده لبيب مستمل فتأخر الإجابة» ومثله في آخر الغفران^(٥) «أنا مستطيع بغيري فإذا غاب الكاتب فلا إملاء». وذكر ياقوت أنه وقف على ثَبَّت كُتبه^(٦) بخط أحد مستمليه.

(١) ص: ٣٨.

(٢) أدباء ١: ١٧٩. وفي العدل على أن أتوفر.

(٣) صرح في موضعين من الثبوت أنه استملى تأليفه بأسرها.

(٤) ص: ١١٢. (٥) ٢٠٦.

(٦) ١: ١٧٩.

فهذا كله يجذب إلى ما رأيناه. وقال الذهبي^(١): كان يُملي تصانيفه على الطلبة^(٢). وقال الذهبي^(٣) في ترجمة أبي القاسم المُقرئ الشاعر المعري: إنه حضر مجلس أبي العلاء فاقترح عليه أن يقرأ شيئاً ولعله من القرآن فتلا:

﴿وَمَنْ كَانَتْ فِي هَذِهِ أَعْمَى فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَعْمَى وَأَضَلُّ سَبِيلًا﴾ (٧٦) فلما فرغ أبو العلاء من درسه هتأ الرجل على صلابته في أمر الدين ورؤدّه بيتين وهما:

هذا أبو القاسم أعجوبة لكل من يدري ولا يدري
لا ينظم الشعر ولا يحفظ الـ قرآن وهو الشاعر المُقري
أقول ولكنه بنفسه يقول في ل:

عمى العين يتلوه عمى الدين والهدى فليلتي القصوى ثلاث ليالٍ
ومجلسه هذا في مسجده بالمعرة وكذا فهمت من حكاية التبريزي المارة في حفظه عن الأنساب.

قال ابن الوردي^(٤): وكان يُملي على بضع عشرة مخبرة في فنون من العلوم. ثم رأيت ابن العديم عقد في العدل باباً لكتابه وهو السابع قال فيه: كان عنده أربعة كتب في جرائته وجارية يكتبون عنه ما يكتب إلى الناس وما يُمليه من النظم والنثر والتصانيف، وكتب له جماعة من المعرة أخضهم أنسابؤه. ومنهم ابن أخيه أبو محمد عبد الله بن محمد بن عبد الله بن سليمان فإنه كان ملازماً لخدمته، ويكتب له تصانيفه ويكتب عنه الإجازة والسماع لمن يسمع منه ويستجيزه. وكتب تصانيفه بخطه حتى يقع بخطه من المصنف الواحد نسختان وأكثر. وكان برّاً بعمه مشفقاً عليه ولأبي العلاء فيه قطعتان أنظرهما في الفائت في الميم. ومنهم ابن أخيه أخو هذا وهو أبو الحسن علي بن محمد سمع على عمه أبي العلاء جميع أماليه ونسخها بخطه. ومنهم أبو الحسن علي بن عبيد الله (ومرَّ عبد الله) ابن أبي هاشم المعري متولي أوقاف الجامع بالمعرة لزمه وكتب كتبه بأسرها، وكتب من المصنف الواحد عدة نسخ وكان خطه مورقاً حسن الضبط والإتقان (ثم نقل قول المعري المذكور لزم مسكني الخ، وفيه

(١) ١٣٠.

(٢) وزعم مرجليوث أن له مستملياً يسمى أبا المجد مستدلاً بما ورد من ذكره في الرسالة الـ ٣٠. وهذا غلط منه فإنه أخو أبي العلاء على أنه ليس ثم ما يدل على استملائه والذي غره من العبارة معناه: أن أبا المجد يشتغل بقضاء حاجات من لا يشكره فلا يستفيد من مثل هذه الأشغال شيئاً وكان أسن من أبي العلاء ولهذا ذكره بلفظة: سيدي.

(٣) مرجليوث: ٣٧، والبيتان في أدباء أيضاً ١: ١٧٦، ورواية الأول لا يحسن الشعر.

(٤) ١: ٣٥٨.

أيضاً عبيد الله) وكان ابنه أبو الفتح محمد بن علي أيضاً من كتّابه الذي عمل له أبو العلاء كتابين كما يأتي في التآليف. ومن كتّابه جماعة من بني هاشم. ومن كتّابه إبراهيم بن علي بن إبراهيم الخطيب وهو كاتب حسن صحيح الخط متقن في الضبط كتب معظم كتب المعري وتصانيفه بخطه وكتب عنه في السماع عليه والإجازة منه وقرأ عليه ١ هـ كلام صاحب ملخصاً.

مشيبه

لم يسودّ شعره إلا بعد برهة وفي ذلك يقول. س^(١):

وَحُلْتُ كُلِّي سَوَى شَيْبٍ تَجَاوَزَنِي وَلَمْ يُبَيِّضْ عَلَى طُولِ الْمَدَى الشَّعْرَا
قال صاحباً التنوير والضرام وقد كان الغالب عليه السواد على كبره. أقول ويشهد له. ل:

عَرَّكَ سَوْدُ الشَّعْرَاتِ الَّتِي	فِي الْوَجْهِ مَنِي وَأَنَا الدَّالْفُ
كَلَّفَتْنِي شِمَّةَ عَصْرٍ مَضَى	هِيَاتٍ مِنْكَ الْعُصْرُ السَّالِفُ
أَيَا مَفْرَقِي هَلَّا ابْيَضَّتْ عَلَى الْمَدَى	فَمَا سَرَنِي أَنْ بَتَّ أَسْوَدَ حَالِكَا
قَبِيحُ يَفُودِ الشَّيْخِ تَشْبِيهُ لَوْنِهِ	بِفُودِ الْفَتَى، وَاللَّهُ يَعْلَمُ ذَلِكَ
وَمَا يَنْفَعُ الْغَرِيبُ وَالضَّعْفُ وَقَعُ	إِذَا كَانَ لَوْنُ الرَّأْسِ غَيْرَ هِجَانِ
تَأَخَّرُ الشَّيْبُ مَنِي مِثْلَ مَقْدَمِهِ	عَلَى سِوَايَ وَوَقْتُ الشَّيْبِ مَا حَضَرَ

ويذكر لنا أنه لم يكن يحب أن يطول به الأمد حتى يتخذ لحمه ويدلف في المشي.

بَقِيْتُ كَسَا الْخَدَّيْنِ جَوْنُهُمَا	ثُمَّ اسْتَحَالَ وَمَسَّ الْجِسْمَ تَخْدِيدُ
بَلَوْتُ مِنْ هَذِهِ الدُّنْيَا وَسَاكِنَهَا	عَجَائِباً وَانْتِهَاءَ الثُّوبِ تَقْدِيدُ
لَا سَبَطَ الْخَالِقُ فِي مُدَّتِي	حَتَّى يَرَى النَّاضِرُ هَذَا جِي

ومر ذكر تأوّه من ضعفه في الصلاة وسقوط أسنانه في وفاة أمه وكان وفّر لحيته لم يقصّها ولم يخضبها. قال - ل:

وَنَابَتْ الْوَجْهَ زَيْنٌ فِي النَّدَى لَهُ	كَالْأَرْضِ حَسَنَهَا فِي الْعَيْنِ إِبْقَالُ
أَيُّهَا الشَّيْبُ لَا يَرِيبُكَ مِنْ كَفِّي	مَقْصَصٌ وَلَا يَوَارِيكَ خِطْرُ

وذكر في بعض شعره وهو في الفأنت أنه عراه الصمم في كبره وهو قوله لابن أخيه القاضي أبي محمد عبد الله التنوخي:

أَجِدُّكَ مَا تَرَكْتَ وَأَنْتَ قَاضٍ تَعْهَدُ مُقْعِدٍ أَعْمَى أَصَمَّ
وَيَأْتِي مَا يَقْوِيهِ فِي «أَمْرَاهُ».

فذلكة أفكاره وآرائه في معتزله

هب أنك زرت المعرّة فرأيت في زاوية من بيت رجلاً قصيراً مجدّر الوجه مشوّهه نحيلاً وقد تخذد جلده وتغضّن جالساً على لبدة أو بارية وهو في بُرْجُد في الشتاء أو في عباءة في الصيف، ولست ترى في البيت من الأثاث أو الرياش شيئاً غير عُصِيّة له أو أنية من الفخّار أو نعل من الخشب. فأدلف له حتى تُصِيخَ لَهُمْسُهُ فإنه يقول: ما لي وللناس، إني قد جربتهم بالشام وبالعراق أيضاً، فلم أرهم إلا مفطورين على الشرور والغيبة والنميمة، متنافسين في اللذائذ مُكْبِينَ على الشهوات، فيا ليت آدم لم يتزوج أمهم، ويا ليت حواء بانت منه أو عقيمت ولم يُخْلَفَا لَنَا هَؤُلَاءِ الْأَنْجَاسَ. لا أقول: إن أولهم كان أصلح منهم فكلّهم رجس والعالم كله كدرٌ ولا صَفْوٌ فيه والظلمة فيها متقدّمة على النور. ولهذا لم أتزوج حتى لا أُجْنِيَ على ولدي كما أن والديّ جَنِيَا عَلَيَّ فحسبي ما أنا فيه ولا أسبّ الدهر فإنه لم يفسد بل فسدنا نحن. فيا وَلَدُ نَمْ هَنِيئاً في العدم، ولا تخرج إلى الوجود حتى لا تتعرض للأذى والمتالف. وما ضرّك لو وأدك والداك إلاّ أنني لا أرضى لهما بذلك. ويا أيها الشاب لا تتزوج وإن أبيت فلا تتزوج إلا عقيماً ولا تزدد واحدة فَعَلْ واحد خير من غُلَيْن. ولا تزوج أيها الكهل صغيرة واختر لنفسك مثلك من الطاعنات في السنّ. وأرى السوداء خيراً من البيضاء وامنعهما عن مخالطة الأقرباء والأحماء ولا تُخْلِها تسير إلى المسجد فإن مسجد البيت خير لهن وبه فليكن قبرهنّ. ولا أرى لها أن تترك زوجها وتحجّ البيت العتيق حتى يُبصرها الغواة وأرى أن الله ومحمداً ﷺ لا يرضيان فعلها هذا. ولا تَطْلُعْ على الجدار تنظر إلى عُرْس الأمير وغيره. ولا تسمح لها أن تشرب الخمر أو تُغني بالمعازف فإنها داعية الفتن، ولا أن تردّد إلى عزاف أو منجم أو كاهن لتستخبرهم عن حياة طفلها أو تسألهم عزيمة الحبل أو استرضاء الزوج. وما لأمير المصر لا يقيم هؤلاء القطّاع عن الطرق؟ ولا تتردّد إلى حَمَام ولا تتبرج بزينة وحليّ وعطر. ولا تُعلمها القراءة أو الكتابة فإن المغازل خير لهنّ. ويا أيها الرجل أنت أيضاً لا تَطْلُعْ على جدار الجارة ولا تتعرض لنساء النصارى الغاديات إلى الكُنُس. وإني أرى لك شرّ النساء المؤمنات المشاعات.

والعقل هادٍ لك فلا ترّده أبداً ولا تُضغِ إلى أقوال هؤلاء الغواة الذين يأمرّون

الناس بالعُرف ويُسَوِّنْونَ أنفسهم فلا يأتَمرون بما يأَمرون. ما همَّهم إلا الحُطام والشراب والملاهي. فليس صاحب طيلسان إلا عدوًّا مختالاً وإن تاب إبليس تابوا، وهم كاذبون في دعوى الهداية. يرتلون حم والزمر كالمزامير. ويُصَلِّونَ فيَقْصُرُونَ ويَكْذِبُونَ على المنابر على رؤوس الأشهاد. وإني لأعجب من الصوفية فحسبي أن أدعي قُطنياً ولا أُنشَهر.

ولا أرى السلطان إلا يأكل أموال الناس وجباياتهم بالباطل. ليس همَّه إلا في الرغائب من القيان والمغنين والعِيدان، ومَن الذي أحلَّ لهم هؤلاء الكتائب بلا مُهور. ويقولون: إن والي مصر وقُضائِه عادلون ولكن لم أر منهم إلا الظلم، ولم يتقاتلون؟ وكلهم ينتمي إلى دين التوحيد فهل هذا جزاء ذبحهم للحيوان؟ ولا أرى لقريش فضلاً على غيرهم، بل لا أرى للإنسان فخراً لا على سائر الحيوان ولا على الجماد. وليس كل هذا إلا جُوداً وحُظوظاً، فإني أرى عند ظالم كنوزاً مدخرة وعليلاً لبيباً يتعذَّر عليه الحاجة الطفيفة. وأرى الحججي والحظَّ لا يجتمعان وحكم الحظ سار. فهذه ذات أنواط والركن عبدهما الناس دون سائر الأحجار، وليس ماء زمزم إلا كسائر المياه بل أملح منها ولكنه امتاز بالبخت، فإذن أراني مجبراً في هذه الحياة لا أقدر على شيء ولو خُيرت لم آتِها فقد أتيتها كرهاً وأفارقها كرهاً وأنا فيما بين ذلك مُدبِّر.

وأما العوام فيزعمون أن أول من شاب إبراهيم وإن نار فارس خمدت بولادة نبيهم، وأن الشُّهب رُجمت لبعثه. وأن الدعاء يجلب المطر وأن لا بدَّ للاسم أن يوجد معناه في المسمى وأن الأولين كانت جُسومهم كالنخيل وأدعوا للمعمَّرين من السنين ما يستنكره العقل. وزعموا أن قوماً من الأبرار طاروا في الجوّ أو مشوا على الماء مع أن السَّعْدَيْنِ^(١) والعُمَرَيْنِ وهما هما لم يكونا بهذه المثابة. ويرتجون إماماً يقوم بينهم بالعدل - وكذبوا لا إمام سوى العقل - وهم يُسرعون في الاعتقاد بالزجر والقَال والطَّيرة وأحكام المُعَزِّمين والمنجمين والقصاصين.

فبمن تراني أعاشر إذا وحال طوائفهم كما علمت ولا أرى خليلاً إلا ينافق صاحبه، والآخر يداجيه على عواره وهم يفخرون بالأنساب مع أنها اختلطت وامتزجت ولم يبق فيها صريح صميم. ويظلمون الحيوان ولا يَرْفُقُونَ به ولا أراهم خيراً منه. ويؤثرون أولادهم وأنفسهم بالألبان على أولاده ويتركون أولاده جوعاً يتضاغون ويصيدونه ويرمونه ولم يستحقَّ منهم ذلك ويذبحونه ثم يأكلونه ولا أرى كل ذلك من الحلال لهم ولا اللبن أو الأقط أو البيض وربما أتجنب الجلد فهذا نُغلي من الخشب. ولا تقربن ضرب النحل فإنها لم تدخره لك.

(١) سعد بن معاذ وسعد بن أبي وقاص (رض).

ولا أدري بأي ذنب سُلِّطَ الليث على المهابة والبازي على بَغَاث الطير. لا بل أعترف بتوحيده وحكمته وقدرته فلست مُلحداً كحمّاد وبشّار وأتجنّب من الذنوب وأتوب إليه وأرى التقوى خير دُخْر يُعَدُّه الإنسان. وقالوا: إن الناس يقومون يوم الساعة بين يدي رب العالمين أو ليس من المستبعد جمع العظام بعد أن أُرْمَتْ؟ والأجزاء بعد أن انتشرت؟ وهؤلاء طائفة من الفلاسفة يقولون بقدّم العالم والنجوم والأفلاك ويقول بعضهم: بأن الأنام كالنبت لا حساب لهم يَزْهَرُونَ ثم يذبلون. لا بل أرى أن الله لا يَضْعُبُ عليه شيء فهو القدير كالربع يخلو ثم يُعَمِّرُ وبدائعُ الله كثيرة يحار فيها لُبّاً فأؤمن بأن النجوم تفقد نورها كما أن الضحك يتلوّه الوجوم. وليس الأنام كالنبت بل هذا كذب اختلقه اليهود وورثه منهم الفلاسفة. وأيّاً ما كان فإني أراهم يذهبون ولا يرجعون، وهذه الأجسام تَهْمُدُ ولا علم لي بمصير الأرواح فأنا في حنْدَسٍ مقيم.

وأما تشّتت الأديان والمذاهب فهو مما يُحيرني في أمرها، هؤلاء اليهود تعظّم السبت والنصارى يوم الأحد والمسلمون عَرُوبَةً وما الأيام إلاّ متساوية، ولا أرى الأخبار والرهبان والنُّسَّاك إلاّ محتالين للمعاش. والشرائع هي التي ألقت بيننا عداوات ولولا خُبْتُ في طباعنا لكانت المساجد تُقَرَّنُ بها البيع، واليهود من غوايتهم يرتقبون إلى الآن مسيحهم وما أرى ما يتلون من الصحائف إلاّ كذباً اختلقوه ولا أؤمن بالتوراة إن كانت الخمر فيه حلالاً فما أراهم إلاّ كاذبين على موسى. ويعجبني زُهد الرهبان من النصارى إلاّ أنني لا أرى لهم أكلَ أموال النفوس الكواسب ولا أرى أحداً ضلَّ رُشدَهُ كالنصارى في تعظيم الصُّلْبَانِ وزعمهم أن عيسى كان ابن الله ثم مع ذلك أسلموه إلى اليهود للصَّلب مع أن الوالد يشفق على ولده يضره لِدائِهِ فأين كان والده إذ ذاك؟ وكيف أسلمَ ولده الأعاذي؟ أم غلبوه على أمره؟ ثم يزعمون إن اليهود استلبوه منهم. فتبّاً! لآرائهم جعلوه ربّاً ثم تنقصوا به وازدروّهُ. وأرى قلوبهم تَمُجُّ ما يصدعون به. وأما صلاتهم في الكنائس بالألحان والغناء فإني أرى صلاة المسلمين خيراً منها في المساجد، على أنني أنصح عامتهم لو وجدت داعياً! فهل تُعيرني سَمْعُهَا أمةٌ تغدو في الفِضْح إلى كنائسها وهي تجمع صنوفاً من الشبّان والكواعب فإني أرى جارية كالوَرْدَةِ تنفخ بالمسك أردانها تروح بقربانها إلى القسّ وتسخط زوجها ورثها في مفارقتها بيتها مع أنها جربت من القسّ سوءاً وسواءً وفتكة شنعاء فرجعت وأثوابها ضامنة فتنة القسوس والرهبان. وسمعت أن مسلماً تَنَصَّرَ ولولا أن الضلال حاق به ما فارق الإسلام فشروده ليس مما يُزْرَى به.

على أنني لا أرى للمسلمين أن يستحلّوا الكتابيات بلا مُهور. وبلغني أن نصرانية خلعت زُنارها لتتزوج مسلماً وأراها أساءت في فعلها. وهؤلاء المجوس تدّعي أن نارها

لم تَحْمَدْ إلى الآن ولا يعجبني نكاحهم بالأخوات ولا قولهم أن أهرَمَنَ تولد من يزدان بل يعجبني قولهم: إن الظلمة متقدمة على النور إذ لست أرى في الأنام إلا الشرور والخير فيهم واحد في ألف.

أما الصلاة فإنها ديني لا أتهاون بها وأرى الدين اضمحل ولو أدوا زكاتهم وافية لم يبق في الدنيا فقير. وإنني صائم طول دهري ولعلي أفطر يوم جماعي وأعيد. ولا أرى للصائم أن يكذب فإن هذا يُبطل صومه. وأرى الناس يُحْجُونَ لا من نُسك بل أشرأ وبطراً وأتي فائدة من الحج إن لم يرعوا عن قبيح أعمالهم وهؤلاء أعمامي وأخوالي لم يُحْجُوا فحيثما كانوا كنتُ فلست أرضى التفرد بالنعيم دونهم وربما أزمع على الرحلة ولكن يعوقني عنها عوائق.

وبلغني أن نساك الهند يَخْلِقُونَ رؤوسهم ويطيّلون أظفارهم ضدَّ نساكنا. والهنود يُحْرِقُونَ أمواتهم بالنار وأراها خيراً لهم من الكافور في إذهاب الريح فسيان أن أدفن أو أحرق ولكني لست أرضى أن أجعل في تابوت. ولكن إن صحَّ عذاب القبر فجبني إياه وإن دفنتني فزد في قبري شبراً هداك الله! ولا تدفني بجنب من يقول لي: ضايقتني في المثوى. ولا أوصي بشيء كما أوصى لبید فلست راجعاً إلى هذه الدار. فأرى الموصي أخرق.

وأرى كلاً من الروافض والشرأة غاويًا. ولكن ما بال هذا الدين الذي جاءنا من هَجَرَ أَلَم يكن يكفيننا الذي أتانا من مكة. وأرى أن المعتزلة والمرجئة متنافسون في الدنيا. زعموا أن الصغائر تخلد في النار مع أنهم يرتكبون الكبائر. وليس المتكلمة بأدوَنَ منهم حيث زعموا من سَفَههم أن الله بلا زمان ولا مكان وأبو الهذيل وابن كلاب وابن المعلم والباقلاني كلهم يهذون، وما جدّ لهم إلا تَعَلَّة وأرى الأحاديث رُكِبَتْ لها أسانيد مكذوبة مع أن الكذب لا يتطَرَّف إلا إلى الخبر. وكيف يكون المذاهب الأربعة على الحق إذا كان واحد يحلّل شيئاً والآخر يحزّمه. ولست أرى رواج المذاهب في أصقاع مخصوصة إلا من جهة كون الفقيه بها. فلا تقلد أحداً ولا تترك العقل سُدَى فهو خير مُشير.

وها أنا ذا أفارق حياتي النكداء ولم أدر لماذا خلقت سوى أن ورودي من إذن مليكي والعيش نوم، والمنية يقظة. وأنا دائماً من أمر ديني في حَيْرَة متواصلة، وبصيرُ الأقوام أعمى مثلي فحلّنا في ظلمة نتصادم. والذي يأتي ليفيدني رشداً يزيدني حيرة ورِيّاً. إلا أنني لا أكفر الله نعماءه فهو الذي يخلق ما يشاء ويختار وعنده علم كل شيء بمقدار. والذي أبُتُّ به أن لن يذهب العُرف بين الله والناس فافعل الخير واثب العُرف واثق مولاك فالتقى مما لا يرتاب في فضله اثنان والزم النُسك فإنه خير عَناد وذخر.

سل يا قنبر هؤلاء لماذا أتوني من أقاصي البلاد؟ يا أسفاً! إني لا أستطيع لهؤلاء
المساكين معونة. ومن الذي دلهم عليّ. فيا ويلتا! كلما رغبت في الخمول قُدر لي غير
المأمول ولستُ أوّل من كُذب عليه وأدّعي له ما ليس عنده. من أين أتعلم؟ ولم أكن
صاحب ثراء أو جدّ أو رحلات أو بصر فكيف الحُداء بغير بعير. على أني نسيت ما
كنتُ حفظته في الدهر الأوّل. وما الذي يُغني عني هذه الترهات التي لفّقها سببويه
وأصحابه وتباهوا بها فجعلوها مكاسب لهم فعادت بالخسيس من الرزق. على أنهم لم
يسلموا من طوارق الليالي وكوارث الدواهي. ل:

بني الآداب غرّتك قديماً زخارف مثل زمزمة الذباب
أذهب فيكم أيام شيبتي كما أذهبت أيام الشباب
معاذ الله قد ودّعتُ جهلي فحسبي من تميم والرّباب
وإن مقاتل الفرسان عندي مصارع تلکم الغنم الرّباب
وألقيتُ الفصاحة عن لساني مسلّمةً إلى العرب اللّباب
شغول ينقضّين بغير حمد ولا يرجعن إلا بالتباب
غفران ربّك قل ما فعل الفتى ما ليس مُحوجّةً إلى استغفار

نباهته وطيّران صيته بعد الرجوع

مما قاله في صباه^(١):

وقد سار ذكرني في البلاد فمن لهم بإخفاء شمس ضوءها متكامل
ل. يخاطب الدنيا:

وما أبهجتني منذ التقينا وإن نَوّهت بي ورفعتِ سَمْعِي
ذكر لنا ببغداد أنّه لما اختار العزلة رغب في الخمول وأعرض عن حُبّ السُّمعة
وطلب الشهرة، ولكن لا بدّ للبحر أن يُزبد ويفور وللطيب أن يفوح. س^(٢):

ولو جرت النباهة في طريق الـ خمول إليّ لاخترتُ الخمولا
ومما قال في المعنى بعد الرجوع:

وخمول ذكرك في الحياة سلامة ودهاك من أمسى لذكرك شاهرا
وفي الغفران^(٣) كلما رغبتُ في الخمول قُدر لي غير المأمول. ومن ر^(٤) له:

(٢) ٢: ٨١.

(٤) ٣٥.

(١) س، ١: ١١٠.

(٣) ١٩٢.

«وَيُحْسِنُ [الله] جزاء البغداديين فلقد وصفوني بما لا أستحق وشهدوا لي بالفضيلة على غير علم.... فصادفوني غير جَذِل بالصفات» وأطال في المعنى في طَرْفِي الملائكة فراجع ل:

ألم ترني كمِيتُ الناسَ نفسي فأظهرني القضاء وما كمانِي
قال الذهبي وابن حجر^(١) ولما عاد إلى المعرّة قصده الطلبة من النواحي. وقال ابن خلكان^(٢) ثم رجع إلى المعرّة ولزم منزله وشرع في التصنيف وأخذ عنه الناس وسار إليه الطلبة من الآفاق وكاتبه العلماء والوزراء وأهل الأقدار ا هـ. وكان بغداد يومئذ محكّ الامتحان. ومُسَبَّر الغور والعيان. فلما حاز بها السَّبْق عند الرّهان. والذكر الجميل من بين الأقران. طارت سُمعته منها إلى أعماق الأندلس وأقاصي خراسان. فأخذ طَلَبَةُ العلم يُهرعون إليه من كل وادٍ وَيُنْسِلُونَ من كلّ حَدَب فيحُطُّون رحالهم ببابه. دون أمثاله وأضرابه. وقال ابن القارح^(٣): «قد شاع فضله في جميع البشر. وصار غُرّة على جبهة الشمس والقمر. خلد ذلك في بدائع الأخبار. وكتب بسواد الليل على بياض النهار». وقال أيضاً^(٤): «وكيف وقد أصبح ذكره في مواسم الذكر آذاناً. وعلى معالم الشكر لساناً. فمن دافع العيان وكابر الإنس والجان واستبدّ بالإفك والبهتان كان كمن صالب بوقاحته الحجر» ا هـ. ويذكر لنا أن إقدام صيته هَمَّ بالتَّكُول ونباهته بالخمول في آخر حياته. ولعل المراد ما اشتهر من الإلحاد والزندقة قال. ل:

صروف الليالي إن سمحن لماجد بذكر جميل عُدن يَعْصِفن بالذكر
عرَفْتَنِي حتّى شَهِرْتُ - الليالي ثمَّ صالت عليّ بالتَّنكير
وهذا سرُّ شعره في المعنى:

يزورني القوم هذا أرضه يمن من البلاد وهذا داره الطَّبَسُ
قالوا: سمعنا حديثاً عنك قلت لهم لا يُبعدُ الله إلا معشراً لَبَسُوا
يبغون مِنِّي معنى لستُ أحسنه فإن صدقتُ عَرِثَهُم أوجهُ عُبُسُ
أعاننا الله! كلُّ في معيشته يلقي العناء فدرِّي فوقنا دُبُسُ!
ماذا تريدون لا مالٌ تيسَّر لي فيستمأخ ولا علم فيقتَبَسُ
أتسألون جهولاً أن يفيدكمو وتحلبون سفيّاً ضرعها يَبَسُ

(١) ١٣٠، واللسان ١: ٢٠٤.

(٢) ١: ٣٤.

(٣) ٢١٠.

(٤) ١٩٥.

ما يُعجِب النَّاسَ إِلَّا قَوْلَ مُخْتَدِعٍ كَأَنَّ قَوْمًا إِذَا مَا شَرَفُوا أُبْسُوا
أَنَا الشَّقِيَّ بَأْنِي لَا أَطِيقُ لَكُمْ مَعُونَةَ وَصُرُوفِ الدَّهْرِ تَحْتَبِسُ
مَنْ لِي أَنْ لَا أَقِيمَ فِي بَلَدٍ أَذْكَرَ فِيهِ بَغِيرَ مَا يَجِبُ
يُظَنُّ بِي الْيُسْرُ وَالِدِيَانَةُ وَالْعَدْلُ مِ بَيْنِي وَبَيْنَهَا حُجْبُ
أَقْرَرْتُ بِالْجَهْلِ وَأَدْعَى فِهْمِي قَوْمَ فَأَمْرِي وَأَمْرَهُمْ عَجْبُ
لَقَدْ عَلِمَ اللَّهُ رَبَّ الْكَمَالِ بِقَلَّةِ عِلْمِي وَدِينِي وَمَالِي
أَمَالِي فِيمَا أَرَى رَاحَةً مَدَى الدَّهْرِ مِنْ هَذِيانِ الْأَمَالِي
أَجْهَلُ مِنْ رَجُلٍ يَبْتَغِي عِنْدِي مَا لَسْتُ لَهُ مُخْسِنًا
مَنْ يَبْغِ عِنْدِي نَحْوًا أَوْ يُرِدْ لُغَةً فَمَا يَسَاعَفُ مِنْ هَذَا وَلَا هَذَا
يَكْفِيكَ شَرًّا مِنَ الدُّنْيَا وَمَنْقَصَةً أَلَّا يَبِينَنَّ لَكَ الْهَادِي مِنَ الْهَادِي
وَعَجِيبٌ فَرَحُ النَّفْسِ إِذَا شَاعَ فِي الْأَرْضِ نَشَاها وَانْتَشَرَ
أَطْلَبْتُمُو أَدْبًا لَدَيَّ وَلَمْ أَزَلْ مِنْهُ أَعَانِي الْحَجْرُ وَالتَّغْلِيْسَا
مَا كُنْتُ ذَا يُسْرِ فَأَجْمَعُهُ وَلَا ذَا صَحَّةٍ فَأُخَالِفُ التَّغْلِيْسَا
وَأَكْرَمَنِي عَلَى عَيْبِي رَجَالُ كَمَا رُوي الْقَرِيضُ عَلَى الزَّحَافِ

هو والأندلس

قال ابن سعيد^(١) في أبي بكر المخزومي وكلاهما من الأندلس:

يَا ثَانِيَا لِمَعْرِي فِي حُسْنِ نَظْمٍ وَنَثَرٍ
مَرَّ لَنَا رَوَايَةٌ عَنْ ابْنِ الشَّيْخِ الْأَنْدَلُسِيِّ أَنَّ الْمَعْرِي أَرْسَلَ إِلَى الْإِمَامِ الْمُجْتَهِدِ الْحُجَّةِ
أَبِي مُحَمَّدٍ بَنِ حَزْمٍ الظَّاهِرِيِّ بَيْتَهُ «يَد... الْبَيْتَيْنِ» وَمَا أَجَابَ بِهِ عَنْهُمَا. فَإِنْ صَحَّ وَلَا
نَسْتَبْعِدُهُ^(٢) فَلَعَلَّ هَذَا بَعْدَ الرَّجُوعِ بِزَمَانٍ غَيْرِ قَصِيرٍ. فَإِنَّ ابْنَ حَزْمٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وُلِدَ
سَنَةَ ٣٨٤هـ، وَأَوَّلَ سَمَاعِهِ لِلْعِلْمِ سَنَةَ ٣٩٩هـ، وَتُوفِيَ سَنَةَ ٤٥٦هـ إِذْ بَلَغَ مِنَ الْعُمُرِ
٧٢ عَامًا. وَبَعَثَتْهُ هَذِهِ عَلَى يَدِ بَعْضِ تَلَامِذَتِهِ^(٣) مِنَ الْأَنْدَلُسِيِّينَ أَوْ الرَّاحِلِينَ إِلَى الْأَنْدَلُسِ
وَهُمْ فِيمَا بَلَغَنِي أَبُو مَالِكٍ أَحْمَدُ بْنُ الصَّنْدِيدِ الْعِرَاقِيُّ. قَالَ يَاقُوتُ فِي الْأَدْبَاءِ (١):
(١٥٢): كَانَ مِنْ أَهْلِ الْأَدَبِ وَالشَّعْرِ. رَوَى شَعْرَ الْمَعْرِي عَنْهُ وَلَهُ فِيهِ شَرْحٌ وَلَهُ مَعَ

(١) النفع، ليدن ١: ١١٧.

(٢) فقد أحال الغزالي على كتاب له وكان قد عصره شيئاً. انظر الحفاظ ٣: ٢٢٣.

(٣) وانظر تراجمهم في باب التلامذة.

الحُصْرِيّ مناقضات دخل الأندلس وكان عند بني طاهر ومدح الرؤساء والأكابر، وأبو الخطاب العلاء بن عبد الوهاب... ابن حَزْم المَرِيّ المعروف بابن أبي المغيرة. وأبو تَمَام غالب بن عيسى الأنصاري، ولعله لقيه نحو سنة ٤٢١هـ كما سيأتي. وأبو عبد الله بن جابر القرطبي وأبو الفضل الدارمي الوزير داعية القائم العباسي الذي أرسله^(١) إلى المعز بن باديس الصنهاجي صاحب إفريقية نحو سنة ٤٣٥هـ، وهذا الرجل للمغاربة كالأبهري للمشاركة في بث شعر أبي العلاء، فقرأ عليه ابن السيد صاحب أحسن شروح السُّقْط على ما قال ابن خلكان. وأبو القاسم عبد الدائم بن مرزوق بن خير القيرواني روى عنه السقط أبو الحسن علي بن محمد وهو أخو ابن السيد المذكور وأبو عمرو السفاقي^(٢) روى عن أبي العلاء خطبة الفصيح. وابن حزم كان له بعلماء المشرق مراسلات إذ ذاك وانتشرت كتبه في حياته بالبلاد المشرقية وحسبك أن الغزالي شهد له بالفضيلة. وأما صاحبنا فإنه ينقل كثيراً من أخبار الأندلس في الغفران فذكر ابن هانيء وغلوه^(٣) وروى ابن خلكان^(٤) رأيه في شعره. وروى في الغفران^(٥) خبر الشاعر المعروف بابن القاضي في مدحه المنصور بن أبي عامر صاحب الأندلس بقصيدة أولها:

ما شئت لا ما شاءت الأقدار فاحكم فأنت الواحد القهار

ويقول فيها أشياء فأنكر عليه ابن أبي عامر وأمر بجلده ونفيه ١هـ، والمنصور مُعاصر له. وهذا كله يدل على أن الرجل كان خبيراً بأخبار المغرب والأندلس وكان يأتيه منها على أيدي تلامذته ما تقرّ به الأعين وتلدّ الأنفس.

ثم إن القاضي أبا بكر بن العربي المالكي رجع إلى الأندلس من رحلته الطويلة سنة ٤٩٣هـ، بعلم جَم بعد أن قرأ على أبي زكريا التبريزي^(٦) جملة صالحة من تأليف المعري. وهي على ما ذكره تلميذه أبو بكر الإشبيلي في فهرسته^(٧) السقط وضوءه ورسائله ومنها الإغريضية وشرحها له والفلاحية وشرحها له والصاهل والشاحج ولسانه

(١) انظر كتابنا «ابن رشيق»، ص: ١٤ و ٣٢.

(٢) فهرست أبو بكر: ٣٤٣.

(٣) الغفران: ١٥٤.

(٤) انظر كتابنا «ابن رشيق»: ٥٨.

(٥) ١٥٤.

(٦) وقرأ عليه سعد الخير بن محمد الأنصاري إصلاح المنطق كما ورد في الإجازة بخط التبريزي وانظر فهرست مكتبة ليدن ٣٣ والظاهر أنه قرأ عليه من كتب المعري أيضاً والله أعلم.

(٧) س: ٤١٢.

له وخطبة الفصيح وسائر شعره في اللزوم وقال في موضع آخر^(١): تأليف أبي العلاء المعري وجميع ماله من منشور ومنظوم روايتي لذلك كله عن أبي بكر بن العربي عن أبي زكريا التبريزي عنه. وكذلك الشيخ أبو الحسن سعد الخير بن محمد بن سهل الأنصاري الأندلسي، فإنه سمع بمدينة السلام على التبريزي «سقط الزند» كما ورد في عنوان نسخة «سقط الزند» ببانكي پور وانظر وصفها في الثبوت.

ومن المتأخرين أبو محمد الأنصاري^(٢) المتوفى سنة ٦٤٥ هـ صاحب ابن الأبار سمع شعر أبي العلاء على أبي إسحاق بن أبي اليسر عن أبيه عن جده عن أبي العلاء. وفي نفع عن الطيب^(٣) [عن المطمح^(٤)] أن للوزير أبي القاسم [محمد] ابن عبد الغفور - وترجم له الفتوح^(٥) وابن الأبار^(٦) - رسالة سماها بالساجعة [والغريب^(٧)] هذا بها حذو أبي العلاء في الصاهل والشاحج له. صنعها للوزير الفقيه أبي أيوب بن أمية وبعث بها إليه فأقامت عنده أياماً ثم استدعاها منه فصرفها إليه وكتب معها كتاباً ظريفاً منه «فاسعد أعزك الله بكرتها وسلها عن أفانين معرتها».

وفيه أيضاً^(٨): أن للحافظ أبي الربيع الكلاعي صاحب الاكتفاء في مغازي الرسول والثلاثة الخلفاء كتاباً سماه «جهد النصيح في معارضة المعري في خطبة الفصيح» وآخر سماه: «مفاوضة القلب العليل ومنابذة الأمل الطويل بطريقة المعري في ملقى السبيل». وأصل ملقى السبيل محفوظ بخزانة دير اسكوريال ك بعض رسائل أخرى للمعري. وفيها نسخة من معارضة أخرى له لأبي عبد الله بن أبي الخصال وزير يوسف بن تاشفين وذكره أبو بكر في «فهرسته»^(٩) ولفظه جزء فيه ملقى السبيل [لابن أبي الخصال] بنظم بديع ونثر سنيح في معنى الزهد الرفيع من تأليفه.

وذكر ابن الأبار في «التكملة»^(١٠) أن لابن غلنذه الأموي السرقسطي المتوفى سنة ٥٨١ هـ لزوميات.

(١) ٤٥٠. (٢) التكملة رقم: ١٤٥٨.

(٣) مصر، ٢: ٣١٦، ليدن: ٣٧٢، وأبو القاسم هذا نقل قول المعري من س: ودبت فوقه حمر المنايا ولكن بعدما مسخت نما لا إلى قوله:

تريه المنايا الحمر فيه وجوهنا مماثلة الأرواح في صور الدر الغيث ٢: ١١٥.

(٤) مصر، سنة ١٣٢٥ هـ ص: ٣٣. (٥) مطمح الأنفس، مصر: ٣٥.

(٦) التكملة رقم ٦٥٢. (٧) الزيادة من التكملة.

(٨) مصر ٢: ٥٨٧ ليدن: ٧٦٩. (٩) ٤٢.

(١٠) رقم: ١٥١٦.

ولأبي الطاهر محمد بن يوسف التميمي السَّرْقُسطي خمسون مقامة لزومية بناها على لزوم ما لا يلزم. قال ابن بَشْكُوَال في الصلة^(١) هو صاحبنا ومقاماته أخذت عنه واستُحسنت وتوفي بقرطبة سنة ٥٣٨هـ.

وهذا كله يدل على ما تمكن في نفوس أهل الجزيرة من حب أبي العلاء وآثاره الخطيرة. فافتقوا قفوه. واحتذوا حذوه وجعلوه إماماً يقتدى به^(٢) ومناراً يهتدى به. ولنعم ما قال ل:

واعتقاد الإنسان فيك جميلاً مئة لا ينالها منك شُكْرُ

هو والحساد

لا يستطيع الناس فضيلة بالقدر صيرها إليك مصير
قد جرت سنة الله أن يَمُنُّوْ كُلَّ نابغ من العباد، بكيد الحساد. حتى ينشروا خبيء
علمه ويبحثوا في مكنون فضله. وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا ولو فكروا لدروا
أنهم لا يستطيعون ضراً ولا نفعاً. فترى الرجل بُلي بهم من صباه قال س:^(٣)

بأي لسانِ ذامني متجاهل عليّ وخَفَقُ الريح في ثناء
تكلّم بالقول المظلل حاسد وكل كلام الحاسدين هراء
رويدك^(٤) أيها العاوي ورائي لتُخبرني متى نطق الجماد
أأخملُ والنباهة في لفظ وأقترُ والقناعة لي عتاد
كأنّي^(٥) إذا طَلْتُ الزمان وأهله رجعت وعندي للأنام طوائل
ومن سائر شعره^(٦):

تَعاطوا مكاني وقد فُتُّهم فما أدركوا غير لمح البَصَرِ
وقد نَبَحُونِي وما هَجَّتْهُمْ كما نَبَحَ الكلبُ ضوءَ القمر

(١) رقم: ١١٧٥ ومنها نسخة باسكوريال. ترجم لأبي الطاهر ترجمة ضافية ابن الأبار في المعجم عدد: ١٢٤، وصاحب البغية: ١٢٠. وورد ذكر المقامات هذه في التكملة تحت رقم: ١٧٢٢ وتحت:

٣١٢ من طبعة الجزائر وفي معجم ابن الأبار: ٢٦٦ والمعاهد ٢: ١٠٦.

(٢) ولابن عمار الأندلسي وكأنه معاصر صاحبنا (٤٢٢ - ٤٧٧هـ) تضمنين لبيته من السقط (١: ٣١) لو اختصرتم الخ. أورده صاحب المعاهد ٢: ٩٨ وهذا أدل دليل على انتشار شعر صاحبنا بالجزيرة في حياته. وابن عمار لم يكن فارقه إلى البلاد المشرقية كما هو معروف.

(٤) (٤) ١: ٦٦.

(٣) ١: ٨٥.

(٥) ١: ١١٠.

(٦) ١: ١٣٦.

وقال ببغداد^(١):

فأصبحتُ محسوداً بفضلِي وحده على بُعد أنصاري وقِلَّةِ مالي
ولكن لما اخترق صيته المسامع بعد الرجوع . كثر عداؤُ من طوى له الشنآن
والحسد بين الضلوع . ل :

أضحت تُظنُّ بك الديانة والغنى والعلمُ فاهتاجت لك الحُساد
وإذا حُسدت فإن شكر فضيلة أن لا تؤاخذَ بالإساءة حاسدا
كم صاحبُ يتميُّ لو نُعيْتُ له وإن تشكَّيْتُ راعاني وفداني
تغيَّبْتُ في منزلي برهةً ستيرَ العيونَ فقيدَ الحسد
ويأتي في وصف اللزوم آخر رسالة له فيمن حرَّف بيتاً من اللزوم وذكر به ابناً
لصالح بن مرداس .

ونقلوا^(٢) عن ابن العديم في كتابه العدل والتحري في دفع التجري على أبي
العلاء المعري أنه قال : قرأتُ بخط أبي اليَسر المعريِّ في ذكره ، وكان رضي الله عنه
يُزَمُّ من أهل الحسد له بالتعطيل ويعمل تلامذته وغيرهم على لسانه الأشعار يُضْمَنُونَهَا
أقاويل المُلجدة قصداً لهلاكه وإيثاراً لإتلاف نفسه . فقال رضي الله عنه حاول . . .
بإهوان . الثلاثة الأبيات وهي في الفأث . وشكا إلى المنازي كما يأتي حسدهم فعاد
كما قيل :

إنك لا تشكو إلى مصمَّت فاحتمل العبء الثقيل أو مُتِ
وقد أخرجَ عداوتهم أحسن مُخرج حيث قال . ل :

أردت إهانتي فحماك مني قضاءً فيَّ كان له نُجوز
وجدتني اللجئُ أو الثرياً وتصغيرُ المصغر ولا يجوز

تلامذته والرواة عنه

أرى أن ناشئة المعرة من بيوتات آل سليمان وبني عبد اللطيف وبني الدويذة
وغيرها كانوا يقرؤون عليه . ولكن التاريخ لم يحفظ لنا من أخبارهم إلا قليلاً . وحسبك
أن الذين رثوه على ما قال ياقوت وغيره^(٣) أربعة وثمانون شاعراً . روى السلفي^(٤) عن

(١) ٤٥ : ٢ .

(٢) أدباء ١ : ١٧٩ ، ونكت : ١٠٥ ، معاهد ١ : ٥٠ .

(٣) أدباء ١ : ١٧١ ، وذمبي : ١٣٥ . (٤) ذمبي : ١٣٥ .

الأبهري أنه خُتِمَ في أسبوع واحد على قبره مائتا خَتمَة، وظاهر أنَّ جُلُهم من تلامذته. وذكر ابن العديم في الباب الخامس من العَدُل ممن قرأ عليه أو روى عنه كثيراً من العلماء والأدباء والمحدثين من أهل المعرة وغيرهم من الغرباء من حلب وكُفْر طاب والأندلس وتبريز وأصبهان وسروج والرَّقَّة وهَكَار وبغداد والمضبيصة وأبهر ونيسابور والأنبار من أئمة وعلماء وقضاة وأدباء رُواة وحُفَاط ثقات. رَووا عنه وكتبوا وأخذوا العلم واستفادوا وعظَّموا قدره ومعارفه. وقال الرحالة الفارسي: إنه لا يزال جماعة وافرة من الطلبة يقيمون ببابه ويقرؤون عليه كتب الشعر والأدب، وهم أكثر من مائتي رجل. فإنَّ صَحْحنا قوله فلا بد أن يكون له من التلامذة ما لا يقلُّ عن أُلوف وإن أنكرناه فهم مئون ولا شك. والأسف أننا نقتنع من الإعراج على هَجمَة ومن الجَم الغفير على شِرذمة، لفقدنا من الوسائل اللازمة ما يَهْم، ومن كتب الأخبار ما يخص ويعم. فهاكهم غير من مرَّ في أبواب بَغداد:

(١) فأولهم فضلاً وذكرًا ولآثاره إذاعة ونَشراً ابنُ الخطيبِ التبريزي، أبو زكريا يحيى بن علي الشيباني^(١)، اللغوي صاحب التصانيف الممتعة التي شحنها بكنوز علوم أبي العلاء رحل إليه كما قال القفطي^(٢)، وأبو الفداء^(٣) من تبريز إلى المعرة^(٤) لا من بغداد ويمكن أن يكون عاج إليها. وكان سبب توجهه إليه على ما روى القفطي^(٥) أنه حصلت له نسخة من كتاب التهذيب في اللغة تأليف أبي منصور الأزهري في عدة مجلدات لطاف وأراد تحقيق ما فيها وأخذها عن رجل عالم باللغة فدلَّ على المعري. فجعل الكتاب في مِخْلَة وحملها على كَتِفِه من تبريز إلى المعرة. ولم يكن له ما يستأجر به مركوباً. فنفذ العَرَق من ظهره إليها فأثَّر فيها البَلَلُ. وهي ببعض الوقوف ببغداد وإذا رآها من لا يعرف صورة الحال فيها ظنَّ أنها غريقة وليس بها سوى عرق الخطيب المذكور هـ. وكان أبو العلاء حَدَباً عليه عَطُوفاً. ولما عاناه من مَشَاقِّ الشَقَّة رقيقاً رؤُوفاً. كما يعلم من حكايته عنه في الحفظ. وقال في شرح السقط له^(٦): «لما حضرت أبا العلاء قرأت عليه كثيراً من كتب اللغة وشيئاً من تصانيفه. قال: وَكَانَ

(١) راجع ترجمته في النسب: ١٠٣، والوفيات ٢: ٢٣٣، والنزهة: ٤٤٣ والبغية ٤١٣.

(٢) وانظر الحكاية التالية.

(٣) ٢: ٢٢٤ لا من خراسان كما زعم صاحب (ذ): ٢٠٤ ولا من بغداد كما يوهم كلام مرجليوث: ٣١ ولا من نهروان على ما في نزهة الجليس ١: ٢٧٨.

(٤) وزعم صاحب البغية: ١٣٦ أنه قرأ عليه ببغداد وهذا سبق قلم، فإنَّ التبريزي لم يكن ولد بعد، وسبقه صاحب الإسعاف.

(٥) الوفيات ٢: ٢٣٣، وفي ختام المصباح المنير للفيومي ذكر نسخة من التهذيب عليها خط التبريزي.

(٦) فهرس خزنة باريس: ٣١١٢، والكشف «سقط الزند».

يَحْتَنِي عَلَى الاشتغال بغير السقط من كتبه». وورد في ختام نسختين من اللزوم^(١) في إجازة له لتلميذه ابن الجواليقي أنه قرأ شيئاً من اللزوم على أبي العلاء، ومَرَّ مَا يَعْضُدُهُ فِي ذِيلِ الْبَيْتَيْنِ «يد» البيتين أنه قرأهما عليه وهما من اللزوم. وقال في مقدمة تهذيب الإصلاح له^(٢) بعدما ذكر ما في الإصلاح من التكرار المُجِلِّ وكان أبو العلاء المعريّ والشيوخ الذين قرأت عليهم هذا الكتاب يكرهون منه التكرار ا هـ. ولم أره ينقل عنه في التهذيبيين له شيئاً يذكر. وأما شرح الحماسة فإنه ملاءه بأقواله الملتقطة من تأليفه الرياش المصطنعي أظنه. قال في موضع^(٣) وروى قول التمرّي وما تعقّب به أبو العلاء: «فلا تعدلنّ عما ذكره أبو العلاء إلى غيره» وأرى أنه أودع الرياش بجملته في شرحه ولم يُبْقِ مِنْهُ بَقِيَّةٌ تُذَكِّرُ وهو بنفسه^(٤) راوي الرياش عنه.

قال السلفي^(٥): سمعتُ أبا زكريا التبريزي اللغوي يقول: أفضل من رأيتَه ممن قرأت عليه أبو العلاء. ونقل القفطي^(٦) عنه أنه لما قرأ عليه إصلاح المنطق طالبه^(٧) بالسند. فقال له: إن كنت تريد العلم فخذَه عني ولا تُعْذِنِي وإن كنت تريد الرواية فاطلبها عند غيري. قال القفطي: فهذا يدلُّ على أن أبا العلاء كان يثق بنفسه ويعتقد أنه أدرك اللغة وأنها في عصره لأنضج منها في عصر ابن السكيت.

وأما مدّة إقامته بالمعرة فلم أر من عَيَّنَهَا وَأَظْنُهَا^(٨) بين ٤٤٠ - ٤٤٧ وذلك أن أبا زكريا ولد سنة ٤٢١ هـ^(٩). وقالوا^(١٠): إن الضوء آخر تأليف أبي العلاء. وهذا الكتاب لم يكن وُضِعَ إِلَّا بعد مفارقتَه له كما ذكر ذلك أبو زكريا بنفسه في شرح السقط له:

- (١) وهما أقدم نسخة منه، انظر فهرس خزانة ليدن وأخرى مثلها في بومباي.
- (٢) مصر ١: ٢ وبسط المعنى أبو العلاء في الإغريقية ص: ١٩ وقال إن ذكر الكلمة مرتين كالجمع في النكاح بين الأختين.
- (٣) مصر ١: ١٩٢.
- (٤) انظر فهرس الخديوية ٤: ٢٦٩.
- (٥) ذهبي: ١٣٥.
- (٦) (ذ): ٣٠٤.
- (٧) ولهذا نراه روى الإصلاح عن الرئيس هلال الصابي. وانظر فهرست خزانة ليدن: ٣٣.
- (٨) وروى الذهبي عن الحفاظ (٣: ٣١٥) خبراً في قراءة التبريزي على الخطيب أبي بكر البغدادي بجامع دمشق. وقال ابن عساكر (١: ٣٩٨)، وابن السبكي في طبقاته (٣: ١٢) إن الخطيب قدم دمشق سنة ٤٤٥ هـ حاجاً فسمع خلقاً كثيراً وتوجه إلى الحج ثم قدمها سنة ٤٥١ هـ فسكنها وحدث بعمامة مصنفاته ا هـ. وهذا يجذب إلى تصديق المدة التي عيَّنَهَا ثم خرج منها إلى صور سنة ٤٥٧ هـ ثم إلى العراق سنة ٤٦٢ هـ انظر الحفاظ ٣: ٣١٨.
- (٩) ومات سنة ٥٠٢ هـ ببغداد وهو مدرس الأدب بالنظامية وخازن دار الكتب بها.
- (١٠) تاريخ ابن الوردي ١: ٣٦، عن دفع المعرة عن شيخ المعرة وكشف الظنون رسم سقط الزند عن شرح التبريزي.

إن ابن الأبار روى مشيخة السلفي للتجبي قال: أنشدنا السلفي قال: أنشدنا أبو المكارم الأبهري قال: أنشدنا أبو العلاء التنوخي لنفسه بالمعرة:

تَوَحَّدَ فَإِنَّ اللَّهَ رَبُّكَ وَاحِدٌ وَلَا تَرْغَبَنَّ فِي عِشْرَةِ الرُّؤَسَاءِ

الأربعة أبيات من ل.

(٢) أبو المكارم عبد الوارث بن محمد الأسدي المالكي^(١) رئيس أبهر. روى السلفي^(٢) جملة من الأشعار والأخبار عنه عن أبي العلاء قال: وكان من أفراد الزمان ثقة مالكيًا. ويظهر من حكايته في وفاته أن لعله كان حاضراً إذ ذاك^(٣) بالمعرة. وهو راوي السقط وكثير من اللزوم وشيء من غيرهما عنه. قال السمعي: وسماه أبا المكارم عبد الوارث بن عبد المنعم الأبهري هو أحد الأدياء الفضلاء. تلمذ لأبي العلاء المعري وقرأ عليه الأدب روى لنا عنه أبو عبد الله الخلال الأديب بأصبهان وآخر سماه^(٤) والأبهري لأهل خراسان ولمن يصاقبها كأبي الفضل البغدادي وابن العربي للمغاربة. فإنهم يروون السقط وغيره بطريقه، قال صدر الأفاضل الخوارزمي أخبرنا بالسقط الأستاذ البارص ناصر الدين أبو المظفر بن أبي المكارم المعروف بالمطرزي قراءة عليه. قال: أخبرنا الوالد عبد السيد بن علي المطرزي قراءة عليه قال: أخبرنا الشيخ الرئيس أبو المكارم الأبهري قراءة عليه، قال: أخبرنا الفاضل أبو العلاء.

(٣) أبو الفضل محمد الدارمي الوزير البغدادي داعية القائم على ما مر. انفصل من بغداد نحو سنة ٤٣٥هـ، ووفد على القيروان سنة ٤٣٩هـ. فالظاهر^(٥) أنه لقيه بينهما بالمعرة وقرأ عليه شيئاً وأوصله إلى المغرب والأندلس. قال أبو بكر الأندلسي في فهرست مرويّاته^(٦) وحدثني بالسقط أيضاً شيخنا أبو الحسين عبد الملك بن محمد بن هشام عن الأستاذ أبي محمد ابن السيد البطلوسي عن أبي الفضل البغدادي عن المعري - وروى صاحب النفع^(٧) أنه اجتمع مع أبي العلاء بالمعرة وأنشده قصيدة لامية يمدح بها صاحب حلب فقبل عينيه وقال: لله أنت من ناظم! وترجم له صاحب النفع والمعال^(٨) والنمّة.

(١) ذهبي: ١٣١، ١٣٣، و١٣٧ وترجم له البخاري في الدمية.

(٢) انظر ذهبي.

(٣) ولكن لا شك في قراءته عليه بها.

(٤) لم أستطع قراءة اسمه.

(٥) ٢: ١٠٣، مصر.

(٦) ٤١٢.

(٧) مصر، ٢: ١٠٣، ليدن: ٧٧.

(٨) ٣: ٢٤١. وانظر «ابن رشيق»: ٣٢.

(٤) أبو الربيع سليمان بن أحمد السَّرْقُسْطِي المتوفى سنة ٤٧٩هـ عن ٨٠ سنة. قال الذهبي: أنبأنا عبد الرحيم العامري عن أحمد بن أبي أنعم أن الحافظ أبا عبد الله بن محمود أخبره في كتابه أنا أبو القاسم الأزجني عن هبة الله بن علي المقرئ. أنشدنا أبو الربيع السَّرْقُسْطِي أنشدنا أبو العلاء المعري لنفسه: أنا صائم طول الحياة وإنما فطري الحمام ويوم ذاك أعيد الأبيات الخمسة من الزوم.

ترجم له الذهبي في «الميزان» وابن حجر في «اللسان» (٣: ٧٥).

(٥) أبو الخطاب العلاء بن عبد الوهاب بن أحمد بن عبد الرحمن بن سعيد بن حزم الأندلسي المرِّي. ترجم له الضبي^(١) قال: ويعرف بابن أبي المغيرة وهو من بيت جلالة وعلم ورياسة وفضل كبير ومات في رجوعه عند وصوله إلى الأندلس بعد سنة ٤٥٠هـ. وابن بشكوال^(٢) في الصلة قال: إنه ولد سنة ٤٢١هـ ومات بالمرية سنة ٤٥٤هـ انصرافه وسنه ٣٣ عاماً وبقيت رحلته نحواً من تسع سنين وسمع منه الخطيب البغدادي هـ. والمقرئ^(٣) عن الحميدي في الجذوة وأثنى عليه قال: وكان من أهل العلم والأدب والذكاء والهمة العالية. وهو تلميذه كما في النسب للسمعاني.

(٦) أبو مالك أحمد بن الصنديد العراقي قال ياقوت في الأدباء (١: ١٥٢): كان من أهل الأدب والشعر. روى شعر المعري عنه وله فيه شرح وله مع الحضري مناقضات. دخل الأندلس وكان عند بني طاهر ومدح الرؤساء والأكابر.

(٧) أبو تمام غالب بن عيسى الأنصاري الأندلسي. لقيه بعد سنة ٤٢٣هـ. فإن في الأبيات التي رواها عنه السلفي^(٤) بمكة بيتاً وهو:

أتتني من الأيام ستون حجة وما أمسكت كفاي ثني عنان

ترجم له ابن الأبار في «التكملة»^(٥) قال: جاور بمكة وروى عن... وأبي العلاء المعري - أنشدنا أبو عمرو بن سفيان التميمي بتونس أنشدنا علي بن المفضل المقدسي أنشدنا السلفي أنشدنا أبو تمام غالب بن عيسى الفقيه أنشدنا أبو العلاء: أبا العلاء ابن سليمان... البيتين أنظرهما في الفائق.

(١) ١٢٤١.

(٢) ترجمة سابقة عدد ٩٥٦.

(٣) النفع، مصر ٢: ١٢.

(٤) ذهبي ١٣٤. وانظر لتلمذه: ١٣٧ منه واللسان ١: ٢٠٦.

(٥) ١٩٥٧.

(٨) أبو القاسم عبد الدائم بن مرزوق بن خير القيرواني. روى عنه السقط أخو ابن السيد البطليوسي أبو الحسن علي بن محمد كما قال أبو بكر^(١) وترجم له الضبي^(٢). قال: وتوفي بطليطلة سنة ٤٧٢ هـ. وابن بشكوال^(٣) في الصلة وذكر أنه كان بالبصرة سنة ٤٢٨ هـ وصاحب «البيعة»^(٤).

(٩) أبو الطاهر محمد بن أحمد بن أبي الصقر الخطيب الأنباري قرأ عليه بالمعرة، وروينا من طريقه حديثاً في باب طلبه للعلم وورد ذكره عند السمعاني والذهبي وابن حجر^(٥)، وترجم له القفطي في إنباء الرواة^(٦)، ورأيت نسخه بخطه قال: هو محمد بن أحمد بن محمد بن إسماعيل بن عبد الجبار بن فليح الأنباري أبو طاهر بن أبي الحسين بن أبي الصقر، ثقة فاضل خير دين رحل إلى مصر والشام والحجاز وسمع الكثير وحصل الكتب ورجع إلى الأنبار وحدث وانتشرت عنه الرواية (ثم أورد كثيراً من شعره مسنداً ثم روى عن) أبي الفتح ابن الخلال إمام جامع الأنبار أنه توفي سنة ٤٧٦ هـ. ١ هـ.

(١٠) القاضي أبو المجد محمد بن عبد الله ابن أبي المجد محمد أخي أبي العلاء. ذكر ابن الأبار في «التكملة»^(٧) في ترجمة صاحبه أبي محمد عبد الله الأنصاري أنه كان عنده شعر أبي العلاء مسموعاً على أبي إسحاق بن أبي اليسر عن والده عن جده، عن أبي العلاء. وقال ياقوت^(٨): إنه أدرك عم أبيه أبا العلاء وروى عنه مصنفاته وأشعاره.

(١١) أبو عبد الله بن جابر القرطبي قال ابن الأبار^(٩) يروي عن أبي العلاء المعري شعره. أخذ عنه أبو عبد الله بن خطاب التُّطَيْلي من شيوخ أبي عامر بن رزق، ذكر ذلك أبو بكر يحيى بن أبي عامر في برنامجه ١ هـ.

(١٢) الخليل بن عبد الجبار القزويني^(١٠) هو تلميذه ونقل عنه السلفي عن أبي العلاء حديثاً أثبتته في باب الطلب، قال السلفي: وكان ثقة.

(١٣) أبو غالب همام بن الفضل بن جعفر بن علي بن المهذب المعري. له

(١) ٤١٢. (٢) رقم ١١٢٨.

(٣) رقم: ٨٣٨. (٤) ٢٩٦.

(٥) ١١٠ - ١٣٧ - ٢٠٦. (٦) ورق: ١٨.

(٧) رقم: ١٤٥٨.

(٨) أدباء: ١٦٤ ونسخته مصحفة فصيحاً هكذا فمنهم القاضي أبو المجد محمد بن عبد الله بن أبي المجد محمد بن عبد الله (أبي أبي العلاء) سطر ١٣.

(٩) ١٤٦٨. (١٠) ذهبي: ١٣٢، ١٣٧، واللسان: ٢٠٦.

تاريخ نقل عنه ياقوت^(١) عدة فوائد ومنها^(٢) قال: حدثني الشيخ أبو العلاء أن أبا علي مضى إلى العراق وصار له جاه عظيم عند الملك فَنَّا حُسْرُو الخ. ومنها^(٣) في البحري ووالده. ومنها^(٤) في ترجمة أبي ريش والزجاج وكذا نقل عنه ابن الوردي أيضاً شيئاً كثيراً.

(١٤) شيخ الإسلام أبو الحسن علي بن أحمد بن يوسف الهكاري. هو ناقل خبره مع وزير محمود وسيأتي. وقد تصحف^(٥) على سبط ابن الجوزي اسمه حيث دعاه نقلاً عن الغزالي^(٦) يوسف بن علي الهركاري. ولم أر أحداً سماه الهركاري ولا وجدت كلمة هركار فيما بيدي من المعاجم. والهكارية التي ينسب إليها ناحية فوق الموصل في جزيرة ابن عمر يسكنها الهكارية وهم صنف من الأكراد، ولا أستبعد أن تكون الناحية تدعى الهركار أيضاً. إلا أنني لم أجدها بهذا اللفظ. وأما يوسف فإنه جد شيخ الإسلام. وليس ببدع^(٧) أن يكون له ولد يدعى يوسف كجده ولكن صحبته لأبي العلاء وروايته عنه بلا واسطة كآبيه مما لم يثبت. والعجب كل العجب أن صاحب سر العالمين يدعو يوسف شيخ الإسلام وقال في موضع آخر^(٨) أنشدني المعري لنفسه وأنا شاب في صحبة يوسف بن علي شيخ الإسلام ثم أورد ستة أبيات من اللزوم أولها:

أنا صائم طول الحياة وإنما فطري الحمام وعند ذاك أعيد

وهذه ظاهرة أنه يدعو علياً شيخ الإسلام على الصواب ولكن لقاء الغزالي وكان وُلد سنة ٤٥٠ هـ للمعري من دونه خطر القتاد. وهذا الكتاب تلفيق أعجمي لا يحسن العربية^(٩) فسحنه بالأغلوطات^(١٠).

(١) أدباء ١: ٧٤ و٢١٥

(٢) أدباء ٣: ١٩.

(٣) بلدان رسم حردفة.

(٤) أدباء ١: ٧٤، ٤٧.

(٥) نكت: ١٠٧.

(٦) وهذا الخبر موجود في سر العالمين المنحول إليه طبعة بمباي ص: ٣٨ ولفظه: وحدثني يوسف بن علي بأرض الهركار... قال يوسف شيخ الإسلام: دخلت المعرفة على زمان المعري الخ.

(٧) قال ابن خلكان وخرج من أولاد الشيخ وحفدته جماعة تقدموا عند الملوك الخ.

(٨) ص: ٨٥.

(٩) فإنه قال بعد نقل الأبيات: «هذا الشعر في بحر لزوم ما لا يلزم».

(١٠) قال ص: ١٠٠. وأنشد الشيخ أبو العلاء لنفسه رحمه الله تعالى:

يا قوم أذني لبعض الحي عاشقة والأذن تعشق قبل العين أحياناً

إن العيون التي في طرفها مرض قتلنا ثم لم يحيين قتلنا

بصر عن البيت.

فأنت ترى أن هذه ظلمات بعضها فوق بعض كيف أنشده المعري ولم يولد بعد؟ والأبيات ليست =

وسئل شيخ الإسلام لما انفصل عنه عما رآه منه وعن عقيدته فقال: هو رجل من المسلمين وكان لقيه بالمعرة وسمع منه. تُرجم له في «الأنساب» و«الوفيات» و«اللسان» و«مرآة الجنان»^(١).

(١٥) أبو الحسن علي بن همام^(٢) تلميذه رثاه بأبيات ميمية تأتي في محلها.

(١٦) أحمد بن حمّاد المعريّ هو أبو سعد راوي ملقى السيل عن^(٣).

(١٧) أبو الحسن علي بن عبد الله بن أبي هاشم مستمليه^(٤) وفي العدل ابن عبيد الله. متولّي أوقاف الجامع بالمعرة.

(١٨) ابنه أبو الفتح محمد عمل له كتابين في النحو سيردان. وذكرهما ابن العديم.

(١٩) أبو الفضل هبة الله بن أحمد بن يحيى بن زهير. قال ياقوت^(٥) لعله لقي أبا العلاء المعري وقرأ عليه شيئاً. وولي القضاء بحلب وأعمالها في سنة ٤٧٣ هـ وهو من أجداد الكمال ابن العديم الحلبي فإنه عمر بن أحمد بن هبة الله بن محمد بن أبي الفضل المذكور.

(٢٠) القاضي أبو الفتح بن أحمد السروجي أخو القاضي أبي المذهب عبد المنعم. روى^(٦) في -تكايته قال: دخلت على أبي العلاء بالمعرة ذات يوم في وقت خلوة بغير علم منه وكنت أتردد إليه وأقرأ عليه الخ.

(٢١) الشيخ أبو محمد الحَمْداني (في نسخة الدمية بالمتحف البريطاني وفي أخرى بالخط المغربي الحَمْدانيّ بالحاء كما صوّبناه). روى عنه البخارزي^(٧) في دُميته عدّة من قصائده في السقط.

(٢٢) رجل واسطي لم يسمه وذكر في الغفران^(٨) أنه كان يتعرض لعلم العروض

= للمعري بل الأول لبشار الأعمى (الوفيات ١ : ٨٩) والآخرا لجريير. انظر طبقات ابن قتيبة ليدين: ٩.

(١) ٥٩١ - ١ : ٣٤٦ - ٤ : ١٩٥ - ٣ : ١٤٢.

(٢) ذهبي: ١٣٧ - الوفيات ١ : ٣٤.

(٣) ٢١٧ - والذي في فهرس خزانة أسكوريال لدرنبرغ تحت العدد: ٤٦٧ أحمد بن كمال المعري والنسخة واحدة لا شك.

(٤) أدباء ١ : ١٨٠. ذهبي: ١٣٥، العدل.

(٥) أدباء ٦ : ٢٧.

(٦) ذهبي: ١٣٤ ومعاهد ١ : ٥٠.

(٧) وفي نسخة الدمية الخطية بكلكتة ورق ٥ و٦ الهمداني (٩).

(٨) ١٨٤.

وهو الذي ذكر لصاحبنا أنه رأى ابن القارح بنصيبين.

(٢٣) ومن رواية شعره شيخ الإسلام أبو عثمان إسماعيل الصابوني. قال البيهقي: إنه إمام المسلمين حقاً وشيخ الإسلام صدقاً. قال ياقوت دخل معرة النعمان فلقي أبا العلاء. قال ابن عساكر: إنه قدم دمشق حاجاً سنة ٤٣٢ هـ الخ، وتوفي سنة ٤٤٩ هـ كصاحبنا. وروى عنه الباخري كلمتين له إحداهما من اللزوم والأخرى على الضاد ذكرتها في الفائق. ولفظه رجعت إلى تعليقاتي وعثرت مما أنشدني الأستاذ شيخ الإسلام... الصابوني له قال: أنشدني لنفسه بمعرة النعمان. وترجم له السمعاني وابن عساكر وياقوت وابن السبكي^(١).

(٢٤) ومنهم أبو الوليد الحسن بن محمد البلخي الدربندي الحافظ الجوال روى^(٢) أبو سعد [السمعاني] بسنده عنه قال: أنشدني أبو العلاء التنوخي في داره عند وداعي إياه (س)^(٣):

كم بلدة فارقتُها ومعاشر يُذُرُون من أسف عليّ دموعاً
وإذا أضعفتني الخطوبُ فلن أرى لعهود إخوان الصفاء مُضيعة
خاللتُ توديع الأصادق للنوى فمتى أودعُ خَلِيّ التوديعا

قال ابن عساكر^(٤) وياقوت^(٥) وترجما له. رحل في طلب الحديث وبالغ في جمعه وأكثر غاية الإكثار. وهو شيخ الخطيب أبي بكر وتوفي سنة ٤٥٦ هـ. قال ابن عساكر ودخل دمشق. وانظر في أبواب بغداد ذكر الواجكا.

(٢٥) أبو الحسن الدلفي المصيصي النحوي وهو محمد^(٦) بن عبد الله بن حمدان ومات بمصر سنة ٤٦٠ هـ، وكان زاره في عنفوان شبابه بالمعرة وانظر مبحث طلب العلم.

(٢٦) أبو عبد الله محمد بن محمد بن عبد الله الأصفهاني روى عنه الضوء وسائر كتبه. ويأتي في فصل دينه كان قرأ عليه السقط كما ورد في سند نسخة بانكي پور.

(٢٧) القاضي أبو سعد روى عن أبي العلاء عدة فوائد على حاشية نسخة من

(١) ٣٤٦-٣: ٢٧-٢: ٣٤٨-٣: ١١٧ ولاء.

(٢) أدباء ١: ١٧٥.

(٣) ٢: ١٣٦ وفي العنوان: «قال على لسان البلخي».

(٤) ٤: ٢٤٧.

(٥) بلدان «دربند» ثم وجدت في الحفاظ ٣: ٣٢٩ ترجمة له أيضاً.

(٦) البديعي ١: ٤٢٤ والبنية: ٥٢٥.

«الجمهرة» لابن دُرَيْد^(١).

(٢٨) أبو عمرو السفاقسي. روى^(٢) عن أبي العلاء خطبة الفصيح، وهو عثمان بن أبي بكر بن حمود الصّدْفِيّ. رحل إلى المشرق بُعِيدَ سنة ٤٢٠هـ. وسنه إذ ذاك نحو ثلاثين فسمع من أبي نُعيم الحافظ وشيخ الإسلام الصابوني والقاضي أبي الطيّب الطبري وغيرهم. ثم رجع إلى الأندلس سنة ٤٣٦هـ فقرأ عليه أهلها. ولقي ابن رشيّق وابن شَرْفَ بالقيروان ووقع بينه وبينهما مشاعرة ظريفة ترجم له ابن بِشْكَوَال والضبيّ.

(٢٩) ابن أخيه القاضي أبو محمد عبد الله بن أبي المجد محمد. وكان بَرّاً بعمه حديباً عليه وهو الذي مرَّضه مراراً. ذُكر في عداد المستملين ويأتي في فصل الموت. ولأبي العلاء فيه كلمتان أنظرهما في الميم من الفائق. وهذا كله عن العدل والتحريّ.

(٣٠) ابن أخيه وأخو السابق أبو الحسن علي بن أبي المجد محمد سمع على أبي العلاء جميع أماليه ونسخها بخطه.

(٣١) مستمليه إبراهيم بن عليّ وقد مرّ في المستملين قال ابن العديم: قرأ عليه الخ.

(٣٢) أبو النصر محمد بن محمد بن أحمد بن همهاه الرامشي النيسابوري النحوي (٤٠٤ - ٤٨٩هـ) قال ياقوت^(٣) وقد ترجم له أنه أخذ الأدب عن أبي العلاء المعري.

وممن أظنه منهم:

(٣٣) أبو الرضا عبد الوهاب بن الفرّج بن الثّوّت المعري المتوفى سنة ٤٨٠هـ وفي خريدة العمداد أبو الرضا عبد الواحد وهو الصواب. وعبد الوهاب عن الثّكت^(٤) وأظنه تصحيحاً. رثاه على الرّاء كما سيأتي.

(٣٤) الأمير أبو الفتح ابن أبي حصينة المعريّ شاعر أسد الدولة عطية

(١) انظر نسخته الخطية بخزانة حيد آباد ص: ٢٣، ٢٤، ١٠ وغيرها ولفظه قال لي الشيخ أبو العلاء.... وأراه الذي رثى القاضي وادعاً براهية طويلة ذكرها القفطي في إنباء الرواة وسماه محمد بن أحمد.

(٢) فهرست أبو بكر: ٣٤٣ وهو يرويها عن أبي محمد بن عتاب عن السفاقسي عنه، والصلة رقم: ٨٧٦ والبغية للضبي رقم ١١٨٠.

(٣) الأدباء (٧: ١٠٠).

(٤) ١١٠. ثم أني تحققت تصحيحه بخبر رواه الأزدي في بدائع البداة ٢: ٤٤ في ارتجاله بحضرة ثمال بن صالح وشاعره ابن سنان الحفاجي.

ابن صالح بن مرداس وولاه المعرة توفي في حدود سنة ٥٠٠ هـ. وذكره ابن بطلان^(١) المتطبّب في رسالته إلى هلال بن المحسن نحو سنة ٤٤٠ هـ، وأنه شاعر حلب إذ ذاك. وله مرثية في أبي العلاء تأتي. وترجم له الكتبي^(٢).

(٣٥) أبو العباس أحمد بن خلف الممتّع. قال ابن القارح^(٣): إني وجدت آثار تفضله (أبي العلاء) عليه ظاهرة ولسانه رطباً بشكره وقد ملأ السماء دعاء والأرض ثناء ا هـ. ويظهر من فحوى كلامه أن أبا العباس من أهل المعرة. وفي الغفران^(٤) وسيدي الشيخ أبو العباس الممتّع في السنّ ولد وفي المودة أخ الخ.

(٣٦) محمد بن علي المقرئ الكازروني. روى ابن الأبار عن مشيخة السلفي لتجيبني قال: سمعت السلفي بالإسكندرية يقول: سمعت القاضي أبا الحمد الموحد بن محمد بن عبد الواحد بثُتِرَ يقول: سمعت محمد بن علي المقرئ الكازروني بالأهواز يقول: دخلنا على أبي العلاء المعري منصّرفنا من مكة ونحن جماعة فسألنا عن أسمائنا وبلداننا وصنائعنا. فانتسب كل واحد منا فلما سألتني عن صناعتي قلت: أنا قارئ. قال: فاقرأ لي آية من كتاب الله تعالى فقرأت: ﴿يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ امْتَلَأَتْ وَنَقُولُ هَلْ مِنْ مَزِيدٍ﴾ فبكى بكاء شديداً ثم أمر لنا بدُرهمات وقال: اصرفوها في البلس يعني: التين فإنه أوانه. فسألناه أن ينشدنا شيئاً من الشعر فأنشدنا: يغدو الفقير وكل شيء ضيئه والأرض تُغلق دونه أبوابها

(الأربعة وهي في الفائق).

(٣٧) المفضل ولعله المفضل بن سعيد العيزي وكان تلميذاً له كما جاء في «التنوير» وحاشية نسخة بانكي پور. أنظر الملحوظة على ص ٨٦ وص ٨٦ من الأصل أيضاً.

(٣٨) أبو الخطاب أحمد بن المغيرة الأندلسي قال ابن السراج القارئ المتوفي سنة ٥٠٠ هـ في مصارع العشاق ص ٢١٧. أخبرني^(٥) أبو الخطاب أحمد بن المغيرة الأندلسي بدمشق لأبي العلاء أحمد بن سليمان وذكر لي أنه قرأ عليه ديوان الصبابة^(٦)

(١) بلدان «حلب» والحكماء للقفطي ترجمة ابن بطلان.

(٢) ١: ١٢٢. وانظر خبر مساجلته ابن سنان الإجازة بحضرة سديد الملك في بدائع البدانة ١: ٢١٣ وخبر توليته وتأميره من المستنصر راجعه في تاريخ ابن الوردي ١: ٣٦٥.

(٣) ٢٠٤.

(٤) ١٧١.

(٥) لعل صوابه أنشدني.

(٦) كذا والصواب ديوان الصبا وهو السقط.

وَقَرَأَتْهُ عَلَيْهِ جَمِيعَهُ بِدَمَشَقٍ مِنْ أَثْنَاءِ قَصِيدَةٍ لَهُ أَوَّلُهَا:

أَسَالَتْ أَتَيْ الدَّمْعَ فَوْقَ أَسِيلِ

النَّخِ.

(٣٩) أَبُو عَبْدِ اللَّهِ نَصْرُ بْنُ صَدَقَةِ الْقَاسِيِ النَّحْوِيِّ. كَانَ يَتَعَانَى الْأَدَبَ فَقَدِمَ مِصْرَ وَأَخَذَ عَنْ عِلْمَائِهَا، ثُمَّ تَوَجَّهَ إِلَى الْمَعْرِةِ فَلَازِمَ أَبَا الْعَلَاءِ وَأَخَذَ عَنْهُ دِيْوَانَ سَقَطِ الزُّنْدِ وَكَتَبَ مِنْهُ نَسْخَةً جَيِّدَةً وَرَجَعَ لِمِصْرَ فَقَدَمَهَا لِلْحَاكِمِ فَقَرَأَ عَلَيْهِ فَأَعْجَبَهُ نَظْمُهُ وَأَرْسَلَ إِلَى عَزِيزِ الدَّوْلَةِ الْوَالِيِّ بِحَلَبَ أَنْ يَحْمِلَهُ إِلَى مِصْرَ فَاعْتَذَرَ فَكَفَّتْ عَنْهُ. اسْتَدْرَكَهُ الْحَافِظُ ابْنُ حَجَرٍ عَلَى الْمَقْرِيزِيِّ فِي «الْمَقْفَى» كَمَا قَالَ السَّيُوطِيُّ فِي الْبَغِيَّةِ. أَقُولُ: وَهَذَا يَشْتَمِلُ عَلَى أُمُورٍ هَامَةٍ فَاتَنَا ذِكْرُهَا فِي مِطَانِهَا، فَلْتُسْتَدْرَكْ.

رُؤَاوَاهُ بِالْمَعْرِةِ

مِمَّنْ لَمْ يَرَوْا شِعْرَهُ فِيمَا بَلَّغْنَا

(١) الْقَاضِي عَبْدِ الْوَهَّابِ الْمَالِكِيُّ الْفَقِيهَ الشَّاعِرَ. لَمَّا نَبَا بِهِ الْمَقَامُ بِبَغْدَادَ عَلَى مَا مَرَّ فِي فَصْلِ احْتِفَالِ الْبَغْدَادَةِ وَفَارَقَهَا إِلَى مِصْرَ^(١) اجْتَازَ فِي طَرِيقِهِ بِالْمَعْرِةِ فَأَضَافَهُ أَبُو الْعَلَاءِ وَبَعَثَ إِلَيْهِ ثَلَاثِينَ دِرْهَمًا مَعَ قِطْعَةٍ بَلِيغَةٍ فِي الْإِعْتِذَارِ^(٢) تَدَلَّى عَلَى أَنَّهُ لَمْ يَتِمَّكَنْ مِنَ الْيَسَارِ. وَذَكَرَ وَرُودَهُ فِي قِطْعَةٍ^(٣) لَهُ إِلَى التَّنْوِخِيِّ أَيْضًا، وَأَنَّ الْقَاضِيَّ يُثْنِي عَلَيْهِ. ثُمَّ إِنَّ الْقَاضِيَّ تَوَفَّى بِمِصْرَ لِأَوَّلِ مَا وَصَلَهَا. فَذَهَبَ عَلَى بَعْضِ الْمُسْتَعْرَبَةِ^(٤) أَنَّ سَنَةَ اجْتِيَازِهِ بِالْمَعْرِةِ ٤٢٠ هـ وَلَكِنْ ذَكَرَ أَشْعَارُ تَنَوَخٍ فِي قِطْعَتِهِ إِلَى التَّنْوِخِيِّ وَذَكَرَ خَمْسِينَ مِنْ عَمَرِهِ فِي قِطْعَتِهِ إِلَى الْقَاضِيِّ مِمَّا يَقْرَبُ الْمُدَّةَ فَلَعَلَّهُ أَقَامَ بِالشَّامِ بَعْدَ مَفَارَقَتِهِ بِبَغْدَادَ أَعْوَامًا وَاللَّهُ أَعْلَمُ. وَمَرَّ فِي فَصْلِ الْحَنِينِ إِلَى بَغْدَادَ^(٥).

(٢) الشَّيْخُ أَبُو سَعِيدٍ الْخَوَارِزْمِيُّ الضَّرِيرُ أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنِ عَلِيِّ بْنِ نَمِيرٍ الْمَتَوَفَّى سَنَةَ ٤٤٨ هـ، لَقِيَهِ بِالْمَعْرِةِ بَنِيَّةَ الْحَجِّ كَمَا مَرَّ فِي فَصْلِ الرَّحْلَةِ إِلَى بَغْدَادَ^(٦).

(٣) أَبُو الْقَاسِمِ الْوَزِيرُ الْمَغْرِبِيُّ كَانَ أَقَامَ بِهَا فِي صِبَاهٍ كَمَا هُوَ فِي رِ^(٧) الـ ١ وَقَدْ

مَرَّ.

(٢) س، ٢: ١٣٨.

(١) الْوَفِيَّاتُ ١: ٣٠٤.

(٤) د. س. مَرْجَلِيُوث.

(٣) س، ٢: ١٤٠.

(٥) وَلِلْقَاضِيِّ شِعْرٌ مِنَ اللَّزُومِ أَوْرَدَهُ ابْنُ الشَّيْخِ ١: ٢٧٤.

(٦) انْظُرْ تَرْجَمَتَهُ فِي الشَّافِعِيَّةِ ٣: ٣٣.

(٧) ص: ٧.

(٤) أبو الحسن علي (أ و أبو الحسين محمد) بن عبد الواحد البغدادي المعروف بصريع الدلاء قتيل الغواني ذي الرقاعتين وكان ماجناً كان طلب من أبي العلاء حين اجتاز به في طريقه إلى مصر حيث توفي شرباً وما يليق به فسير إليه قليل نفقة أو نُزل على ما في الضرام واعتذر بقطعة لامية^(١). وسماه صريع البين واحتال لتزيين اسمه وجهاً جيداً حيث زعم أنه فعيل بمعنى فاعل على المبالغة قال:

دُعيت بصارع فتداركته مبالغته فرّد إلى فعيل

وتوفي بمصر سنة ٤١٢هـ، وهي سنة قدومه بها. وله ترجمة في «الوفيات»^(٢) و«الفوات»^(٣) و«التتمة». وسماه ابن الوردي في «تاريخه» ١: ٣٣٤ علي بن عبد الرحمن الفقيه المعروف بصريع الدلاء.

(٥) رئيس المنجمين كان أقام بها كما قال في الغفران^(٤).

(٦) الوزير أبو نصر المنازي ومر في أبواب بغداد. نقل الذهبي^(٥) وابن خلكان^(٦) عن غُرس النعمة قال: ثنا الوزير أبو نصر بن جهير ثنا أبو نصر المنازي قال: اجتمعت بأبي العلاء فقلت له: ما هذا الذي يُروى عنك ويحكى. قال: حسدوني وكذبوا عليّ. فقلتُ على ماذا حسدوك؟ فقد تركت لهم الدنيا والآخرة. فقال: والآخرة!!! وجعل يكرّرها ويتألم لذلك وأطرق فلم يكلمه إلى أن قام. وهذا صريح في زيارته بعد الرجوع. ومرّ قبل زيارته إياه قبل الرحلة وبغداد.

(٧) أبو يوسف عبد السلام بن محمد القزويني المعتزلي داعيتهم ٣٩٣ - ٤٨٨هـ كان مشغولاً بجمع الكتب ذوات الخطوط المنسوبة. واجتمع لديه منها كمية وافرة. وأهدى منها ألقاً إلى نظام الملك. والرجل صاحب حكايتين في الغصّ منه والوقية في دينه. وهو كما يظهر من فحوى كلامه معنّ مفنّ. وعريض مُعنتّ مُعنّ. حدّث^(٧) أبو الكرم خميس الحوزي الواسطي حدّثنا القاضي أبو يوسف القزويني قال:

(١) س، ٣٤، وابن الوردي ١: ٣٣٤.

(٢) ١: ٣٥٩ وسياق الخبر هنا منه.

(٣) ٢: ٢٣٧، ولكنه سماه محمداً وسميناه علياً كما في الوفيات وحسن المحاضرة. هذا ثم أني رأيت الثعالبي ترجم له في التتمة وسماه أبا الحسين محمد بن عبد الواحد القصار. قال: وهو بصري المولد والمنشأ إلا أنه استوطن بغداد. . . . ولما رأى سخف الزمان وأهله وميلهم من الكلام إلى هزل أخذ في طريق السخف وترع ثياب الجد وتلقب بصريع الدلاء الخ.

(٤) ١٥٧. (٥) ١٣٢.

(٦) ١: ٤٤، وصاحب الغيث ٢: ٣٥ - وقد عزا الخضر الموصلي هذه الحكاية إلى أبي يوسف القزويني وهذا غلط منه فاضح، والرجل فيما علمت غير مثبت وقد نعى عليه البغدادي في الخزانة.

(٧) أدباء ١: ١٧٢.

قال لي ملحد المعرّة: ما سمعتُ في أمر الحسين بن علي رضي الله عنه شيئاً يجب أن يُحفظَ. فقلت له: قد قال^(١): سوادِي من أهل بلادنا أبياتاً لا يقول مثلها تنوخ جدك الأكبر (ثم أتى بخمسة أبيات على العين) قال (أبو الكرم) ولم يسمَ لنا قائلًا هـ. وقال^(٢): قال لي المعري: لم أهنجَ أحداً قط. فقلت له: صدقتُ إلا الأنبياء. فتغير وجهه زاد الخضر الموصلي في الإسعاف (وقال: ما أخاف من أحد سواك) - أقول والله درُّ من قال:

فعين الرضى عن كل عيب كليله ولكن عين السخط تبذي المساويا
وترجم له ابن السبكي وابن حجر والياضي^(٣) وقال: هذا أن له تفسيراً كبيراً في
أزيد من ثلثمائة مجلد.

(٨) أبو الحسن المختار بن بطلان المتطبّب البغدادي. قال القفطي^(٤) كان يألف
أبا العلاء وكان بالمعرّة إذ ذاك (يريدُ قبيل موته) وله حديث في موته يأتي. ترجم^(٥) له
ابن أبي أصيبعة والقفطي.

(٩) أبو الحسن علي بن القارح وسيأتي. كان أقام بالمعرّة قبلُ كما هو مصرح به
في الغفران^(٦). ثم إنه أظهر الحنين إلى لقائه في رسالته^(٧) بقوله: والله لولا ضُعفي
وعجزِي عن السفر لخرجتُ إليه متشرّفاً بمجالسته ومحاضرتِهِ الخ. ولسنا ندري هل
تستى له ما أراد. أم حالتُ دونه أم اللّهُمَّ أخُتُ النَّادِ.

(١٠) أبو الحسن محمد بن سعيد بن سنان كما هو مصرح في ر^(٨) الـ ٢٠.

(١١) أبو الخطاب الجبليّ الشاعر. قال ابن الأثير^(٩) مضى إلى الشام ولقي
المعريّ وعاد ضريراً. ثم أورد له بيتين. وقد مرّ في باب أبي حمزة. وكان زاره^(١٠)
قبل رحلته إلى بغداد ومدح المعريّ فأجابه ببائية من السقط^(١١). توفي سنة
٤٣٩هـ^(١٢).

(١) كان القزويني يتنحل مذهب الزيدية في الفروع.

(٢) أدباء ١: ١٧١. (٣) ٣: ٢٣٠، اللسان ٣: ١٤٧، ٤: ١١.

(٤) (ذ): ٢٢٤.

(٥) انظر رسالته في رحلته إلى الشام في البلدان رسم حلب وغيرها وعند القفطي في الحكماء.

(٦) ١٨٤ و ١٩٢. (٧) ٢١١.

(٨) ص: ٥٥.

(٩) ٩: ٢٢٦. وترجم له الثعالبي في التتمة وسماء محمد بن علي.

(١٠) كذا في اختيار مختصر تاريخ الخطيب لابن جزلة (خط) ولفظه: سافر في حدائته (من العراق) إلى
الشام وأجابه أبو العلاء عن شعر كتبه إليه مدحه به عند وروده معرة النعمان الخ.

(١١) (١٢) ابن الوردي ١: ٣٥٠.

ياقوت: (٤ : ١٤١) ذكر في ترجمة أبي سليمان الداودي الضرير أنه كان مولعاً بشعر أبي العلاء يحفظ منه جملة صالحة ولذلك كان الناس يرمونه بسوء العقيدة وتوفي سنة ٦١٥هـ. وجاء في نكت الهميان ص ٢٩٧ في ترجمة مكّي بن شبة الماكسيني أنه كان يتعصب لأبي العلاء المعري ويطرب إذا قرىء عليه شعره للجامع بينهما من الأدب والعمى لأنه أضر بأخرة.

ولع الناس به وبنتيره ونظامه

قد افتتن الناس في احتذاء مثاله واتباع مقالته، ومراً بك جملة من الباب صالحة. فواحد يتبعه في اللزوم وهو وإن سبق عهده إلا أنه لم يكن شيئاً مذكوراً، وهو أول من نبه إليه وأنهض الهمم. وآخر يقتفيه ويقرؤ قرينه في إنشاء الأسجاع في الزهد والتسك كالزمخشري في الأطواق والكلم النوابع والمقامات، وعبد المؤمن الأصفهاني في الاطباق. وآخر يضمّن أبياته شغفاً بها وإعجاباً كالصفدي^(١) وكبلديّه الشيخ أبي حفص زين الدين عمر ابن الوردي فإنه تلاعب بشعره تلاعباً وافتنّ افتتاناً فضمّن صدور رائيته^(٢) التي أولها:

يا ساهر البرق أيقظ راقداً السمر

وبعض أعجازها أو الأبيات بتغيير يسير ونقلها في مدحه رحمته قال جامع ديوانه: ولقد فاتت بشرف ممدوحها أصلها وكان عليه السلام أحقّ بها وأهلها. وكالشرف ابن عُنَيْن والسراج الوراق^(٣). وآخر ينسب إليه - إذ يعهده ملحداً ظريفاً - كلّ ما يجده من باب الإلحاد مع أن الرجل براء منه كابن السبكي^(٤) وأبي الحسين الجزار^(٥).

(١) غيث ١ : ٧٥ تضمينان.

(٢) وهي طويلة انظر ديوانه: ٢٠١ - ٢٠٤، والخزانة للحموي: ٣٨٢ - ٣٨٤، والديوان أيضاً: ٢٨٠، ووهم جامعه فعزا بعض تضمينات له لأبيات المتنبي إلى أبيات المعري انظر ٢٣١ و٢٧٥، وانظر تضميناً آخر له في تاريخه ٢ : ١٨٨.

(٣) المعاهد: ٢ : ٩٨.

(٤) حيث نقل في الشافعية ٣ : ٩٧ بيتي ابن الراوندي وانظرهما في القاف من الفات زاعماً أنهما للمعري. ثم قال: فقيحه الله ما أجرأه على الله. ثم ذكر نقيضتها.

(٥) قال:

وفي علم العروض دخلت جهلاً وعمت بخفتي في كل بحر
فأذكرني به التفعيل جهلاً (بيتاً) تضمن نصفه الشيخ المعري:

مفاعلتن مفاعلتن فعولن حديث خرافة يا أم عمرو

مع أن المصراع حديث خرافة الخ لبعض مشركة قريش كما هو في كتب السيرة. المغرب لابن سيده ٤ : ١٣٤.

ولكن العجب كل العجب فيما روى^(١) ابن خلكان في تاريخه قال: حدثني من أثنى به أن شخصاً قال له: رأيت في تأليف أبي (؟) العلاء المعري ما صورته: «أصلحك الله وأبقاك لقد كان من الواجب أن تأتينا اليوم إلى منزلنا الخالي لكي يحدث لي أنسك يا زين الأخلاء، فما مثلك من غير عهداً أو غفل» وسأله من أي الأبحر، وهل هو بيت واحد أو أكثر - فإن كان أكثر فهل أبياته على روي واحد أو مختلفة الروي - قال: ففكر فيه ثم أجابه بجواب حسن قال ابن خلكان فقلت للقائل: اصبر حتى أنظر فيه ولا تقل ما قاله. فأجاب بعد حُسن النظر بما أجاب به عنه الرجل - وهذه الكلمات تخرج من بحر الرجز، وتشتمل على أربعة أبيات في روي اللام وهي على صورة يسوغ استعمالها عند العروضيين ومن لا يكون له بهذا الفن معرفة ينكرها لأجل قطع الموصول منها ولا بدّ من الإتيان بها لتظهر صورة ذلك وهي:

أصلحك الله وأبـ	بقاك لقد كان من الـ
واجب أن تأتينا الـ	يوم إلى منزلنا الـ
الخالي لكي يحدث أنـ	سك يا زين الأخـ
لاء فما مثلك من	غير عهداً أو غفل

واختلس الحريري في مقاماته قول أبي العلاء في بعض رسائله «إحاطة الهالة بالقمر والأكمام بالثمر» قال ابن الخشاب^(٢): هو بعينه قول أبي العلاء المعري في بعض رسائل حفظها ابن الحريري بعينها.

ملوك حلب لعهد وأمرؤها

لم أعثر على تاريخ مختص بحلب فالتقطت هذا الباب من تاريخ ابن القلانسي وابن الأثير وابن خلدون ومن صبح الأعشى وغيرها. وظنيت أن هؤلاء لم يمنحوا المعرفة من التفاتهم ما يذكر. على أنهم أغلفوا عدّة من ولاة حلب أيضاً - كما سيأتي -.

كانت في حلب في نيابة بذر الأخشيدي والي دمشق - حتى انتزعها منه سيف الدولة بن حمدان سنة ٣٣٣هـ^(٣)، وبقي بها حتى توفي سنة ٣٥٦هـ ثم أخذ فرغويه^(٤) غلامه البيعة لابنه سعد الدولة أبي المعالي شريف، ثم تغلب على أمره سنة

(١) الثمرات بهامش المستطرف ١: ٧٨.

(٢) انتقاده على المقامات طبعة الحسينية سنة ١٣٢٦هـ. ص: ٨.

(٣) في الصبح ٤: ١٦٨ سنة ٣٠٣هـ، وهو تصحيف.

(٤) كذا هو في أكثر الكتب وفي قلا فرغوية، وفي خ: قرغويه وكذا عند أبي الفداء.

٣٥٨هـ وأخرجه من حلب إلى حماة - ثم وقع الاتفاق بينه وبين فرعويه على أن يخطب له بحلب ويخطبان جميعاً للمعز العلوي - ونزل^(١) رقتاش التركي غلام سيف الدولة من حصن برزويه فلقى مولاه أبا المعالي ونزل حمص^(٢)، وشرع في عمارتها ولمّ شعنها وكانت الروم أفسدتها فصار أهـ أبو المعالي يقوى وشوكته تشتد. وكان فرعويه قد استتاب غلامه بكجور في حلب. فلم شوي أمره قبض على مولاه، وحبسه في قلعة حلب وملك البلد وأقام تقدير ست سنين. وأظن أن في أيام بكجور كانت ولادة أبي العلاء. وكاتب أبا المعالي من حلب رجال فرعويه وأطمعوه في تملك البلدة فنهض صوبها ونزل على معزة النعمان وأخذ منها غلاماً كان غلب عليها يقال له: زهير فقتله وسار عنها فنزل أبو المعالي حلب سنة ٣٦٦هـ فأقام عليه تقدير أربعة أشهر. ثم راسله بكجور. فطلب منه الأمان وأن يوليه حمص. فأجابه إلى ذلك ووفى. فسار إلى حمص وعمرها ووفر غلاتها وكان يكاتب العزيز صاحب مصر في أن يوليه على دمشق. ولما كانت سنة ٣٧٢هـ وقعت الوحشة بينه وبين أبي المعالي. فكاتبه أبو المعالي بأن يخرج من بلده. فراسل العزيز ثانية فولاه دمشق سنة ٣٧٣هـ. وكان كاتبه في تملك حلب وأطمعه في ذلك. ثم كان من إخراجيه من دمشق وفراره إلى الرقة سنة ٣٧٨هـ وسؤاله أبا المعالي أن يرجع إليه كما كان وخيبته ثم كتابته إلى العزيز وأطماعه إياه في حلب بإشارة وزيره المغربي على ما مرّ حكايته ما كان. وكان لؤلؤ الكبير غلام سيف الدولة يدبر كل هذه الأمور لسعد الدولة. ثم إن بكجور أخلفه المخاليل وخانه كل من كان وعده بالنصر والانحياز إليه فأخذه سعد الدولة بعد أمور طويلة وقتله. ثم إن خليفة مصر بونذ العزيز قلّد حلب أبا علي بن مروان سنة ٣٨٠هـ ولكن لم يدخلها وبقيت بيد مد الدولة حتى توفي بالفالج سنة ٣٩٣هـ، وفي أيامه بلغ صاحبنا من الشباب نهايته وبيع نابغاً حريصاً على العلم وبلغ عند موته ٣٠ عاماً - وعهد سعد الدولة إلى ولده أبي الفضائل^(٣) سعيد الدولة ووصى به إلى لؤلؤ - ثم كان من إغراء الوزير المغربي العزيز بحلب وجره عليها عساكر مصرية كثيفة واستنجد أبي الفضائل بالروم ما مرّ ذكره في أخبار الوزير المغربي، وهو الذي مدحه أبو العلاء بعدة قصائد من س منها: اللامية وهي أول قصيدة فيه. ثم إنه غلبه على أمره أبو نصر بن لؤلؤ وخطب للحاكم وقال ابن خلكان^(٤) للظاهر بن الحاكم ولقبه مرتضى الدولة - ثم فسد ما بينه ما فطمع

(١) أبو الفداء ٢: ١٨٨ ما رقتاش وحصن برزية.

(٢) وكان لأبي المعالي. خ ٤: ٢٤٦.

(٣) وفي الصحيح ٤: ١٦٨ أبو الفضل وهو تصحيف.

(٤) ١: ٢٢٨.

فيه صالح بن مرداس الكلابي صاحب الرخبة ومُقيم دعوة العبيديين بها فدخل مع بني كلاب حلب سنة ٤٠٢ هـ بعد أن رجع أبو العلاء من بغداد فأغلق ابن لؤلؤ عليهم الأبواب غُدراً، وقتل كثيراً منهم وحبس آخرين ومنهم صالح. ثم إنه أعمل الحيلة في الهرب ونجا بنفسه وحسد الأعراب وحاصر حلب ٣٢ يوماً فخرج إليه ابن لؤلؤ وقتلهم فhezهم صالح وأسر ابن لؤلؤ. ثم إنه أطلقه بأموال جزيلة بذلها له. ثم إن فتحاً غلامه قوي أمره ورأسل الحاكم صاحب مصر فولاه صيدا وبירות ونزل له عن حلب - وخرج أبو نصر بأنطاكية إلى الروم وصار كالقارظ العنزي لم يوقف له على أثر. وتسلم حلب ثواب الحاكم حتى انتهت إلى نائب من ثوابه يدعى عزيز الدولة فاتكاً أبا شجاع وكان رومياً كما قال ياقوت وابن العديم^(١) أرمنياً وقال ابن الأثير: إنه عزيز الملك من الحمدانية ولعله وهم منه تبعه فيه ابن خلدون وأبو الفداء والقلقشندي. وأما لقبه: عزيز الدولة فقد ورد هكذا في رسالتين الـ ٢٤ والـ ٣٩ لصاحبنا وفي تاريخ ابن القلانسي مراراً^(٢) وفي «معجم الأدباء»^(٣) وفي «التتمة»^(٤) وهؤلاء ليسوا مظنةً للوهم وقد حار بعض شبّان العصر^(٥) في أمره حيرة الضبّ فجمع بينه وبين النون. وعزيز الدولة هو الذي صنّف له صاحبنا كتاب الصاهل والشاحج والقائف ثم شرحهما وهو الذي استدنى صاحبنا إلى حضرته أبو نصر صدّقه بن يوسف الفلاحيّ - فهضم صاحبنا نفسه واعتذر بالضعف والعجز في ر الـ ٢٤ إلى الفلاحيّ، فاقتنع العزيز على أبي الخير المفضّل بن سعيد بن عمرو الماسري الداعر الملقّب بالعزيزي لاختصاصه بعزيز الدولة أبي شجاع فاتك. هذا لفظاً إلّابيّ في «التتمة» وقد ترجم له. ثم إن الفلاحيّ وصل إلى مصر فأرسل صُحبةً الدزريّ سنة ٤١٩ هـ في حملته على صالح بحلب ناظراً في الأموال ونفقة الرجال. ثم ارتقت به الحال فوزر للمستنصر الفاطمي بعد وفاة الجرجرائي وقُتل

(١) عن تاريخه بخزانة باريس ومعناه على - ما نقله مرجليوث: ٣١، أنه كان عبداً أرمنياً لمنجوتكين ومنجوتكين هو الذي أرسل بعساكر مصرية لحصار حلب سنة ٣٨٤ هـ، وكان العزيز قلد ولاية حلب من الحاكم سنة ٤٠٧ هـ.

(٢) ٧١ و٧٢، ٧٥.

(٣) ١: ١٨٧.

(٤) نسخة باريس الخلفية وفي ترجمة المفضل بن سعيد.

(٥) صاحب (ذ): ٦٧ فإنه لم يعرفه في ولاية حلب وزعم أن اللامع العزيزي موسوم باسمه وقد غره في أن الوالي هو عزيز الملك قول ابن الأثير ثم رجع أن يكون ثمال بن صالح معز الدولة هو عزيز الدولة. وهذا كذا، وهم وتخليط مستشنع فإننا قد عرفناه والياً عليها من كتب مختصة المواضيع واللامع العزيزي منسوب إلى عزيز الدولة ابن ثابت بن ثمال بن صالح راجع أدباء ١: ١٨٨، ولم يسم أحد ثمالاً عزيز الدولة بل سموه معزها، وأما شكوى أبي العلاء من هرمه في نحو خصمين من عمره فليس بدع منه فإنه أخذ فيها بعد الرجوع من بغداد.

بعد ثلاثة أشهر من تقلد الوزارة سنة ٤٤٠هـ. والذي يظهر من الرسائل أن الفلاحي لعلة فارق عزيز الديلة في حياته - وكتب خاله أبو القاسم والشيخ أبو الحسن علي بن عبد المنعم بن سنان إلى صاحبنا (انظر ال ١٧ وال ٢٠) في أمر أبي الحسن محمد بن سعيد بن سنان ليشفع له إلى حضرة عزيز الدولة حتى يوليّه بعض الأعمال فكتب^(١) إلى الفلاحي المذكور. ويظهر أنه شفع ووّلي ابن سعيد ثم إن صاحبنا ألف للعزيز الصاهل والشاحج فجاءه كتاب ابن سعيد هذا في أن يختصر أمثال كليله ودمنة فأجابه بال ٣٦ أظهر فيها رضاه باختصار^(٢) كليله ودمنة. ثم نجد ال ٤٠ إليه وهو منوط إليه الأعمال التي يقوم بها الوزراء وكان عزم على الحج فثبّط أبو العلاء عزيمته معتلاً باحتياج البلاد في هذه الحالة إليه إذ كان الروميون يُهاجمونهم على بغته. ولا بن سعيد هذا ولد يسمى عبد الله بن محمد شاعر وله كتاب في الصّدفة، نقل عنه ياقوت^(٣) فصلاً في معارضة المعري للقرآن وأورد له ابن عساكر^(٤) شعراً وترجم له الكتبي^(٥) وذكر ابن بطلان^(٦) في رسالته إلى هلال الصابىء. قال ابن القلانسي^(٧): وفي سنة ٤٥٣ تُدب للمسير من حلب إلى القسطنطينية رسولاً من معز الدولة ابن صالح. ومات سنة ٤٦٦هـ مسموماً. ترجم له البخارزي في الدمية^(٨).

ثم إن عزيز الدولة قتله غلام له سنة ٤١٢هـ بمواضعة مع أخت الحاكم صاحب مصر لأنه كان عصياً على الظاهر وكان خلف الحاكم. فوليهام منهم عبد الله بن علي الكتامي المعروف بابن شعبان وكان أمر الفاطميين يضعف فاجتمع حسان أمير بني طيّء وصالح بن مرداس أمير بني كلاب صاحب الرّحبة وسنان بن عليان وتحالفوا على أن يكون من حلب إلى عانة لصالح ومن الرّملة إلى مصر لحسان ودمشق لسنان. فسار حسان إلى الرملة فخرج منها أنوشتكين واستولى عليها ونهبها وقتل أهلها وذلك سنة ٤١٤هـ أيام الظاهر المصري وفيه يقول أبو العلاء. ل:

أرى حلباً حازها صالح وجال سنان علي جلقا

(١) انظر ر، ص: ٥٥.

(٢) وهو القائف المذدور.

(٣) أدباء ١: ١٧٧.

(٤) ٣٧٣: ٥.

(٥) ٢٣٣: ١.

(٦) بلدان «حلب» وكان زارها نحو سنة ٤٤٠هـ ولفظه: وفيها حدث قد ناهز العشرين وعلا في الشعر طبقة المحنكين البخ، والحكماء للقفطي.

(٧) ٩١.

(٨) ١٣ من نسخة ج ر آباد، ويوجد اليوم ديوانه ببعض حواضر الشام.

وحسان في سَلَفِي طِيء يصرف من عزّه أبلقا
فلما رأَت خيلُهم بالغبار ثغما على جيشهم علقا
رمت جامع الرملة المستضـم ام فأصبح بالدم قد خلّقا
أصاب الرملة الحدثان يوماً فخصّ وما يزال أخوا اشتمال
والرملة البيضاء غودر أهلها بعد الرقّاعة يأكلون قفارها

وقصد صالح حلب وبها ابن شعبان والياً من المصريين، فتملكها وملك من بعلبك إلى عانة وذلك سنة ٤١٤هـ كما قال ابن الأثير^(١) وأبو الفداء وابن خلدون وقال ابن خلكان^(٢) سنة ٤١٧هـ وهو وهم. وأقام بحلب ست سنين وحاصر المعرة سنة ٤١٧هـ، فكان ما كان مما سنذكره بعد. ثم إن الظاهر ولّى أمير الجيوش أنوشكين^(٣) الدّزبريّ^(٤) دمشق ولقبه منتجب الدولة بالجم^(٥) وأصبحه صدقة الفلاحي المذكور فأوقع بصالح وحسان بالأفحوانة وقتل جموعهما وقتل صالحاً واحتزّ رأسه وذلك في جمادى الأولى سنة ٤٢٠هـ. ونجا ولده أبو كامل شبّل الدولة نصر بن صالح فجاء وملك حلب وبقي بها إلى سنة ٤٢٩هـ. ذكر صاحبنا في الغفران^(٦) وكان كتبه في أيامه سنة ٤٢٤هـ أن عبد المنعم بن عبد الكريم كان قاضي حلب إذ ذاك. ثم إن الدّزبريّ صمد له مع العساكر المصرية وصاحب مصر يومئذ المستنصر فلقبه عند حماة وقتله في شعبان من السنة المذكورة وقبض الدّزبريّ على حلب وبقي بها حتى توفي في سنة ٤٣٣هـ. ولما كان على دمشق كان يوجّه إلى أبي العلاء بالسلام ويخفي المسألة عنه، فأراد جزاءه على ما فعل فعمل له شرف السيف في جزئين كما جاء في ثبت^(٧) كتبه. وكان أبو علوان ثمال بن صالح الملقب بمعز الدولة بالرحبة فلما بلغه موت الدّزبريّ، جاء وتملك حلب وملكها في صفر سنة ٤٣٤هـ، فبقي بها إلى سنة ٤٤٠هـ وفيها^(٨) كتب سيف الدولة مقلّد بن كامل بن مرداس وهو بكفر طاب إلى

(١) ٩: ٩٥، ٢: ١٤١، ٤: ٢٧٢.

(٢) ١: ٢٢٨.

(٣) أو نشتكين وانظر لمبدأ أحواله تاريخ ابن القلانسي: ٧١.

(٤) أو التبريزي بكسر فسكون كما ضبط أبو الفداء وابن خلكان.

(٥) لا بالخاء كما هو عند مرجليوث ص: ٣١.

(٦) ٥٨.

(٧) أدباء: ١: ١٨٦، وروى مرجليوث عن تاريخ ابن العديم بعدما ذكر أمر صالح سنة ٤١٨هـ، وفي العام القابل قبض على حلب فاتح وسأل قاصده عن أبي العلاء وعرج على المعرة في طريقه إلى حمص، ولا أدري ما أراد بالفاتح ولعله وقع منه وهم في فهم عبارة ابن العديم.

(٨) ابن الوردي ١: ٣٥١.

واليه بالمعرة أبي الماضي خليفة بن جيهان أن يخرب سورها ويهدمه كله غير مواضع اعتنى بها. وصنع أبو العلاء لحفيده وسمّاه^(١) الأمير عزيز الدولة وغرسها ابن تاج الأمراء أبي الدوام ثابت بن ثمال الخ كتابه اللامع العزيزي في تفسير شعر المتنبي ويسمى معجز أحمد أيضاً. ثم إن المصريين حاربوه فهزمهم ثم أصلح أمره معهم لما ضجّر وأرسل إليهم هدايا ونزل لهم عن حلب. فأنفذوا إليها أبا علي الحسن بن علي (ابن ملهم) ولقبوه: مكين الدولة فتسلّمها من ثمال في ذي القعدة سنة ٤٤٩هـ، وفي ربيعها الأول قد كان مات أبو العلاء. وكتب أهل حلب محمود بن شبل الدولة، نصر بن صالح لئسلّموا إليه البلد وكان منهم على مسير يوم وحاصروا ابن ملهم، فجاء محمود في جمادى الأخرى سنة ٤٥٢هـ ودخل حلب ووزيره صاحب الخبر الآتي عمّا قريب إن صحّ وله في محمود بيت نذكره. ولكنك ترى أن محموداً لم يتملكها إلا بعد وفاة صاحبنا. ثم كان من حروبه المتوالية مع المصريين ما سرده المؤرخون إلى أن وافاه أجله بحلب سنة ٤٦٨هـ وأوصى بها لابنه الصغير ولكن أهل حلب استصغروه فسلّموا البلد إلى ولده الأكبر نصر بن محمود وكان كريماً ممدّحاً وأفضل مدّاحه من الشعراء: أبو الفتيان ابن حيّوس الشاعر الذي ترجم له ابن خلكان^(٢).

هذا ما بلغنا إليه من التواريخ التي وصلتنا. ولكن الحاجة إلى تاريخ خاص بحلب ماسة بعد، فإننا نجد في ثبوت كتبه^(٣) رسالة سمّاها السّندية وهي في جزء. وروى بعض العصرين^(٤) أنه عملها لسند الدولة الذي كان ثقل من أفامية إلى حلب والياً عليها سنة ٤١٤هـ فالعهدة عليه فإننا لم نجده في وُلاتها. ونجد فيه بعض كتب صنعها لأمرأ لم يسمّهم كتضمين الآي وعبث الوليد أو سماهم كالرياش المصطنعي عمله للأمير مصطنع الدولة أبي غالب كليب بن علي ولكن لم يتصل بنا أخبارهم.

قضاء الحاجات

لما علم الناس بما له من الخطر والقدر والمنزلة في نفوس أمراء العصر. أسأموه بالاستشفاع في قضاء الحاجات. وأبرموه بالاستنجاد في تحقيق الطلّبات، ويظهر من الـ ٣٠^(٥) أن لم يكن هو مخصوصاً بذلك بل إن أخاه الأكبر أبا المجد كان يتقيل آثار

(١) أدباء ١ : ١٨٨.

(٢) ٢ : ١٠.

(٣) أدباء ١ : ١٨٨.

(٤) مرجليوث ٣١. عن ابن العديم.

(٥) ص : ١١٢.

آبائه في الكرم. وَمَنْ يُشَابِهْ أَبَهْ فَمَا ظَلَمَ. قال: «وأما سيدي أبو المجد فشغله من قلة الفائدة يكاد يمنع نومه، وينتظم ليلته ويومه. فأما نهاره في أشغاله فكأنه سلك قَصْرَ، في نظام كَثْرٍ، وإنَّما عامة ذلك في حاجة من ليس له شكر مسموع، ولا في معونته إن شاء الله أجر مرفوع». وكذا أخواله فقد كتب^(١) إلى أبي طاهر «ولو ادَّعَيْتُ المروءة لزعمتُ أَنِّي تعلَّمْتُها من آل سَبِيكة كثرهم الله». وصرَّح في أخرى إليه أن أسفاره للمتاجر ليست إلا لمعونة الآخرين وإلا فإن الله أغناه بالكفاف عن تجشيم ذوات البرين. وهذا لفظه^(٢): «وإنَّ مروءته تغلب حاله، وتجشمه السفر وارتحاله».

فلم يكونوا يُخْلُونَه في وحدته. بل يُخْلَوْنَ بعزله. فيستشفعون به إلى بعض أولياء السلطان فيتكلف لهم ذلك بكرم خيمه وطيب نجاره فيرجعون بتحقيق الحاجة وإنجاح السؤل وقضاء المأمول شاكرين ليده التي أسداها. أو كافرين لصنيعته التي عاناها. وقد عقد الصاحب ابن العديم الباب العاشر من كتابه في حُرْمته عند الملوك والخلفاء والأمراء والوزراء أطال فيه وأوفاه حقَّه من العناية. كما أن الرؤساء كانوا يتقاضونه يداً بيد أن يجيز^(٣) لهم أبياتاً يغرضونها أو ينشئ شعراً على أغراضهم^(٤)، أو ألستهم أو يسم كتاباً بأسمائهم^(٥) وهو جُهدُ المُقِلِّ وبُضاعة المُدْفِعِ. مع أنه كان يُبدي لهم براءته من العلم^(٦) ويعتذر بالكبر ويظهر التبرم والضجر. وأن ليست هاتيك العلوم مما يُغني عنه في العقبى قلامة ظُفُر.

فسترى أنه شفع إلى صالح لبني وطنه فعاد مشفعاً ورجع محفوظاً بالإكرام مُشيعاً. ومن الباب ر الـ ٣ إلى بعض أولياء السلطان يشفع في صديق له كان عاملاً يُعرف بالحسين بن عَنبَسَة بن عبد الله، ويظهر من فحواها أنه كان تقدّم له ترسُلٌ إليه في هذا الغرض. إذ شكر فيه من أبي فلان وأنه لولا المُرَاسَلُ إليه لم يَسَلَمَ: وأنه لا يزال هو وأهله داعين لولي نعمتهم ويُبدي له انحيازه إليه وأنهما رضيعا لبان وفرسا رهان. ثم يطلب منه أن لا يزال يُسعد الرجل بآرائه حتى يتمكن على الرجوع إلى وطنه وسكّنه. وزعم بعض أهل الغرب^(٧) أنها رسالة سياسيّة لرجل نُفي من وطنه وأن ر الـ ٤ تدلّ على أن أبا العلاء شَفَعَ ولكننا لا نتمكّن بالجزم في الباب. على أن الغربيّين

(١) ص: ٤٤.

(٢) ص: ٤٣.

(٣) س، ١: ١٨٧.

(٤) تقاضاه بعض الأمراء أن ينشئ قصيدة تهنئة بالعرس وانظر س ١: ١٤٧.

(٥) كتضمين الآي والرياش وغيرهما ومر شرحه آنفاً.

(٦) انظر ر الـ ٣٦، وطرفي الملائكة الأول والآخر.

(٧) مرجليوث: ٣٢.

لِلْهَيْجَمِ بالسياسة لو طُنَّتْ ذُبَابَةٌ عَلَى رُؤُوسِهِمْ لَزَعَمُوهَا إِمَّا لَهُمْ وَإِمَّا عَلَيْهِمْ. ور ال ٤
 إن ثبت لها علاقة بأختها السابقة فإنها تدل على إنجاح المرام وإسعافه بمأموله. أظهر
 فيها أن المراسل به جمل أمر جماعة بحضرة رئيس ولم يُسمَّ الثلاثة.

ومنه كتابه في أمر ابن سعيد وكان من بيت ابن سنان القاطنين بحلب إلى عزيز
 الدولة - وكان صاحبنا يَبْدُل لآل سنان نخيلة صدره - فذكر أن القاضي أبا جعفر (?) لا
 يمكنه أن يعزم على السلطان وإنما المأمول في الحاجة أبو نصر [صَدَقَ الفلاح] ور
 ال ٣٦ تظهر أنه شفع فيه فتدرج ابن سعيد إلى الوزارة أو ما يضاهيها، وتقدم إلى
 صاحبنا برغبة صاحبه عزيز الدولة في اختصار كليلة ودمنة وأمثلة على ما مر كله آنفاً.
 ور ال ٤٠ تصرح بما ناله ابن سعيد من المقام الرفيع وثبط فيها من عزيمته على الحج
 زاعماً أن إقامته بحلب وهي من الثغور يُرجى به أضعاف ما في الحج من الأجور.

ور ال ٣٢ إلى مجهول في استطلاق محبوس والصّفْح عن جنائته.

ور ال ٣٣ إلى قاض في مثله من الأغراض.

وله دالية من س^(١) وكان أبو عبد الله ابن السقاء الكاتب سأله أن يعمل قصيدة
 إلى صاحبه يصف له فيها ما شاهد منه من الوفاء والإخلاص.

هو وصالح بن مرداس الكلابي

قال أبو غالب بن مهذب المعري^(٢) ومرّ في التلامذة في تاريخه في سنة
 ٤١٧هـ^(٣)، صاحت امرأة [حامل] يوم الجمعة في جامع المعرة وذكرت أن صاحب
 الماخور^(٤) أراد أن يغتصبها نفسها. فنفر كل من في الجامع وهدموا الماخور وأخذوا
 خشبه ونهبوه. وكان أسد الدول [صالح] في نواحي صيدا فوصل الأمير أسد الدولة
 فاعتقل من أعيانها سبعين رجلاً؛ وذلك برأي وزيره تادرس^(٥) بن الحسن الأستاذ
 النصراني وأوهمه أنّ في ذلك إقامة للهئية. قال: ولقد بلغني أنه دُعي لهؤلاء المعتقلين

(١) ١: ١٧٤.

(٢) أدباء ١: ٢١٥.

(٣) كذا في الأدباء وأراه الصواب ونقل مرجليوث: ٣٣ عن الوافي للصفيدي عن أبي غالب المعري أن
 ذلك سنة ٤١٧هـ ولكن سفارة أبي العلاء وخبره مع صالح وقعا سنة ٤١٨هـ كما عند ابن الوردي
 أيضاً ١: ٣٣٨، وروى في (ذ) ص: ٦١ قولاً ثالثاً وهو أنه وقع سنة ٤١٩هـ ولا أدري من أين؟
 والقول ما أثبتناه في المتن.

(٤) مجمع الفساق والخمارين معرب مي خور فارسية بمعنى شارب الخمر. وقيل: عربية لتردد الناس به
 من مخر السفينة كما قاله ثعلب وجمعه مواخير ومواخر.

(٥) Theodore.

بَآمِدَ وَمَيَافَرِقِينَ عَلَى الْمَنَابِرِ . وَقَطَعَ تَادَرُسُ عَلَيْهِمُ أَلَفَ دِينَارٍ . وَخَرَجَ الشَّيْخُ أَبُو الْعَلَاءِ
الْمَعْرِيَّ إِلَى أَسَدِ الدَّوْلَةِ صَالِحٍ وَهُوَ بَظَاهِرِ الْمَعْرَةِ وَقَالَ لَهُ : «مَوْلَانَا السَّيِّدُ الْأَجَلُّ أَسَدُ
الدَّوْلَةِ وَمَقْدَمُهَا وَنَاصِحُهَا كَالنَّهَارِ الْمَاتِعِ اشْتَدَّ هَجِيرُهُ وَطَابَ أَبْرَاؤُهُ ، وَكَالسَيْفِ الْقَاطِعِ
لَا نَ صَفْحُهُ وَخَشَنَ حَدَاهُ . خَذَ الْعَفْوُ وَأَمَرَ بِالْعُرْفِ وَأَعْرَضَ عَنِ الْجَاهِلِينَ » . فَقَالَ
صَالِحٌ : قَدْ وَهَبْتُهُمْ لَكَ أَيُّهَا الشَّيْخُ . وَلَمْ يَعْلَمْ أَبُو الْعَلَاءِ أَنَّ الْمَالَ قَدْ قُطِعَ عَلَيْهِمْ وَإِلَّا
كَانَ قَدْ سَأَلَ فِيهِ . ثُمَّ قَالَ الشَّيْخُ أَبُو الْعَلَاءِ بَعْدَ ذَلِكَ شِعْراً وَهُوَ ^(١) :

تَغَيَّبْتُ فِي مَنْزِلِي بُرْهَةً سَتِيرَ الْعَيُونَ فَقِيدَ الْحَسَدِ
فَلَمَّا مَضَى الْعَمْرُ إِلَّا الْأَقْلَ وَحُمَّ لِرُوحِي فِرَاقُ الْجَسَدِ
بُعِثْتُ شَفِيعاً إِلَى صَالِحٍ وَذَاكَ مِنَ الْقَوْمِ رَأْيٍ فَسَدُ
فَيَسْمَعُ مِنِّي سَجْعَ الْحَمَامِ وَأَسْمَعَ مِنْهُ زَيْرَ الْأَسَدِ
فَلَا يُعْجِبَنِي هَذَا النُّفَاقُ فَكَمْ نَفَقْتُ مِحْنَةً مَا كَسَدُ

وسياق أبي غالب صحيح لا غبار عليه ويوافقه ما يأتي من أبيات أبي العلاء
الرائية . وقال القفطي ^(٢) ما ملخصه : وجدتُ على ظهر كتاب ديوان الأعشى في مدينة
قفط في سنة ٨٥ (يريد ٥٨٥هـ) : حُكي أن صالح بن مرداس صاحب حلب نزل على
معرة النعمان مُحاصِراً لها ونصب عليها المناجيق ، واشتدَّ في الحصار لأهلها فجاء أهل
المدينة إلى الشيخ أبي العلاء لعجزهم من مقاومته لأنَّه جاءهم بما لا قِبَلَ لهم به .
وسألوا أبا العلاء تلافي الأمر بالخروج إليه بنفسه وتدبير الأمر برأيه إمَّا بأموال يَبْذُلُونَهَا
أو طاعة يُعْطُونَهَا . فخرج ويده في يد قائده وفتح له باباً من أبواب معرة النعمان وخرج
منه شيخ قصير يقوده رجل . فقال صالح هو أبو العلاء فجيئوني به . فلما مَثَلَ بين يديه
سَلَّمَ عليه ثُمَّ قَالَ الأمير : أطال الله بقاءه كالنهار الماتع قاطِ وسطه وطاب أبرأه . أو
كالسيف القاطع لان متنه وخشن حداه . خذ العفو الآية . فقال صالح لا تثريب عليكم
اليوم قد وهبْتُ لك المعرة وأهلها وأمر بتقويض الخيام فنُقِضَتْ ورحل . ورجع أبو
العلاء وهو يقول ^(٣) :

نَجَّيَ الْمَعْرَةَ مِنْ بَرَاثِنِ صَالِحٍ رَبُّ يُعَافِي كُلَّ دَاءٍ مُغْضِلٍ

(١) ل ، ١ : ٣٤١ .

(٢) أدباء ١ : ٢١٥ .

(٣) ل ، ٢ : ٢٠٢ وقبلهما :

آليت أرغب في قميص ممّوه فأكون شارب حنظل من حنظل
الحنظل الثاني : الماء المجتمع في نقر الصخور .

ما كان لي فيها جناحٌ بعوضة أَللهُ أَلَحَفَهُم جَنَاحُ تَفَضُّلِ
ا هـ .

وعند الذهبي^(١) عن القفطي أيضاً زيادةٌ وهي بعد قوله : قد وهبْتُها لك ثم قال له : أنشدنا شيئاً من شعرك لنرويه فأنشدته بديهاً أبياتاً فيه ا هـ ، فأنت ترى أن سياق القفطي لا يخالف ما مرَّ ولا ما سيأتي في شيء غير أنه أوضح بعض زوايا الحكاية مما لم يكن في إهمالها نقصٌ ما . وذكر أبو العلاء هذه القصة على ما مرَّ في لزومه فقال :

أَتَتْ جَامِعَ يَوْمِ الْعَرُوبَةِ جَامِعاً تَقُصُّ عَلَى الشَّهَادِ بِالمَصْرِ أَمْرَهَا
فَإِنْ لَمْ يَقُومُوا نَاصِرِينَ لَصَوْتِهَا لَخِلْتُ سَمَاءَ اللَّهِ تُمَطِّرُ جَمْرَهَا
فَهَدَّوْا بِنَاءَ كَانَ يَأْوِي فِنَاءَهُ فَوَاجِرُ الْقَتْلِ لِلْفَوَاحِشِ خُمْرَهَا
وَزَامِرَةٌ لَيْسَتْ مِنَ الرُّبْدِ خَضِبَتْ يَدَيْهَا وَرَجْلَيْهَا تَنْفُقُ زُمْرَهَا
أَلْفَنَّا بِلَادَ الشَّامِ أَلْفَ وَلَادَةٍ تُلَاقِي^(٢) بِهَا سُودَ الْخُطُوبِ وَخُمْرَهَا
فَطُوراً تُدَارِي مِنْ سُبُعَةٍ لَيْثَهَا وَحِيناً تُصَادِي فِي رِبْعَةٍ نُمْرَهَا
وَدِدْتُ بِأَنْتِي فِي عَمَايَةِ فَارِذٍ تُعَاشِرُنِي الْأَرْوَى فَاكْرَهُ قُمْرَهَا
فَإِنِّي أَرَى الْأَفَاقَ دَانَتْ لظَالِمٍ يَغُرُّ بِغَايَاهَا وَيَشْرِبُ خُمْرَهَا
وَلَوْلَا أَصُولُ فِي الْجِيَادِ كَوَامِنٌ لَمَا آبَتْ الْفِرْسَانُ تَحْمَدُ ضُمْرَهَا

ولعل البيتين الأخيرين ينظران إلى تادرس الوزير . فإنه لم يهْجُ صالحاً . ولَمَّا وَدَّه صالح بالإكرام وإنجاح المرام لهْج به في شعره فقال : ل :

مَا لُمْتُ فِي أَفْعَالِهِ صَالِحاً بَلْ خِلْتُهُ أَحْسَنَ مِنِّي ضَمِيرَ
يَا قَوْمِ لَوْ كُنْتُ أَمِيراً لَكُمْ ذَمَّمْتُمْ فِي الْغَيْبِ ذَاكَ الْأَمِيرَ
وَإِنَّمَا سَائِسُكُمْ دَائِبٌ يَرْعَى الْمَطَايَا وَيَسُوقُ الْحَمِيرَ
يَا مَحَلِّيَ عَلَيْكَ مِنِّي سَلَامٌ سَوْفَ أَمْضِي وَيَنْجِزُ الْمَوْعُودُ
لَيْتَ شِعْرِي عَمَّنْ يَحُلِّكَ بَعْدِي أَقْيَامٌ لَصَالِحٍ أَمْ قُعُودُ
لَا مُلْكَ لِي وَأَرَى الدُّنْيَا تَحَاصِرُنِي وَمَا حَجَجْتُ وَقَدْ لَاقَيْتُ إِحْصَارَا
تَنْكَرُ صَالِحٌ فَضْبَابُ قَيْسٍ ضُبَابٌ يَتَّقِينَ مِنْ احْتِرَاشِ
أَخِي كَلَابٍ قَدْ رَعَى النَّبْتَ قَبْلَكُمْ فَرِيقٌ وَشَامُوا فِي حَنَادِهِمْ بَرْقَا

(١) ١٣٠ .

(٢) وفي الأصل : تلاقى وهو تصحيف .

وزعم بعضهم^(١) أن المؤرخين مختلفون في القصة اختلافاً كثيراً، ولم يستطيعوا أن يجزموها بمصدرها أو نتيجتها ولا علة لذلك إلا أنهم لم يدرسوا ل فإن أبا العلاء بين فيه الواقعة وسمى المرأة جامع (٢) فلو أنهم قرأوه لما اضطربوا له ملخصاً. وكل هذع القعقة تمهيد لاكتشاف الرائية المارة فإنه حاز فيها فضل سبق. إلا أننا لم نر حرفاً واحداً يكون مصدر اختلاف لهم ولا ننبزهم بالجهل عن ل وهم هم. ولم يسم أبو العلاء المرأة جامعاً وإنما الجامع كل حامل^(٣) من النساء.

وأما الأبيات التي أنشدها صالحاً فقال بعضهم^(٣): إنها الرائية المارة وأراه غلطاً منه فإن صاحبنا لم يكن سوء الأدب بلغ به إلى أن ينشد صالحاً بديها على وجهه «فإني أرى الأفاق دانت لظالم. . البيتتين» وإن كان ذلك تعريضاً بوزيره. ورأيت في ل أبياتاً وحرى أن تكون هي هي. وهي:

يا صالح اجعل وصف شخصك واسمه مثلين إنك في بحارك ماهر
ما فضة الإنسان إلا فضة والتبر تبير - وجدك ظاهر
والدّر دّر لهموم وتسرّه إن الجواهر بالأداة جواهر^(٤)

هو وابن القارح دوخلة^(٥) سنة ٤٢٤هـ

وابن المذهب نحو سنة ٤٣٥هـ

هو علي بن منصور كما في الغفران^(٦) ابن طالب الحلبي أبو الحسن الملقب بدوخلة. وقال في رسالته^(٧): إنه كان يدرس على ابن خالويه بحلب، ولما مات سافر إلى بغداد ونزل علي أبي علي، وكان يتردد إلى علمائها إذ ذاك كأبي سعيد السيرافي

(١) صاحب (ذ): ٢٠٩ و ٢١١ و ٦١.

(٢) كما في المستدرک على القاموس من التاج.

(٣) صاحب (ذ): ٦٢.

(٤) من الجهار بمعنى العلانية.

(٥) ونقل البديعي فصلاً من كلامه يدل على سعة مداركه ١: ٤١٦ وأما دوخلة فإنني وجدته في الأمثال البغدادية للطالقاني بعد برهة ولفظه تحت رقم ٢١٢: «خذ من عقله في دوخلة» مثل للأحمق، والدوخلة من خوص مثقبة لا يبقى فيه شيء كثيف ه وفي مثل آخر رقمه: ٢٦٧: «سركم عنده في دوخلة، مثل لمن يفشي أسرار الناس.

(٦) ١٨٤.

(٧) ٢٠٨.

والرُّمَّاني والمَرزُباني وأبي حفص الكتاني - قال ابن عبد الرحيم^(١) شاهدناه ببغداد راوية للأخبار حافظاً لقطعة كبيرة من اللغة والأشعار قووماً بالنحو. وكانت معيشته التعليم بالشام ومصر. كان آخر عهدي به بتكريت سنة ٤٢١هـ^(٢) ثم توجه إلى الموصل وبلغتني وفاته من بعد، وكان يذكر أن مولده بحلب سنة ٣١٥هـ، ولم يتزوج ولا أعقب. أما المقصود. وأما توجهه إلى الموصل فقد ورد ما يدل على رسالته وفي الغفران أيضاً. ولكن قوله في الوفاة مُوهِمٌ فإن أبا العلاء بعث إليه غفرانه سنة ٤٢٤هـ كما صرح بذلك فيه^(٣). وأما قوله: إنه لم يتزوج فهو كما قال إلا أنه ذكر في إقامته بحلب أمر التزويج على^(٤) ما تحدث به بعض الطلاب لأبي العلاء فرجع صاحبنا له البكر على الثيب لولا أنه يحتاج إلى مُعين في ضَعْفه فأشار عليه بالعَوان. وأدب أبا القاسم المغربي بمصر وله فيه أهاجي ثم أدب ولدني الحسين بن جوهر القائد^(٥).

ولما رآه أبو العلاء يبحث عن مكنون علمه ويستنبط، ألقى إليه مقاليد معارفه كما قيل: «أكرمت فارتبط»، وبث له عُجْرَه وبُجْرَه. وأراه حجوله وغُرره. مع أن له عِدَّة طوال الرسائل والرقاع. إلى النابهين من علماء الأصقاع والبِقاع. ولكن أحداً لم يتمكن من استخراج خبيء علمه المصون. تمكن دوخلة منه في استنباط العيون.

وتطرف إلى ذكر المتنبي ودعواه النبوة وسائر الزنادقة والملاحدة. والدهرية والجاحدة. قال ولكني أغتاط على الزنادقة والملحدون الذين يتلاعبون بالدين ويرومون إدخال الشُّبُه والشكوك على المسلمين، ويتسعدبون القدح في نبوة النبيين صلوات الله عليهم أجمعين، ويتطرفون ويتذوون إعجاباً بذلك المذهب تيه مغرٍ وظرف زنديق^(٦). ثم ذكر كثيراً من مثالبهم ومصايرهم. ومواردهم ومصادرههم. فكأنه استورى بذلك زُنْد صاحبنا وقَدَحَه. فرأى عنده من أخبارهم ما بَهَرَه به إذ شرحه. وأترع منه مزادته وقَدَحَه. فلم يُطق حمل ما ناء به إذ قَدَحَه.

وأما ابن المذهب فهو جعفر بن علي بن المذهب لم نعلم فيه إلا أنه رثاه

(١) أدباء ٥: ٤٢٤.

(٢) وفي طبعة الأدباء سنة ٤٦١ وهو تصحيف من ناشره في إبدال أسماء الأعداد بالأرقام، فإنه يلزم على هذا أن يكون بلغ من العمر نحو ١١٥ سنة، ومستدلنا ما نقله محمد محمود الشنقيطي في أول الغفران عن الأدباء وفيه في سنة الوفاة ما أثبتنا، ولفظ البغية وقد أخذ الترجمة عن ياقوت وكان حياً سنة ٤٢١هـ.

(٣) ١٤٩.

(٤) الغفران: ١٧١.

(٥) رسالته: ٢٠٨.

(٦) من أمثال المولدين انظره في كتابنا معجم الأمثال.

صاحبنا^(١) بتأبينه من خيرات التآبين وحسانها وجيادها لا هجانها ذكر فيها أخاً للميت وخمسة أولاد له. وذكر بعض العصريين^(٢) أنه أحد فقهاء المعرة وأدائها المشهورين وتوفي نحو سنة ٤٣٥هـ والعهد عليه.

ناصر خسرو العلوي الحكيم الفيلسوف

يوجد اسمه في أول رحلته هكذا أبو معين [الدين] ناصر بن خسرو القبادياني المروزي وقباديان قرية حوالي مَرَوْ وسكن بلخ. وأهل العصر يرتابون في كونه علوياً. وانفصل في رحلته عن مَرَوْ سنة ٤٣٧هـ، واجتاز بقزوين وتبريز وميافارقين وحران إلى حلب ثم وصل لـ ١٣ مضي من رجب الفرد سنة ٤٣٨هـ^(٣) بمعرة النعمان، وانفصل منها لمنتصف رجب. فلم يلبث إلا نحو يومين ولم يلق أبا العلاء بنفسه، وروى ما سمعه فيه من الأخبار مما نقلنا كله في مظانه. واجتاز في طريقه بمصر وذكر من أبهة المستنصر وعظمته ما رآه بعينه، ويوجد له عدة قصائد فارسية في مديحه وهناك اعتنق مذهب الفاطميين وأخذ على نفسه أن يكون داعية لهم بإيران وحج ثلاث حجات ورجع إلى مصر ثم إنه ودّعها وحج رابعة سنة ٤٤٢هـ، ثم رجع على طريق تهامة واليمن إلى الأحساء وشاهد القرامطة ولقيهم ويظهر أنه كان هواه معهم ثم وصل البصرة سنة ٤٤٣هـ ومنها إلى أصفهان أول سنة ٤٤٤هـ منها إلى بلخ في جمادى الآخرة حيث لقي أخويه أبا سعيد وأبا الفتح عبد الجليل.

فألقت عصاها واستقرّ بها النوى كما قرّ عيناً بالإياب المُسافرُ
وكان متفلسفاً حكيماً له في علم الكلام كتاب زاد المسافرين. وله عدة كتب أخرى أكثرها منظومة. وكان أخذ بعد الرجوع في بث دعوة العبيدين ببلاده فنفي منها بأمر الخليفة العباسي ولكنه لم يزل يدعو إليهم باقي حياته.

هو وداعي الدعاة الفاطمي

هو على ما سماه ياقوت^(٤) أبو نصر هبة الله بن موسى بن أبي عمران. وورد في

(١) س، ٢: ٢.

(٢) هو شارح المجاني ١٢٤٩.

(٣) لا سنة ٤٢٨ كما زعم صاحب (ذ): ٢١٥ والعجب أنه أقام على أساسها صروحاً.

(٤) أدباء ١: ١٩٥.

عنوان «مختصر الرسائل» الدائرة بينه وبين المعري الموجود ببعض الخزائن^(١) الداعي في الدين عصمة المؤمنين^(٢) أبو نصر هبة الله. وورد في الخطط^(٣) ذكر قبر باسم هبة الله بن موسى العجمي والظاهر أنه هو. وكان هذا الرجل إمامياً داعياً إلى مذهب الفاطميين كما قال ابن حجر^(٤). وتمام اسم هذا المنصب على ما في صبح الأعشى^(٥): «داعي الدعاة بالبراهين الظاهرة إلى استعمال الحقائق». وفيه^(٦) أيضاً أن هذا المنصب كان عندهم عالي المرتبة.

وأما هذه الرسائل الدائرة بينهما فإنها لهما حقاً لا مجال للريب فيه، فقد ذكر غرس النعمة^(٧) وقوعها بينهما ولكنه كنى الداعي برجل ولفظه لقيه رجل فقال له: لِمَ لا تأكل اللحم؟ قال: أرحم الحيوان. قال: فما تقول في السباع التي لا طعام لها إلا لحوم الحيوان، فإن كان لذلك خالق فما أنت بأرأف منه. وإن كانت الطباع المُحدثة لذلك فما أنت بأحقق منها ولا أتقن عملاً فسكت أ هـ. وقد ذكرها^(٨) ابن الهبارية أيضاً في فلك المعاني له.

وورد فيها أنه ترك اللحم حين بلغ ثلاثين عاماً. وفيه تصديق لقول ابن حجر^(٩) الماز أنه بقي في صنعاء سنة لا يأكل اللحم، وأنه مضى على تركه له ٤٥ عاماً. أي إن بدء الترسل حين بلغ ٧٥ عاماً من عمره وفي سنة ٤٣٨ هـ. وكانت مراسلته من حلب كما صرح به^(١٠) لا من مصر كما ذهب على بعض العصريين^(١١). وتقدم الداعي - لما كتب إليه صاحبنا أن إضرابه عن اللحم لضيق ذات يده - برغبته في أن يكتب (بل كتب) إلى تاج الأمراء حتى يُدِرَّ له من الرزق ما هو حظ مثله من ألد الطعام. وهذا التاج هو أبو الدوام^(١٢) ثابت بن ثمال بن صالح بن مرداس الذي عمل لابنه عزيز الدولة

(١) خزانة ليدن انظر فهرستها ١: ٢٩٦ وفيها له إلى أبي العلاء خمس رسائل (وهذا عدد رسائلهما جميعاً) جمع معناه في هذين الجواب والخطاب ثم أوردتهما من كتاب جمهرة الإسلام ذات النشر والنظام للشيزري الذي ذكره ابن خلكان ١: ٢٣٨.

(٢) وردت هذه الكلمة في رسالة أبي العلاء إليه (أدباء ١: ٢٠٤).

(٣) ١: ٤٦٠. (٤) اللسان ١: ٢٠٧.

(٥) ٦: ٤٨. (٦) ٩: ١٨.

(٧) أدباء ١: ١٧٠، واللسان ١: ٢٠٦.

(٨) أدباء ١: ١٩٤ وذلك المعالي تصحيف ومنه نسخة بجامع أيا صوفيا وعدده في دفتر المطبوع سنة ١٣٠٤ هـ ٤١٥٧.

(٩) ١: ٢٠٤ اللسان. (١٠) أدباء ١: ٢٠٩.

(١١) صاحب (ذ): ٦٩ ومرجليوث: ٣٩، والمجلة ج ٣، ص: ٣١٤.

(١٢) أدباء ١: ١٨٨، فلعله كان مقيماً عند أبيه ثمال صاحب حلب (٤٣٤ - ٤٤٠) إذ ذاك على ما مر.

وَعَرَّسَهَا صَاحِبُنَا اللَّامَعَ العَزِيزِيَّ . وَكَانَ جُلَّ آلِ مِرْدَاسٍ مُتَشَبِّهِينَ إِذْ ذَاكَ كَمَا مَرَّ لَنَا ذِكْرُهُ فِي بَابِ الْحُكَّامِ . وَذَكَرَ ابْنُ الْوُرْدِيِّ أَنَّ سَعْدَ الدَّوْلَةَ أَبَا الْمَعَالِي زَادَ سَنَةَ ٣٦٩ هـ فِي الْأُذَانِ : «حَيَّ عَلَى خَيْرِ الْعَمَلِ» ، وَهَذَا عَلَى أَنَّ ابْنَ بَطْلَانَ صَرَّحَ فِي رِسَالَتِهِ إِلَى غَرَسِ النِّعْمَةِ ^(١) أَنَّ الْفُقَهَاءَ كَانُوا يَفْتَوْنَ بِحَلَبٍ نَحْوَ سَنَةِ ٤٤٠ هـ عَلَى مَذْهَبِ الْإِمَامِيَّةِ . وَلَيْسَ التَّاجُ هَذَا صَدَقَةَ الْفَلَاحِيِّ ^(٢) فَإِنَّهُ كَانَ إِذْ ذَاكَ مَخِيماً بِمِصْرَ مُرْتَبِكاً فِي مَضَاقِقِ السِّيَاسَةِ فَتَوَلَّى الْوِزَارَةَ لِلْمُسْتَنْصَرِ سَنَةَ ٤٤٠ هـ وَبَقِيَ ثَلَاثَةَ أَشْهُرٍ وَفِيهَا قُتِلَ ^(٣) .

هو وزير ^(٤) محمود بن نصر بن صالح

يسلك محمود وأمثاله طريق خاقان وكُنْدَاج

رَوَى سِبْطُ ابْنِ الْجَوْزِيِّ ^(٥) فِي «مِرَاةِ الزَّمَانِ» : قَالَ الْغَزَالِيُّ : حَدَّثَنِي يُوسُفُ بْنُ عَلِيٍّ بِأَرْضِ الْهَرَكَارِ [الَّتِي بَنَاتُ أَرْضِهَا خَوَاصٌّ عَظِيمَةٌ نَذَرَ نَبْذاً مِنْهَا فِي أَمَاكِنَ] ^(٦) هَذَا الْكِتَابَ وَشَيْئاً فِي كِتَابِ السَّلْسِيلِ قَالَ يُوسُفُ بْنُ شَيْخِ الْإِسْلَامِ [دَخَلَتْ مَعْرَةَ النِّعْمَانِ وَقَدْ وَشَى وَزِيرَ مَحْمُودِ بْنِ] ^(٧) صَالِحٍ إِلَيْهِ بِأَنَّ الْمَعْرِيَّ زَنْدِيقٌ (بِرَهْمَنِيَّ سِرِّ) لَا يَرَى إِفْسَادَ الصُّورِ وَيَزْعُمُ أَنَّ الرِّسَالَةَ تَحْصُلُ بِصِفَاءِ الْعَقْلِ . [وَلَمْ يَزَلِ الْوَزِيرُ جَاهِداً حَتَّى حَمَلَ الْمَلِكُ عَلَى أَنْ] فَأَمَرَ بِحَمْلِهِ إِلَيْهِ وَبَعَثَ خَمْسِينَ فَارِساً لِيَحْمِلُوهُ [فَدَخَلَ إِلَى الشَّيْخِ رَجُلَانِ مِنْ أَصْحَابِهِ وَأَعْلَمَاهُ بِالْقِصَّةِ فَدَخَلَ الْمَعْرِيَّ الْمَسْجِدَ فَأَنْزَلَهُمْ أَبُو الْعَلَاءِ دَارَ الضِّيَافَةِ ، فَدَخَلَ عَلَيْهِ عَمَّهُ مُسْلِمُ بْنُ سَلِيمَانَ ، وَقَالَ يَا ابْنَ أَخِي ، قَدْ نَزَلْتَ بِنَا هَذِهِ الْحَادِثَةِ الْمَلِكُ مَحْمُودٌ يَطْلُبُكَ فَإِنْ مَنَعْنَاكَ عِجْزَنَا ، وَإِنْ أَسْلَمْنَاكَ كَانَ عَاراً عَلَيْنَا عِنْدَ ذَوِي الذِّمَامِ وَيَرْكَبُ تَنَوُّخٌ ^(٨) الدَّلَّ وَالْعَارَ . فَقَالَ لَهُ : هُوَ عَلَىكَ يَا عَمِّ فَلَا بَأْسَ عَلَيْنَا وَأَكْرَمُ أَضْيَافِكَ] فَلِيَ سُلْطَانٌ يَذُبُّ عَنِّي ثُمَّ [قَالَ الشَّيْخُ لِعَلَامِهِ قَتْبَرٌ قَدَّمَ الْمَاءَ فَقَدَّمَهُ إِلَيْهِ وَ] اغْتَسَلَ وَصَلَّى إِلَى نِصْفِ اللَّيْلِ . ثُمَّ قَالَ لِعَلَامِهِ : انْظُرْ إِلَى الْمَرِيخِ أَيْنَ هُوَ؟ قَالَ : فِي مَنْزِلَةِ كَذَا وَكَذَا . قَالَ : ارْقُبْهُ وَاضْرِبْ تَحْتَهُ وَتِدّاً وَشُدّاً فِي رِجْلِي خَيْطاً وَارْبِطْهُ إِلَى

(١) انظر بلدان «حلب» والحكماء للقفطي مصر : ١٩٤ .

(٢) كما زعم مرجليوث في مقدمته على هذه الرسائل بمجلة الجمعية الآسيوية ص : ٢٩٠ سنة ١٩٠٢ م .

(٣) على ما مر في باب الحكماء .

(٤) ذكر الكتبي ١ : ٢٣٣ وزيراً لمحمود بن صالح ^(٥) وسماه أبا نصر محمد بن الحسين ابن النحاس . ثم ذكر حكاية تدل على تشرب محمود ومثله عند ابن خلكان ١ : ٣٦٧ .

(٥) النكت : ١٠٧ ، وروى الخبر صاحباً نسمة السحر ١ : ١٠٩ ونزهة المجلس ١ : ٢٨٠ ، عن ابن أبي أصيبعة في طبقات الأطباء ولم أجده في النسخة المطبوعة منه . وابن الوردي أيضاً ١ : ٣٦٠ .

(٦) في الأصل : تنوخاً .

الوَيْد، ففعل غلامه ذلك فسمعناه يقول: يا قديم الأزل يا علّة العلّل يا صانع المخلوقات ومُوجِد الموجودات، أنا في عزّك الذي لا يُرام وكثفك الذي لا يُضام، الضيوف! الضيوف! الوزير! الوزير! ثم ذكر كلمات لا تفهم [حتى برق بارق الصبح] وإذا بهدّة عظيمة. فسألنا عنها فقيل وقعت الدار^(١) على الضيوف الذين كانوا بها فقتلت الخمسين. وعند طلوع الشمس وقعت بطاقةً من حلب على جناح طائر لا تُزعجوا الشيخ فقد وقع الحَمَام على الوزير. قال يوسف: فلما شاهدتُ ذلك دخلتُ على المعريّ فقال: من أنت؟ قلت: أنا من أرض الهركار فقال: [سر. حملوك على قتلي و] زعموا أنني زنديق. ثم قال: اكتب، وأملئ عليّ وذكر أبياتاً من قصيدة ذكرتها أنا وأولها: أَسْتَغْفِرُ الله في أمني وأوجالي^(٢) ١ هـ. (وراجع تمامها في الفائق).

والزيادات واختلاف الروايات بين المعكفين من سرّ العالمين^(٣) المنحول للغزالي. ولعل السُّبُط منه أخذ ولكن قبل أن تَعَبَتْ به يدُ الكاشفي^(٤). ولعلّ عَجَبَ الذَّنْب من هذا الخبر والفقار هما اللذان سلما، وأما اللحم والشحم والصُرْم فكله مخدوش. و«أول من حَدَّشَ الخَدُوشَ أنوش». فإن بيت ل الماز يدلّ على ما كان محمود يطوي بين ضلوعه منه. ولكن سَوَّقَ الخبر بطلسمات بليناس. أشبه منه بأبي العلاء وعادات الناس. وقد سردنا من العوادي التي تحول دون تسليمنا إياه على غرّه جُمْلَةً في باب التلامذة وهاك سائرهما:

- (١) لم يكن أبو العلاء يعرف من النجوم وأحكامها إلا ما يلزم المتأدّب على أنه إن كان مثلاً فما له ولأحكامها. وعلى أن ما في اللزوم في النجوم يمنع من التصديق.
- (٢) كلماته يا قديم إلخ ليست مما يشبه كلام أبي العلاء.

- (١) بعده في السر على ثمانية وأربعين رجلاً.
- (٢) نقل هذه الحكاية صاحب سكردان السلطان (ص: ٢٧ مصر سنة ١٢٨٨ هـ) عن طبقات ابن أبي أصيبعة، ولكنني لم أجدها فيها فلعلها ثابتة في بعض نسخها.
- (٣) طبعة حجر بومباي ص: ٣٨ و٣٩.
- (٤) الواعظ المغرم بالطلسمات وهو صاحب المقدمات على عدة كتب فيها أبرزها وزعم أنها كانت من الناس منال العيوق وورد في مقدمة السر أن أول من قرأ الكتاب عليه واستنسخه محمد بن تومرت [المهدي المغربي] ثم أتى للكاشفي بمقدمته وذكر فيها أن الناس صاروا يعدون الكرامة سحراً وكهانة ويكذبون وجود هذا الكتاب إلى أن وفق لإبرازه سيد الوزراء ابن أبي منصور، والعجب كل العجب أن وافق شن طبقة أي كتب ناسخه بآخره: «نقل من نسخة بخط المؤلف بالكتب خانة الخديوية. كتبه عبد العظيم طالقاني (?) سنة ١٣١٤ هـ»، والمصنف كائناً من كان لحنه محرف لا شك وانظر حاشيتي في فصل التلامذة، ثم رأيت منه خطية ليس فيها ذكر الكاشفي أصلاً. والعبارة المذكورة فيها كما هي.

(٣) كيف حملوا شيخ الإسلام أو ابنه على قتله؟ أو كيف يزعم صاحبنا بأحدهما مثل ذلك؟ مع أن الشيخ تلميذه الخُصِيُّض به، وألم يكن يكفيهم الخمسون رجلاً أنفذوهم إليه؟

(٤) جلّ المؤرخين يدعون محموداً ابن شبل الدولة بن صالح لا ابن صالح.

(٥) لم يصّر محمود صاحب حلب إلا بعد وفاة صاحبنا بثلاثة أعوام كما مر في باب الحُكَّام.

(٦) هذه الحادثة من أعظم الحوادث لم ينقلها أحد من بلديّ أبي العلاء كأبي اليسر وأبي غالب وابن العديم والقفطي ولا أحد من تلامذته.

وقال بعضهم^(١): إن عمه كان مات قبل أبيه والعجب أنه لم يذكر العمّ في سؤقه للحكاية أصلاً ولا سَمَّاه. وقد بحثُ فلم أقف على سنة وفاة مسلم. ومسلم وإن كان العماد وياقوت أغفلا عنه فإنما قد تعرفنا به من مصدر موثوق به وانظره في العمود.

فإن أمكن أن تزول هذه الموانع بحذافيرها وخلص الخبر مما أكتنفه من ركابة البُنية وضعف العقيدة والجمع بين الأضداد والأغلاط التاريخية فبأيدينا أمارات من اللزوم نقدّمها لتحقيق أن الولاية كانوا يُغرّون بتعذيبه. وهي:

كأنني كلّ حول مُحدّث حَدَثَا يرى به من تولّى المصّرَ إغرابي
ولم يكن حَدْثُه هذا إلّا: «دَنَبَ صُخْرَ».

يا ظالما عَقَدَ اليدين مصليةً من دون ظلمك يُعقد الزُّنارُ
أتظن أنك للمحاسن كاسب وخبيّ أمرك شِرّه وشنار
لا مُلك لي وأرى الدنيا تُحاصرني وما حججتُ وقد لاقيتُ إحصارا

وقال ابن الجوزي في تلبيس إبليس^(٢) وذكر أبا العلاء وإلحاده: ولم يزل متخبّطاً في تعثره خائفاً من القتل إلى أن مات بخسرانه. وسيأتي في التآليف وصف رسالة الضبُعَيْن في تحريف رجلين بيتاً من اللزوم كتبها أبو العلاء إلى معز الدولة عليّ بن صالح. فلعلّه هو صاحب هذا الخبر هنا أيضاً وعند الله علم الغيب.

أمراضه وعقله

أرى أن ترك اللذائد والاكتفاء على جَشِب الطعام وصوم الدهر والاجتناب عن

(١) صاحب (ذ): ٢٠٧.

(٢) طبعة دهلي ص: ١٦٠.

النساء أَوْرَثَ أبا العلاء صِحَّةً وعافيةً كما يقول . ل :

أفدتُ بهجران المطاعِمِ صِحَّةً فما بِي من داءٍ يُخاف ولا جِبْنِ
على أنه لم يسلَمْ من عاديّات العلل ، وإن كانت لم تستحقّ الذكر نظراً إلى صحّته
الطويلة . وأرى أن شكواه من الأمراض في بعض كلامه ليست إلّا من طول قعوده
بمجلسه أو الضعف الذي خاتته به قواه في هَرَمه . وهذا شعره . ل في طلب العلم :
ما كنت ذا يُسر فأجمعه ولا ذا صِحّة فأحالف التغليسا
يشير إلى عماه .

إذا غدوتُ ببطن الأرض مضطجعاً فثمّ أفقد أوصابي وأمراضي
يداوى المريض [ل] كيما يصحّ وهل صِحّة الجسم إلا مرض
وهذا ينظر إلى قول حميد بن ثور : وحسبك داءٌ أن تصحّ وتسلما .
ويذكر لنا أن يؤمن بعُدوى الأمراض :

لا تأمّننّ أخا داءٍ ولا صَمَن قد يُحدث السيفُ كلاماً وهو مفلول
ومن غير . ل في الصمّ ومرّ مثله في «نظرة عامّة» :
فلا تلم سمعي إذا خانني «إن الثمانين وبُلغَتها»
وانظر تمامه في الفات .

وذكر في التنصل من خدمة عزيز الدولة^(١) مرضاً لم يسمّه عاقه من حضور
الجُمع . وذكر في ر إلى خاله أبي القاسم^(٢) أنه اعتلّ عللاً كثيرة وذكر أنه سرّح دمه
مقدار مائة درهم (؟؟؟) فإن صحّ هذا فإنه إحدى الأعاجيب . وأنه خُدم في هذه العلّة
خدمة لم يُخدمها فيما سبق .

والظاهر أن أصدقاءه وأقرباءه كانوا يطلبون له الأطباء كما ذكروا أنه مرض مرة
فوصف الطبيب له الفروج فلمسه وقال : استصغروك فوصفوك . هلا وصفوا شبل
الأسد . وكما هو في ر إلى خاله المذكور وكما سيأتي آنفاً . وقال . ل :

لضربة فارس في يوم حرب تُطير الروح منك مع الفراش
أخفّ عليك من سَقَم طويل وموت بعد ذاك على الفراش
ومرّ في وفاة والدته أمر سقوط ناجذه وبعض أسنانه .

(١) ر ، ص : ٦٠ .

(٢) ر ، ص : ٥١ .

موته

ل في الدنيا:

متى أنا راحل عنها لشأني فإني قد قضيتُ بها شُغولي
تحققوا بالكلام وأكرموني على ما كان من جسد نحيل
دعوا هذا المقال وجّهزوني فإني قد عزمْتُ على الرحيل
قال القفطي^(١) وقد تَبَّأ ابن بطلان الطبيب ب وفاة أبي العلاء قبل موته بقليل . وكان ابن بطلان يَأْلَف أبا العلاء . وكان بالمعرة إذ ذاك . فحدثه بعض الطلبة أن أبا العلاء قد أَمَلَى عليهم شيئاً فغلِظ فيه . فتَبَّأ ابن بطلان بأن ذبالتة قاربت الذبول . لأن من كان كأبي العلاء في قوّة العقل وذكاء القلب وحصافة الرأي لا يدركه الخطأ فيما يُملِي ، إلا إذا اضطربت قواه وفسد مزاجه . أقول وجمع قوله هذا مع قوله في الحكماء^(٢) : إن ابن بطلان مات سنة ٤٤٤ هـ مشكلاً . ولكن هذه السنة مصحّفة أو غلط فإن ابن أبي أصيبعة أورد كثيراً من أخباره إلى سنة ٤٥٥ هـ وذكر قوله في مُصاب العلم ب وفاة أئمة منهم أبو العلاء .

وقال الشريف أبو يعلى ابن الهبارية^(٣) - وذكر خبره مع داعي الدعاة - وجرت بينهم مكاتبات كثيرة أمر في آخرها بإحضاره حَلَبَ ووعدته على الإسلام خيراً من بيت المال . فلما علم أبو العلاء أنه يُحْمَلُ للقتل أو الإسلام سَمَّ نفسه ومات ا هـ . وهذه فريّة من الشريف بلا مريّة . فإننا أوعبنا كل ما دار بينهما مطالعة فلم نر فيه شيئاً مما ذكر من سَمّ المعريّ نفسه كما قال ياقوت . وقد صرح قبله غرس النعمة بأن الختم على سكوت المعريّ على ما مرّ . وهذا ختام آخر ر . وهي للداعي في مدح المعري وإطرائه . والاعتذار من إضاعة أوقاته وآنائه . «فما هو حرسه الله على علاّته من الضعف والقوّة إلا من محاسن الزمان وممن سارت بفضلها الركبان . . . والغرض في السؤال والجواب الفائدة وإذا عُدمت فقد خَفَّفَ الله عنه أن يتكلّف جواباً . . . ومن أين لي أن أظهر على مكنون جواهر علوم دينه كظهوري على مصنفات أدبه وشعره . وقبل وبعد فأنّا أعتذر عن سِرِّ له أدام الله حراسته آذيته وزمان منه بالقراءة والإجابة شغلته . لأنني من حيثما نفعته ضررته . والله تعالى يعلم أني ما قصدت به غير الاستفادة من علمه والاغتراف من بحره والسلام» ا هـ .

(١) (ذ): ٢٢٤.

(٢) مصر: ١٩٣.

(٣) أدباء ١: ١٩٤.

وليس ببدع من الشريف أن يُقْرِفَ أبا العلاء بما لم يَجِنَ وَيُزَنَّهُ بما لم يَأْت ولم يسلم من معرة لسانه ووصمة بنانه أحد من أعيان عصره كما قد نبّه عليه كل من ترجم له. وهذا كله دليل على أن ختام الترسل وقع قبل موت المعري بأعوام فلم تكن حلب من المعرة إلا مسيرة يومين وكان بدؤه كما مر سنة ٤٣٨ هـ. وللشريف في صاحبنا^(١) خبر بذيء مُقْذِعٍ نربأ بأنفسنا عن إثباته. وَنَمُنَّ عليه بستر عواره والغض عن جنائياته. وزعم بعضهم^(٢) أن هذه الفُزْيَةُ وقعت من غرس النعمة بدلاً عن الشريف، وكأنه لم يفهم عبارة ياقوت في الأدباء ولا عرف فلك المعاني^(٣) وهو كتاب للشريف معروف أكثر من النقل عنه ياقوت.

قال ابن خلكان^(٤): مرض ثلاثة أيام ومات في اليوم الرابع ولم يكن عنده غير بني عمّه، فقال لهم في اليوم الثالث: اكتبوا عني فتناولوا الدُويّ والأقلام فأملئ عليهم غير الصواب فقال القاضي أبو محمد عبد الله التنوخي: أحسن الله عزاءكم في الشيخ فإنه ميّت فمات ثاني يوم ١ هـ. ومَرَّ عند القفطي اختلاطه في الإملاء على الطلبة. ولعل الذي كان يريد إملاءه بعض نصائح فحسب وأما الوصية^(٥) فإنه لم يكن يستحسنها وانظر النظرة.

جاء في ختام نسخة بانكي پور ما نصّه: وتوفي أبو العلاء بين صلاتي العشائين من يوم الجمعة الثالث من شهر ربيع الأول سنة ٤٤٩ هـ. وكان عمره ستاً وثمانين سنة إلا أربعة وعشرين يوماً لم يأكل اللحم منها ٤٥ سنة. وقال الشعر وهو ابن إحدى عشرة سنة الخ

توفي ليلة الجمعة (كما قال^(٦) الذهبي الصّفدي والعباسي والياضي) أو يومها (كما

(١) الغيث ٢: ١٩٠.

(٢) صاحب (ذ): ٢٢٥ و«العجب كل العجب بين جمادى ورجب» قال بعد أن رد على غرس النعمة ما هو براء منه: «والعجب أن سلامون الإفرتسي لم يفهم ما كتب ياقوت، فظن أنه صاحب الرواية واجتهد في الرد عليه ولو أنه فطن لما كتب لأراح نفسه من عناء كثير» ١ هـ فهل لي أن أنشد قول صاحبنا إذا لم يفهم عبارة ياقوت ولا نصه: «لم يذكر في المراسلات ما يدل على ما ذهب إليه ابن الهبارية من سم المعري نفسه»:

وبصير الأقوام مثلي أعمى فهلّموا في حنّس نتصادم

(٣) ومنه نسخة بجامع صوفيا وعدده في دفتره المطبوع سنة ١٣١٤ هـ ٤١٥٧.

(٤) ١: ٣٤. ومر ذكر القاضي أبي محمد في فضل الإقراء والإملاء وفي فضل التلازمة.

(٥) وتردد صاحب (ذ): ٢٢٦ في الخبر وقد علمت له شاهداً مما عند القفطي اغتراراً منه باستهزاء أبي العلاء بمن يوصي.

(٦) ١٣٧ - ١٠٩، نكت ١: ٥٢، ٣: ٦٣.

قال^(١) الكمال ابن الأنباري والسمعاني وياقوت وابن خلكان) ثالث ربيع الأول (كما هو عند ابن خلكان والصفدي واليافعي) أو ثانيه (كما قال ياقوت) أو ثالث عشرة منه (كما في «النزهة» و«الأنساب») سنة ٤٤٩ هـ. ولما مات أوصى أن يكتب على قبره كما قال الذهبي وابن خلكان وغيرهما وفي نسمة السحر^(٢) زيادة أنه كان يقوله ويكرره في مرض موته والعهد على صاحبه ونقله عنه صاحب «نزهة الجليس» أيضاً.

هذا جنّاه^(٣) أبي عليٍّ وما جنيْتُ على أحد
وذكر ابن الوردي أن ابن القيسراني المتوفى سنة ٥٤٨ هـ اجتاز بالمعرة فكتب عند قبر أبي العلاء:

نزلت فزرت قبر أبي العلاء فلم أر من قرى غير البكاء
ألا يا قبر أحمد كم جلال تضمّنه ثراك وكم ذكاء
وقال القفطي^(٤): أتيت قبره سنة ٦٠٥ هـ فإذا هو في ساحة بين دور أهله وعليه باب [صغير قديم]، فدخلت فإذا القبر لا احتفال به ورأيت على القبر حُبّازي يابسة. والموضع على غاية ما يكون من السَّعْث والإهمال. وقال الذهبي: رأيت أنا قبره بعد مائة سنة من رؤية القفطي^(٥) فرأيت نحوه مما حكى. ونقل الصفدي^(٦) قال علاء الدين [علي بن المظفر^(٧) الكندي الشاعر] الوداعي^(٨) ومن خطه نقلت: زرت قبره بالمعرة رحمه الله تعالى في ربيع الأول سنة ٦٧٩ هـ ولم أر عليه شيئاً من ذلك (يريد هذا جنا: البيت) وقد دثر ولصق بالأرض وعملت هذين البيتين:

قد زرت قبر أبي العلاء المرتضى لما أتيت معرة النعمان
وسألت من غفر الخطايا أنه يُهدي إليك رسالة الغفران

ا هـ.

(١) ٤٢٧ - ١١٠، أدباء: ١، ١٦٢، ٣٤. (٢) ١١٥: ١.

(٣) بالنقطتين على الهاء كما في الإسعاف وقد تصحف عند الأكثرين فزعموا الهاء هاء الضمير ومثله في المعنى لبعض المغاربة:

لست وجيهاً لدى إلهي هذا مدى دهري اعتقادي
لو كان هذا لما براني في عالم السكون والفساد

(٤) تاريخه ٢: ٥٤.

(٥) ذهبي: ١٣٦، والوفيات ١: ٣٤.

(٦) الغيث ٢: ١٩٨ ومثله في نسمة السحر ١: ١١٥.

(٧) من الغيث ١: ٨١ ترجم له في الفوات ٢: ٨٧، والبيتان في نزهة الجليس أيضاً ٢٨٦.

(٨) ولد سنة ٦٤٠ هـ وتوفي سنة ٧١٦ هـ كما في مطالع البدور للغزولي ص: ٢٠.

ثم إنه ^(١) غار على منقبة المعرة رئيسها نورس باشا، فرم قبره وبناءه وأنشأ عليه مكتباً للأطفال كما ورد في بعض أجزاء جريدة العمران. ثم إنه ذكر لنا من زاره ^(٢) سنة ١٩٠٥م أن قبره محفوف بالكرامة، رآه في إحدى زوايا البلدة وعلى ضريحه كتابة قديمة بالخط الكوفي (وهذا يضاد من جهة ما مر من قول الوداعي) وبجوار رمسه قبر بعض تلامذته. وفي غرفة أخرى مجاورة لقبرهما قبر الشيخ محمد الغباري.

ذكراه مدحاً وذماً

قال غرس النعمة ^(٣): وأذكر عند ورود الخبر بموته وقد تذاكرنا إلهاده، ومعنا غلام يعرف بأبي غالب بن نيهان من أهل الخير والعفة، فلما كان من الغد حكى لنا. قال: رأيت في منامي البارحة شيخاً ضريراً وعلى عاتقه أفعيان متدليتان إلى فخذه، وكل منهما يرفع فمه إلى وجهه فيقطع منه لحماً يزدرده وهو يستغيث. فقلت وقد هالني: من هذا؟ فقل لي: هذا المعري الملحد هـ. وكأنه أجابه بقول ل:

تَحَاسَدَتِ الْعَيُونُ عَلَى مَنَامٍ عَرَفْنَ كِذَابَهُ وَأَرَدْنَ حُسْنَهُ
فَصَبِرًا إِنْ سَمِعْتَ لِسَانَ سَوْءٍ مِنْ ابْنِ مَوَدَّةٍ وَتَوَقَّ لَسَنَهُ

وروى القفطي ^(٤) عن القاضي أبي عمرو وعثمان بن عبد الله الكرجي أنه كان وهو طالب يقع في دين أبي العلاء، فرأى فيما يرى النائم كأنه في مسجد، وكأن على صُفَّة فيه رجلاً شيخاً ضريراً بادناً (?) وإلى جانبه غلام يشبه أن يكون قائده. قال القاضي: وكنت واقفاً تحت الصُفَّة في نفر من الناس. وهذا الشيخ يتكلم كلاماً لم أفهمه. ثم التفت إليّ وقال: ما حملك على الوقوعة في ديني؟ وما يدريك لعل الله غفر لي؟ قال: فاستحييت منه وسألت عنه - فقل: هو أبو العلاء. فلما أصبحت أقلعتُ عن النيل منه واستغفرت الله لي وله - ثم مضى على ذلك دهر وأنسيته ودخلت المعرة فزرت مسجدَهَا للصلاة، فإذا هو كما رأيت في النوم وإذا الصُفَّة كعهدي بها، وعليها راهب يُضْفَرُ البردي - فتقدمتُ إليه وسألته عما يصنع فعرفت أنه يعمل الحُضْر لهذا المسجد، وكان على دَيْرِهِ أن يؤدي للمسجد هذا العمل كلما احتاج إليه. قال: فلما أذكرني ذلك ما أنسيته سألتُ عن قبر أبي العلاء فزرتُه فإذا هو مهمل في مكان أشعث، وقد نبتت عليه الحُبَازَى ثم جفت - فقرأت عنده واعتذرت إليه وذلك في أوائل القرن

(١) وادعى مرجليوث: ٤٣ أن متأخري المفتشين لم يقدرُوا على معرفة محل قبره.

(٢) لويس شيخو في المشرق.

(٣) ذهبي: ١٣٢ وفي المعاهد ابن غرس النعمة وهو تصحيف ١: ٥٢.

(٤) (ذ): ٢٢٧.

السابع اهـ. وما كان أغناه عن المدح أيضاً وكأنه نظر إلى الصنفين حيث قال. ل:

وَدِدْتُ وَفَاتِي فِي مَهْمِهِ بِهِ لَامَعَ لَيْسَ بِالْمَعْلَمِ
أَمُوتَ بِهِ وَاحِداً مَفْرَداً وَأُذْفَنُ فِي الْأَرْضِ لَمْ تَظْلَمِ
وَأَبْعَدُ عَنْ قَائِلٍ لَا سَلِمَتْ وَآخِرَ قَالَ أَلَا يَا اسْلَمِ
أَحَازِرُ أَنْ تَجْعَلُوا مَضْجَعِي إِلَى كَافِرٍ خَانَ أَوْ مُسْلِمِ
إِذَا قَالَ ضَايَقْتَنِي فِي الْمَحَلِّ قُلْتُ أَسَاؤُوا وَلَمْ أَعْلَمِ
وقد صدق الأول:

إِذَا مُتَّ كَانَ النَّاسُ صِنْفَانِ شَامَتِ وَمُثْنٍ بَصْرَعِي بَعْضُ مَا كُنْتُ أَصْنَعِ

التآبين

ل:

أَعْيَبُونِي حَيًّا ثُمَّ قَالَ لَهُمْ مُثْنٍ وَقَدْ غَيَّبُونِي، إِنَّ ذَا عَجَبُ!
قال تلميذه^(١) الأبهري والتبريزي وجمعنا بين قوليهما، ولما مات أنشد على قبره
بعد موته أربعة وثمانون شاعراً مرثي، وخُتم في أسبوع واحد عند القبر مائتا ختمة.
قال ياقوت: من جملتها أبيات لعلي بن الهمام [أبي الحسن تلميذه] من قصيدة طويلة:
إِنْ كُنْتُ لَمْ تُرِقِ الدَّمَاءُ زَهَادَةً فَلَقَدْ أَرَقْتُ الْيَوْمَ مِنْ جَفْنِي دَمَا
سَيَّرْتُ ذِكْرًا فِي الْبِلَادِ كَأَنَّهُ مَسْكٌ مَسَامِعُهَا^(٢) يَضْمَخُ أَوْ فَمَا
وَتَرَى الْحَجِيجَ إِذَا أَرَادُوا لَيْلَةَ ذِكْرَاكَ أَوْجِبَ فِدْيَةً مِّنْ أَحْرَمَا
كأنه يقول: إن ذكرك طيب، والطيب لا يحل للمُحْرَمِ فيجب عليه القدية. وفي
المعنى لآخر^(٣):

يَا كَعْبِيَّةَ الْفَضْلِ أَفْتَنَّا لِمَ لَمْ يَجِبْ شَرْعاً عَلَى قُضَاكَ الْإِحْرَامُ
وَلَمَّا تُضْمَخُ زَائِرِيكَ بِطِيبِ مَا تُلْفِيهِ وَهُوَ عَلَى الْحَجِيجِ حَرَامُ

(١) (ذ): ١٣٥، أدباء ١: ١٧٥ وعند ابن الوردي ١: ٣٥٨ سبعون.

(٢) كذا عند ياقوت وفي المعاهد ونسخة خطية من الوفيات في جامعة بتجانب فسامعه يضمخ، وفي الوفيات طبع إيران ومصر والنكت فسامعه تضمخ، وعند اليافعي ٣: ٦٩ فسامعه يعطر قال: إن الذكر يعطر السامع والمتكلم أيضاً. والمراد بالفهم المثني وأو إما للتريد وإما بمعنى الواو، وزعم صاحب (ذ) أن الجميل ما رآه في نسخة خطية من الوفيات مسك تضمخ منه سمعاً. وأنت ترى أن جميع الروايات لا تخلو من وجه. ولعل بعضها أجمل من روايته ويروى: يضمخ منه سمعاً.

(٣) الوفيات ١: ٤٦٥، وفيه تلقية وهو تصحيف.

ورثاه الأمير أبو الفتح^(١) ابن أبي حَصِينَة المعري شاعر حلب إذ ذاك بقصيدة طويلة منها:

العلم بعد أبي العلاء مضيّع
أودى وقد ملأ البلاد غرائباً
ما كنت أعلم وهو يُودَع في الثرى
جبل ظننتُ وقد تزعزع رُكْنُهُ
وعجبتُ أن تسع المعرّة قبره
لو فاضت المُهْجَاتُ يوم وفاته
تَتَصَرَّم الدنيا وتأتي بعده
لا تجمع المال العتيّد وُجد به
وإن استطعت فسير بسيرة أحمد
رفض الحياة ومات قبل مماته
عين تَسْهَدُ للعَفَات ولِلتَقَى
شَيْمٌ تُجَمِّله فهنّ لمجده
جادت ثَرَاك أبا العلاء غمامةً
ما ضيَع الباكي عليك دُموعه
قَصْدَتِكَ طُلابُ العلوم ولا أرى
مات الثُّهَى وتعطلت أسبابه

والأرض خالية الجوانب بَلَقَع
تَسْري كما تسري النجوم الطُلَع
أن الثُّرى فيه الكواكب تُودَع
أنّ الجبال الراسيات تَزْعَزَع
ويضيق بطنُ الأرض عنه الأوسع
ما استُكثرت فيه فكيف الأدْمَع
أُمِّمٌ وأنت بمثله لا تَسْمَع
من قبل تركك كلّ شيء تجمع
تَأْمَنُ خديعةً من يَغُرّ ويخدَع
متطوِّعاً بأبر ما يُتَطَوِّع
أبدأ وقلب للمهيمن يخشَع
تاج ولكن بالثناء يرصّع
كندی يديك ومُزَنَة لا تُقْلَع
إنّ الدموع على سواك تُضَيِّع
للعلم باباً بعد بابك يُقْرَع
وقضى التأدّب والمكارم أجمع

رثاء ابن أبي حَصِينَة يوجد في الأدباء أيضاً ٤: ٧٠ وفيه في البيت الـ ٧: يضرّ ويخدع
وفي الـ ١٤: إن البكاء على سواك مضيّع، وفي الـ ١٦: وقضى العلى والعلم بعدك أجمع

وقال أبو الرضّى عبد الوهاب بن نوت المعري، والعهد على الصفدي^(٢) وإلا ففي
«الخريدة» للعماد في رجال بني أبي حَصِين المعريين أبو الرضّى عبد الواحد بن الفرج بن
الثوّب المعري المتوفى سنة ٤٨٠هـ وهو الصواب إن شاء الله.

سُمِرُ الرماح وبيض الهند تَسْتَوِر في أخذ ثأرك والأقدارُ تعتذر

(١) انظر ترجمته في الفوات ١: ١٢٢، والقصيدة عند ابن الوردي ١: ٣٥٩ وقال بعد أن سردها فانظر
إلى ما رثاه به هذا الرجل ووصفه به من تقاه ورفضه للحياة وموته قبل الموت وتطوعه وهو أيضاً
أعلم به من الأجانب.

(٢) النكت ١١٠ ثم إنه حقق ظني خبر ارتجاله بحضرة ثمال بن صالح وشاعره ابن سنان الخفاجي الذي
أورده الأزدي في البدائ ٢: ٤٤ ورد فيه اسمه عبد الواحد هـ، فالحمد لله على ذلك، ثم وجدته
في نسخة الوافي للصفدي الخطية ولكنّ أبا الرضا عبد الواحد بن نوت على الصواب. فتعين أنه
مصحف في النكت أو سبق قلم.

والدهر فاقد أهل العلم قاطبة كأنهم بك ذا القبر قد قُبروا
 فهل ترى بك دار العلم عالمة أن قد تزعزع منها الرُّكن والحجر
 والعلم بعدك غمد فات مُنصله والفهم بعدك قوس ما له وتر
 كذا والصواب ما لها وتر، فالقوس مؤنثة. عدّها ابن الحاجب مما لا يجوز
 تذكيره.

ما كتب فيه

(١) جزء في أخباره لأبي طاهر السلفي تلميذ التبريزي. وهو أقدم كتاب صُفِّف في أخباره. ولا نعرف عنه غير أن ابن خلكان^(١) والأزدي صاحب «بدائع البدائ» روى عنه لُغز الطبري وجواب أبي العلاء لما ورد بغداد على ما مرّ. وغير أن الذهبي قد أكثر عنه من نقل أخباره في تاريخ الإسلام له. قال السلفي^(٢) وقد أورد قدراً كافياً من مناقبه ومثالبه «وفي الجملة فكان من أهل الفضل الوافر والأدب الباهر والمعرفة بالنسب وأيام العرب قرأ القرآن بروايات وسمع الحديث بالشام على ثقات. وله في التوحيد وإثبات النبوة، وما يحض على الزهد وإحياء طرق الفتوة والمرّوة شعر كثير والمشكل منه فله على زعمه تفسير» وقال أيضاً^(٣): «إنه تاب وأتاب».

(٢) العذل والتحري في دفع الظلم والتجري على أبي العلاء المعري للكمال ابن العديم الحلبي، يروي فيه عما وجده بخط أبي اليسر شاعر، وهو حفيد حفيد أبي المجد أخى أبي العلاء الأكبر، كأنّ جُلّ ما أورده ياقوت من أخبار أسرته من الباب الثاني منه، ويروي عنه الصّفدي في النُّكت. والعجب من ياقوت وهو صاحبه أنه لم يذكر هذا الكتاب في ترجمته وذكره الكتبي^(٤) والصفدي^(٥) وخليفة وابن الوردي في «تاريخه». وقد وُجد أكثره.

(٣) دفع المعرفة عن شيخ المعرفة لمؤلف من الأعيان مجهول، وهو أقدم من ابن العديم عصرأ نقل عنه ابن الوردي في «تاريخه»^(٦): أن أبا العلاء وُجد في اللزوم

(١) ١: ٢٣٣، ٢: ١١٤، ولاء.

(٢) ذهبي: ١٣٥.

(٣) نكت ١٠٤ ولفظه: وأظن الحافظ السلفي قال: إنه الخ.

(٤) ٢: ١٠١ وسماه دفع الظلم والتجري عن الخ كما في الكشف.

(٥) نكت ١٠٥ وسماه التحري في دفع التجري على الخ و١٠٩ وسماه دفع التجري وعلى نسخته المخرومة الآخر بدمشق الإنصاف والتحري ومثله في نسخة مصر.

(٦) ١: ٣٦٠.

متذبذباً حائراً في الدين لكن الكتب التي ألّفها بعد ذلك خصوصاً «ضوء السقط» تُصليح هذا الفساد وتوضح رجوعه إلى الحق وصحة اعتقاده. و«الضوء» خاتمة كتبه والأعمال بخواتمها هـ.

(٤) نصر الأعيان^(١) على شعر العميان لابن الوزير اليماني صاحب إثثار الحق على الخلق في التنفير من شعر أبي العلاء.

(٥) «رجمة العفريت»^(٢) ردّ فيه عبدُ الله بن منصور بن سعيد أبو منصور الكاتب المتوفى سنة ٤٨٠ هـ على المعريّ. فأنت ترى أن الذين قاربوا عهده. لم يؤثروا إلا مدحه وحمده. وأما الذين جانبوه دياراً أو باعدوه أعصاراً فقد هرفوا وما عرفوا ونبزوا الرجل بما بدا لهم وقرفوا. فظهر مصداق قول الصاحب ابن العديم^(٣): إن الذين لقوه وعرفوه وصفوه بكل جميل والذين هتّكوا عرضه لم يلقوه ولا عرفوه.

(٦) وذكر ياقوت^(٤) لشمّيم الجليّ كتاباً اسمه «الإشارات المعريّة» ولم يزد عليه شيئاً.

تأليفه

وما^(٥) أنا إلا قطرة من سحابة ولو أنني صَنَفْتُ أَلْفَ كتاب وجد ياقوت ثَبَتَ كتبه بخط أحد مستمليه فسرده والذهبيُّ ولكنه اختصره اختصاراً مُجْجِفاً، ولم أر في سرده فائدة فتركتُ بعض أوصاف المعدومات ورتبتُ الكتب على حروف المعجم وقابلتها بما عند الذهبي وعلامته (هـ)، والصفديّ في «الوافي» وعلامته (ص) والحاج خليفة وعلامته (ك) وعلامة «الكراسة» (كر). وزدت بعض أسماء عثرت عليها في مظانّ غيرها. وهذا أول الثبت:

«قال الشيخ أبو العلاء رضي الله عنه لزمّت مسكني منذ سنة أربعمائة واجتهدت على أن أتوفّي على تسبيح الله وتمجيده إلى أن أضطرّ إلى غير ذلك. فأمليتُ أشياء وتولّى نَسَخَهَا الشيخُ أبو الحسن عليّ بن عبد الله بن أبي هاشم أحسن الله معونته، فألزماني بذلك حقوقاً جمّة وأيادي بيضاً لأنه أفنى في زَمَنه، ولم يأخذ عما صنع ثمنه.

(١) مجلة الزهراء سنة ١٣٤٣ ص: ٢٨٨.

(٢) البغية: ٢٧٢.

(٣) قال ابن الوردي قال ابن العديم في العدل: إنه اعتبر من ذم أبا العلاء ومن مدحه فوجد كل من ذمه لم يره ولا صحبه ووجد كل من لقيه هو المادح له.

(٤) أدباء ٥: ١٣٨.

(٥) س، ٢: ١٣٩.

والله يُحسن له الجزاء، ويكفيه حوادث الزمن والأرزاء» ١ هـ.

(١) كتاب «أدب العصفورين» ي د ك. كتاب «العصفورين» هـ - رسالة -

(٢) كتاب «استغفر واستغفري» ي هـ - ١٢٠ كر. نحو ١٠٠٠٠ بيت. روى عنه الزمخشري في «الكشاف»^(١) بيتاً وابن أبي أصيبعة^(٢) ثلاثة وسمّاه كتاب الاستغفار وانظر الفائق (ب و د).

(٣) «إسعاف الصديق» ٣ أجزاء بالجملي ي هـ ك.

(٤) كتاب «الأنواء» له ذكره البغدادي في الخزانة^(٣) ورآه.

(٥) كتاب «الأيك والغصون» وهو كتاب الهمزة والردف وهو أكبر كتبه ي هـ ك، بُني على ١١ فصلاً لكل حرف فجملتها ٣٠٨. مثلاً: السماء بالحركات الثلاث. سماء منوّناً، سماءه بالثلاث. سماءها بالثلاث. عباءة. وهو في العظات وذم الدنيا في ٩٢ جزءاً وفي ١٢٠٠ كر. قال هـ وقد ذكر بعض الفضلاء أنه وقف على المجلد الأول منه بعد المائة قال: ولا أعلم ما يُعوزُه بعد ذلك^(٤) وقال ابن خلكان: حكى لي من وقف الخ.

(٦) كتاب «تفسير الهمزة والردف» جزء ي و ص.

(٧) كتاب «الأمالي» نحو: ١٠٠٠ كر. هـ ك. قال: ك ولم يكمله. قلت: وكأنه عناه بقول في ل:

أمالِي فيما أرى راحة مدى الدهر من هَذَيان الأمالي
ويمكن أن يكون أراد بالأمالي في البيت جميع ما كان يُملِيه على كُتّابه كائناً ما كان.

(٨) تاج الحُرّة في عظات النساء خاصة نحو: ٤٠٠ كر. ي هـ ك.

(٩) «تضمين الآي»^(٥) وهو كتاب مختلف الفصول. ي. مختلف الفصول هـ.

كتاب «الفصول» ك.

(١) تفسير «ومن يرتدد منكم عن دينه» الآية.

(٢) ١ : ٨٨.

(٣) ١ : ١١.

(٤) ترجم هذه الجملة مرجليوث بقوله إنه غادر غيره من الكتب غير مفيد فيا للعجب.

(٥) وفي خزانة ليدن مجموعة خطية فيها رسائله وفصول له فهل هي من هذا الكتاب وانظر فهرستها ص: ٢٩٥.

(...) تظلم السور انظر «نظم السور».

(١٠) «تعليق الخُلس» هـ. ولعله الصواب. تعليق الجليس ي، ويتصل بجمل الزجاجي جزء.

(١١) «جامع الأوزان» (البحور) الخمسة عشر بجميع ضروبها وقوافيها من ي ك. «جامع الأوزان والقوافي» هـ - ٦٠ ك - ٣ أجزاء - ٩٠٠٠ بيت.

(١٢) غريب ما في هذا الكتاب نحو: ٢٠ ك. هـ. وقد ذكرنا ما عثرنا عليه من شعره في الفئات.

(١٣) كتاب «الجلى والجلى» (؟) ي. كتاب «الحلى والحلى» هـ. سأل فيه صديق له من أهل حلب يعرف بابن الحلى. مجلد - ٢١ ك.

(١٤) كتاب «الحقير النافع» ي هـ ك مختصر في النحو ٥ ك.

(١٥) كتاب يتصل به يعرف بالطل (ي بالطل ص) الطاهري أنشئ لرجل يعرف بأبي طاهر حلي (؟).

(١٦) خطبة الفصيح ي هـ ك^(١). يتكلم فيه على أبواب الفصيح قال أبو بكر ضَمِن جميع ما حواه الفصيح. خطبة في تحميد الله سبحانه وما قاربه من العظات، رواها ابن الخير عن أبي محمد بن عتاب عن أبي عمرو والسفاقسي عنه وعن ابن العربي عن التبريزي عنه أيضاً ١٥ ك.

(١٧) تفسير «خطبة الفصيح» ي ك. شرح فيه غريبه. عارضه^(٢) الحافظ أبو الربيع الكلّاعي بكتاب سَمَاة «جهد النصيح في معارضة المعري في خطبة الفصيح» كما مرّ.

(١٨) خطب الخيل ي ك. يتكلم على ألسنتها - ١٠ ك.

(١٩) «حماسية الراح». ي هـ ك. خماسية الراح وهو تصحيف. لكل حرف خمس سجعات مضمومات وخمس النخ ١٠ ك.

(٢٠) «دعاء الأيام السبعة» ي ص.

(٢١) «دعاء وحرز الخيل» (؟) ي.

(٢٢) «دعاء ساعة» ي ص.

(٢٣) «ذكرى حبيب» ي هـ ك في غريب شعر أبي تمام، سأل فيه صديق لأبي

(١) وفهرست أبو بكر ٤١٢ و ٢٤٣.

(٢) النفع، مصر ٢: ٥٨٧.

العلاء من الكُتَّاب، ٤ أجزاء، ٦٠ كر. وهذه الكتب المسؤول في تأليفها إنما تكلفتها مؤلفها من فرط الحياء، وهو لتأليفها كاره. قال فيه: إنما أغلق شعر الطائي أنه لم يؤثر عنه فتناقلته الضعفة من الرواة. وذكر فيه الأبيات المشككة من شعره متفرقة.

(...) كتاب «ديوان الرسائل» ي هـ ك - وهو ثلاثة أقسام الأول: رسائل طوال

تجري مجرى الكتب المصنفة مثل:

(٢٤) كتاب «رسالة الملائكة»^(١).

و(٢٥) كتاب «الرسالة السندية»^(٢) جزء.

و(٢٦) كتاب «رسالة الغفران»^(٣) جزء.

و(٢٧) كتاب «رسالة الفرض» (ي العروض ك) جزء ونحو ذلك - والثاني رسائل

دون هذه في الطول مثل:

(٢٨) رسائل المنيع^(٤).

و(٢٩) كتاب رسالة الإغريض.

والثالث (٣٠) كتاب «الرسائل القصار»^(٥) كنحو: ما يجري به العادة في

المكاتبة. قيل: إنه ٤٠ جزءاً^(٦) وقيل: إنه ٨٠٠ كر - ي هـ.

(٣١) كتاب «خادم»^(٧) الرسائل ي هـ ك. في تفسير ما تضمنته هذه الرسائل مما

يحتاج إليه المبتدئون في الأدب ٢٠ كر. أقول وذكر أبو بكر^(٨) الإغريقية وشرحها له.

(٣٢) «الفلاحية» وشرحها له. وذكر هـ^(٩) في خارج الثبت.

(١) التي طبعناها وصححناها.

(٢) وعندك السندسية وهو تصحيف. عملها لسند الدولة روى مرجليوث: ٣١ عن ابن العديم أنه كان

نقل من أفامية إلى حلب والياً عليها سنة ٤١٤ هـ.

(٣) نقلوا عنه أشياء في شرح الدرة للخفاجي ٦٩، وشرح ابن نباتة بهامش الغيث ٢: ١٩٠ وياقوت ١:

١٩٠ و٣: ١٣ والغيث ١: ١٥.

(٤) نقل عنها ابن الشيخ ١: ١٢١.

(٥) نقل عنها الصفدي في الغيث ١: ١١٢ و٢: ١٠٢.

(٦) وجاء في عنوان المطبوعة ولم تكن المراسلة بينه وبين الناس كثيرة وإنما اتفق ذلك في بعض

الأحيان. فكيف تكون إذاً نحو ٨٠٠ كر فلعل هذا مقدار مجموع رسائله ومنها العلمية وكأن ما رويها

عن العنوان يقتصر على رسائل الحاجات.

(٧) ك خادمة، وورد في حاشية الصبح شرح رسائل أبي العلاء (١٤: ١٨٩) فهل هو هذا؟.

(٨) فهرست ٤١٢.

(٩) ١٢٩.

(٣٣) «رسالة الطير» له على نهج «الملائكة» و«الغفران». وزد فيها:

(٣٤) رسالتين له إلى داعي الدعاة.

و(٣٥) ثبت كتبه أيضاً. ورسالة «المنيح» ورد اسمها في ر المطبوعة «ربح المنيح». وأما الإغريقية فقد سردها القلقشندي^(١) على طولها وشرحها^(٢) فصيح الخ ابن صبغة الله الحيدري من علماء آخر القرن الثالث عشر وقدمه إلى مصطفى فاضل باشا ابن إبراهيم باشا ابن محمد علي باشا والي مصر.

(٣٦) «الرسالة الخطية» ص - الحضية ي - والصواب إن شاء الله الخطية بالظاء المعجمة.

(٣٧) رسل الرموز - ي - رسيل الرموز هـ. نحو: ٣٠ كر.

(....) «رسالة الضبعين» يأتي في ذكر اللزوم.

(٣٨) «رسائل المعونة» ي ك - رسالة المعونة هـ - وهي ما كتبت على ألسن قوم.

(٣٩) «الرياش»^(٣) المصطنعي ي هـ ك في شرح مواضع الحماسة الرياشية. (يريد «حماسة» أبي تمام بشرح أبي رياش) عمل لرجل يلقب بمصطنع الدولة ويخاطب بالإمرة واسمه كليب بن علي ويكنى أبا غالب أنفذ نسخة من «الحماسة» الرياشية، وسأل أن يخرج على حواشيها شيئاً فخشي أن يضيق الحواشي عن ذلك فصنع هذا الكتاب وجمع فيه ما سنع مما لم يفسره أبو رياش - ٤٠ كر - روى هذا الشرح عنه التبريزي وأظن أنه أودع في شرحه منه جملة صالحة.

(٤٠) «رسالة على لسان ملك الموت» ي. ص.

(٤١) «سجع الحمائم» يتكلم فيه على ألسن حمائم أربع ي هـ ك. وكان بعض الرؤساء سألوه أن يصنف له تصنيفاً يذكره فأنشأ هذا الكتاب وجعل ما يقوله على لسان الحمامة في العظة والحث على الزهد ٤ أجزاء ٣٠ كر.

(٤٢) كتاب «السجعات العشر» موضوع على أن لكل حرف من حروف المعجم عشر سجعات في المواعظ - ي هـ.

(٤٣) «السجع السلطاني» ي هـ ك - يشتمل على مخاطبات للجنود والوزراء وغيرهم من الولاة وكان بعض خدم السلطان وارتفعت طبقته ولا قدّم له في الكتابة

(١) الصبح ١٤ : ١٩٠.

(٢) ومنه نسخة بدار الكتب المصرية انظر فهرستها ٤ : ٣٤٢.

(٣) منه نسخة بالخزانة المصرية في مجلد مكتوبة سنة ٦٥٤. فهرستها ٤ : ٢٦٩، ونقل ياقوت منه فصلاً في ترجمة أبي رياش ١ : ٧٤.

سأل أن يُنشأ له كتاب مسجوع من أوله إلى آخره، وهو لا يشعر بما يريد لقلّة خبرته بالأدب فألف له هذا الكتاب ٤ أجزاء.

(٤٤) «سجع الفقيه» جزء ٣٠ كري هـ ك.

(٤٥) «سجع المضطرين» ي هـ ك - عمله لرجل مسافر (تاجر. ك) يستعين به على أمور دنياه.

(٤٦) «سقط الزند» هـ ك - كتاب لطيف فيه شعر قيل في الدهر الأول، ٣٠٠٠ بيت.

فيه أشعار قيلت فيما بين ١٥ - ٥٥ أو ٧٣ من عمره^(١) وجلّه من شعر الصبي والشباب والكهولة ببغداد وبالمعرة بعيد الرجوع. قال ابن الأبار^(٢) في ترجمة أبي العباس أحمد الرّعيني: إنه كان يستظهره وأحسن نسخه من السقط فيما رأيت نسخة خزانة خُدا بخش خان المرحوم بباكي پور يظهر أنها كتبت في القرن السادس وعليها حواش من شرحي أبي العلاء والتبريزي ومن النسخة المقروءة على أبي العلاء نفسه وفي طَرّرها تسمية بعض رجال لم يتعرض لهم الشارحون بل كنوا عنهم ببعض ورجل وغيرهما من المبهمات. وورد في عنوانها إسناد جليل وهذا نصّه:

أخبرني الشيخ الأجلّ المهدّب أبو الحسن^(٣) علي بن عبد الرحيم بن الحسن بن عبد الملك السّلميّ بقراءتي عليه في شهر ربيع الآخر من سنة أربع وستين وخمسائة قال: قرأت على الشيخ الحافظ أبي الحسن^(٤) سعد الخير بن محمد بن سهل الأنصاري الأندلسي بمدينة السلام في شهور سنة سبع وثلاثين وخمسائة. قال: قرىء على شيخنا أبي زكريا يحيى بن علي الخطيب التبريزي اللغوي بالمدرسة النظامية، وأنا أسمع قال: قرأت على شيعي أبي العلاء أحمد بن عبد الله بن سليمان التنوخي المعري بها سنة اثنتين وأربعين وأربعمائة.

قال: ثم قرىء على الأمير سعد الدولة أبي عبد الله محمد بن المحسن بن أحمد

(١) زعم مرجليوث ومن اتبعه أن آخر شعر س ما قيل في القاضي عبد الوهاب سنة ٤٢٠هـ ولكن صاحب شرح المجاني ١٢٤٩ ذكر أن جعفر بن علي بن المهدب الفقيه الأديب الذي رثاه أبو العلاء بدالية من س كان توفي نحو سنة ٤٣٥هـ والعهد عليه فإن صح قوله هذا فإنه يناقض مزعم مرجليوث. والفقيه ليس ابن المهدب بالذال المهملة كما قد تصحف على شارح المجاني وصاحبه مراراً ولا هو ابن جعفر كما قد تصحف على صاحب (ذ): ٢٦٠.

(٢) عدد ٢٥٢ من التكملة طبع الجزائر.

(٣) ترجم له في الأدباء ٥: ٢٤٧ ونقل بلفظه في البغية ٣٤١.

(٤) (ترجم له في النسخ ليدن ١: ٨٩٥)

السُّلَمِيُّ بدمشق، وأنا أسمع ومن أصله نقلتُ قال: قرأت بحلب على الشيخ أبي عبد الله محمد بن محمد بن عبد الله الأصفهاني في شهور سنة ثلاث وتسعين وأربعمائة قال: قرأت على شيعي أبي العلاء: أما بعد فإن الشعراء الخ.

(٤٧) كتاب «ضوء السقط» تفسير غريب سقط الزند^(١) ٢٠ كـ. قال التبريزي في شرح^(٢) س: «كنت أراه يكره أن يقرأ عليه شعره في صباه أعني س، وكان يغير الكلمة بعد الكلمة منه إذا قرئت عليه ويقول معتذراً من تأنيبه وامتناعه من سماع هذا الديوان: مدح نفسي فيه فلا أشتبه أن أسمعه. وكان يحثني على الاشتغال بغيره من كتبه ثم اتفق بعد مفارقتي إياه أن بعض أهل الأدب سألني أن يشرح ما يشكل عليه من س فأملئ عليه إلى الدرعيات غير أنه وقع فيه تقصير من جهة المستملي. وذلك إنما يستملي عن بعض الأبيات منه وأهمل أكثر المشكلات، وإذا استملي معنى بيت لم يستقص في البحث عن إيضاحه فجاء التفسير كأنه لُمع من مواضع شتى لم يشف به العليل. وشعره كثير في كل فن ومثلُ الناس على طبقات من شاعر مُفلق وكاتب بليغ إلى هذا الفن أكثر ورغبتهم فيه أجدر وهو أشبه بشعر أهل زمانه مما سواه لأنه سلك فيه طريقة حبيب بن أوس وأبي الطيّب وهما في جزالة اللفظ وحسن المعنى (كذا). وأظهر المعجز في «درعياته» الخ. وذهب على العصريين أن «الضوء» هو شعره في الدرعيات وهذا وهم منهم.

ومن أقدم شروحه بعد «الضوء» و«شرح التبريزي» وبعض شروح أخرى: «التنوير» لأبي يعقوب يوسف بن طاهر بن يوسف بن الحسن الخُوَيتي - وخُوَيتي بلد بأذربيجان - الأديب الفاضل وكان فقيهاً بارعاً حسن السيرة رقيق الطبع مليح الشعر كتب لأبي سعد السمعاني الإجازة. قال أبو سعد وظني أنه قتل في وقعة العرب بطوس سنة ٥٤٩ هـ أو قبلها بيسير وترجم له السمعاني^(٣) وإنما ترجمنا له لأن أهل العصر لم يعرفوا صاحب «التنوير» وأتمه سنة ٥٤١ هـ. أن ياقوت (٤: ١٤١) ذكر في ترجمة أبي سليمان الداودي الضير أنه كان مولعاً بشعر أبي العلاء يحفظ منه جملة صالحة ولذلك كان الناس يرمونه بسوء العقيدة وتوفي سنة ٦١٥ هـ وجاء في نكت الهميان ص ٢٩٧ في ترجمة مكّي بن شبة الماكسيني أنه كان يتعصب لأبي العلاء المعري ويطرب إذا قرئ عليه شعره للجامع بينهما من الأدب والعمى لأنه أضرب بأخرة.

وشرح ابن السيد البطيلوسي المتوفى سنة ٥٢١ هـ. قال ابن خلكان^(٤) وهو أجود من شرح صاحب الديوان. ولكن ابن السيد أورد فيه كثيراً^(٥) من شعر اللزوم

(١) منه نسخة بخزانة باريس وأوله قد علم الله جلت كلمته أن أول الخ في ٩٣ ورقا وعددها: ٣١١١.

(٢) ك «سقط الزند» وشرح التبريزي نسخة خزانة باريس عدد: ٣١١٢ وهو في ٥٥ أوراقاً. وأخرى بكمبريدج وعدده في فهرستها ١١٩ واسمه الإيضاح في سقط الزند وضوئه.

(٣) ٢١٢.

(٤) ١: ٢٦٥.

(٥) انظر شفاء العليل للخفاجي ١٩١ وألف باء ٢: ٥٢، ٨٠ (ل ٢: ٢٨٠)، ٧٣، ١: ٣١٦.

وفسره ظاناً أنه من س. فلعله حسب ما أدخله أبو الفضل الدارمي وغيره - إذ ذاك بالأندلس من شعر الرجل وفيه جملة من اللزوم - كله من السقط. وقال ياقوت^(١) إن للأيوزدي كتاباً سماه «صهلة القارح» ردّ فيه على المعري سقطه وقال أيضاً^(٢): إن لأبي القاسم الصيرفي اختياراً لديوان أبي العلاء (كذا؟) وقال أيضاً^(٣): إن لذي الفضائل الأخسيكتي (صاحب نقبضة تأتي) كتاباً سماه كتاب «زوائد في شرح سقط الزند».

ومن شروحه ضرام السقط لصدر الأفاضل الخوارزمي وهو ممتع مغل، وقد رأيتُه واستفدت منه كثيراً. ومنها شرح ابن خطيب الري الإمام فخر الدين الرازي وشرح الشرف البارزي المتوفى سنة ٧٣٨هـ ذكرهما خليفة.

وهذا كله دليل على أن الذي استهان به صاحبه من أعماله وقع من الناس موقعاً كريماً، وأن الذي أثره عليه من تأليفه في الزهد طارت بها عنقاء مغرب فلم يوقف لها على عين ولا أثر.

وقد أتيت على أكثر من مما له علاقة في جمع تاريخ الرجل في مظانه من كتابي هذا فاستغنيت عن إعادة القيل.

(٤٨) كتاب «سيف الخطبة» ي. كتاب الخطب هـ. سيف الخطيب ك. جزآن. يشتمل على خطب السنة فيه خطب للجمع الخ. ومقداره ٤٠ كر. وكان سأل هذا الكتاب رجل من المتظاهرين بالديانة فصنّف له.

(٤٩) «شرف السيف» ي هـ. شرف السلف ك. عمل للرجل الذي كان مقيماً بدمشق وهو المعروف بنشتكين الدزيري. وكان السبب في عمله أنه كان يوجه إلى أبي العلاء بالسلام ويخفي المسألة عنه فأراد جزاءه على فعل جزآن. نحو: ٢٠ كر.

(٥٠) شرح سيويه لم يتم ي هـ ك. مقداره ٥٠ كر. شرح بعض سيويه هـ.

(٥١) كتاب «الصاهل والشاحج» ي هـ ك. يتكلم فيه على لسان فرس وبغل. مقداره ٤٠ كر. صنّفه لأبي شجاع فانتك الملقب بعزيز الدولة والي حلب من قبل المصريّين وكان رومياً. وعند هـ و ك رسالة «الصاهل» الخ. وصنع^(٤) محمد بن عبد الغفور الكلاعي رسالة سماها «بالساجعة» و«العريب» هذا بها حذو صاحبنا في الصاهل. وانظر فصل «هو والأندلس». وورد ذكره في ر له^(٥) إلى ابن سعيد وهي ال ٣٦.

(٢) ٥ : ٤٢٣.

(١) أدباء ٦ : ٣٤٦.

(٣) ٢ : ١١١.

(٤) المطمح مصر س : ٣٣ والنفع، مصر ٢ : ٣١٦.

(٥) ص : ١٢٠.

(٥٢) «لسان الصاهل والشاحج» من «فهرست» أبو بكر^(١).

(٥٣) «ظهير العضدي» ي. ظهير العضد ص. ظهر العضدي ك. كتاب في النحو يتصل بالكتاب المعروف بالعضدي (لأبي عليّ القسوي).

(٥٤) عَبَث الوليد فيما يتصل بشعر البحري وكان سبب إنشائه أن بعض الرؤساء أنفذ نسخة ليقابل له بها. فاثبت ما جرى من الغلط ليعرض ذلك عليه. ي ه ك. وهو جزء واحد ٢٠ كر. وزعم ابن خلكان^(٢) أنه مختصر ديوانه. والصواب ما هنا ونقل صاحب ك عن بعضهم: أنه يتضمن أغاليط البحري في ديوانه. وهو أيضاً جُزاف من القول^(٣).

(٥٥) كتاب «عِظَات السُّور»، ي ص.

(٥٦) «عون الجمل» ي ه ك عمل لأبي الفتح محمد بن علي بن أبي هاشم وهو آخر شيء أملاه - زادك ولم يتم وهو شرح لشواهد. قوله: وهو آخر الخ. يريد إذا أُملي هذا الثبت وإلا فقد روى ابن الوردي^(٤) عن دفع المعرة أن ضوء السقط خاتمة كتبه ويشهد لقوله ما ذكره التبريزي في شرح س وترك ه لذكر الضوء أيضاً دليل على ما ذكرنا. وذكر هذا الكتاب ابنُ العديم أيضاً في العَدْل قال هو في شرح شيء من الجمل.

(٥٧) «الفصول والغايات» زاد ابن الجوزي (كما عندك) وغيره^(٥) في محاذاة «السُّور والآيات» وقال الذهبي^(٦): وكأنه معارضة منه للسور والآيات فليل له: أين هذا من القرآن؟ فقال: لم تصقله المحاريب أربعمئة سنة هـ، وليست هذه الزيادة في الاسم في الثبوت عندي وهـ. فالظاهر أنها من أعدائه الذين رموه بكل ما شأوا. وإن صحت فليس معناها المعارضة بل المحاذاة عمل شيء على حذاء شيء كما عمل تضمين الآي وللشريف الرضي^(٧) كتاب في محاذاة الآثار النبوية فهل يقال: إنه عارض

(١) ٤١٢. (٢) ١: ٣٤.

(٣) منه نسخة بالخزانة المصرية. انظر الفهرست ٤: ٢٨١ وفيها ذكر في هذا الكتاب ما في ديوان البحري مما أصلح من الغلط الذي وجد في النسخة المكتوب في آخرها أنها بخط ظفر بن عبد الله العجلي، وهي في جزء كتبت سنة ١٢٩٧ هـ بالمدينة المنورة. ونقل عنه في مقدمة رسائل البلغاء أن المتقدمين كانوا ينكرون إدخال آل على كل وبعض. انظر ١٤ أقول ومثله في الغفران ١٥١ وفي تصحيح اللسان ق: ٢، ص: ٤١، في منع المنصرف، وفي شفاء العليل ١٣١ في طوبى مضافاً.

(٤) تاريخه ١: ٣٦. (٥) كالبخارزي في الدمية.

(٦) ١٣٢.

(٧) انظره في نهج البلاغة المطبوع بشرح ابن أبي الحديد ٤: ٥٠٧ ولو قال بنفسه فيه إنه معجز لكان له متفصي بأن الزمخشري قال في مقامات الحريري:

الحديث كما يقال: إن أبا العلاء عارض القرآن هب أنه عارض فكيف شئع على ابن الراوندي بعد ذلك بدهر طغنه على القرآن في الدامغ وهذا لفظه في الغفران^(١) «... وأجمع ملحد ومهتد، وناكب عن المحجة ومقتد. أن هذا الكتاب الذي جاء به محمد بهر بالإعجاز ولقي عدوه بالإرجاز ما حُذي على مثال ولا أشبه غريب الأمثال. ما هو من القصيد الموزون ولا الرجز من سهل وحزون. ولا شاكل خطابة العرب ولا سجع الكهنة ذوي الأرب. وجاء كالشمس اللاتحة... وتلك الأمثال نضربها للناس لعلهم يتفكرون. وإن الآية منه أو بعض الآية لتعترض في أفصح كلم يقدر عليه المخلوقون فيكون فيه كالشهاب المتألىء في جنح غسق» الخ قال البخاري: وإنما تحدثت الألسن بإساءته لكتابه الذي زعموا أنه عارض به القرآن وعثونه «بالفصول والغايات في محاذاة السور والآيات» ١ هـ قلت: وقد قال الأول: «زعموا»^(٢) مطية الكذب وأعراض المسلمين خفرة فليتنكب عنها من يضمن دينه. وكيف نزع بمشايع الإسلام كالصابوني والقاضي عبد الوهاب والهركاري أن ينزلوا على هذا الدهري البرهمي الزنديق.

قيل: إنه بدأ بهذا الكتاب قبل رحلته إلى بغداد وأتمه بعد عوده إلى معرة النعمان وهو ٧ أجزاء ومقدار ١٠٠ كر. ولا جرم أن الناس ذموا الكتاب في كل زمان. ونقل ياقوت^(٣) في ترجمة شيخه الوجيه ابن الدهان أن خازن دار الكتب برباط المأمونية غسله وتبجح بصنيعه هذا بحضرته فخطأه الوجيه محتجاً بأنه إن كان خيراً من القرآن - وحاش لله أن يكون - فلا يجب أن يفرط في مثله وإن كان دونه فتركه معجزة للقرآن، فاستحسن الناس قوله ووافقه الخازن على ذلك، وكنت رأيت في مظنة فاتني تقييدها أن

= معجزة تعجز كل الوري ولو سروا في ضوء مشكاته
وقال ياقوت (٦: ١٧٠) بعد إطرائها حتى لو ادعى بها الإعجاز لما وجد من يدفع في صدره ولا يرد قوله ولا يأتي بما يقاربها فضلاً عن أن يأتي بمثلها ١ هـ.

(١) ١٥٨.

(٢) هذا المثل أغفل عنه أصحاب كتب الأمثال كما قال ابن الدماميني في المنهل الصافي (مخطوط عندنا) قال: وذكر بعضهم أنه روى مظنة الكذب. وأخرج ابن أبي حاتم في تفسيره عن صفوان بن عمر الكلاعي. قال: بتس مظنة المسلم زعموا إنما زعموا مطية الشيطان. وأخرج ابن سعد في الطبقات عن شريح القاضي، قال: زعموا كنية الكذب ١ هـ، وكنت قرأت هذا المثل في الدهر الأول في لب الأبواب وهو متن في النحو مخطوط عندي. فإن أجاب بعض المستعربة أن اعترافه بإعجاز القرآن كان فراراً بنفسه عن بطش أهل الصلابة في الدين قلنا: إنه هجا صاحبنا من حيث أراد مدحه كما قال هو في النصاري. ل:

وقد شهد النصاري أن عيسى
وما أبهوا وقد جعلوه ربا
توخته اليهود ليصلبوه
لئلا ينقصوه ويسجدبوه

(٣) ٦: ٢٣٥.

بعض الناس ارتاب في أن يكون المعري صنع كتاباً هكذا، إلا أنه وُجد في عصرنا جزء منه^(١) لم نر فيه شيئاً مما يصدق قارئه وإنما هو كتاب في العظات والزهد كملقى السبيل ليس إلا^(٢) وكنا اطلعنا من قبل على فصل عند البديعي^(٣) وياقوت^(٤).

(٥٨) «إقليد الغايات» مقصور على تفسير اللُغزي (ك ه اللغة) مقداره ١٠ كر.

(٥٩) كتاب «السادن» ه ك. الشادن ي. أنشأه في ذكر غريب هذا الكتاب وما فيه من اللُغز ٢٠ كر.

(...) «الفصول هو تضمين الآي».

(٦٠) «فقه الواعظ» ه. وقال ياقوت: وكتاب آخر يعرف بـ «وقعة الواعظ» فهل صوابه برقعة؟

(٦١) كتاب «بعض فضائل أمير المؤمنين عليّ» ي. كتاب مناقب علي ه.

(٦٢) «قاضي الحق» يتصل بالكتاب المعروف بـ «الكافي» الذي ألفه أبو جعفر النحاس. ي ه.

(٦٣) كتاب «القائف» (سقط من نسخة ي) ه ك على معنى «كليلة ودمنة» نحو: ٦٠ كر. ك لم يتم (وأنا أرتاب بحكمه هذا) عمله لعزير الدولة المار كما ورد في ر ال ٣٦.

(٦٣) «منار القائف» في تفسير ما جاء في اللُغز (ي - اللغة ه) والغريب ١٠ كر. ي ه ك.

(٦٤) «اللامع العزيري»^(٥) ي ه ك وهو معجز أحمد أيضاً. في تفسير شعر المتنبي عمل للأمير عزيز الدولة وغرسها ابن تاج الأمراء أبي الدوام ثابت بن ثمال بن صالح بن مرداس ١٢٠ كر.

(٦٥) «لزوم ما لا يلزم» ي ه ك. ومعناه أن القافية يردّد فيها حرف لو غير لم

(١) وجده صديقنا الفاضل الجليل محب الدين الخطيب حرسه الله بالحجاز ونقل منه فصولاً في الزهراء سنة ١٣٤٣ هـ فله بذلك صنعة لا تنكر وفضل لا يغمط.

(٢) عند البديعي ١: ٣٣ قال ابن سنان [عبد الله بن محمد بن سعيد الشاعر ابن صاحب أبي العلاء] وهذا الكتاب إذا تأمله العاقل علم أنه بعيد عن المعارضة وهو بمعزل عن التشبيه بنظم القرآن العزيز والمناقضة.

(٤) ١: ١٧٧.

(٣) ١: ٣٣.

(٥) منه نسخة في منشئ وأخرى في دار التحف البريطانية وأخرى في بطرسبورغ. آداب العربية لزيدان ٢: ٢٤٨ ونقل عنه واستنبط نوعاً من البديع ابن حجة في الخزانة: ٤١٨.

يكن مُخِلًّا بالنظم كما قال كُثِير:

خليلي هذا ربع عَزَّة فاعقلا قلو صيكمما ثم انزلا حيث حَلَّت
فلزم اللام قبل التاء وذلك لا يلزمه في ٣ أجزاء نحو: ٤٢٠ كر^(١) يحتوي على
١١٠٠٠ بيت من الشعر.

(٦٦) «زجر النابح» ي هـ ك. يتعلق باللزوم وذلك أن بعض الجهال تكلم على أبيات منه يريد بها التشهير والأذية فألزم أبا العلاء أصدقاؤه أن ينشئ هذا الكتاب فأنشأه وهو كاره. جزء في ٤٠ كر. ولا أدري هل هو رسالة الضُّبُعَيْن بعينها التي كتبها أبو العلاء إلى معز الدولة^(٢) علي (؟) ابن صالح يشكو إليه رجلين كانا يؤلبان عليه وينسبانه إلى الكفر والإلحاد أم هو غيرها وكان هذان قد حرّفا بيتاً من لزوم ما لا يلزم عن موضعه ليُثبتا عليه الكفر بذلك. أحدهما الشريف ابن المحبرة الحلبي. قال ابن العديم في العدل قال أبو العلاء في هذه الرسالة: «وفي حلب حماها الله نُسخ من هذا الكتاب بخطوط قوم ثقات يُعرفون ببني أبي هاشم... جرت عادتهم أن ينسخوا ما أمليه ا هـ.

(٦٧) «بحر الزجر» ي هـ. كتاب يتعلق بزجر النابح مقداره عشر كر.

(٦٨) «راحة اللزوم» يشرح فيه ما في اللزوم من الغريب نحو مائة كر.

(٦٩) كتاب الراحلة (ي فقط وقد ذكر راحة اللزوم أيضاً) ٣ أجزاء في تفسير كتاب لزوم ما لا يلزم. ولعل التفسيرين شيء ولكن تعدد على ياقوت فذكرهما.

والنسخة المطبوعة منه لعلها فقدت بعض أبيات كما قد دللنا عليه في نحو ستة مواضع من الفائت فانظره. ويوجد منه كثير من النسخ الخطية^(٣). وله المقدمة فيما يلزم الشاعر وما لا يلزمه في قرص الشعر، ولكن جاء في بعض النسخ^(٤) مقدمة بسط الشاعر فيها تبرؤه من قصد الإلحاد بأوضح بيان، وقال إن غرضه التفتن بالشعر. فهذا دليل على انتشار الكتاب في حياته واستجلابه به السُّمعة بالإلحاد وأن النسخ منه لا تتفق وأن الباحث على تأليفه «زجر النابح» ما مرّ.

وإن صحّ ما مرّ عن ابن كثير في البيتين يد الخ. فهو دليل على أنه نظم بعضه

(١) كذا عندي، وعند هـ و ك. ١٢٠ كر وهو الصواب إن شاء الله.

(٢) كذا ومر في فصل الملوك أن معز الدولة هو ثمال بن صالح.

(٣) بالخزانة المصرية إحداها حديثة. انظر فهرستها ٤: ٢٩٨ ونسخة بآيا صوفيا عددها في دفتره:

٤٠٣٦ وحسبها مؤلفه نسخة من س.

(٤) هو عند سليم مدور أفندي وهو قديم - المشرق ٥: ٤٧.

ببغداد. ويظهر من بيته فيه:

رويدك إن ثلاثون استقلت ولم يُنبِ الفتى فمتى يُنبِ
أنه أخذ فيه وعمره ٣٠ سنة أي نحو سنة ٣٩٣هـ، وقد أكثر فيه من ذكر
الأربعين والخمسين، وهذا يدل على أنه نظم جله ما بين ٤٠٠ - ٤١٠، وتوالى ذلك
إلى سنتي ٤١٧ و ٤١٨هـ، عامي شفاعته إلى صالح ورثائه لأبي القاسم المغربي الوزير
- فلعلنا لا نُخطأ إن قلنا: إن شعره لا يتجاوز سنة ٤٢٥هـ كائنا ما كان. وقد اشتهر
أكثره في حياته فبلغ بيته (غدوت الصحائح) الداعي بحلب وبيته (أرى
ولد عقيماً يتيماً) التنوخي الصغير ببغداد قبل سنة ٤٤٠هـ. وعمل في
أثناء هذه المدة عدة من كتب أخرى كالفصول والكتابين اللذين رسمهما باسم عزيز
الدولة وغيرهما.

وأقدم نسخه الموجودة نسخة ابن الخشاب^(١) قارئه على ابن الجواليقي وثبت
عليه صورة قراءة ابن الخشاب على ابن الجواليقي سنة ٥١٧هـ وصورة سماع ابن
الجواليقي على التبريزي وهي: «قرأ عليّ الشيخ الأديب أبو منصور موهوب بن أحمد
نفعه الله بالعلم هذا الكتاب من أوله إلى آخره قراءة ضبط وتصحيح، وسمعت به قراءة
العلاني كاتبه عليه من أوله إلى آخره بقراءة غيره وقرأت منه شيئاً على أبي العلاء
وكتب يحيى بن عليّ الخطيب التبريزي سنة ٤٩٦هـ بمدينة السلام» ١هـ. قال
الجواليقي أنشدنا الشيخ الإمام أبو زكريا لنفسه في هذا الكتاب:

تمتّع به علّقنا نفيساً فإنه مقال بصير بالأمر حكيم
أراك من الدنيا حقيقة حالها وسكانها من جاهل وعليم
وأما صنعة اللزوم فإنه تتبع فيها كثير عزة في لاميته الشهيرة وهي بتمامها في
الأمالي^(٢) للقاللي وإنما خصّه لأن له قصيدة طويلة وقال. ل:

كثير أنا في حرفي أهبت له في التاء يلزم حرفاً ليس يلتزم
وإلا فإن كثيرين التزموا أشياء وذكرهم في مقدمة^(٣) ل. وممن لم يذكرهم

(١) بخزانة ليدن انظر ص: ٤٠٠ من فهرستها ثم رأيت نسخة أخرى تضاهيها في القدم أو تفضل عليها
ببومباي وثبت عليه من الإجازات وبيتي التبريزي وغيرهما مما هو مثبت على نسخة ابن الخشاب
كله وهي أيضاً منقولة من نسخة الجواليقي وثبت عليها بيتان آخران من غير عزو إلى أحد وهما:

إن كنت متخذاً لجرحك مرهماً فكتاب رب العالمين
أو كنت مصطحباً حكيماً سالكاً سبل الهدى فلزوم ما لا يلزم

(٢) ٢: ١٠٩ وفيه أبيات من اللزوم كأبيات كثير ٣: ٦٩.

(٣) ١٧ - ٢٠.

عمرو بن معد يكرب^(١) وأبو أذينة^(٢) وعبد الله بن الزبير الأسدي وحُجر بن حية الحماسي وطرفة والفرزدق وأبو تمام وغيرهم^(٣)؛ إلا أن الذي يكاد يُربي على جميعهم أبيات ذكرها الجاحظ في كتاب العصا^(٤) عن الأصمعي وهي:

أعددت للضيفان كلباً ضارياً وهراوةً مجلوزة من أرزن
ومعاذراً كُذِّباً ووجهاً باسراً وتشكياً عضّ الزمان الألزن
وشذاةً مرهوب الأذي قاذورة حُشن جوانبُه دلوّظ ضيّرَن
وبكف محبوبك اليدين عن العلى والباع مسود الذراع مُقَحْرَن
وتجنّياً لهم الذنوب والتقى بغليظ جلد الوجئتين عَشُوزَن
ولكن اللزوم صار بالتزامه له كأنه إحدى مخترعاته فتبعه كثير من الناس، ومَرَّ معظمهم في باب الأندلس وولع الناس بشعره، ومن غيرهم شَمِيمُ الجَلِّيُّ له رسائل^(٥) فيه في كَرَّاسَتين وكتاب اللزوم في مجلدين.

هذا ووجدت في ل قطعة أغفل فيها عن التزام حرف وقوافيها القديمة. مقيماً عقيماً. مستقيماً، ثم.

فَأَمَّا أَنْ يَرِيَهُ عَدُوًّا وَإِمَّا أَنْ يَخْلُفَهُ يَتِيماً
وفي العنوان «وقال في الميم المفتوحة مع الياء» فكأنه اقتنع على هذا الالتزام وهو هين ليس من التعنت في شيء. لا يقال بالتصحيح أو التغيير فَإِنَّ القوافي وردت هكذا في الغيث^(٦) والأدباء^(٧).

وذكر بعض العصريين^(٨): أن الشيخ أحمد بن الأمين الشنقيطي كان يستظهر لـ (٧٠) «مبهج الأسرار» لأبي العلاء كذا هو عندك فقط وانظر.

(١) التبريزي على الحماسة ١: ٨٢.

(٢) التبريزي ٣: ١٢٠ ولأشعار ابن الزبير المعاهد ٢: ١٠٥.

(٣) انظر المثل السائر: ١٠٧.

(٤) الطبعة الثانية: ٤١ وبعض هذه الأبيات يوجد في حماسة البحرني أيضاً بفك اللزوم ص: ٣٧٦ من الخطية.

(٥) أدباء ٥: ١٣٩، وللقاضي عبد الوهاب شعر فيه أورده ابن الشيخ ١: ٢٧٤.

(٦) ٢: ١٩٨ مع زيادة بيت ليس في ل وهو:

وأما أن يصادفه حمام فيبقى حزنه أبداً مقيماً
ومرت قافية مقيماً فيلزم الإيطاء.

(٧) ٥: ٣٠٢.

(٨) الأستاذ الفاضل صديقنا محب الدين الخطيب في بعض أجزاء الزهراء سنة ١٣٤٣هـ.

(٧١) «مقال النظم في العروض» جزء. ي ص.

(٧٢) «مجد الأنصار في القوافي»، ي ص.

(٧٣) «المختصر الفتحي» يتصل بكتاب محمد بن سعدان صنعه لرجل يكنى أبا الفتح محمد بن علي بن أبي هاشم وكان أبو هذا الرجل تولى إثبات ما ألفه أبو العلاء من جميع هذه الكتب فألزمه بذلك حقوقاً جمّة وأيادي كثيرة. ي ه والعدّل.

(٧٤) «ملقى السبيل» صغير فيه نظم ونثر ٤٠ ك. ي ه. ولرجلين من أهل المغرب معارضان لهذا الكتاب مرتا في باب «هو والأندلس».

(٧٥) «المواعظ الست» ي. والمواعظ ه. والمواعظ السنّة ك وهو تصحيف. يعني ستة فصول في خطاب الواحد والاثنين والرجال والواحدة والاثنين والنساء ١٥ ك. أوله كما في ك الحمد لله الذي عرف وفهم الخ.

(٧٦) نشر شواهد «الجمهرة» ولم يتم - ٣ أجزاء ي. تفسير شواهد الخ ص. ورأيت على طرر نسخة من «الجمهرة»^(١) خطية عدة فوائد لغوية في غير الشواهد يرويه القاضي أبو سعد عنه.

(٧٧) نظم السور - ك. ظلم السور ص. تظلم السور - ي.

وهذه الكراسة ليست بمعنى ١٠ أوراق. قال ه وذكر أن «ملقى السبيل» في ٤ كرايس قلت: إنما مقداره ثمان ورقات فكأنه يعني بالكراية زوجين من الورق أقول وهذا القول مقارب وانظر حجم ل.

قال ي هذا ما وجدناه وأثبتناه عن جماعة من أصحاب أبي العلاء. قالوا: وله بعض كتب في العروض والشعر بدأ بها ولم تتم وتمت وشذ عنا أسماؤها. وفي «اللسان أن تصانيفه نحو ٢٠٠ مجلد. وقال الرحالة ناصر خسرو: سمعت أن له من الشعر ما يزيد على مائة ألف بيت. قال القفطي^(٢): وأكثر كتب أبي العلاء عُدّت وإنما وجد منها ما خرج عن المعرفة قبل هجم الكفار عليها وقتل أهلها ا ه. أقول وكان ذلك سنة ٤٩٢ هـ. ثم أخذها المسلمون من الكفار سنة ٥٢٩ هـ.

(١) بحيدر آباد ورق ٢٥، ١٠، ٢٣، ٢٤، وغيرها.

(٢) هـ ١٣٦، ونقل مرجليوث عن ناسخ نسخة تاريخ الإسلام بدار التحف البريطانية وكان كما رجح من أبناء المئة التاسعة أنه رأى جل كتبه في مصر بعينيه ا هـ. وهذا جزاف من القول بل لو قال: هذا في نحو الثلث من كتبه لكان له وجه.

دار كته

لا جرم أنه كان يملك خزانة بني سليمان؛ وإن كان التاريخ ترك أمرها غفلاً، وهذا أبو عدي النعمان بن وادع بن عبد الله بن مسلم نرى خطه ثابتاً سنة ٥٢٥ على نقائص جرير والأخطل لأبي تمام وهو علق مضمّة لم يعثر عليه جُلّ الأقدمين فيما أعلم.

وكتب إلى أبي طاهر خاله من المعرة إلى بغداد في استكتاب شرح الكتاب لأبي سعيد. وإن كنا نراه يبالغ في الاعتذار عن التثقيل إلا أن شغفه بالكتاب وحرصه على استنساخه مستغنيان عن إقامة الدليل، وإطالة القيل، فإن له في الأمر عدة رسائل وهي ١٠، ١١، ١٢، ١٥، والسبب أنه لم يكن وصل إذ ذاك بلاد الشام لقرب عهد الوضع والتأليف.

هذا الرجل سُمّي في نسخة بانكي بور مرتين ونصّها: ذكر الشيخ أبو العلاء أن هذه القطعة في علي بن عبد الله بن خالويه. قال أبو زكريا كأنه أهدى إليه كتاباً من مسموعاته وسماعه مكتوب عليه.

وأهدى إليه رجل كتاباً ثبت عليه سماعه فقبله وشكره بقطعة^(١) منها:

قد أتتني هدية منك بالأمس س فقابلتها بحسن القبول

غير أن السماع في الكتب وقف وانتقال الوقوف غير جميل

ولما تقدم عزيز الدولة إليه باختصار «كليلة ودمنة»^(٢) «فأما كليلة ودمنة فليس له نسخة عندي ولا تمكن به علمي ولا أذكر أنني استكملته سماعاً قط. ولما ورد كتابه المعظم سألت من جاءني منه بنسخة وكلفته أن يقرأها عليّ» الخ. قوله: فليس له نسخة عندي يشير إلى أنه كان له دار كتب. وهذا القول هو الذي حضني على إثبات هذا الفصل. ثم رأيت أن القاضي أبا سعد كتب على نسخه من «الجمهرة»^(٣) خطية: في نسخة الشيخ أبي العلاء كذا. وهذا صريح في الباب ومر في فصل الحفظ أنه كان يملك من «الجمهرة» نسخة ليس في الدنيا مثلها.

وأما الكتب التي ورد^(٤) ذكرها في تأليفه المعلومة فهناك جدولاً لأساميتها و(ر)

(١) س، ٢: ٢٢٤.

(٢) ر، ص: ١٢٠.

(٣) بجدر آباد ورق: ٢٥.

(٤) وفي (ذ): إن مؤرخي أبي العلاء لم يعينوا لنا الكتب التي بدأ يدرسها في النحو واللغة والآداب. فلو أنهم فعلوا ذلك لكان من اليسير علينا أن نلتمس هذه الكتب فنصفها الخ ص ١٤٢، وظني أن في جدولنا بعض كتب بدأ يدرسها إن شاء الله.

علامة الرسائل و(غ) للغفران و(ل) للزوم و(س) للسقط و(مل) للملائكة .

كتاب الأبدال لأبي الطيب اللغوي	١٩٢	غ
كتاب الاتباع له صغير	١٩٢	غ
كتاب الأجناس للأصمعي	٢١	غ
أخبار بشار	١٤٠	غ
أخبار الفرزدق	٢٠١	غ
أراجيز رؤية	١٦٥	غ
أراجيز عدة من الرجاز	١١٥	غ
جزء من أشعار تنوخ	١١٢ : ٢	س
مما قيل في الجاهلية	١٢٠ و ٢٤٠	
جمع القاضي المحسن التنوخي		
أشعار الجن للمرzbاني	٧٥	غ
أشعار قریش	٢٣ : ١	ل
إصلاح المنطق لابن السكيت	١٢٠ و ١٨	ر
مختصره للوزير أبي القاسم ابن المغربي	١٤	ر
الأصول لابن السراج	١٣٧ ل ١ : ٢٢	غ
كتاب الاعتبار	١٨٠	غ
الإقناع انظر المقنع		
الأمالی للمعري	٢١٠ : ٢	ل
أمثال محمد بن حبيب	مل	ل
التاج لابن الراوندي	١٥٧	غ
تاريخ لابن أبي الأزهر والقطريلي	١٣٦	غ
تاريخ ابن شجرة بخط المرzbاني	٢٠٢	غ
الترجمان في معاني الشعر ^(١) للمفجع البصري	٨٢ : ٢	ل
تفسير سورة الإخلاص لصديقه النكتي	٦٧	ر

(١) وعند ابن النديم ص : ٨٣ ما يدل على أن حد الإعراب جزء من أجزاء الترجمان .

جامع سفيان	٣٢٤ : ٢	ل
الجمل لابن السراج	١٣٧	غ
الجمهرة لابن دريد	٧٢	ر
كتاب الحجة في وجوه القراءات للفارسي	٥٧	غ
حد الإعراب (١) للمفجع	١٨٧	غ
حماسة أبي تمام	٦٦	ر
كتاب الخاء لأبي عمرو الشيباني	٣٥	غ
الدامغ لابن الراوندي	١٥٨	غ
شعر أبي عبادة البحتري	٢١ : ١	ل
ديوان تيم اللات . مر في أشعار تنوخ	١٢٠ : ٢	س
ديوان الحارث بن حلزة	١٧٢	غ
شعر حسان بن ثابت	١٧١	غ
ديوان الخالدين	١٣٦	غ
ديوان طفيل الغنوي	١٨٩	غ
ديوان عبيد بن الأبرص عدة نسخ منه	١٧٦	غ
ديوان عدي بن زيد عدة نسخ منه	١٠	غ
ديوان أبي الطيب المتنبي	١٣٧	غ
ديوان النابغة	٢١ : ١	ل
ديوان أبي الهندي	٩	غ
رسالة ابن القارح	٧	غ
[سقط الزند] كلام لي قديم	٢٨ : ١	ل
شجر الدر لأبي الطيب اللغوي	١٩٣	غ
كتاب الصاهل والشاحج للمعري	١٢٠	ر
طبقات المغنين لابن خرداذبة	١٧٥	ر
العمدة لعبد الجبار المعتزلي	١٩٧ و ٢٤١	ل
كتاب العين للخليل	٨٢ : ٢	ل
غريب الحديث لابن قتيبة	٦٦	ر
الغريب المصنف لأبي عبيد القاسم بن سلام	١١ : ١	ل

الفرخ للجرمي	٣٢٩ : ١	ل
كتاب الفرق لأبي الطيب اللغوي	١٦٢	غ
الفريد لابن الراوندي	١٦٠	غ
القصيدة الميمية المعلقة للبيد	٣٨	غ
.. ميمية المختل السعدي	٤١	غ
.... زائفة الشماخ وجيمته	٤٨	غ
قصائد النابغة	٤٩	غ
.... لامية الراعي	٦١	غ
.... دالية حميد بن ثور (رض)	٦١	غ
.... الحائية تروى لعبيد وأوس	٦٦	غ
.... صادية امرئ القيس وضادته ونونته	٨٨	غ
.... بائية علقمة وميمته	٩٤	غ
.... دالية طرفة	٩٨	غ
القصائد الثلاث وغيرها لأبي كبير الهذلي	١٠١	غ
.... ميمية المرقش	١٠٦	غ
.... عدة قصائد لأبي تمام	١٦٤	غ
.... مقصورة ابن دريد	١٧٧	غ
.... الميمية والواوية لابن المغربي	٦	ر
الطائية اللزومية للمعري	١٤٣	ر
القضيبي لابن الراوندي	٥٩	غ
كتاب القوافي للفراء	١١ : ١	ل
كتاب القوافي لخلف بن حيان الأحمر	١١ : ١	ل
الكتاب لسيويه	١٠٠ غ ٨٢	ر
	١٤٠ و ١٣٧	
	١٨٥. مل	
شرحه للسيرافي	٣٩ : ٣٦	ر
كتاب المعمرين لأبي حاتم	٢٧٠ ، ٢٤٨ : ١	ل
بعض كتب الأغاني	٥١	غ

كتب بدار العلم ببغداد عليها سماع ابن القارح	١٨٤	غ
كتب أبي زيد وأبي عمرو وأبي عمرو الزاهد	٣١٧ : ١	ل
كتاب المبتدأ من التوراة	١٨٠	غ
كتاب المبعث (في الحديث) لأبي معشر المدني	١٧٥	غ
كتب النضر بن شميل	٦٩	غ
كليلة ودمنة	١١٩ و ١٢٠	ر
لزوم ما لا يلزم للمعري	٣ : ١	ل
كتاب المجاز لأبي عبيدة	٨٣	ر
المرجان لابن الراوندي	٥٩	غ
المغني في الكلام	١٩٧ ، ٢٤١ : ١	ل
	١٨	غ
مقاتل الفرسان لأبي عبيدة	١١١ : ١	
المقنع للسيرافي وابنه	١٣٧	غ
المنطق . أربعة كتب فيه	٨٢	ر
الموجز لابن السراج وأبي علي الفارسي	١٣٧	غ
كتاب مجهول عليه سماع رجل أهداه للمعري	٢٢٤ : ٢	س
نوادير ابن الأعرابي	٥٧	ر
«الصولي»	١٤٧	غ
كتاب الورقة	١٤٠	غ
(وهو الأوراق للصولي)	٨٩	ر

ومر سائرهما في سرد أسماء الثبت ووصفه من صنعه وصنع غيره.

الآراء في تليينه من جهة الدين

مما لا يتطرقه أدنى ريب أو أضعف شبهة أن الرجل شهر بالإلحاد والزندقة وهو حيّ يُرزق بعدد. وذلك لما سار شوارد أشعاره وأوابد آرائه في أكناف البسيط واعترف الرجل بنفسه بذلك في غير ما موضع من كلامه كما في النظرة والفائت.

قال الفارسي^(١) وذكر «الفصول» فاتهموه بأنك وضعت معارضة للقرآن. ومر خبر أبي القاسم في حلقة. وكذلك خبره مع وزير محمود وذكره بعد وفاته بالإلحاد في مجلس غرس النعمة وقول عبد السلام القزويني فيه، وحكاية المنازي في تركه الدنيا والآخرة.

ولفظ الباخرزي في الدُّمية قد طال في ظل الإسلام آناؤه ولكن ربما وشح بالإلحاد إنناؤه وعندنا خبر بصره والله تعالى العالم ببصيرته لكتابه الذي زعموا أنه عارض به القرآن الخ.

وقال السمعاني وحكي عنه حكايات مختلفة في اعتقاده حتى رماه بعض الناس بالإلحاد. وقال ابن الجوزي في «تليس إبليس»^(٢) له «ومن زنادقة الإسلام من لم يبرح على تعثره ففانته الدنيا والآخرة مثل ابن الراوندي والمعري» ثم قال: «وأما أبو العلاء فأشعاره ظاهرة الإلحاد وكان يبالغ في عداوة الأنبياء ولم يزل متخبطاً في تعثره خائفاً من القتل إلى أن مات بخسرانه» وقال في «تاريخه»^(٣) «زنادقة الإسلام ثلاثة: ابن الراوندي وأبو حيان التوحيدي وأبو العلاء». قال: وأشهدهم على الإسلام أبو حيان؛ لأنه مجمج ولم يصرح^(٤) ا هـ. قلت: «وهذا قضاء في القضاء سدوم» فإن ابن الراوندي لم يكن يدعي الإسلام أصلاً بعد أن مال إلى اليهودية وجُلّ كتبه في معارضة القرآن والطعن على النبي ﷺ وقدّم العالم وإبطال الرسالة كما ذكر ابن القارح^(٥) وأدرك عصره وغيره^(٥). فهل يبقى من الإسلام شيء بعد كل هذه الكُفريات وكيف يُجعل مع أبي

(١) ١٦.

(٢) دهلي: ١٦٠.

(٣) الشافعية: ٤: ٣.

(٤) ٢٠١.

(٥) المعاهد ١: ٥٦ وقد طول في سرد آرائه والرد عليها.

العلاء في قَرَن مع أنه تبرأ من أعماله براءةً بالغة في الغفران^(١) وهاك شيئاً من جملة: «وأما ابن الراوندي فلم يكن إلى المصلحة بمهدي. . . وأما الدامغ فما إخاله دمع إلا من ألفه» ومر لنا نقل فصل عنه في ذكر «الفصول» في إعجاز القرآن. ولهذا لم يرض بفصله هذا ابن السُّبكي في أمر أبي حيان ولكن أغفل صاحبنا لسوء رأيه فيه كما سيأتي.

وقال الذهبي^(٢) هو صاحب التصانيف المشهورة والزندقة الماثورة له «رسالة الغفران» في مجلدة قد احتوت على مَزْدَكَة واستخفاف. ثم قال بعد كلام كثير والذي يظهر أن الرجل مات متحيراً لم يَختَم بدين من الأديان.

وأول من نشر شعر إلحاده غرسُ النعمة قال: وقد طَبَّقَ المَفْصِلَ كان^(٣) يُرْمَى بالإلحاد في شعره وأشعاره دالة على ما يُزَن به اهـ واقتصرت^(٤) على أقوال هؤلاء فإنهم أسوة كل من كتب فيه شيئاً.

وأما أشعاره في المعنى فهي كثيرة في اللزوم وانظر النظرة وفي غيره وانظر الفائق وبعضه منحول لا شك.

النقائض

ولما طار أشعاره في الأقطار وتناقلته ناقله السُّقار لَهَج كثير من الأدباء بالمناقضة معه في الأفكار والآراء ورموه بما جنى وما لم يجن. ولم يمنعه زُهدُه ونُسكُه عن التُّهمة ولم يثن.

(١) قال ياقوت^(٥) في ترجمة ذي الفضائل الأخسيكي المتوفى سنة ٥٢٨ هـ قرأت في ديوان شعره بخطه أنشدت لأبي العلاء هفت الحنيقة^(٦) مضللة البيت فقلت مجيباً له:

الدين آخذه وتاركه لم يخف رُشدُهما وغيهما
اثنان أهل الأرض قلت فقل يا شيخ سوء أنت أيهما

(١) ١٥٧ - ١٦٠ وراجع له فإنه يهيم للغاية.

(٢) ١٢٩ و ١٣٣.

(٣) هـ: ١٣٠.

(٤) وقد حكم التفتازاني بكفره وإلحاده كما في روضات الجنات ص: ٧٤.

(٥) ٢: ١١١ ومثله في النكت: ١٠٧ والمعاهد ١: ٥١.

(٦) ل ٢: ١٧٥.

(٢) وعارض بيتيه إذا ما^(١) . . . الخَنَا البيتين أبو محمد^(٢) الحسن اليميني بقوله:

لعمرك أَمَا فيكَ فالقول صادق وتكذيب في الباقيين من شَطِّ أودنا
كذلك إقرار الفتى لازم له وفي غيره لغو كذا جاء شرعنا
(٣) وفي «الفوات»^(٣) في ترجمة ابن أبي كدية أنه سمع قائلاً ينشد للمعري
ضحكنا^(٤) . . . أن يكوا البيتين . فقال يرّد عليه:

كذبتْ وَبَيْتِ اللَّهِ حِلْفَةٌ صادق سَنَسْبِكُنَا بعد الثرى من له الملك
ونرجع أجساماً صحاحاً سليمة تعارف في الفردوس . ما عندنا شك
(٤) وقال:

دين وكفر وأنباء تقال وفر قان ينصّ وتوراة وإنجيل
في كلّ جيل أباطيل يدان بها فهل تفرد يوماً بالهدى جيل
أجابه النواوي^(٥) لا الذهبي فقال:

نعم أبو القاسم الهادي وأُمَّتُهُ فزادك الله ذُلاً يا دُجيجيل
(٥) ومَرَّ بيتاه في قطع اليد وما أجابوا به عنهما في أبواب بغداد.

(٦) وهجاه أبو جعفر البحاثي القاضي الزوزني وكان هَجَاءً^(٦) ماضي الجنان
خيث اللسان بقصيدة طويلة منها كما في الدُمِيّة وهو أستاذ البخارزي^(٧):

كلبٌ عَوَى بمعرة النعمان لما خلا عن رِبْقَةِ الإيمان
أمعرة النعمان ما أنجبت إذ أخرجت منك معرة العُميان
(٧) وعارض الخضر الموصلي^(٨) قوله من ل:

تقدّم صاحب التوراة موسى وأوقع في الخَسار من افتراها
الأبيات بقوله:

(١) انظرهما في الفائق.

(٢) النكت: ١٠٧، والمعاهد ١: ٥١. والنور السافر (مخطوط) لعبد القادر العيدروس.

(٣) ٢: ٢٣٩. وفي النور السافر (ورق: ٣٦٤) عزوهما إلى الإمام محمد بن عتيق اليميني.

(٤) ل ٢: ١٢٦.

(٥) كما قال الذهبي: ١٣١، وهم صاحب المعاهد ١: ٥١، أن المجيب الذهبي.

(٦) ياقوت ٦: ٤٠٩.

(٧) الشافعية ٢: ١٤٨.

(٨) الإسعاف له ص: ١٦٤ نسخة حيدر آباد.

خَزَاكَ اللَّهُ مِنْ أَعْمَى لَعِينٍ بصيرته تناهت في عماها
يقول إذا الحكيم رعى حجاه تهَاوَنَ بالشرائع وازدراها
فما هذا الخبيث إذا حكيم ولكن ليس يدري ما طحاها

تزكيتہ أو القول بحيرته

ذكر ابن خلكان^(١): أن شيخ الإسلام الهكاري لقي المعري وسمع منه فلما انفصل عنه سأل بعض أصحابه عما رآه منه وعن عقيدته فقال: هو رجل من المسلمين.

وقال السلفي^(٢) وفي الجملة فكان من أهل الفضل الوافر والأدب الباهر والمعرفة بالنسب وأيام العرب، قرأ القرآن بروايات، وسمع الحديث بالشام على ثقات، وله في التوحيد وإثبات النبوة وما يحض على الزهد وإحياء طرق الفتوة والمروة شعر كثير، والمشكل منه فله على زعمه تفسير اه وقال الصفدي^(٣) وأظن السلفي قال: إنّه تاب وأناب.

وقال ياقوت^(٤): والناس فيه مختلفون فمنهم من يقول: إنه كان زنديقاً وينسبون إليه أشياء مما ذكرناها ومنهم من يقول: كان زاهداً عابداً متقللاً يأخذ نفسه بالرياضة والخشونة والقناعة باليسير والإعراض عن أعراض الدنيا.

قال الصفدي^(٥): وحكي لي عن الشيخ كمال الدين ابن الزملكاني أنه قال في حقه: هو جوهرة جاءت إلى الوجود وذهبت.

قال^(٦): وسألت الحافظ ابن سيد الناس فقلت له: ما كان رأي الشيخ تقي الدين ابن دقيق العيد في أبي العلاء فقال: كان يقول هو في حيرة. قال الصفدي ولعمري هذا الذي يظهر لذوي الأبواب من كلامه الخ. وقال الدميري: وهذا أحسن ما قيل فيه.

وقال الذهبي: منهم من يقول: ارعوى وتاب واستغفر اه ولفظه في العبر^(٧): ولعله مات على الإسلام وتاب من كفرياته وزال عنه الشك والارتياب اه. ونقل

(١) ٣٤٦: ١.

(٢) هـ: ١٣٥.

(٣) نكت: ١٠٤، وفي البغية: ١٣٦ وقال السلفي: أظنه تاب الخ.

(٤) ١٧٨: ١.

(٥) نكت: ١٠٦.

(٦) نكت: ١٠٦ والغيث ٢: ٢٤٤ وحياة الحيوان ٢: ٢٣٠.

(٧) نسخة حبيب الرحمن الشرواني.

صاحب النور السافر عن عجائب البلدان للقزويني أنه تاب في آخر عمره عن أمثال هذه واستغفر وحسن إسلامه.

قال ابن الجوزي^(١) وقد حدّثنا عن أبي زكريّا أنه قال: قال لي المعري ما الذي تعتقد؟ فقلت: في نفسي اليوم أقف على اعتقاده. فقلت له: ما أنا إلا شاك. فقال: وهكذا شيخك.

القول الفصل في القضية

هؤلاء الأئمة تناقضت أقوالهم وتباينت مناحيهم في دين الرجل ولعل هذا الداء سرى إليهم من شعره ففيه كل شيء. وضده كما يقول هو بنفسه. ل:

ولكل ما أصبحت تدرك جسّه ضدّ وكبرة من ترى كصغار
ويعتري النفس إنكار ومعرفة وعلى معنى له نفي وإيجاب

وانظر النظرة حتى تُشاهد مقالنا برأي العين. ولست أعني تخطئتهم بأجمعهم فإنهم لم يَنفُثُوا إلا بما رأوا في شعره فكلّهم إذا مُصيب في مزعمه. إلا أنني أريد أن أرمي كلّ ما رأيته له في وقت واحد رعاية رجل لم يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها، حتى لا أبخسه حقّه في نعمة أسداها، كما أنني لا أريد أن أنفي عنه شنائع أتاها وجرائم جناها.

لا غرو أن له كثيراً من الشعر في اللزوم، واستغفر مما يرمي إلى المروق كالاعتراض على حكمة الباري سبحانه وإرادته الخير وإنكاره الثبوت والاستخفاف بأنبياء الله وبالشرائع وإنكار البعث والمعاد والقول بقدوم العالم والذهاب إلى آراء الفلاسفة في أن العالم كالنبت يزهر ثم يذبل وجناية الوالد على الأولاد وتحريمه أكل كل ما لا يُنبته الأرض كاللحم والشحم واللبن والجبن والعسل واختياره إحراق الميت على دفنه وغيره مما يطول بنا سرّده.

ولكن لا يوجد له شيء في غير. ل. من هذا النحو لا في س ولا في «ملقى السبيل» ولا إن شاء الله في سائر كتبه مما لم يصلنا. اللهم إلا نزرّ يسير^(٢) لا يصرح إلى الغرض فلا حاجة لنا إذاً به.

وليكن منك على ذكر أن له في اللزوم أضاف مما يُضادّ عامة الأمور المذكورة

(١) أدباء ١: ١٧١ والنكت: ١٠٤.

(٢) انظر س ١: ١٩٤، ١٩٥، ١٩٩، ٢٠٨، ٢١١، ٢١٩، ٢: ١٢، ٥٤، ٨٩، ٩٠، ١٧٧، وأكثرها في الاعتراف الصادر والدين الناصع، وانظر الملقي ٢٢٥ للإيمان بالبعث.

شيئاً ليس بالهين بل لعله على السابقة في الكمية والكيفية فانظر النظرة.

ولكن الطبيعة البشرية مفطورة على الانجذاب إلى ما فيه استطراف أو جِدَّة، فتراهم حكموا عليه بَتَاتاً بعدة كلمات له سردوها في الزندقة واضربوا عما يضادها صَفْحاً بالمرَّة. كما أن الذين أرادوا تبرئته وإنقاء جَبِيه اقتنعوا على ما يضادها فقط. فأَيُّ الفريقين أَحَقُّ بالأمن؟

والذي يتخلص من كلِّ ماله أن الرجل لما رحل إلى بغداد كان يرتجي من دنياه أن تواتيه ومن حياته أن تساعفه. ولكن لما رأى بها إعراض الحياة وزهراتها منقاداً للطعام مُعْرِضَةً بوجوهها عن الكرام؛ علم أن الدنيا ليست إلا حَظّاً وبِخْتاً وأن فوائدها لا تحصل بالكد والعمل أو السعي والاجتهاد. ولم يكن يرغب في الدنيا حتى يكتفي بها عن المعيشة الفاضلة، فنقب عن العلماء والنسك لعله يجد دواءه عندهم فأرهم حريصين على المطاعم والمطاعم. مُؤَلِّين بالاستهتار بالمعاصي غير آخذين أنفسهم بالواجب واللازم، وكأنه كلما أنكر عليهم منكراً ونذد بسوء أعمالهم أغراهم بنفسه وأثار منهم دِخْلَةً فاسدة فرمؤه بالعظائم. وأحالوا على الشريعة والدين حتى يتخلصوا عن لومة كلِّ لائم. فرماهم رَشَقاً واحداً. ووقع فيهم وفي أديانهم جاهداً. فأخذوا بعض كلامه وطاروا به ورموه به بكل قبيحة. قال أمين الحلواني المدني^(١): لعلَّ أبا العلاء كان في زمان مثل زماننا هذا يعني كلَّ امرئ أنكر المنكر يرمونه بسوء الاعتقاد ليغروا به الملوك كما قال الإمام ابن حزم: أنا طريد الملوك لأنني أقول الحق ولا أبالي أ هـ.

فلم يكتفوا بما وجدوا له بل عملوا بعضاً من الأشعار، وضمنوه ما يرمي إلى المروق. نقلوا^(٢) عن ابن العديم في العدل والتحري. قال: قرأت بخط أبي اليسر المعري في ذكره، وكان رضي الله عنه يرمى من أهل الحسد له بالتعطيل وتعمل تلامذته وغيرهم على لسانه الأشعار يضمنونها أقاويل الملحدة قصداً لهلاكه وإيثاراً لإتلاف نفسه (ثم أورد ثلاثة أبيات له أهوان. وانظرها في الفاتت)، وترى في الفاتت بعض كلمات ركيكة لا تشبه سائر شعره ولعلها من هذا الجنس. ومر خبر تحريف رجلين بيتاً من اللزوم وتأليف أبي العلاء رسالة الضبُعَيْن وإرساله إياها إلى معز الدولة علي بن صالح تنصلاً.

ولدينا شواهد على أنهم لم يعملوا بالتحفظ والاحتياط في عَزْوِ بعض أمور إليه مما هو بَرَاءٌ منه كما مرَّ قول الزمخشري في بيتين من س أنه عارض بهما قوله تعالى

(١) في مقدمة اللزوم، الطبعة الأولى ببومباي.

(٢) أدباء ١: ١٧٩. وكذا في أنيس الجليس ١: ٢٧٩.

إنها ترمي بشرر الآية. وقد دفعناه في صدره ورددناه عليه. وهذا ابن السبكي روى بيتين لابن الراوندي^(١) وعزاهما إلى المعري ثم قال فقبحه الله ما أجرأه على الله عز وجل (ثم ذكر لهما نقيضة) فهل من متأدب لا يجزم بأنهما لابن الراوندي^(٢). وروى ابن سعيد في المغرب^(٣) من قصيدة للجمال أبي الحسين الجزار قوله:

وفي علم العروض دخلت جهلاً وعُمتُ بخفتي في كل بحر
فأذكرني به التفعيلُ جهلاً تضمّن نصفه الشيخ المعري
مفاعلتن مفاعلتن فعولن «حديث خرافة يأمر عمرو»
والمصرع عجز بيت لبعض مشركي مكة كما هو معروف، وصدره:

أموت ثم بعث ثم حشُر

ولكن هذا الاستدلال لا يغني عنه إلا في المنحول. وأما الثابت الذي دونه بنفسه في ل فهو أيضاً كثير فكيف يسلم من معرفته؟ وهاك أموراً تجلو من الحقيقة شيئاً:

إن حُبَّ الظرف والاستطراف هو الذي حدا به على أن أنشأ كل صنف من الشعر وولج في كل باب منه لما اشتهر به الزنادقة من الأدب والتظرف قال ابن القارح^(٤): ولكنني أعتاظ على الزنادقة والملحدّين الذين يتلاعبون بالدين، ويرومون إلى إدخال الشبه والشكوك على المسلمين ويستعذبون القدح في نبوة النبيين صلوات الله عليهم أجمعين، ويتطرفون ويتذوّون إعجاباً بذلك المذهب^(٥) تيه مُعَنّ وظرف زنديق اهـ، ولو كانت هذه آراء له منقحة وأفكاراً محققة لم نجد لها من الأضداد هذا القدر الجَمّ. وقد ورد في مقدمة بعض النسخ من اللزوم^(٦) مقدمة بسيطة تبرأ فيها من قصد الإلحاد بأوضح بيان. وقال: إن غرضه التفنن بالشعر اهـ. ويشهد له ما جاء في ثبت كتبه^(٧) من أن بعض الجهال تكلم على أبيات من لزوم ما لا يلزم يريد بها التشرر والأذية فألزم أبا العلاء أصدقاؤه أن ينشئ هذا (يريد كتاب «زجر النابح») فأنشأ هذا الكتاب وهو

(١) الشافعية ٣: ٩٧ وهما:

كم عاقل عاقل أعيت مذاهبه وجاهل جاهل تلقاه مرزوقا
هذا الذي ترك الأوهام حائرة وصير العالم النحرير زنديقا

(٢) انظر المعاهد ١: ٥٣.

(٣) ١٣٤.

(٤) ١٩٧.

(٥) انظر المثل في كتابي معجم الأمثال.

(٦) انظر المشرق ٥: ٤٧، وهذه النسخة قديمة.

(٧) أدباء ١: ١٨٣.

كاره^١ هـ. فهذا صريح في أن أصدقاءه لم يكونوا يعرفون لزوم كتاب إلحاد كما عرفه الأبعد، وأن مذهب الإلحاد لو كان فيه غرضاً مقصوداً لم يحتج إلى الرد على ذلك الجاهل فنفت الرجل بكل ما تخالج في قلبه من الشكوك التي لا بد للإنسان منها وهذا إبراهيم عليه السلام قال: ﴿وَلَكِنَّ يَظْمِنَنَّ قَلْبِي﴾ وهذا معنى قوله من. ل:

يسمّي غويّ من يخالف كافراً له الويل أي الناس خالٍ من الكفر

فلم يأت أمراً بدعاً بل هو على مذهب غيره من الشعراء كالمتنبي وابن هانئ وأبي نواس بل هو أصدق منهم لهجة وأتمّ منهم نُسكاً وزهداً وقناعة وإيثاراً وتعبداً واستقلالاً بالآراء... وغاية الأمر أن لم يكن وضح له بعض العقائد، فكان منها في شك وخيرة على ما ينم به شعره كان يود أن لو لقي رجلاً يُزيل عنه الشكوك ولكنه أخفق فيما هو الظاهر فلم يزل يذكرها ذكر من لا يسيغها ولا يلفظها. والدليل على ذلك أنه لم يزل قائماً بما لم يشك فيه كالمواطبة على الصلوات وإحياء الليل والذكر والتسبيح واجتهد أن يتوفى على هذه الحالة، كما قال في ثبت كتبه وكما شهد به الذين لقّوه وعلى صوم الدهر والمروّة والفتوة والعفاف والطهارة ونقاء الجيب عن سفاسف الأمور. وقد قالوا إن صاحب كل فنّ يحتاج إليه فقط وأما المتأدّب فإنه يحتاج إلى كلّ العلوم والفنون، وينبغي له أن يطرق كلّ باب ويلج في كل ساحة.

وهؤلاء ملاحدة العالم من جميع الأديان لا يشبه مذهبهم في الحياة مذاهبهم على ما أورد كثيراً من أخبارهم في الغفران. فهم يأنفون عن التكليف الشرعية ويستنكفون من العبادات ويستخفون بها ويستسهلون ويسخرون ويولعون بالهزل ولا يأخذون بذوات نفوسهم بلة المسترشدين. على أن جلّهم كانوا داعين إلى مقالتهم التي أنشأوها حتى يتمكنوا من زهرة الحياة ويقدرُوا على لذائذ الدنيا فإنها غرضهم الوحيد. ولم ينقل أحد ولا من أعدائه عنه أنه كان يرغب في شيء من رغائب الدنيا، أو يدعو أحداً إلى مقالة في الدين يكون انتحلها وهؤلاء تلامذته ملأوا أقطار البسيطة ليس فيهم أحد على مذهب شيخه ولا نقل أنه دعاه إلى دين غير الإسلام ولو كان داعية لم يعدم منهم مؤمناً به، ولا أعوز عليه تابع منهم. كما لم يُعوز على أعمار الملاحدة وطغام الزنادقة قبله وبعده. وقد كتب إليه ابن القارح مذامّ الملاحدة وآفاتهم فهل نراه سخر منه؟ ولكنّ ذكاء صاحبنا لا يخلينا أن نظنّ به الجهل عما يُراد به، ولا نظنّ ابن القارح عرّض به وبمروقه مع اعتقاده فيه كلّ جميل.

ولم أر في معارفه وهم خلق لا يُخصّون أحداً قرفه بما قرفه به الأجانب^(١) وهذا

(١) قال ابن الوردي ١: ٣٦٢. ونقل خبر مساجلة أبي الطيب الطبري على ما مر في أبواب بغداد وأبيات =

لعمري عجب عجب. وهذا التبريزي وغيره من التلامذة وغيرهم من زواره بالمعزة ومنهم شيخ الإسلام الصابوني والقاضي عبد الوهاب المالكي ومن البغاددة أبو الطيب الطبري وأبو حامد الأسفرائني المجدد قبلوا هداياه أو نزلوا عليه أو رغبوا في اصطفاؤه وودّه. والآنذلسيون معروفون بالصلافة في أمر الدين ولم أر لهم كلمة في القذف وما ذاك إلا ضناً منهم بدينهم أن يتهموا بريئاً فظهر مصداق قول ابن العديم: إن الذين لقوه وصفوه بكل جميل والذين لم يلقوه ولا عرفوه رموه بكل قبيح.

وفي عمدة المؤمل وعدة المتمثل^(١) وأنشدني قاضي الحكم بمعزة النعمان ابن عم لأبي العلاء، وقد أجازني إجازة مطلقة جميع شعر أبي العلاء ومنثوره وجكمه، وذكر لي ما كان ابن عمه عليه من الزهد والورع وجميل السريرة خلافاً لما ظهر من لفظه في نظمه ثم أتى ببنيته من س خلق الناس للبقاء الخ. أقول وكأنه أراد بابن العم بعض ولده كما هو الظاهر.

على أن المتقدمين من متهمة راعوا جانب التحفظ فلفظ السمعاني وحكي عنه حكايات مختلفة في اعتقاده حتى رماه بعض الناس بالإلحاد اهـ. ولفظ الباخرزي وعندنا خبر بصره والله العالم ببصيرته والمطلع على سريرته، وإنما تحدثت الألسن بإساءته لكتابه الذي زعموا أنه عارض به القرآن الخ. وقد مر لنا قول الأولين أن: «زعموا مطية» الكذب. فإن كان نبزه بالإلحاد من جهة «الفصول» فإننا نفيه آنفاً إن شاء الله. ونرى كثيراً من مترجميه لم يتعرضوا لدينه ولعمري إن فيهم لأسوة كالكمال ابن الأنباري وابن خلكان. ولكن المتأخرين المسيطرين حكموا بزندقته حكم الصبي ولم يستثنوا.

ولا تحكما حكم الصبي فإنه كثير على ظهر الطريق مجاهله

ولم يقفوا دون الحد ولا احتاطوا في المقال. على أن المتقدمين كانوا أرعى منهم لجانب الله وأنقى له في عبادة وكانت لهم وسائل تسهل سبيلهم إلى كشف جلية

= كليهما، ثم قال: فشهادة أبي الطيب في الشيخ مقدمة على شهادة الغير وحسن الظن وخصوصاً بالعلماء قد دل عليه القرآن والحديث وهو لا يأتي إلا بخير وكان شيخنا عيس حسن العقيدة فيه واعتراف الطبري له ومدحه يكفيه:

شهادة الطبري الحبر كافية
من أغمض السيف عنه كان في دعة
أبا العلاء فقل ما شئت أو فذر
ومن نضا السيف قابله بالطبري
أي القاضي الطبري أو بالطبر وهي الفأس بالفارسية.

(١) لعبد الله بن عبد الرحمن النخعي الفرياني الأندلسي، وألفه بمكة سنة ٦٤٦ هـ رأيت نسخته بحيدر آباد.

الأمر لقرب عهدهم به . وأما الذين ضرب بينهم وبينه بأسداد وأرخت دونهما الأستار المظلمة فكان حَرَى بهم صون الألسنة عن الوقوع في مَوْرِطَة مُؤَثِّمِه ومدحضة مؤلمة .
وها أنا ذا أتكلم على رجل رجل من متهميه وإن لم أكن أحتاج إلى ذلك فإنهم لم يدرسوا آثار الرجل وجسروا على الحكم قبل التجربة ، وقلد بعضهم بعضاً وأسرعوا لما لم يعرفوه إبطالاً ونقضاً ، ولكن ليظهر درجتهم من التحرز والتأثم فلا يُعْطُوا أكثر مما يستحقون من القبول والرضى .

فالقاضي البحاثي كان أستاذاً للباخري فلذا نقل قوله . على أن القاضي لم يسلم من حصائد لسانه أحد من أفاضل عصره وأعيانه ، ذكر ياقوت^(١) : أن الكبار كانوا يحترمونه للتوقي من حُمَاتِ لسانه وعقارب هجائه ولقد رُزِق من الهجاء طريقة لم يسبق إليها وما ترك أحداً من الكبراء والأئمة والفقهاء وسائر الأصناف من الناس إلا هجاء ووقع فيه فكان الكل يتترسون باحترامه وأيوائه عن سهام هجائه الخ . أما - وحال الشاهد على ما ذكر - كان الرجل يستحق منه الهجوم؟ حتى يسلم من العين ، ويدخل في زمرة الأفاضل المهجوين :

ما كان أحوج ذا الكمال إلى عيب يوقيه من العين

وأما الشريف ابن الهبارية فحدث عن بحر الخنى والأهاجي ولا حرج ، وعن طود القَدَح ولا تتحاش . قال ابن خلكان^(٢) : كان خبيث اللسان كثير الهجاء والوقوع في الناس لا يكاد يسلم من لسانه أحد . ثم أورد من أخباره ما طيئه أحسن من نشره . ومذهب ابن خلكان في ملك اللسان معروف . على أنه لو لم يكن له من الآثار إلا ما أورده الصفدي^(٣) من خبر يمنعنا الحياء من إثباته لكفاه ولكفانا . وأما صاحبنا فإن مذهبه في ترك الهجوم مما شهد به عبد السلام داعية المعتزلة القزويني وكان عزيزاً معتاً كما مر في الزوار :

ولست بهاج في القرى أهل منزل على زادهم أبكى وأبكي البواكيا

ومذهب ابن الجوزي^(٤) والذهبي في الإقدام على الجرح والقَدَح مما لا يُجْهَل ولا يُنْكَر ، فهلاً نرد على كل هؤلاء لو هتتم أو لعصيتهم .

(١) ٤٠٨ : ٦ .

(٢) ١٥ : ٢ . روى ابن الهبارية أبياتاً للمعري تشير إلى أن الموت ظلم من البارئ تعالى (أدباء : ١ : ١٩٤) ولكن هذا المعنى يناقضه اللزوم :

(٣) الغيث ١٩٠ : ٢ . استرد الحياة منك لعمر الله
به من كان للحياة معيراً

(٤) وقال ياقوت ٢٠٤ : ٦ وأنا لا أعتقد على ما تفرد به ابن الجوزي ، لأنه عندي كثير التخليط اهـ .

فما لك تقبل زور الكلام وقدر الشهادة قدر الشُّهود
وأما «الفصول» فليس من معارضة القرآن أو مناقضته في قبيل ولا دبير. وترجمته
في الثَّبَت عند ياقوت والذهبي كتاب «الفصول والغايات» فقط وكذا ناصر خَسْرُو
وأما زيادة «في مُحَاذاة السور والآيات» فالظاهر من كلام المتقدمين^(١)، ولا أستثني
أحداً أنها ليست من ترجمة الكتاب فلفظ ناصر خسرو وقد ذكره: حتى إنهم اتَّهموه
بأنك عملته معارضة للقرآن ا هـ. ولفظ الدمية: زعموا أنه عارض به القرآن ا هـ.
ولفظ خليفة: «الفصول والغايات» في معارضة السور والآيات على ما ذكره ابن
الجوزي لأبي العلاء الهـ. وليعلم أن خليفة لم يذكر شيئاً من تأليف صاحبنا بحواله ابن
الجوزي بل الظاهر أخذه إياها عن معجم الأدباء، فظاهر أن معنى كلامه هنا أن كون
«الفصول» في المعارضة على رأي ابن الجوزي. ومعلوم أن المعتبر نيّة العامل لا نيّة
ابن الجوزي. والمحاذاة ليست من المعارضة في شيء كما مرّ لنا إثباته في الثَّبَت فانظره
على أن الرجل معترف بإعجاز القرآن بعد تأليف «الفصول» اعترافاً ليس وراءه غاية تُرام
كما مرّ. وقد رأينا منه فصولاً فلم نجد إلا عظة وذكرى لمن كان له قلب أو ألقى
السمع وهو شهيد.

ولعمري إنا لفي أشدّ حاجة إلى من ينتقد علينا أعمالنا، ويدلّنا طريق رشدنا.
وأما هؤلاء المطّرون من المدّاحين فيضروننا من حيث يريدون أن ينفعونا، فقد طمّت
في جميع طوائفنا الآفات وفشت فيهم السوآت، وشكت الأرض إلى السماء ما تحمله
من البلاء والعناء. وقد وصل بي الكلام وله شجون وفنون بحيث أوقفني موقف ذاب
عنه متعصب له، وأيم الله إني لم أقل حقاً ولم أنطق إلا صدقاً.

ولكن له والحق يقال كثيراً من الأشعار تنجح إلى التشكيك فقال بعضهم - ومنهم
السلفيّ والصفدي - وكان لا يستقرّ به قرار ولا يبقى على قانون واحد بل يجري مع
القافية إذا حصلت كما تجيء (؟ تجري) لا كما يجب ا هـ. وهذا الرأي صحيح في
بعض شعره ومنه قوله. ل:

مضى الأنام فلولا علم حالهم لقلت قول زهير أئمةً سلكوا
وبيت زهير^(٢) هو:

بان الخليط ولم يأووا لمن تركوا وزودوك اشتياقاً أئمةً سلكوا
فلولا أنه مال به الكلام إلى هذه القافية عمداً لم يجنح لها فإن له كثيراً من

(١) ولفظ الذهبي: وكأنه معارضة منه للسور والآيات.

(٢) شرح ديوانه مصر: ٤١.

الآيات في عدم العلم بمحلّ الأرواح ولا أبعد فله قبل بيتين من المذكور:

إن نسأل العقل لا يوجدك من خبر عن الأوائل إلا أنهم هلكوا

وانظر النظرة. وليس معناه أنه كان يهذي هذيان المعتوهين - بل الحقيقة أنه ليس في الدنيا شيء إلا وله جانبان من جهة حسنه في بعض الأحيان وقبحه في غيره، فالفيلسوف الطبعي هو الذي لا يغفل عن الجانب الآخر، والطبيب الحاذق هو الذي يعرف بمحلّ الداء ومقداره فيصف له الدواء الصالح، فأبو العلاء إذاً فيسلف بالطبع لا بالتصنع والتكلف حتى يغلب عليه الفلسفة في غير حينه شأن الفلاسفة المتفهبين.

كل امرئ راجع يوماً لشيئته وإن تخلّق أخلاقاً إلى حين

وأولع كثير من الناس بتأويل ما جاء مما يحتمل إلى المجاز. قال الذهبي والمشكل من شره فله على زعمه تفسير. أقول: وله شعر يرمي إلى ما قالوا، فمنه. ل:

وليس على الحقائق كل قولي ولكن فيه أصناف المجاز

لا تُقَيّد عليّ لفظي فإنني مثل غيري تكلمي بالمجاز

لا تُخبرن بكنه دينك معشراً شطراً وإن تفعل فأنت مغرر

تعالى الله فهو بنا خبير قد اضطربت إلى الكذب العقول

نقول على المجاز وقد علمنا بأن الأمر ليس كما نقول

وهذا القول أيضاً صواب في بعض شعره لا في سائره فهو يقول في ضده. ل:

فاسأل حجاك إذا أردت هداية واحبس لسانك أن يقول مجازا

ومع كل ما مرىقى له كثير من القول لا يقبل تأويلاً ولا مجازاً فإن الرجل

اعترف بنفسه أنه بقي مدة طويلة في الحيرة والتشكيك، ل:

عوذ يصدق أو غر يكذب أو مردّد بين تصديق وتكذيب

وهذا ظاهر في أنه كان في شبابه ممترياً، ثم بقي طول كهولته مردّداً ثم صدّق بالشرائع في مشيبه. وهذا هو الصواب الذي لا محيد عنه لأولي الأبواب فإنني لم أجد في «مُلَقَى السبيل» شيئاً يجذب إلى المروق. وروى ابن الوردي^(١) عن دفع المعرة عن

(١) ١: ٣٦٠ من تاريخه ولفظه: ثم وقفت له على كتاب ضوء السقط الذي أملاه على الشيخ أبي عبد

الله محمد بن محمد بن عبد الله الأصفهاني الذي لازم الشيخ إلى أن مات، ثم أقام بحلب يروى عنه كتبه فكان هذا الكتاب عندي مصلحاً لفساده، موضحاً لرجوعه إلى الحق وصحة اعتقاده. فإنه

كتاب يحكم بصحة إسلامه مؤلاً، ويتلو لمن وقف عليه بعد كتبه المتقدمة: وللآخرة خير لك من =

شيخ المعرة أنه وُجد المعري في ديوان لزوم ما لا يلزم متذبذباً حائراً في الدين، لكن الكتب التي ألّفها بعد ذلك خصوصاً ضوء السقط تصلح هذا الفساد وتوضح رجوعه إلى الحق وصحة اعتقاده، و«ضوء السقط» خاتمة كتبه، والأعمال بخواتمها هـ. وقال السلفي^(١): ومما يدلّ على صحة عقيدته ما سمعت الخطيب حامد بن بختيار النميري بالسمرسانية مدينة بالخابور؛ قال: سمعت القاضي أبا المهذّب عبد المنعم بن أحمد السروجي يقول: سمعت أخي القاضي أبا الفتح يقول: دخلت على أبي العلاء التنوخي بالمعرة ذات يوم وقت خلوه - بغير علم منه - وكنت أتردّد إليه وأقرأ عليه، فسمعتة وهو ينشد من قبله:

كم بُودرت^(٢) عادة كعابٍ وعمّرت أمّها العجوز
أحرزها الوالدان خوفاً والقبر جرّز لها حريز
يجوز أن تبطئ المنايا والخلد في الدهر لا يجوز

ثم تأوّه مرّات وتلا: «إن في ذلك لآية لمن خاف عذاب الآخرة - إلى قوله - فمنهم شقيّ وسعيد» ثم صاح وبكى بكاء شديداً وطرح وجهه على الأرض زماناً ثم رفع رأسه ومسح وجهه فقال: سبحان من تكلم بهذا في القدم سبحان من هذا كلامه. فصبرت ساعة ثم سلمت عليه فردّ عليّ وقال: متى أتيت. فقلّت الساعة، ثم قلت: يا سيدي أرى في وجهك أثر غيظ فقال: لا يا أبا الفتح بل أنشدت شيئاً من كلام المخلوق وتلوت شيئاً من كلام الخالق فلحقني ما ترى. فتحققت صحة دينه وقوة يقينه هـ. ومن أبياته التي قالها في القاضي أبي محمد ابن أخيه وكان مرّضه في مرّضته الأخيرة قوله وهي بتمامها في الفائق:

سأنشرُ شكره في يوم حُشر أجل! وعلى الصراط المستقيم

= الأولى. فلقد ضمن هذا الكتاب ما يثلج الصدر ويلذّ السمع ويقرّ العين ويسرّ القلب ويطلب اليد ويثبت القدم من تعظيم رسول الله ﷺ خير بريته، والتقرب إلى الله بمدائح الأشراف من ذريته، وتبجيل الصحابة به والرضا عنه والأدب عند ذكر ما يتلقى منهم وإيراد محاسن من التفسير والإقرار بالبعث والإشفاق من اليوم العسير، وتضليل من أنكر المعاد، والترغيب في أذكار الله والأوراد، والخضوع للشريعة المحمدية وتعظيمها. وهو خاتمة كتبه والأعمال بخواتمها. وقد يعذر في ذمه واستحلّ شتمه فإنه عول على مبادئ أمره وأوسط شعره، ويعذر من أحبه وحرّم سبه فإنه اطّلع على صلاح صدره وما صار إليه في آخر عمره من الإنابة التي كان أهلها والتوبة التي تجبّ ما قبلها، وكان يقول رحمه الله: أنا شيخ مكذوب عليه هـ.

(١) هـ ١٣٤ ومعاهد ١: ٥٠.

(٢) ملقى السبيل: ٢٢١ وفيه: «كم هلكت» وهي فيه أربعة، وعند الذهبي: «كم غودرت» وهو تصحيف.

وهذا صريح في الباب . والأعمال بخواتيمها ، وأمره إلى الله وهو يعرف خبايا الضمائر وسرائر الظواهر . ل :

مولاك مولاك! الذي ماله نَدَّ وخاب الكافر الجاحدُ
أمن به والنفس ترقى وإن لَمْ يَبْقَ إِلَّا نَفْسٌ واحد
تَرْجُ بِذَلِكَ العفو منه إذا أُلْحِدتْ ثم انصرف اللاحد
إن ختم الله بغفرانه فكل ما لاقِيَتْهُ سهلُ

تم الكتاب مع الملائكة والفئات تسويداً وتبييضاً وتم النظرة تسويداً في مدة خمسة أشهر آخرها يوم الاثنين لعشر ليال بقين من شعبان سنة ١٣٤٣ هـ ببلدة لاهور عاصمة بنجاب الهند وأنا أسير غربتين : غربة عن الوطن ، وغربة عن أهل العلم الذين كانوا لو كانوا غرة في جبين الزمن . حامداً لله تعالى ومصلياً على رسوله الذي اصطفاه ومسلماً عليه وعلى الذين اتبعوه بإحسان رضي الله عنهم ورضوا عنه . آمين . ١٦ مارس سنة ١٩٢٥ م .

ثم زدت فيه أشياء كثيرة من كتب خطية عثرت عليها أثناء رحلاتي في أعماق الهند وأقاصيها من أواسط يونيو إلى أواخر أغسطس سنة ١٩٢٥ م .

وأما كتابي «نظرة في النجوم من اللزوم» فكان بوّدي أن لو طبعته مع هذه الثلاثة ولكن الحالة قضت بتأخير أمره إلى مَدَى الله به أعلم وما ذاك إلا من قصوري ونُبوة البلاد والله مَفَزَعْنَا وهو المُراد .

فوائد

قد صدق الإمام الشافعي أن التأليف شيء لا يتم في حياة المؤلف أبداً لحرصه على الإصلاح والإضافة؛ وذلك أنني اغتنمت من الزمان فرصة في محرم سنة ١٣٤٦هـ (يوليه سنة ١٩٢٧م)، وقضيت منها أسبوعاً في بانكي پور لزيارة خزانها الحافلة بالأعلاق الخطيرة والنفائس الضنيّة التي كنت أمنيّ النفس بها منذ أعوام متطاولة، فوجدت في قلادة دُررها غالية وهي نسخة جليّة عتيقة من سَقَط الزُّنْد كُتبت في نحو القرن السادس وعورضت هي أو أصلها على نسخة قُرئت على أبي العلاء فتصفّحتها ورقة ورقة، وعلّقتُ منها في مذكرتي ما يعين في تدوين تاريخ الرجل - وأضفت إلى ما اتقّيته منها فوائد من غيرها وهي:

ورد في كتاب «العصا» لأسامة بن مُنقذ^(١) من أمراء شَيْزَر (نسخة بانكي پور بورقة ١٦٠) ذكر رسالة لأبي العلاء لا توجد في جملة رسائله المعروفة وهذا نص أسامة:

قال المؤلف أطال الله بقاءه: وقفت على كتاب كتبه الشيخ أبو العلاء أحمد بن سليمان المعري إلى الشيخ جعفر بن أبي القاسم بن أبي العود فيه ذكر «العصا» أنا ذاكره وهو:

مولاي الشيخ الأجل الأوحّد أطال الله بقاءه، وأدام نِعَماءه، وكبت أعداءه، واسمه جعفر والجعفر النهر الصغير الكثير الماء، وإنه لفرات يَرِدُه أهل الأضماء، فيُغني الوُرَاد عن القطر النازل من السماء. وكنيته أبو القاسم وهو يقسم ما رُزق بين الضعفاء، وطارقٍ يجب له حسنُ وفاء. وهو يشفق على بعيد وقریب، وأهل من القوم وغريب. واللّه جلّت عظمتُهُ يُريه ما يَسُرّه في نفسه وولده، ويجعل المسرّة مَقَرّة في حَلَدِه. وأنا أنا فقد بلغت سنّاً، تصيّر العالي من الشجر ثِناً. وفي هذه المُدّة عَرَض لي ما يمنع من القيام، ويُلحِق النار الموقدة بالإبام (ككتاب: الدخان والجمع أيّم ككتب) فإذا نهضتُ

(١) انظر ترجمته في معجم الأدباء ٢: ١٧٣ وورد في صفحة ١٨١ منه ذكر كتاب العصا الذي تصحف على المستشرق مرجليوث بالقضاء.

خلت أني متوتل في نيق يُعجز تعالى (؟) السُوذنيق (السوذنيق يوسف بعلو الطيران قال الحماسي):

فما سوذنيق على مَرَبٍ خفيف الفؤاد حديد النظر
وإذا مثلت قائماً لم أقدر على خَطْوٍ، إلاَّ كما ضعف من القَطَر. كأنَّ خطوي فِتر،
وبيد الله العافية والستر. ولا بدَّ لي من عصا مُعينة، والعجب للدنيا اللعينة. وورد وليه
الشيخ أبو الحسن علي بن عبد الله بن أبي هاشم وهو مُوقَّر من إيادٍ، ما زال لمثلها ذا
اعتياد. والله يستجيب مني فيه وفي أودائه ما يرفع من دعاء، فالرب الأول ملك الملوك
وراعي الرعاء.

رسالة التلاوة

تأليف
أبي العلاء المعري

أُبرزها وصحّحها وشرّحها
عبد العزيز اليميني الرَّاهبوني الأثري الهندي
الأستاذ بجامعة علي كره الإسلامية في الهند

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

كلمة الناشر

«رسالة الملائكة» للمعريّ أخت رسالتي «الغفران» و«الطير» في التمثيل، الذي لم يسبقه فيه عديل له أو مثيل. فهو إذاً ابن بَجْدَتِهِ، وعُبير وحده. وماملتون الإنكليزي صاحب الفردوس الغابر إلّا من الأتباع^(١)، بيد أنّ أهل المشرق لم نحفظ بمآثر أسلافنا ولم نؤمنها من بوائق الضياع.

والرسالة وإن كان سبق لها نُشْر، إلّا أنه لم يتنبه له فيما أظنّ إلّا شرمذة نَزْر. على أن الطبعة كانت من التحريف والتشويه، بحيث يُمَجِّها طبع كل خاملٍ ونبيه. ولم يخلُ جملة من عدّ أغلاط وتصحيفات، بلّه السطور والصحيفات. ولم ننبّه منها إلّا على قطرة من عدّ، أو نهر مستمدّ.

ولا أدعي أنني برأتها من كلّ عيب، أو جلوتها جلاء الهدى النقيّة الجيب. وكيف ولم تصل يدي إلى نسخة منها أخرى، فكيف أتمكن من السّبح في الصّريّ إلّا أنني ولا كفران لله أرى، أن «عند الصباح يحمد القومُ السّريّ».

وقد بقي مع ما عانيته عدّة أغلاط، مطوية الرياط. جرّت في أمرها، فوكلتها إلى أعرف مني بخبرها وخبرها. وبخزانة ليدن (هولاندة) منها نسخة فيا حبذا لو تولّى بعض المستعربين عراض هذه عليها. ثم قدّر الله مقابلتها على نسخة خطيّة سدّت بعض الخلل وأنعشت من الرّلل.

ويظهر من فحواها أنها ألفت نحو سنة ٤٣٥هـ تقريباً. والله أعلم.

مصححها وشارحها

عبد العزيز الميمني السلفي الراجكوتي (الهندي)

الأستاذ بالجامعة الإسلامية في علي كره (الهند)

(١) ومثله شاعر الطليان دانتي في كتابه جهنم. وقد أورد الأب آسين (Asin) أدلة تاريخية على أن دانتي قد أخذ عن المعري في رسالة الغفران، مجلة المجمع العلمي بدمشق ص: ٣٦٠ سنة ١٣٣٩هـ.

قال أبو الفضل المؤيد بن الموفق الصاحب في كتاب
(الحكم البوالغ في شرح الكلم النواغ):

«رسالة الملائكة»

ألفها أبو العلاء المَعَرِّي على جواب مسائل تصريفية ألقاها إليه بعض الطلبة^(١)
فأجاب عنها بهذا الطريق المشتمل على الفوائد الأنيقة، مع صورتها المستغربة الرشيقة:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

ليس مولاي الشيخ أدام الله عزّه بأول رائد ظنَّ^(٢) في الأرض العازبة فوجدها من
النَّبات قَفْراً. ولا آخِرِ شائم ظنَّ الخيرَ بالسحابة فكانت من قطرٍ صَفْراً. جاءني منه
فوائدها كأنها في الحسن بناتٌ مَخْرٍ^(٣) متمثلاً ببيت صَخْرٍ^(٤):

لَعَمْرِي لَقَدْ نَبَّهْتُ مَنْ كَانَ نَائِماً وَأَسْمَعْتُ مَنْ كَانَتْ لَهُ أُذُنَانِ

إن الله يُسْمِعُ من يشاء وما أنت بمُسمعٍ مَنْ في القبور أولئك يُنَادُونَ من مكان
بعيد. وكنت في عُنفوانٍ^(٥) الشَّيبَةِ أَوْدُ أَنِّي مَنْ أَهْلُ الْعِلْمِ فَسَجَّتْنِي عَنْهُ سَوَاجِنُ^(٦)،
غادرتني مثل الكُرَّةِ رَهْنُ الْمُحَاجِنِ^(٧). فالآن مشيتُ رُوَيْدًا، وتركتُ عمراً للضارب
وزيداً. وما أُوْثِرُ أن يزداد في صحيفتي خطأ في النحو، فيُخْلَدَ آمناً من المخو. وإذا

(١) الذي يظهر من فحوى الرسالة أنه بعض أكابر الفضلاء.

(٢) لعل صوابه: ظعن.

(٣) سحائب بيض يأتين قبل الصيف قال طرفة:

كبنات المخر يمأدن كما أنبت الصيف عساليح الخضر

وكل قطعة منها على حيالهما بنات مخر. وكان الزجاج يقول: إن مخرأ مقلوب من بخر من البخار.

ولو قال قائل: إن مخرأ من قوله تعالى: ﴿وَتَرَكُ الْفُلُوكَ مَوَاحِرَ فِيهِ﴾ لكان مصيأ

(٤) في خبر معروف راجع الشعر والشعراء ليدن، ص: ١٩٩، والخزانة الكبرى ١: ٢٠٩.

(٥) وفي أخرى خطية غيسان وكلاهما بمعنى.

(٦) عدتني العوادي. وفي أخرى شجنتني عنه شواجن بذلك المعنى عينه.

(٧) جمع محجن: الصوالج.

صَدَقَ فَجُرَّ اللَّمَّةَ فَلَا عُدْرَ لَصَاحِبِهَا فِي الْكَذِبِ، وَمَنْ لِمَعْدَبِ الْعَطَشِ بِالْعَذِبِ^(١)؟
وَصِدْقُ الشَّعْرِ فِي الْمَفْرِقِ، يوجب صدق الإنسان الْفَرْقِ^(٢). وكون الحالية بلا
خُرُص^(٣)، أَجْمَلُ بِهَا مِنَ التَّخْرُصِ. وقيام النادبة بِالْمَنَادِبِ^(٤)، أَحْسَنُ بِالرَّجُلِ مِنَ
الْقَوْلِ الْكَاذِبِ^(٥). وهو أدام الله الجمالَ به يلزمه البحثُ عن غوامض الأشياءِ لأنه يُعْتَمَدُ
بِسؤال رائجٍ وَغَادٍ، وحاضرٍ يرجو الفائدةَ وَبَادٍ. فلا غَرَوْ أنْ كَشَفَ عن حقائق
التصريفِ، وَاحتَجَّ للتَّنْكِيرِ والتعريفِ. وتكَلَّمَ على هَمَزٍ وإدغامٍ، وَأزَالَ الشُّبُهَةَ عن
صُدُورِ الطَّغَامِ. فأما أنا فحِلْسُ البيتِ، إن لم أكن المَيْتَ فشبَّهةً بالميتِ. لو أعرضتِ
الأغربةُ عن النَّعِيبِ، إعراضي عن الأدبِ والأديبِ. لأصبحت لا تُحْسُنُ نَعِيباً^(٦)، ولا
يُطْبِقُ هَرْمُهَا زَعِيباً. وَلَمَّا وافى شَيْخُنَا أَبُو فُلَانٍ بتلك المسائل أَلْفَيْتُهَا فِي اللَّذَّةِ كَأَنَّهَا
الراح، يَسْتَفْزُ مَنْ سَمِعَهَا المِراحَ. وكانت الصهباءُ الجُرْجَانِيَّةُ طَرَقَ بِهَا عَمِيدُ كَفَرٍ، بعد
ميل الجوزاء وسقوط العُفْرِ^(٧) وكان على يجباها^(٨) جلب إلينا الشمس وإياها: فلما
جُلِيتِ الْهَدْيُ ذَكَرْتُ مَا قَالَهُ الْأَسَدِيُّ:

فقلت اصطحبنيها أو لغيرني فأهديها فما أنا بعد الشيب، وببك^(٩)! والخمر
تجاللت^(١٠) عنها في السنين التي مضت فكيف التصابي بعد ما كلاً^(١١) العمر
وما رَغْبَتِي فِي كَوْنِي كَبْعُضِ الْكِزْوَانِ^(١٢) تكلم في خطب جَرَى، والظلم يسمع
وَيَرَى. فقال الْأَخْفَشُ أَوْ الْفَرَا: أَطَرَقَ كَرًا! إن النعمةَ فِي الْقُرَى^(١٣). وَحَقُّ مِثْلِي أَنْ لَا.

(١) الماء الكدر.

(٢) وكان في الأصل: «في الفرق» والفرق كالفرقة: الإنسان الخائف كثيراً.

(٣) خرص كعنت فيه فعل (بوزن عنت) السهلي ١: ٢٥.

(٤) وفي أخرى بالنادب. (٥) وفي أخرى من أقوال الكاذب.

(٦) النعيب والزعيب صوت الغراب.

(٧) الكفر: القرية. والغفر: منزل للمقمر ثلاثة أنجم صغار وهي من الميزان. انظر كتاب الأزمنة
للمرزوقي ١: ٣١١ و١٩٣. ويريد بعد وهن من الليل.

(٨) كذا في الأصل وهو مصحف لا محالة، فلعل الأصل والله أعلم: «وكان غلي حماها جلب إلينا
الشمس إياها». والحميا: السورة والحدة والأيا بالكسر مقصوراً والأياء: بالفتح ممدوداً والآية:
بالفتح والكسر: ضوء الشمس.

(٩) الشعر للأقيشر. والأبيات خمسة في طبقات ابن قتيبة (ليدن ص: ٣٥٤) وروايتها: «وببك» وفي
نسخة: «ويحك» وفي الأصل: «وتيك».

(١٠) تعظمت وفي التاج والأساس: تعففت. (١١) طال وتأخر.

(١٢) جمع كروان محرراً كشقذان وشقذان.

(١٣) مثل أي تأتي فتدوسك بأخفافها. وأطرق أي غص من بصرك. يضرب للذي ليس عنده غناء
ويتكلم. قيل يصيدونه بهذه الكلمة فإذا سمعها يلبد في الأرض فيلقى عليه ثوب فيصا. الفرائد ١:

٣٦٦ ولقد أفاض في البحث وأوعب وأعجب وأسهب صاحب الخزانة ١: ٣٩٤ ونقل عن ابن =

يُسْأَلُ. فَإِنْ سُئِلَ تَعَيَّنَ عَلَيْهِ أَنْ لَا يَجِيبُ. فَإِنْ أَجَابَ فَفَرَضَ عَلَى السَّامِعِ أَنْ لَا يَسْمَعَ مِنْهُ، فَإِنْ خَالَفَ بِاسْتِمَاعِهِ فَفَرِيضَةٌ أَنْ لَا يَكْتُبَ مَا يَقُولُ. فَإِنْ كَتَبَهُ فَوَاجِبٌ أَنْ لَا يَنْظُرَ فِيهِ. فَإِنْ نَظَرَ فَقَدْ خَبَطَ خَبَطَ عَشَوَاءَ. وَقَدْ بَلَغَتْ سِنَّ الْأَشْيَاخِ. وَمَا حَارَ^(١) بِيَدِي نَفْعٌ مِنْ هَذَا الْهَدْيَانِ. وَالظُّعُنُ إِلَى الْآخِرَةِ قَرِيبٌ، أَفْثُرَانِي أَدَافِعُ مَلِكَ الْمَوْتِ فَأَقُولُ: (١) أَصْلَ مَلِكٍ مَالِكٌ وَإِنَّمَا أَخَذَ مِنَ الْأَلُوكةِ وَهِيَ الرِّسَالَةُ ثُمَّ قُلِبَ وَيَدُلُّنَا عَلَى ذَلِكَ قَوْلُهُمْ فِي الْجَمْعِ الْمَلَائِكَةُ لِأَنَّ الْجُمُوعَ تَرُدُّ الْأَشْيَاءَ إِلَى أَصُولِهَا، وَأَنْشُدُ قَوْلَ الشَّاعِرِ^(٢):

فَلَسْتُ لِإِنْسِيٍّ وَلَكِنْ لِمَلَأِكٍ تَنْزَلَ مِنْ جَوِّ السَّمَاءِ يَصُوبُ

فَيُعْجِبُهُ مَا سَمِعَ فَيُنْظِرُنِي سَاعَةً لِاسْتِغَالِهِ بِمَا قُلْتُ. فَإِذَا هُمْ بِالْقَبْضِ قُلْتُ: وَزَنَ مَلِكٌ عَلَى هَذَا مَعَلٌ لِأَنَّ الْمِيمَ زَائِدَةٌ. وَإِذَا كَانَ الْمَلِكُ مِنَ الْأَلُوكةِ فَهُوَ مَقْلُوبٌ مِنْ أَلِكٍ إِلَى لَأِكٍ. وَالْقَلْبُ فِي الْهَمْزِ وَهَمْزُ الْعَلَّةِ مَعْرُوفٌ عِنْدَ أَهْلِ الْمَقَائِيسِ. فَأَمَّا جَبَدٌ وَجَذَبٌ وَلَقَمٌ^(٣) الطَّرِيقَ وَلَمَقَهُ فَهُوَ عِنْدَ أَهْلِ اللُّغَةِ قَلْبٌ وَالنَّحْوِيُّونَ لَا يَرُونَهُ مَقْلُوباً بَلْ يَرُونَ اللَّفْظَيْنِ كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا أَصْلاً فِي بَابِهِ. فَوَزَنَ الْمَلَائِكَةُ عَلَى هَذَا مَعَاذَةً لِأَنَّهَا مَقْلُوبَةٌ عَلَى مَالِكَةٍ. يُقَالُ: أَلِكْنِي إِلَى فَلَانٍ قَالَ الشَّاعِرُ^(٤):

أَلِكْنِي إِلَى قَوْمِي السَّلَامَ رِسَالَةً بَأْيَةٍ مَا كَانُوا ضِعَافاً وَلَا عُزْلاً

وَقَالَ الْأَعَشَى فِي الْمَالِكَةِ:

= السيد فيما كتبه على الكامل أن الصواب: أنه شعر من الرجز: أطرق كراً أطرق كراً، إن النعام في القرى. والكر الكروان أو هو مرخمه.

(١) حار رجع وفي الأصل: حاز وهو تصحيف.

(٢) قال أبو عبيدة هو رجل من عبد القيس جاهلي يمدح بعض الملوك. وقال السهيلي: البيت مجهول قائله وقد نسبته ابن سيده إلى علقمة وأنكر ذلك عليه هـ. وأنا رأيت البيت مع ثلاثة أبيات أخرى في بعض النسخ من ديوان علقمة بن عبدة وفيه يصوب كيقول مع ندوب ويدوب ونضوب وما أكثر مَنْ يشككه فلست بالضم ويصوب كي بشر. وأما أصل ملك ففيه خلاف كثير اقتنع منه على قول واحد. انظر شرح الرضي على الشافية. قوله مقلوب من ألك إلى لأك الأولى من مأك إلى ملاك حتى يفيد هذا القلب تسهيل الهمزة قياساً مطرداً كما قالوا: يسلم في يسأل. قوله (في أول الصفحة التالية): فكانهم فروا الخ. غير واضح ولا دال على الغرض وقال غيره: إنهم لو جمعوا على مألكة وردوا المفرد عند الجمع إلى أصله لاشتبه بجمع مألكة وانظر السهيلي ٢: ١٢٢ وأنشد البيت سيبويه أيضاً ٢: ٣٧٩ غير معزو إلى قائل بعينه لكن الأعلام نسبته إلى علقمة كما مر.

(٣) من باب نصر: سد فمه.

(٤) هو عمرو بن شأس كما في الثلج. والسلام مفعول ثان ورسالة بدل منه وإن شئت حملته إذا نصب على معنى: بلغ عني رسالة. وأورده سيبويه مع تال له ١: ١٠١ قال الأعلام وصف تغريه عن قومه بني أسد الخ.

أبلغ يزيد بني شيبان مألكة^(١) أبا ثبيت^(٢) أما تنفك تأكل
فكانهم فرّوا من المألكة من ابتدائهم ثم بحثوا بعدها بالآلف فرأوا أن مجيء الألف
أولاً أخفّ كما فرّوا من شأى إلى شأى ومن نأى إلى ناء قال عمر بن أبي ربيعة^(٣) :
بانّ الحُمول فما شأونك نَفَرَة ولقد أراك تُشاء بالأظعان
وأُشد أبو عبيدة^(٤) :

أقول وقد ناءت بهم غُرْبَةُ النَّوَى نَوَى خَيْتَعُورٌ لَا تَشِطُّ دِيَارِكُ
فيقول الملك من ابن أبي ربيعة؟ وما أبو عبيدة؟ وما هذه الأباطيل؟ إن كان لك
عمل صالح فأنت السعيد وإلا فأخساً ورائك! فأقول: فأمهّلني ساعة حتى أُخبرك^(٥)
بوزن عِزرائيل وأقيم الدليل على أن الهمزة فيه زائدة. فيقول الملك هيهات! ليس الأمر
إليّ إذا جاء أجَلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون. أم تُراني أداري^(٦) مُكراً ونكيراً
فأقول كيف جاء اسمكما عربيّين منصرفين وأسماء الملائكة كلّها من الأعجمية مثل:
إسرافيل وجبرائيل وميكائيل^(٧). فيقولان: هاتِ حُجَّتكَ! وحلّ الزُخْرُفِ عنك. فأقول

(١) يريد أبا ثابت فصغره على التجريد. وتأكل في التاج إنما أراد تأتلك حكاه يعقوب في المقلوب له
أه. أقول ولم أجده في كتاب القلب له. وقيل: من الايتكال وهو الفساد والسعي بالشر. وقالوا:
تأكل تحتك من الغيظ، وورد أبو ثابت مكبراً في بيت للأعشى أنشده سيبويه ٢: ١٥٠ أبا ثابت
فاذهب وعرضك سالم.

(٢) نقيت عن البيت في النسخ الثلاث المطبوعة من ديوانه فخاب رجائي وفي اللسان والتاج أنه
للحرث بن خالد المخزومي. وفي اللسان وشأني الشيء أعجبنني شأواً وقيل: حزني ثم أنشد البيت
وقيل: شأني: طرّبنني وقيل: شافني. ابن سيده وشأني الشيء سبقني وشأني حزني مقلوب من
شأني... وقال الحرث بن خالد المخزومي فجاء بهما مر الحمول البيت:
تحت الخدور وما لهن بشاشة أصلاً خوارج من قفا نعيمان
أه.

وأنا أظن أنه سمع أن البيت للمخزومي فظنه عمر وهو الذي علق بحفظه. ونقرة أدنى شيء، وفي
المقتضب لابن جني طبع أوروبا ص: ٥ مشوء محزون ثم أنشد البيت.
(٣) وفي التاج واللسان وأنشد يعقوب: وخيتعور كل ما لا يدوم على حالة.
(٤) وفي نسخة: إذا أرى.

(٥) هذه أسماء من الأعجمية لم تكن العرب تعرفها ووردت في كثير من شعر الجاهلية. انظر المعرب:
١٤٣ و ٥٠ وغيرهما. وأما هذه التعنّنات التي عاناها أبو علي الفسوي في وزن أمثالها فليس الغرض
منها إلا التمرين وشحذ الخاطر ليس إلا. ومن ظن أن منشأها عدم معرفتهم بغير العربية من اللغات،
وظن هذه الكلمات عربية فقد باعد ولم يصب الغرض. وهذا التبريزي ذكر (٤: ٣) اشتقاق موسى
كما هنا ثم قال: إنه تعريب موسى بالعبرانية. وقال أبو العلاء نفسه على ما نقل عنه الجواليقي:
١٣٥: لم أعلم أن في العرب من سمى موسى زمان الجاهلية وإنما حدث هذا في الإسلام لما نزل
القرآن وسمى المسلمون أبناءهم بأسماء الأنبياء على سبيل التبرك. فإذا سموا بموسى فإنما يعنون =

متقرباً إليهما: كان ينبغي لكما أن تعرفا ما وزن جبرئيل وميكائيل على اختلاف اللغات إذ كانا أخويكما في عبادة الله عز وجل. فلا يزيدهما ذلك إلا غيظاً. ولو علمت أنهما يرغبان في مثل هذه العلل لأعددت لهما^(١) شيئاً كثيراً من ذلك (٤) ولقلت ما تريان في وزن موسى^(٢) اسم كليم الله الذي سألتماه عن دينه وحجته، فأبان وأوضح. فإن قالوا: موسى أعجمي إلا أنه يوافق من العربية على وزن مَفْعَل وفُعْلَى، أما مَفْعَل إذا كان من بنات الواو مثل أُوسَيْثُ وأُورَيْثُ وأُورَيْثُ فإنك تقول موسى ومورى. وإن كان من ذوات الهمز فإنك تخفّف حتى تكون الواو خالية من مَفْعَل. تقول آنيثُ العشاء فهو مُؤْنَى وإن خَفَفْتَ قلتُ مُؤْنَى قال الحطيئة^(٣):

وآنيثُ العشاء إلى سُهيل أو الشُّغرى فطالَ بيَ الأناء^(٤)

وحكى بعضهم^(٥) همز موسى إذا كان اسماً. وزعم النحويون أن ذلك لمجاورة الواو الضمة؛ لأن الواو^(٦) إذا كانت مضمومة ضمّاً لغير إعراب أو غير ما يشاكل الإعراب جاز أن تحوّل همزة كما قالوا أَقَيْثُ^(٧) ووُقَيْثُ وحمّام وُرُق وُزُق ووُسُحَتْ وأُسُحَتْ. قال الهذلي^(٨):

أبا مَعْقِلَ إن كنت أَشَحْتَ حَلَةً أبا مَعْقِلٍ فانظر لسهمك من نُرْمِي

وقال حميد بن ثور الهلالي (رض):

= الاسم الأعجمي لا موسى الحديد وهو عندهم كعيسى ه وهذا نص على ما ذهبنا إليه، فتنبه له ولا تكن مع شعبية العصر الحاضر في الغض من العرب والتنقص لهم. وموسى معناه بالعبرية: المنتشل من الماء.

(١) في نسخة: «لهم».

(٢) راجع لإتمام البحث التبريزي مصر ٤: ٢، والمعرب للجواليقي: ١٣٥ والتاج مادة: موس، وشروح الشافية مبحث ذي الزيادة. مفعّل على قول البصريين وفعلّى على قول الكوفيين.

(٣) ديوان الحطيئة صنع السكري: ٢٥.

(٤) هذه رواية أبي عمرو بن العلاء ورواية ابن الأعرابي بي العشاء. أي أخرت عشائي عنكم إلى آخر الليل. يهجو الزبرقان ورهطه.

(٥) هو أبو علي الفسوي كما قال الرضي (٣٥٨ لاهور سنة ١٣١٥هـ) أنه حكى همز المؤقدين ومؤسى في البيت الآتي كما صرح أبو العلاء نفسه فيما بعد. وأرى النحاة لهجين بالهمز فرووا الهمز في قول العجاج فخندف هامة هذا العالم. وروى ابن السكيت في الألفاظ: ٦٧٢ عن امرأة لها ما أذهب أسنانك؟ قالت: أكل الحار وشرب القار بالهمز فيهما.

(٦) انظر شروح الشافية مبدأ بحث الإبدال وابن يعيش ص: ١٣٥٩، والقلب لابن السكيت: ٥٦ والنوادير للقاللي ٢: ١٦٨ وغيرها.

(٧) في قوله عن من قائل: ووفيت كل نفس ما كسبت الآية.

(٨) هو معقل بن خويلد. أشعار الهذليين ١: ١٠٨. وروي شارحها اللغتين جميعاً. وأبو معقل هو عبد الله بن عتبة. وروايتها فانظر بنبلك.

وما هاجَ هذا الشوقَ إلاَّ حمامةٌ دعت ساقَ حُرٍّ تَرَحَّةً وتَرثُما
ومن الأرقَ حَمَاءُ العِلاطينَ باكرت عسيبَ أشاءَ مَطْلَعِ الشمسِ أسحماً^(١)
وقد ذكر الفارسي هذا البيت مهموزاً^(٢):

أَحْبُ الْمُؤَقَّدِينَ إِلَيَّ مُؤَسَى وَحَزْزَةُ لَوْ أَضَاءَ لِي الْوَقُودُ
وعلى مجاورة الضمة جاز الهمز في سَوْق^(٣) جمع ساق في قراءة من قرأ كذلك
ويجوز أن يكون جُمع على فُعُل مثل أُسَدَ فيمن ضمَّ السين ثم هُمزت الواو ودخلها
الساكنُ بعد أن ذهب فيها حكم الهمز. وإذا قيل إن موسى فُعَلِي. فإنَّ جُعِلَ أصله^(٤)
الهمز وافق فُعَلِي من مَأْسَ بين القوم إذا أفسد بينهم. قال الأَفْوَه^(٥):

إِذَا تَرَى رَأْسِي أَرْزَى بِهِ مَأْسُ زَمَانٍ ذِي انْتِكَاسٍ مَوْسُ
ويجوز أن يكون فُعَلِي من مَأْسَ يَمِيسُ فَقُلِبَتِ الياءَ واواً للضمة كما قالوا
الْكُوسَى^(٦) من الكَيْسِ. ولو بنوا فُعَلِي من قولهم هذا أَعِيشُ من هذا وأَغِيزُ منه لقالوا
العُوشَى والعُوظَى. فإذا سمعتُ ذلكَ منهما قلتُ: لله دَرَكُما! لم أكن أحسب أن
الملائكة تنطق بمثل هذا الكلام وتعرف أحكام العربية. فإنَّ عُشِيَّ عَلِيٍّ من الخيفة ثم
أَفَقْتُ وقد أشارا إِلَيَّ بِالْإِرْزَةِ^(٧) قلتُ: تَثَبَّتَا رَحِمَكُمَا (كذا؟) الله (٥) كيف تصغران
الإِرْزَةَ وتجمعانها جمعَ تكسير؟ فإنَّ قالا: أُرْزِزَةُ وَأَرَازُبُ بالتشديد. قلتُ: هذا وهمٌ
إنما ينبغي أن يقال أُرْزِزَةُ وَأَرَازُبُ بالتخفيف. فإنَّ قالا: كيف قالوا علاني فشددوا كما
قال القريني^(٨):

(١) البيتان من كلمة له معروفة أورد جملها ابن السبكي في طبقات الشافعية ١: ١١١. وغيره وساق حر
ذكر القماري تزعم العرب أن جميع الحمامات تبكيه وكان في الدهر الأول، فهلك ويدعونه تارة
الهديل. حماء العلاطين الحماء السوداء. والعلطان والعلطتان الرقمتان اللتان في أعناق القماري.
عسيب ورواية اللسان: قضيب.

(٢) لجريز، انظر ديوانه ١: ٥٨ وروايته: لحب الوفدان... وجعدة لو أضاءهما. وشرح شواهد
المعنى: ٣٢٥ وموسى ابنه كحزة الذي كان جريز يكنى به وجعدة ابنته.

(٣) في قوله عز وجل بالسوق والأعناق.

(٤) في نسخة: أن أصله.

(٥) الأودي سنيته الشهيرة ولكن لم أر من نقل هذا البيت. والمعنى واضح.

(٦) انظر الكتاب: ٢: ٣٧١ مصر. وحكى ابن خالويه (ليس ٤٦، مصر) طيبي وكيسي أيضاً.

(٧) مشدداً والمرزبة بالكسر مخففاً عصية من حديد.

(٨) وفي أخرى العريفي وكلاهما نكرة لم تتعرف. وقد ورد في الأدباء ٥: ٢٧٦ اسم شاعر يدعى
العريفي العنسي بالنون.

وذي نجوات طامح الطرف جاوبت حوالى فلوّى من علابيّة مري^(١)
قلت: ليس الياء كغيرها من الحروف. فإنها وإن لحقها التشديد ففيها عنصر من
اللّين. فإن قالوا: أليس قد زعم صاحبكم عمرو بن عثمان المعروف بسبويه أن الياء إذا
شدّت ذهب منها اللين وأجاز في القوافي طباً مع ظي^(٢). قلت: وقد زعم^(٣) ذلك إلا
أن السماع عن العرب لم يأت فيه نحو ما قال إلا أن يكون نادراً قليلاً، فإذا عجبنا مما
قالاه أظهر لي تهاوناً بما يعلمه بنو آدم. وقالوا لو جمع ما علمه أهل الأرض على
اختلاف اللغات والأزمنة ما بلغ علم واحد من الملائكة يحدّونه فيهم ليس بعالم.
فأسبّح الله وأمجّده وأقول قد صارت لي بكما وسيلة فوسّعاً لي في الجّدث^(٤) إن
شئتُما بالثناء، وإن شئتُما بالفاء^(٥) فإن إحداهما تبدل من الأخرى كما قالوا: مغايرُ
ومغايرُ وأفافي وأثافي وفوم وثوم. وكيف تقرأ رحكمكما الله هذه الآية: ﴿وثومها
وعَدْسها﴾ بالثناء. كما في مصحف عبد الله بن مسعود أم بالفاء كما في قراءة الناس.
وما الذي تختاران في تفسير الفوم^(٥) أهو الحنطة كما قال أبو محجن^(٦).

قد كنتُ أحسبني كأغنى واجد قديم المدينة من زراعة فوم
أم الثوم الذي له رائحة كريهة إلى ذلك ذهب الفراء وجاء في الشعر الفصيح. قال
الفرزدق:

من كل أغبر كالراقود حُجَزَتْهُ إِذَا تَعَشَّى عَتِيقَ التَّمْرِ وَالْفُومِ^(٧)

(١) قوله ذي نجوات في أخرى ذي نخوات. وقوله: جاوبت في أخرى جادبت. وقوله: علابيه في
أخرى علانيه وهو تحريف. وقوله: مري في أخرى مدى أو مدلي، وأكثر هذه الروايات مصحف
قد حرت فيه.

(٢) كذا في الأصل. وفي نسخة: طيا مع طي.

(٣) في نسخة: ولقد زعم.

(٤) البحث موعب في كتاب القلب ٣٤ والنوادر ٢: ٣٦. وحكى الفراء المغاير والمغاير وهي شيء
ينضحه الثمام والرمث والعشر كالعسل. وثومها في قراءة ابن مسعود ذكره ابن السكيت والقالبي أيضاً.
ولكن الذي حكاه القالبي عن اللحياني وابن السكيت عن بعض تميم الأثافي والأثافي لا كما هنا.

(٥) وراجع الأقوال في معناه في اللسان.

(٦) أغفل البيت العسكري في ديوانه وهو مذكور في اللسان برواية واحدة بالمهملة وما هنا أصح. وورد
في الروض الأنف ٢: ٤٥ معزواً لأبي أحيحة بن الحلاج أو أبي محجن الثقفي رضي الله عنه -
بلفظ: قد كنت أغنى الناس شخصاً واحداً.

(٧) في ديوانه (مصر):

من كل أقعس كالراقود حجزته مملوءة من عتيق التمر والثوم
ومثله في طبعة بوشهر ص: ١١.

فيقولان أو أحدهما: إنك لتهدم الحول^(١) وإنما يوسع لك في رَيْمِكَ (٧) عَمَلِكَ. فأقول لهما: ما أفصحكما! لقد كنتُ سمعت من الحياة الدنيا أن الرَّيْمَ القبر وسمعتُ قول الشاعر:

إذا مُتُّ فاعتادي القبورَ فسَلِّمي على الرَّيْمِ أسقيتِ السحابَ الغوادي^(٢)

وكيف تبنيان رحمكما الله من الرَّيْمِ مثل إبراهيم؟ أترَيان فيه رأي الخليل وسيبويه فتجيزان أن تبنيا من العربيِّ مثل الأعجميِّ. فيقولان تُرْباً لك! ولمن سَمَّيت. أي علم في وُلْد آدم؟ إنَّهم القوم الجاهلون. وهل أتودد^(٣) إلى مالك خازن النار، فأقول: رحمك الله (٨) أخبرني ما واحد الزَّبَانِيَّة^(٤)؟ فإن بني آدم فيه مختلفون فيه. يقول بعضهم^(٥): الزَّبَانِيَّة لا واحد لهم من لفظهم، وإنما يُجْرَوْنَ. مُجرى السَّوَّاسِيَّة أي القوم المستوين في الشرِّ قال^(٦):

سَّوَّاسِيَّةٌ سُودُ الوجوه كَأَنَّمَا بطونُهم من كثرة الزاد أوطُبُ

ومنهم من يقول واحد الزبانية زبنيَّة وقال آخرون: واحدهم زبني أو زباني^(٧). فيعبس لما سمع ويكفهر. فأقول: يا مال! رحمك الله ما ترى في نون (٩) غسِلين وما حقيقة هذا اللفظ؟ أهو مصدر^(٨) كما قال بعض الناس أم واحد أم جمع أُعربت نونه تشبيهاً بنون مسكين كما أثبتوا نون قُديْن وسينين في الإضافة وكما قال سُحيم بن وَثيل^(٩):

(١) كذا. وفي نسخة: لمهدم الخ.

(٢) رواية غير أبي العلاء وسلمي، وعلى الرسم. ولكن في اللسان على الريم والبيت من قصيدة معروفة لمالك بن الرِّيب سردها القالي ٣: ١٣٦ والبغدادى ١: ٣١٩ وقبل البيت:

(٣) فيا ليت شعري هل بكت أم مالك كما كنت لو عانوا نعيك باكيا في نسخة: أتردد.

(٤) في نسخة: رحمك الله ما واحد الزبانية.

(٥) منهم الأخفش كما في التاج، وهو الصواب.

(٦) لم أجد البيت في مظانه الحاضرة. وأوطب، جمع وطب اللبن.

(٧) كان في الأصل: زبني أو زبني؟ وفي نسخة: زبني أو زبني بفتح فسكون في الأول وفتحتين في الثانية مع تشديد الياء. والزبنيَّة نقله الأخفش والزجاج. والزبني بالكسر عن الكسائي كما في التاج وإن ثبت فيه الفتح يصح ما كان في الأصل أعني «زبني أو زبني» غير مشكول الزباني بتشديد الياء على ما هو الظاهر وضبطه في التاج كسكارى نقله في الصحاح عن الأخفش. وهناك قول آخر في مفردة أنه زابن عن الأخفش كما في الصحاح واللسان.

(٨) في نسخة: هذا اللفظ هو مصدر.

(٩) من قصيدته الشهيرة: انظرها في الأصمعيات: ٧٤، والخزانة ١: ١٢٦، وحماسة البحتري: ٢٥ وغيرها. ويدري يختل. ويروى إذا جاوزت والبيت من شواهد النحو. وأما إعراب النون فالقول فيه قول ابن مالك:

ماذا يَدْرِي الشعراءُ مِنِّي وقد جاوزتُ حَدَّ الأربعين
فأعربَ النونَ. وهل النون في (١٠) جهنَّم زائدة؟ أمَّا سيبويه فلم يذكر في
الأبنية فعلاً^(١) إلا قليلاً. وجهنم اسم أعجمي^(٢). ولو حملناه على^(٣) الاشتقاق لجاز
أن يكون من الجَهامة في الوجه ومن قولهم تجهمتُ الأمر إذا جعلنا النون زائدة
واعتقدنا زيادتها في هَجَنَفٍ^(٤) وأنه مثل هَجَفَ وكلاهما صفة الظليم قال الهذلي^(٥):

كأن ملاءتي على هَجَفٍ تفرُّ مع العشيّة للرّئال
وقال جرّانُ العود^(٦):

يشبّهُها الرائي المشبّه بيضَةً غداً في النّدى عنها الظليم الهَجَنَفُ
وقال قوم رَكِيَّة جهنّام إذا كانت بعيدة القعر. فإن كانت جهنم عربيّة فيجوز أن
تكون من هذا. وزعم قوم إنه يُقال: أحمرُ جهنّام^(٧) إذا كان شديد الحمرة. ولا يمنع
أن يكون اشتقاق جهنّم منه. فأما (١١) سَقَرُ فإن كان عربياً فهو مناسب لقولهم
سَقَرْتُهُ^(٨) إذا ألمت دماغه. قال ذو الرّمة:

وبابه ومثل حين قد يرد ذا الباب وهو عند قوم مطرد
يريد إعراب النون بالتزام الياء في الحالات الثلاث وأنشدوا على إثبات النون في الإضافة:
دعاني من نجد فإن سنينه لعبن بنا شيباً وشيبننا مرد
وفي نسخة فعلاً بفتحتي وتشديد اللام الأولى.

- (٢) فارسي أو عبراني أصله كهنام. وانظر البحث مستقصى في المعرب: ٤٧ والتاج مادة جهنم.
- (٣) وفي نسخة ولو حملنا على.
- (٤) كذا هو مشكولاً في اللسان وهو كالهجف بالكسر الظليم الجافي الكثير الزف.
- (٥) هو الأعلام. انظر أشعار الهذليين ق: ١ : ٦٢، وحماسة البحتري: ٨٠ وروايتهما على هزف يعن فلا استشهاد. نعم قال السكري: وهزف وهجف واحد فعلل هجفاً أيضاً رواية. ويعن (بضم العين) لغة هذيل ويعن (بالكسر) لغيرهم بمعنى يعترض وتفر هنا تصحيف. ثم ورد هجف في بيت ابن ثُرَيْي يَجِيبُ عمراً ذا الكلب لا في بيت عمرو كما ذهب على صاحب اللسان (أشعار الهذليين ق: ١ : ٢٣٩):

فلا تتمنني وتمن جلفاً قراقرة هجفاً كالخيال

- والخيال هو الصواب وتصحف في اللسان بالجبال.
- (٦) من فائية له معروفة مطربة ولكن لم أجد هذا البيت في مظانه الموجودة والضمير إلى امرأة. والنعامة يضرب بها المثل في الغفلة عن البيض قال:

كشاركة بعضها بالعراء وملحفة بيض أخرى جناحا

- (٧) هذا المعنى ليس في معاجم اللغة المعروفة. وهذا دليل على ما منحه الرجل من سعة النظر والاطلاع، وطول الباع والاضطلاع، بغرائب اللغة والأنواع. وجهنم بكسرتين أو مثلث.
- (٨) من باب نصر.

إذا دانت الشمس اتقى سقراتها بأفنان مربوع الصريمة مقبل^(١)
والسين والصاد يتعاقبان في الحرف^(٢) إذا كان بعدهما قاف أو خاء أو غين أو
طاء. تقول: سَقَبَ وصَقَبَ، وسَوِقَ وصَوِقَ، وبَسَطَ وبَصَطَ، وسَلَعَ^(٣) الكبش
وصَلَعَ. فيقول مالك: ما أجهلك! وأقل تمييزك! ما جلست هنا للتصريف وإنما جلست
لعقاب الكفرة والقاسطين. وهل أقول للسائق والشهيد اللذين ذكرا في كتاب الله عز
وجل: ﴿وَعَاثَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيدٌ﴾^(٤): (١٢) يا صاح! أنظراني. فيقولان:
تخاطبنا مخاطبة الواحد ونحن اثنان. فأقول: ألم تعلمنا أن ذلك جائز من الكلام. وفي
الكتاب العزيز: ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ هَذَا مَا لَدَىٰ عَيْنِي﴾^(٥) أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ كُلٌّ كَقَارِ عَيْنِي^(٦) فَوَحَّدَ
القرين وثنى في الأمر كما قال الشاعر^(٧):

فإن تزجراني يا ابن عَفَا انزجر
وكما قال امرؤ القيس:

خليلي مُرَا بي على أم جُنْدَب
لنقضي حاجات الفؤاد المعذب
ألم تر أني كلما جئت طارقاً
وجدت لها طيباً وإن لم تطيب

- (١) دانت النعاج فاعلت من الدنو. اتقى الثور ورواية الديوان ص: ٥٠٤:
إذا دانت الشمس اتقى سقراتها بأفنان مربوع الصريمة معبل
وفي الشرح الصقرات شدة وقع الشمس. ومعبل مورك وقيل: الذي سقط ورقه. ومن اللزوم:
لستريحها فكم عانى أذى قرس عند الشتاء ولاقى وغرة فصقر
(٢) راجع للتفصيل شروح الشافية بحث الإبدال وابن يعيش ١٣٩١ والقلب: ٤٢، والخفاجي على
الدرة: ٣٣ والدرة: ٩ ووفيات الأعيان ٢: ١٦٢. وحكى النضر بن شميل أنه لغة بلعبر بن
عمرو بن تميم.
(٣) كمنع خرج نابه وكان في الأصل بالعين المهملة في اللفظتين وهو تصحيف.
(٤) أنشد البيت كثيرون منهم: صاحب الصاحب: ١٨٦، والتبريزي في شرح القصائد العشر، كلكتة
ص: ١ مع تال له وهو:
أبيت على باب القوافي كأنما أصادي بها سرباً من الوحش نزعا
وهذا التالي موجود دون السابق في البيان ٢: ٦ (الثانية) وطبقات ابن قتيبة (ليدن ص: ١٧ و ٤٠٣)
في أبيات لسويد بن كراع ومن القصيدة:
وجشمني خوف ابن عفان ردها فشقتها حولاً جريداً ومربعا
فلم يبق ريب في أن الشاهد له في هذه القصيدة عينها: ولسويد مع عثمان رضي الله عنه خبر ذكره
ابن قتيبة، ثم رأيت صاحب اللسان ذكره (جزز) ونقل عن ابن بري أبياتاً من القصيدة تدل على أن
الخطاب هنا لاثنتين حقيقة ورواية ابن بري: فإن تزجراني باین (بالباء) عفان قال: والمخاطبان
سعيد بن عثمان ومن ينوب عنه أو يحضر معه، وانظر تصحيح لسان العرب، القسم الأول لأحمد
تيمور باشا، ص: ٣٣.

هكذا أنشده القراء . وبعضهم يُنشد ألم ترياني ^(١) . وأنشد أيضاً ^(٢) :

فقلت لصاحبي لا تحيسانا بنزع أصوله واجتز شئحنا
فهذا كله يدل على أن الخروج من مخاطبة الواحد إلى الاثنين ومن مخاطبة
الاثنين إلى الواحد شائع عند الفصحاء . وهل أجيء في جماعة من جهابذة الأدباء
فَصَرَتْ أعمالهم عن دخول الجنة ولحقهم عفو الله فَرَحَزُوا عن النار فَتَقَفَ على باب
الجنة فنقول (١٣) يا رِضْوُ ^(٣) لنا إليك حاجة ويقول بعضنا: يا رِضْوُ فيضّم الواو .
فيقول: رضوان ما هذه المخاطبة التي ما خاطبني بها قبلكم أحد . فنقول: إنا كنا في
الدار الأولى نتكلم بكلام العرب وإنهم يُرَحِّمون الذي في آخره ألف ونون فيحذفونهما
للترخيم . وللعرب في ذلك لغتان يختلف حكماهما، قال أبو زبيد ^(٤) :

يا عُنْمَ! أدركني فإن رَكَيْتِي صَلَدْتُ فَأَعَيْتُ أَنْ تَفِيضَ بِمَائِهَا

فيقول رضوان: ما حاجتكم؟ فيقول بعضنا: إنا لم نَصَلْ إلى دخول الجنة لتقصير
الأعمال وأدركنا عفو الله فنجونا من النار . فبقينا بين الدارين ونحن نسألك أن تكون
واسطتنا إلى أهل الجنة فإنهم لا يستغنون عن مثلنا . وإنه قبيح بالعبد المؤمن أن ينال
هذه النعم وهو إذا سَبَّحَ اللَّهَ لَحَنَ . ولا يحسنُ بساكن الجنان أن يصيبَ من ثمارها في
الخلود وهو لا يعرف حقائق تسميتها . ولعل في الفردوس قوماً لا يدرون (١٤)
أحروف الكُمَثْرَى كلها أصلية أم بعضها زوائد؟ ولو قيل لهم ما وزن كمثرى على

(١) وهي الموجودة في نسخ الديوان المتداولة .

(٢) البيت أنشده التبريزي ١ : ٢٢٥ والرضي : ٣٦٦ والجوهري مادة جز وابن فارس في الصحابي :
١٨٦ ، والتبريزي في شرح القصائد العشر الطوال : ١ ، كلكتة وتكلما على المبحث تكلماً شافياً
كالنحاس في شرح معلقة امرئ القيس ص : ٣ و ٤ ، وهو ليزيد بن الطثري ويروى : أجذر بإبدال
التاء دالاً خلافاً للقياس والمعنى : قلت لصاحبي لا تحبسني بنزع أصول الكلأ واقطع شياً ودع
أصوله في الأرض لثلاث يطول المكث هنا كذا في الجاربردي : ٣٢٨ استنبول :

(٣) وزن قوله هذا بقوله من اللزوم :

أفهم أخاك بما تشاء ولا تبلى يا حار قلت هناك أو يا حار
غرض الفتى الإخبار عما عنده ومن الرجال بقوله سحار
وقوله :

يا رضو لا أرجو لقاءك بل أخاف لقاء مالك

(٤) وفي الأصل أبو زيد : ويا غنم . يريد عثمان رضي الله عنه وكان أبو زيد خصيصاً به كما قال ابن
عساكر في ترجمته ٤ : ١٠٨ . إلا أنه قلب فجعل الابن أباً وبالعكس وهو منذر بن حرملة . ولم أجد
البيت الشاهد فيما وصلته يدي . وصلدت من باب ضرب . والمعنى ظاهر . ثم وجدته والحمد لله
على ما أصلحت في كتاب صفة البئر لابن الأعرابي إلا أن فيه تبض جدل تفيض .

مذهب أهل التصريف لم يعرفوا فَعَلَّى . وهذا بناء مستنكر لم يذكر سيبويه له نظيراً . وإذا صح قولهم للواحدة كَمَثْرَة فألف كَمَثْرَى ليست للتأنيث . وزعم بعض أهل اللغة أن الكَمَثْرَة^(١) تداخل الشيء بعضه في بعض . فإن صح هذا فمنه اشتقاق الكَمَثْرَى^(٢) . وما يجُمَل بالرجل من الصالحين أن يصيب من (١٥) سَفَرَجَل الجَنَّة وهو لا يعلم كيف تصغيره وجمعه؟ ولا يشْعُرُ إن كان يجوز^(٣) أن يُشْتَقَّ منه فعل أو لا؟ والأفعال لا تُشْتَق من الخماسية . لأنهم نقصوها عن مرتبة الأسماء فلم يَبْلُغوا بها بنات الخمسة . مثل إِسْفَرَجَل يَسْفَرَجَل اسفرجالا (١٦) وهذا السُّنْدُس^(٤) الذي يطأه المؤمنون ويُفَرِّشونه كم فيهم من رجل لا يدري أوزنه فَعَلَّل أم فُتْعَلُ والذي نعتقد فيه أن النون زائدة وأنه من السُّدوس^(٥) وهو الطيلسان الأخضر قال العَبْدِيُّ^(٦) :

وداويتها حتى شئت حَبَشِيَّةً كأن عليها سُنْدُساً وسُدوساً

ولا يمتنع أن يكون سندس فُعْلُلاً ولكن الاشتقاق يوجب ما ذكر . (١٧) وشجرة طُوْبَى كيف يستظل بها المتقون ويعتقوننها آخر الأبد وفيهم كثير لا يعرفون أمن ذوات الواو هي أم من ذوات الياء؟ والذي نذهب إليه إذا حملناها على الاشتقاق أنها من ذوات الياء . لأننا إذا بنينا فعلاً ونحوه من ذوات الواو قلبناها ياءً عَيْدٌ وقيلٌ، وهما من عاد يعود وقال يقول . فإن قال قائل : فلعل قولهم : طاب يطيب من ذوات الواو وجاء

(١) ولفظ اللسان : الكمثره فعل ممات وهو تداخل الشيء بعضه في بعض . وقيل : إن الكمثرى ليست

بعربية وراجع التاج . وذكره الجواليقي : ١٣٣ مخففاً ونقل عن أبي حاتم أن قوماً يزعمون أنه لا يجوز غير التخفيف . قال : وأما الأصمعي فإنه لم يعرف التخفيف أصلاً . ولم يذكر في تعريبه شيئاً .

(٢) هذا قول ابن دريد ولفظه .

(٣) وفي نسخة : أن يجوز .

(٤) رقيق الديباج وغلظه الاستبرق . قال الجواليقي : ٧٩ لم يختلف أهل اللغة في أنه معرب مثله في القاموس والتاج .

(٥) بالضم وقد يفتح وهو أحد الأسماء الأربعة التي أتت على فعول بالضم كما قال ابن خالويه في ليس له : ٤٠ .

(٦) هو يزيد بن خذاق بالمعجمات الثلاث . وفي التاج وغيره : خذاق بالحاء المهملة وهو تصحيف .

من شعراء المفضلين (مصر ٢ : ٤٦ ، ٤٧) والبيت ثاني أحد عشر بيتاً والأول :

ألا هل أتاها في شكة حازم لدى وأني قد صنعت الشموسا

صنعت يريد ضمرت وكذلك داويت . والشموس فرسه . وشتت أخضرت من العشب وسمت .

على مثال حَسِبَ يحسب وقد ذهب إلى ذلك قوم في قولهم تَأَ يَتِيَهُ وهو من تَوَهَّتْ^(١). قيل له: يمنع من ذلك أنهم يقولون طَيَّبْتُ الرجلَ ولم يحك أحد طَوْبَهُ. والمطَيَّبون^(٢) أحياء من قريش اختلفوا فَعَمَسُوا أيديهم في طيب. فهذا يدلُّك على أن الطيب من ذوات الياء. وكذلك قولهم: هذا أطيَّب من هذا. فأما حكاية أهل اللغة أنهم يقولون أُوْبَةً وطَوْبَةً^(٣) فإنما ذلك على معنى الإتيان كما يعتقد بعض الناس في قولهم حَيَّاكَ اللهُ وَبَيَّاكَ^(٤) أنه إتيان وأن أصل بَيَّاكَ بَوَّاكَ أي بَوَّاكَ منزلاً تَرْضَاهُ^(٥). وأما قولهم لِلْأَجْرِ طُوبُ^(٦) فإن كان عربياً صحيحاً فيجوز أن يكون اشتقاقه من غير لفظ الطيب إلا على رأي أبي الحسن سعيد بن مسعدة فإنه إذا بني فعلاً من ذوات الياء يَقْلِبُهُ إلى الواو فيقول: الطُّوبُ والعُوشُ^(٧). فإن كان الطُّوبُ الْأَجْرُ اشتقاقه من الطيب فإنما أريد به والله أعلم أن الموضع الذي يُبْنَى به طابت الإقامة فيه. ولعلنا لو سألنا من يرى طوبى في كل حين^(٨) لِمَ حُذِفَ منها الألف واللام لم يُحِزْ في ذلك جواباً. وقد زعم سيبويه أن الفعل الذي تؤخذ من أفعل منك لا تُستعمل إلا بالألف واللام أو الإضافة تقول هذا أصغر منك فإذا رددته إلى المؤنث قلت: هذه الصُّغرى أو صُغرى بناتك. ويُقْبَحُ عنده أن يقال: صغرى بغير إضافة ولا ألف ولا م^(٩) وقال سَحِيمٌ^(١٠):

(١) نقله في التاج عن ابن سيده. ومما يدل له التوه بالفتح ويضم الهلاك عن أبي زيد لغة في التيه. وتاه يتوه لغة. وما أتوهه. وتوه تنويهاً. وفلاة توه بالضم.

(٢) في المنسوب للثعالبي: ١١٠ هم أحلاف من قريش اجتمعوا لذلك وغسلوا أيديهم في الطيب ثم تصافحوا وتحالفوا وتعاهدوا. وحلف الفضول غير هذا الحلف لا هذا كما ذهب على اللغويين. وانظر التاج (طيب) والمنسوب: ١١٠ والسهيلي مع السيرة ١: ٩٠ - ٩٢.

(٣) لفظ اللسان يقال للداخل: طوبة وأوبة يريدون الطيب في المعنى دون اللفظ لأن تلك ياء وهذه واو. وهذا الاتباع أغفله ابن فارس في كتابه.

(٤) وفي كتاب الاتباع لابن فارس بياضه.

(٥) وفي الأصل: يرضاه.

(٦) في المعرب: ١٠٥ الطوبة لغة شامية وأحسبها رومية. قال الجوهري مصرية وابن دريد شامية وأظنها رومية وجمع بينهما ابن سيده.

(٧) وفي الأصل: الغرش بالمعجمية وهو تصحيف إذ ليس مادة «غيش» ثمة أصلاً. على أنه مضى له ذكر العوشى من العيش تحت عدد: ٤.

(٨) هذه الاستشكال على رأى من يراه من أفعل منك وأما من يزعمه مصدر كالجرجى والسقيفا فلا يستشكل شيئاً. وقال الرضي والجاربردي: إما أن يكون طوبى مصدر كالجرجى قال تعالى: ﴿طُوبَى لَهُمْ﴾ أي طيباً. وإما أن يكون انثى أطيَّب منك فحقه الطوبى بآل وفي شرح الهادي أنه هو إلا أنه أجري مجرى الأسماء؛ لأنه لا يكون وصفاً بغير أل فأجري مجرى الأسماء التي لا تكون صفات. ومثله كوسى.

(٩) ولكني رأيت صاحبنا خالفه في اللزوم حيث يقول:

ذهبنَ بِمِسْوَاكِي وَغَادِرْنَ مُذْهَباً مِنْ الصُّوْغِ فِي صُغْرَى بَنَانٍ شِمَالِيَا
 وَقَرَأَ بَعْضُ الْقُرَّاءِ: وَقَوْلُوا لِلنَّاسِ: حُسْنَى عَلَى فُعْلَى بِغَيْرِ تَنْوِينٍ. وَكَذَا قَرَأَ فِي
 الْكَهْفِ إِذَا أَنْ تُعَذَّبَ وَإِنَّمَا أَنْ تُتَّخَذَ فِيهِمْ حُسْنَى عَلَى فُعْلَى بِغَيْرِ تَنْوِينٍ. فَذَهَبَ
 سَعِيدُ بْنُ مَسْعَدَةَ أَنَّ ذَلِكَ خَطَأٌ لَا يَجُوزُ وَهُوَ رَأْيُ أَبِي إِسْحَاقَ الزَّجَّاجَ لِأَنَّ الْحُسْنَى
 عِنْدَهُمَا وَعِنْدَ غَيْرِهِمَا مِنْ أَهْلِ الْبَصْرَةِ يَجِبُ أَنْ تَكُونَ بِالْأَلْفِ وَاللَّامِ كَمَا جَاءَ فِي مَوْضِعٍ
 وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى. وَكَذَلِكَ الْيُسْرَى وَالْعُسْرَى لِأَنَّهَا أَتَتْهُ أَفْعَلَ مِنْكَ. وَقَدْ زَعَمَ سَيَبَوِيهُ أَنَّ
 أُخْرَى مَعْدُولَةٌ عَنِ الْأَلْفِ وَاللَّامِ. وَلَا يَمْتَنِعُ أَنْ يَكُونَ حُسْنَى مِثْلَهَا. وَفِي الْكِتَابِ الْعَزِيزِ
 ﴿وَمَنْ أَلَّاتِلَّةَ الْأُخْرَى﴾ وفيه: ﴿لِزِيكِ مِنْ ءَايَتِنَا الْكُبْرَى﴾. قَالَ عَمْرُ بْنُ أَبِي
 رَبِيعَةَ^(١):

وَأُخْرَى أَتَتْ مِنْ دُونِ نُعْمٍ وَمِثْلَهَا نَهَى ذَا النَّهْيِ لَوْ يَزْعَوِي أَوْ يُفَكِّرُ
 فَلَا يَمْتَنِعُ أَنْ تُعْدَلَ حُسْنَى عَنِ الْأَلْفِ وَاللَّامِ كَمَا عُدَّتْ أُخْرَى. وَأَفْعَلَ مِنْكَ إِذَا
 حُذِفَتْ مِنْهُ: «مَنْ» بَقِيَ عَلَى إِرَادَتِهَا نَكْرَةً أَوْ عُرْفَ بِاللَّامِ. وَلَا يَجُوزُ أَنْ يَجْمَعَ بَيْنَ مَنْ
 وَبَيْنَ حَرْفِ التَّعْرِيفِ. وَالَّذِينَ يَشْرِبُونَ (١٨) مَاءَ الْحَيَوَانِ فِي النَّعِيمِ الْمَقِيمِ هَلْ يَعْلَمُونَ
 مَا هَذِهِ الْوَاوُ الَّتِي بَعْدَ الْيَاءِ^(٢) وَهَلْ هِيَ مُنْقَلَبَةٌ كَمَا قَالَ الْخَلِيلُ؟ أَمْ هِيَ عَلَى الْأَصْلِ كَمَا
 قَالَ غَيْرُهُ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ. وَمَنْ هُوَ مَعَ (١٩) الْحَوْرِ الْعَيْنِ خَالِداً مُخْلِداً هَلْ يَدْرِي مَا
 مَعْنَى الْحَوْرِ. فَيَقُولُ بَعْضُهُمْ: هُوَ الْبَيَاضُ وَمِنْهُ اسْتِقْطَاقُ الْحَوَارِي مِنَ الْخُبْزَةِ^(٣)
 وَالْحَوَارِيِّينَ إِذَا أُريدَ بِهِمُ الْقَصَّارُونَ وَالْحَوَارِيَّاتُ إِذَا أُريدَ بِهِنَّ نِسَاءُ الْأَمْصَارِ. وَقَالَ قَوْمُ
 الْحَوْرِ فِي الْعَيْنِ أَنْ تَكُونَ كُلُّهَا سُودَاءَ وَذَلِكَ لَا يَكُونُ فِي الْإِنْسِ وَإِنَّمَا يَكُونُ فِي

= وَامْرَأَةُ الْمُنْجَمِ وَهِيَ صُغْرَى أَرْتَهُ كُلَّ عَامِرَةٍ وَقَفَرٍ
 فَكَانَ كَالْحَكَمِيِّ فِي قَوْلِهِ:

- كَأَنَّ صُغْرَى وَكَبْرَى مِنْ فَوَاقِعِهَا حَصْبَاءُ دَرٍ عَلَى أَرْضٍ مِنَ الذَّهَبِ
 (١٠) عَبْدُ بَنِي الْحَسْحَاسِ الْخَبِيثُ الْفَاجِرُ مِنْ يَأْتِيهِ الْمَعْرُوفَةُ وَلَمْ أَجِدِ الْبَيْتَ فِيمَا نَقَلُوا مِنْ قَصِيدَتِهِ -
 وَالْمَعْنَى ظَاهِرٌ - وَكَانَ ابْنُ الْأَعْرَابِيِّ يَسْمِيهَا الدِّيْبَاجَ الْخَسْرَوَانِي. وَهِيَ بِتَمَامِهَا فِي نَسْخَةِ مَتْنِيهِ
 الطَّلَبِ لَابْنِ مَيْمُونِ الْخَطِيبِ فِي بَعْضِ حَوَاضِرِ أَوْرُوبَا.
 (١) مِنْ أَشْهُرِ قِصَائِدِهِ وَهِيَ فِي نَسْخِ دِيْوَانِهِ وَفِي الْكِتَابِ الْكَامِلِ وَغَيْرِهِ.
 (٢) مَذْهَبُ سَيَبَوِيهِ وَأَصْحَابِهِ: أَنَّهُ لَمْ يَأْتِ فِي كَلَامِهِمْ يَاءٌ بَعْدَهَا وَاوٌ، فَيَقُولُونَ: إِنْ حَيَوَانٌ أَصْلُهُ حَيَّانٌ،
 وَالْمَازَنِيُّ يَرَى الْوَاوَ فِيهِ أَصْلاً كَمَا هُوَ فِي شُرُوحِ الشَّافِيَةِ بَحْثُ الْإِعْلَالِ.
 (٣) وَالْأَصْلُ: الْحَيْرَةُ، فَلَعَلَّهَا هَذِهِ الْحَيْرَةُ حَيْرَةُ آلِ مَنْذَرٍ وَيَصِفُونَهَا بِالْبَيَاضِ عَلَى مَا قَالَ يَاقُوتُ وَغَيْرُهُ
 وَمَنْ شَعَرَ صَاحِبِنَا فِي الْلُزُومِ:

وَقَفَّ بِالْحَيْرَةِ الْبَيْضَاءِ فَانْظُرْ مَنَازِلَ مَنْذَرٍ وَبَنِيَّ بِقَيْلَةٍ
 أَرَى الْحَيْرَةَ الْبَيْضَاءَ حَارَتْ قُصُورَهَا خَلَاءَ وَلَمْ تَثْبِتْ لِكُسْرَى الْمَدَائِنِ

الوحوش. وقال آخرون: الحَوَرُ شدة سواد العين وشدة بياضها. وقال بعضهم الحور سعة العين وعظمُ المقلة. وهل يجوز أيها المتمتع بالحُور العين أن يقال حَيْرٌ كما يقال حُور فإنهم ينشدون هذا البيت بالياء:

إلى السلف الماضي وآخر واقفٍ إلى رُبْرِبٍ حَيْرٍ حَسَانٍ جَاذِرُهُ^(١)
 فإذا صَحَّت الرواية في هذا البيت بالياء قَدَحَ ذلك في قول من يقول إنما قالوا
 الحير إِتباعاً للعَيْن كما قال الراجز^(٢):

هَلْ تعرف الدارَ بأعلى ذي القُورُ قد دَرَسَتْ غيرَ رَمَادٍ مَكفُورُ
 مكتئبِ اللون مَريحٍ ممطُورُ أزمانَ عَيْنَاءٍ سرورُ المسرورُ
 حَوَزَاءُ عَيْنَاءٍ من العَيْنِ الحَيْرِ^(٣)

وكيف يستجيز^(٤) مَنْ فرشه من (٢٠) الإستبرق^(٥) أن يمضي عليه أبدٌ بعد أبدٍ وهو لا يدري كيف يجمعه جمع التكسير وكيف^(٦) يصغره النحويون يقولون في جمعه: أبارق وفي تصغيره أبيرق. وكان أبو إسحاق الزجاج يزعم أنه في الأصل سُمي بالفعل الماضي^(٧) وذلك الفعل استفعل من البرق^(٨). أو من البرق. وهذه دعوى من أبي

(١) هذا البيت أنشده التبريزي في تهذيب الإصلاحي ١ : ٥٩ غير معزو إلى قائل. واستشهد به كما هنا على أن الحير ليس اتباعاً للعَيْن كما زعم الفراء وتبعه أبو الحسن الأخفش فيما كتبه على نوادر أبي زيد ٢٣٨ : بل هو لغة في الحور.

(٢) هو منظور بن مرثد الأسدي من أرجوزة ذكرها أبو زيد ص : ٢٣٦ وفسرها الأخفش، وابن السكيت بعضها وهو ما هنا، وفسره التبريزي في تهذيب الإصلاحي ١ : ٥٩.

(٣) القور، جمع قارة وهو جبل صغير. والمكفور: الذي غطاه الريح بتراب سفته. مريح ويروى مروح وكلاهما من الريح. وعيناء: امرأة. وروايتهما عيناء حوراء. قال الأخفش وادعى الاتباع وهذا عند حذاق أهل العربية يجري على الغلط كما قالوا: جحر ضب خرب الخ. وفي اللسان ٦ : ٤٣٥ الأربعة الأولى فقط مفسرة.

(٤) وفي نسخة: يستخير.

(٥) في المعرب: (خرومه التي طبعوها بالمجلة الألمانية مفرزة سنة ١٨٧٩م) خرم ص : ٩ أصله بالفارسية استبره. وقال ابن دريد استروه فلو حفر أو كسر لكان أبيرق وأبارق بحذف السين والتاء جميعاً هـ مختصراً. ومثله في التاج. قال الفقير: فارسيته سطربر أو ستربر كما هو في جميع معاجمها لكل غليظ.

(٦) في نسخة: ولا كيف.

(٧) ونقل في التاج عن ابن جني في كتاب الشواذ [المحتسب] عن ابن محيصن أنه ظنه فعلاً إذ كان على زنته فتركه مفتوحاً في قوله تعالى: ﴿بَطَانُهَا مِنْ اسْتَبْرَقٍ﴾ على حاله. أقول وجل اللغويين المتأخرين ذكروه في مادة برق وهذا أيضاً دليل على توهمهم زيادة أس ت.

(٨) البرق بالسكون معروف وبالتحريك مصدر برق بصره كطرب تحير برقاً.

إسحاق. وإنما هو اسم أعجمي عُزْب. وهذا (٢١) العَبْقَرِيُّ^(١) الذي عليه اتكاء المؤمنين إلى أي شيء نُسب؟ فإننا كنا نقول في الدار الأولى إن العرب كانت تقول: إن عَبَقْرَ بلاد يسكنها الجن، وأنهم إذا رأوا شيئاً جيداً قالوا عَبْقَرِيَّ أي كأنه عَمَلُ الجن إذ كانت الإنس لا تقدر على مثله. ثم كَثُرَ ذلك حتى قالوا: سَيِّدُ عَبْقَرِيَّ وَظَلَمَ عَبْقَرِيَّ قال ذو الرُّمَّةَ^(٢):

حَتَّى كَأَنَّ حُرُوفَ الْقَفِّ أَلْبَسَهَا مِنْ وَشْيِ عَبَقْرَ تَجْلِيلٍ وَتَنْجِيدٍ
وقال زهير:

بَخِيلٌ عَلَيْهَا جِنَّةٌ عَبَقْرِيَّةٌ جَدِيرُونَ يَوْمًا أَنْ يَنَالُوا وَيَسْتَعْلُوا^(٣)

وإن كان أهل الجنة عارفين بهذه الأشياء، قد ألهمهم الله العلم بما يحتاجون إليه فلن يستغني عن معرفته الولدان المخلدون. فإن ذلك لم يقع إليهم. وإنا لنرضى بالقليل مما عندهم أجراً على تعليم الولدان - فيبسم^(٤) إليهم رضواناً ويقول: إن أصحاب الجنة اليوم في شغل فاكهون؛ هم وأزواجهم في ظلال على الأرائك مُتَكَيِّفُونَ. فانصرفوا رحمكم الله فقد أكثرتم الكلام فيما لا منفعة فيه. وإنما كانت هذه الأشياء أباطيل زُخِرَتْ في الدار الفانية فذهبت مع الباطل. فإذا رأوا جده في ذلك قالوا: رحمك الله نحن نسألك أن تُعرِّفَ بعض علمائنا الذين حصلوا في الجنة بأننا واقفون على الباب نريد أن نخاطبه في أمر. فيقول رضواناً من تُؤثِّرون أن أُعْلِمَ بمكانكم من أهل العلم الذين غفر لهم؟ فيشتورون^(٥) طويلاً ثم يقولون: عَرَّفَ بِمَوْقِفِنَا هَذَا الْخَلِيلُ بْنُ أَحْمَدَ الْفَرُّهُودِيَّ^(٦) - فيرسل إليه رضواناً بعض أصحابه - فيقول: على باب الجنة قوم قد أكثروا القول وإنهم يريدون أن يخاطبوك. فيُشْرِفُ عليهم الخليل فيقول: أنا الذي سألتك عنه فماذا تريدون؟ فيغرضون عليه مثل ما عرضوا على رضواناً فيقول الخليل: إن الله جلَّتْ قدرته جعل من يَسْكُنُ الجنة ممن يتكلم بكلام العرب ناطقاً بأفصح اللغات كما نطق بها يَعْرُبُ بْنُ قَحْطَانَ أَوْ مَعَدُّ بْنُ عَدْنَانَ. لا يدركهم الزَّيْغُ ولا الزَّلَلُ. وإنما افتقر الناس في الدار العَرَّارَةَ إلى علم اللغة والنحو، لأن العربية

(١) انظر معجمي البكري وياقوت واللسان والتاج رسم عبقْر والمنسوب للثعالبي ص: ١٨٧ وغيرها.

وقال أعرابي: ظلمني ظلماً عبقرياً. ذكره الثعالبي فقط.

(٢) ديوانه ص: ١٣٦. القف ما غلظ من الأرض والتنجيد التزيين.

(٣) الرواية الشائعة فيستعلوا.

(٤) في نسخة: فتبسم.

(٥) في نسخة: فيتسارون.

(٦) الفرهود أو الفراهيد قبيلة ينسب إليها الخليل.

الأولى أصابها تغييرٌ. فأما الآن فقد رُفِعَ عن أهل الجنة كلُّ الخطيئة والوهم. فاذهبوا راشدين إن شاء الله. فيذهبون وهم مُخَفِّقُونَ^(١) مما طلبوه. ثم أعود إلى ما كنت متكلماً فيه قبل ذكر الملائكة مَنْ أَهْدَى الْبَرِيرَةَ^(٢) إلى نعمان، وأراقِ النُّطْفَةَ على الفرات، وشرح القضيةَ لأُمير المؤمنين^(٣) فقد أساءَ فيما فعل. ودلّني كلامه على أنّه بحرٌ يستجيش مني ثَمْدًا. وجبلٌ يستضيف إلى صخورِ حَصَى وَغَاضِيَةٍ^(٤) من النيران تجتلب إلى جمارها سِقْطًا. وحسبُ تهامة ما فيها من السَّمْرِ^(٥) وسؤال الشيخ مولاي كما قال الأول:

فهذي سيوف يا عديّ بن مالك كثيرٌ ولكن أين بالسيف ضارب^(٦)

لا هيئتم الليلة للمطّي^(٧) قضية ولا أبا حسنٍ لها^(٨) وشكاة فأين الحارث بن كَلْدَةَ^(٩) وخيلٌ لو كان له فوارسٌ. والله المستعان على ما تصفون. والواجب أن أقول لنفسي وراؤك أوسع لك^(١٠) فالصيف ضيعت اللبن^(١١) ولا يكذب الرائدُ أهله^(١٢). ولو كان معي مِلءُ السَّقاء، لسلكْتُ في الأرض المقاء^(١٣). وسوف^(١٤) أذكر طرفاً مما أنا

(١) في نسخة محققون ما.

(٢) ثمر الأراك أو هو أول ما يبدو منه. ونعمان الأراك وإد قال:

تخيرت من نعمان عود أراكاة لهند فمن هذا يبلغه هندا وقال الآخر:

أما والراقصات بذات عرق ومن صلى بنعمان الأراك

(٣) وهو الذي جرى فيه المثل «قضية ولا أبا حسن لها» على ما سيأتي.

(٤) متوقدة.

(٥) السمّر تكثر بتهامة.

(٦) أنشده ابن خالويه أيضاً في ليس ص: ٦٤ ولكن لم يعزه. وكثير يستوي فيه التذكير والتأنيث روى

ابن شميل عن يونس رجال كثير ونساء كثير أيضاً كما في التاج.

(٧) مثل يرد في كتب النحو خلا عنه معاجم الأمثال المعروفة.

(٨) مثل في كتب النحو.

(٩) الثقفي من الطائف، طبيب العرب مخضرم، بقي إلى إمرة معاوية ترجم له ابن أبي أصيبعة ١: ١٠٩

- ١١٣.

(١٠) مجمع الأمثال ٢: ٢٧٣، ٢١٩، ٢٩٤، الطبقات الثلاث ولاء. والفاخر رقم: ٤٨١.

(١١) يروى الصيف وفي الصيف. ويلزم التاء الكسر في الحالتين. وانظر قصته في المجمع ٢: ١٣،

١٠، ١٣ والفاخر رقم: ١٨٦ والجمهرة ٢: ٢٩.

(١٢) راجع المجمع ٢: ١٥٤، ١٢٢، ١٦٤.

(١٣) البعيدة.

(١٤) هذا الفصل يضاوي مضاهاة تامة فصلاً في الغفران ص: ١٢٢ - ١٢٣، والرسالة الـ ٢٦ من رسائله.

عليه غريبٌ في العامة من شَبَّ إلى دَبٍّ^(١). يزعمون أنني من أهل العلم. وأنا منه جُلُوْ
إلا ما شاء الله. ومنزلي إلى الجُهال، أدنى منها إلى الرُّهط العُلَماء. ولن أكونَ مثلَ
الرَّبداء^(٢) أرْعَمُ في الإبل أنني طائرٌ، وفي الطير أني بعر سائر. والتمويه خُلُقٌ ذميم.
ولكني ضَبٌّ لا أحمل ولا أطيّر. ولا ثمني في البيع خطير. أقتنع بالحيلة والسَّحاء^(٣).
والعوذ من بني آدم في مَساء وضُحاء. وإذا خلوتُ في بيتي تعلتُ. وإن فارقتُ مأوى
ضَللتُ. ذكر ابن حَبِيب أنه يقال في المثل: أخيرٌ من ضَبٍّ^(٤) وذلك أنه إذا فارق بيته
فأبعدَ لم يهتدِ أن يرجع إليه. وقد علم الله تعالى^(٥) قدرته أني لا أبتَهجُ بأن أكونَ في
الباطن أستحقُّ تريباً. وأدعى في الظاهر أريباً. ومثلي مَثَلُ البَيْعة الدامرة. تُجْمَعُ^(٦)
طوائف من المسيحية أنها تبرئ من الحمى أو من كذا. وإنما هي جُدُرٌ^(٧) قائمة لا
تفرق بين ملطس^(٨) الهادم والمبيعة^(٩) بيد الهاجري وسيان عندها صنُّ الوبر^(١٠) وما
يُعْتَصِر من ذكيِّ الورْد. وليس بدعاً من كُذِبَ^(١١) عليه وأدعي له ما ليس عنده. وقد

(١) وفي المثل لغات من شَبَّ إلى دَبٍّ ومن شَبَّ إلى دُبٍّ التاج مادة «دب» والاتباع لابن فراس وجاء
المثل في رسائله ص: ٣٠ بيروت ص: ٧٢ مشكولاً من شَبَّ إلى دَبٍّ.

(٢) النعامة، قال يحيى بن نوفل يهجو خالداً القسري ويذكر فيه (البيان ٢: ١٤٠ الثانية):

ومثل نعامة تدعى بغيراً تعاضمها إذا ما قيل طيري
وإن قيل احملني قالت فلاني من الطير المربة بالوكور
ومثله بالفارسية:

كر بكوئي بكويد أشرت ولا بكوئي بر بكويد طائرم
(٣) كذا ولعل الأصل والله أعلم من الحيلة بالسحاء وهو بالفتح والكسر ما يؤخذ من القرطاس قليلاً
والسحاء ككتاب نبت شائك يرعاه النحل عسله غاية. والظاهر الأول يريد اقتنعت بغفة من العيش
أبلغ بها ولم احتل للزيادة. والعوذ وفي أخرى التعوذ.

(٤) المجمع الطبقات الثلاث ١: ٢٠٠، ١٥٣، ٢٠٨، والجمهرة ١: ٢٦٧.

(٥) في نسخة: بغالب. (٦) في نسخة: تدعى.

(٧) في نسخة: صدر.

(٨) كمببر المعول الغليظ لكسر الحجارة.

(٩) كذا الأصل. والهاجري البناء.

(١٠) صن الوبر بوله. والوبر دوية كالسنور بوله يخثر للأدوية وهو متن جداً. قال جرير:

تطلى وهي سيئة المعرى بصن الوبر تحسبه ملايا
والصن والوبر أيضاً يومان من أيام برد العجوز السبعة ولكن لم يردهما هنا. وما يعتصر يريد ماء
الورد وهو الجلاب.

(١١) في نسخة: «ولست بدعاً ممن كذب الخ». وكان يقول على ما في الغفران أيضاً ص: ١٢٢ أنا شيخ
مكذوب عليه. ومعناه ظاهر إلا أن ابن الوردي زعم في تاريخه أن يشير به إلى ما نحلّه الناس إياه من
الشعر المؤذن بانحلال عقيدته.

ناديت^(١) بتكذيب القالة^(٢) نداءً مَنْ خَصَّ وَعَمَّ. واعترف بالجهالة عند من نَقَصَ وأَمَّ^(٣) واعتذرت بالتقصير إلى من هَزَلَ وَجَدَ. وقد حُرِمَ عليَّ الكلام في هذه الأشياء لأنني طلقته طلاقاً بائناً لا أملك فيه الرجعة. وذلك لأنني وجدتها فوارك فقابلت فَرَكَها بالصِّلَف. وألقيت المرامي^(٤) إلى النازع. وخَلَيْتُ الحُطْبَ لِرُقَاةِ المنابر وكنتُ في عِدَادِ المهلة^(٥) أجدُ إذا زاولتُ الأدبَ كأنني عارٍ ينضمُّ. أو أقطعُ الكَفَيْنَ يتختم. وبينغي له أدام الله تَمَكِّيَه إن ذكرني عنده ذاكرٌ أن يقول: دُهِدُرَيْن! سَعْدُ الْقَيْنِ^(٦) إنَّما ذلك أَجْهَلُ من صَعَلِ الدَّوِ^(٧). خَالٍ كَخُلُوِّ البَوِ^(٨). ولو كنتُ في حَسَنِ العمر^(٩) كما قيل لكنتُ قد أنسيْتُ أو نَسِيتُ^(١٠). لأن حديثي لا يُجْهَلُ في لزوم عَطْنِي الضَيِّق. وانقطاعي عن المعاشيرِ ذهابِ السَّيِّق^(١١). ولو أنني كما يُظَنُّ لفعلت^(١٢) كما اخترت^(١٣) وبرزتُ للأعين فما استترتُ. وهو يروي البيت السائر لزهير^(١٤):

- (١) في نسخة: «بؤت».
- (٢) جمع القائل.
- (٣) ظاهر أنه يريد معنى زاد وأغفلته المعاجم فلعله من الأعم وهو الوسط من كل شيء أو لعل الصواب رم. بمعنى أصلح ونقص بالضاد المعجمة. ثم وجدته في أخرى خطية نقص بالضاد المعجمة.
- (٤) جمع المرمأة وهو السهم الصغير يتعلم به الرمي.
- (٥) الظاهر أنه يريد زمان العزلة ٤٠٠ - ٤٤٩ هـ فالمهلة السكينة والتؤدة. ويمكن أن يريد بالمهلة المدة والمعنى في زمان مزاوله العلم. ثم رأيت في نسخة أخرى بدله عدان وهو بالفتح كل سبعة أعوام من الزمان. ويضم في نسخة يعتم.
- (٦) مثل أنظر النجم: ٢٣٩ ورسائله ص: ٢٦ وفي أصله خلاف كثير. يضرب لمن جاء بالباطل. وحذفوا تنوين سعد وكانوا عرفوا كذبه من قبل.
- (٧) مثل أغفله أصحاب الكتب والصعل الصغير الرأس والظليم. والدو: الصحراء. وجهله أنه يغفل عن بيبضه فلا يهتدي لها على ما مر لنا.
- (٨) جلد الحوار يحشى تبناً كما هو معروف.
- (٩) كذا. وصوابه إن شاء الله في عمر الحسل. قال ابن جني إن الحسل يعيش ثلثمائة سنة وقال رؤية: فقلت لو عمرت سن الحسل أو عمر نوح زمن الفطحل صرت رهين هرم أو قتل والصخر مبتل كطين الوحل أنظر ديوانه: ١٢٨ والكامل لبيك: ٣٤٨ والمنسوب للثعالبي: ٥١٥ وغيرها. ثم رأيت في نسخة جن العمر وهو أوله وهو الصواب.
- (١٠) في الأصل مصحفاً: أنست ونسيت؟.
- (١١) السحابة الفارغة تزجيها الريح. وكان في الأصل الشيق.
- (١٢) في الأصل تظن أفعلت؟.
- (١٣) في نسخة: لبلغت ما أخبرت.
- (١٤) الديوان بشرح الأعلام مصر: ٦٣ يمدح هرم بن سنان ويخاطبه.

والسُّتْرُ دون للفاحشات ولا يلقاك دون الخير من سِتر
 وإنما ينال الرُّتَبَ من الآداب من يُباشرها بنفسه. ويُفني الزَّمنَ بذَرْسه. ويستعين
 الزَّهْلِقُ^(١). والشُّعَاعُ المتألِّق. وهو العاجز ولا هو المحاجز^(٢)
 ولا جثامة في الرُّخْلِ مثلي ولا بَرَمٌ إذا أمسى نُوؤُمٌ
 ومثله لا يسأل مثلي للفائدة بل للامتحان والخبرة^(٣) فإن سَكَتُ^(٤) جاز أن يسبق
 إليَّ الظنُّ الحسن. أن^(٥) السكوت سِترٌ يُسْبَلُ على الجهول وما أحب أن يفتري عليَّ
 الظنون. كما افترت الألسنُ في ذِكْرِها أتي من أهل العلم. وأحلف بمُرُوَّةٍ^(٦) الكذوبِ
 لأن أرمي صابة^(٧)، أو مَقْرَأَ أثرٍ لديّ من أن أتكلّم في هذه الصُّنَاعَةَ كلمةً وقد تكلّفتُ
 الإجابة. فإن أخطأتُ فمَنِّيتُ الخطيئةَ ومَعِدِنَه. غاوي تعرّض لما لا يُحْسِنُه. وإن أصبت
 فما أحمَدُ على الإصَابَةِ رَبِّ دواءٍ ينفع وَصْفُهُ مَنْ ليس بناسٍ^(٨) وكلمةٌ حُكْمٌ^(٩) تُسْمَعُ
 من حليفٍ وسواسٍ.
 تَمَّتْ الرسالة بحمد الله وعونه. ولُطْفِه وصَوْنِه. والحمد لله على أفضاله. وصلى
 الله على سيدنا محمد وصحبه وآله أجمعين.

(١) السراج ما دام في القنديل.

(٢) في نسخة: المحائر.

(٣) في نسخة: والحيرة.

(٤) في نسخة: نسكت.

(٥) في نسخة: لأن.

(٦) تصحيف لم أعتد لأصله فلعله بمرواة الكذوب أو الخائن أو المراد بالمرواة هذه الحجارة التي يقتدح بها والكذوب التي لا توري والغرض من الخلف بها أنه يخلف رجاء آملية كهذه يقدحونها فتصلد. والله أعلم. وفي نسخة بحروة.

(٧) الصابة: شجرة مرة. والمقر ككتف وفلس الصبر أو شبيه به. وفي نسخة: «لأن أرم صابة» والرم من بابي نصر وضرب الأكل.

(٨) وفي نسخة: لمن ليس بناس. وفي الأخرى ممن ليس بآس.

(٩) بالضم الحكمة.

فائت شعر أبي العلاء

جمعه

عبد العزيز الميمني السلفي الراجكوتي

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله وحده، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم. وبعد فهذا فائت شعر أبي العلاء مما لا يوجد في كتبه المعروف، ة جمعته أثناء تألّفي كتابي (أبو العلاء وما إليه) وفيه بعض شعر نُحل له، حتى يتمّ فائدة تألّفي المذكور. ثم رأيت أن ألحقه بآخر رسالة الملائكة لأبي العلاء حتى يكونا كتيبين، وأثرين من آثار أبي العلاء حيّين. ومن الله أطلب العونَ والتوفيق.

غرة شوال سنة ١٣٤٣

صدر بازار راجكوت كاتهيادار - (الهند)

عبد العزيز اليميني السلفي الراجكوتي

(١) من جامع الأوزان . التنوير ٢ : ٢٠٧ :

يا قرة العين أم حفص وأم عثمان جارتاك
فتلك لا تحذرين منها وهذه تبتغي رداك
أم عثمان الحية وعثمان ولدها .

(٢) ومنه أيضاً أيضاً :

لعمرك ما أبو بكر لدينا بمرموق ولا يخشى أذانا
وعثمان الذي يقلبه منا أكابرها ويقتله فتانا
أبو بكر الفحل من الإبل . وعثمان ولد الحية .

(٣) في ركايب السرج ، نهاية الأرب ٣ : ١٦٥ :

خليلان نيطا في جوانب مجلس جداره قدام له ووراء
متى يضع الرجلين ماش عليهما يزل عنه في وشك حفاً وحفاء
جداراه قربوسه ورادفاته . والحفا وجع الرجل . والحفاء المشي بغير نعل .

(٤) من كتاب استغفر واستغفري كشاف : ومن يرتدد منكم عن دينه (الآية)

والإيضاح للمطرزي ص ١٧١ وروايته : ووالاها :

آمت سجاح ووافها مسلمة كذابة من بني الدنيا وكذاب

(٥) من جامع الأوزان التنوير ١ : ١٢ :

وطريق ركبته جرهم وجديس قبلنا فهو ركوب
سلكته الخيل عن آخرها وكذا الإبل وما ثار العكوب
(٦) منه أيضاً أيضاً :

ما للغراب لا يزال ساقطاً وليس من مسقطه بناعب
أقام عشراً ما أراه ماقطاً وستر الأرض عن الطوالب

(٧) عن الشريشي ١ : ٩٤ :

عرفت جدودك إذا نطقت وطالما لغط القطا فأبان عن أنسابها

(٨) من تذكرة دولت شاه ٢٥ ليدن وليس بمحلّ للثقة :

من راعه سبب أو هاله عجب فلي ثمانون حولاً لا أرى عجباً
الدهر كالدهر والأيام واحدة والناس كالناس والدنيا لمن غلبا
(٩) وله في الخطاف (نثار الأزهار ٨٥):

ولابسة من حندس الليل ظلمة مفرجة عن صدرها تشبه^(١) القبا
برأس يحاكي^(٢) شاه بلوط أعجم تغني بصوت معجم ليس معربا
لقد أتقن الصباغ جري سوادها وقد طوسوا منها قذالاً ومنكبا
تراها إذا ما أقبل الصبح ضاحكاً وولى الدجى عنها هزيماً مقطباً
تصفق لا أدري أحزناً على الدجى وأما إلى وضوح الصباح تطربا
إذا أقبلت في دار قوم تباشروا وقالوا لها أهلاً وسهلاً ومرحباً
(١٠) روى محمد بن علي الكازروني - وكان زاره بالمعرة - قال: أنشدنا أبو
العلاء (وانظره في باب التلامذة):

يغدو الفقير وكل شيء ضده والأرض تغلق دونه أبوابها
فتراه محقوقاً (مجفوّاً) وليس بمذنب ويرى العداوة لا يرى أسبابها
حتى الكلاب إذا رأت ذا بزة هشت إليه وحركت أذنانها
وإذا رأت يوماً فقيراً بئساً نبحت عليه وكشرت أنيابها
(١١) في الملح نهاية الأرب ٣: ١٦٧.

وبيضاء من سر الملاح ملكتها فلما قضت أربي حبوت بها صحبي
فباتوا بها مستمتعين ولم تنزل تحثهم بعد الطعام على الشرب
(١٢) رواية عن أبي اليسر المعري النكت: ١٠٥، والأدباء ١: ١٧٩:

غربت بذي أمة وبمحمد خالفها غريت
وعبدت ربي ما استطعت ت ومن بريته بريت
وفرتني الجهال حا شدة عليّ وما فريت
وفي الأدباء حاسدة:

سعروا عليّ فلم أمس وعندهم أني هربت

(١) لعله مشبه.

(٢) الأصل تحاكي.

وجميع ما فاهوا به كذب لعمري حنبريت
والبيت الآخر من النكت فقط .

(١٣) ابن أبي الحديد ٤ : ٣٠٧ :

أزرى بكم يا ذوي الألباب أربعة يتركن أحلامكم نهب الجهالات
رد الصديق وعلم الكيمياء وأحد كام النجوم وتفسير المنامات
(١٤) من تذكرة دولت شاه ٢٥ :

ألا إنما الأيام أبناء واحد وهذي الليالي كلها أخوات
فلا تطلبن من عند يوم وليلة خلاف الذي مرت به السنوات
(١٥) من الوافي بالوفيات للصفدي (ونسخته الخطية بلكنو الهند) :

لم يكن الدن غير نكر سلافة الراح عرّفته
كآدم صيغ من تراب ونفخة الروح شرفته
(١٦) من المنحول^(١) - البلدان «اللاذقية» :

اللاذقية فتنة ما بين أحمد والمسيح
هذا يعالج دلبة والشيخ من حنق يصيح
(١٧) الغيث ٢ : ٣٤ :

أتعبتم السابح في لجة ورعتم في الجوذات الجناح
هذا وأنتم غرض للردى فكيف لو خلدتمو يا قباح
(١٨) الأنساب ورق ١١٠ في الثلج :

أنا في الولادة وهو شيخ فأزرى بالشباب وبالشيوخ
فقال أريد عندكم تنوخاً فقلت أصبت أنا من تنوخ

(١) ومعنى البيت لا يجذب إلى الإلحاد والمروق فليس فيهما إلا الخبر كما قال ابن بطلان في رسالته إلى هلال الصابي (انظر حكماء القفطي، مصر: ١٩٥) ولفظه، وذكر اللاذقية: وفيها قاض للمسلمين وجامع يصلون فيه وأذان في أوقات الصلوات الخمس. وعادة الروم إذا سمعوا الأذان أن يضربوا الناقوس ا هـ. ومثله في البلدان وزاد كباداً لهم، فكانه يريد ما بين أتباع أحمد الخ. وأوردتهما كولد زهير في المجلة الألمانية ٢٩ : ٦٣٧ وروايته في القدس قامت ضجة ما بين الخ، وهي محرّفة وما له وللقدس. وكان سافر إلى اللاذقية كما حققناه وزاد ثالثاً وهو:

كل يشيد دينه يا ليت شعري ما الصحيح
وما أراه إلا اختلافاً، فالبيت ركيك البنية لا يشبه سائر شعر المعري.

(١٩) ابن أبي الحديد ٤ : ٣٢٣ و ٢ : ٣٨٨ :

نفسى وجسمى لما استجمعا صنعا شراً إليّ فجّل الواحد الصمد
فالجسم يعذل فيه النفس مجتهداً وتلك تزعم أن الظالم الجسد
إذا هما بعد طول الصحبة افترقا فإن ذاك لأحداث الزمان يد
وأصبح الجوهر الحساس في محن موصولة واستراح الآخر الجمد
(٢٠) لغز في آل التي للتعريف (الأشباه ٢ : ٢٨٩) :

وخلين مقرونين لما تعاونا أزالا قصياً في المحل بعيدا
وينفيهما أن أحدث الدهر دولة كما جعلاه في الديار طريدا
(٢١) من جامع الأوزان التنوير ١ : ١١ :

كأن سنور العتيك إذا ناب أمر يفرس الأسدا
وتبيت الفأر دانية منه إن نوماً وإن سهدا
نابهم دهر بقطهم فرأوا من عيشهم نكدا
السنور: السد والعتيك^(١): حي من الأزد. والفأر: فأر المسك. والقط:
النصيب أو الضبون.

(٢٢) لغز في كاد (الأشباه ٢ : ٢٨٨، من جامع الأوزان. التنوير ٢ : ٢٠٧) :

أنحوي هذا المصر ما هي لفظة؟ جرت في لساني جرهم وثمود
إذا استعملت في صورة الجحد أثبتت وإن أثبتت قامت مقام جحود
(٢٣) قيل: أنه أوصى أن يكتب على قبره :

(الوفيات ١ : ٣٤، الذهبي: ١٣٣، البغية: ١٣٧، الغيث: ٢ : ١٩٨) :

هذا جنناه أبي عليّ وما جنيت على أحد

(٢٤) من كتاب الاستغفار وهو استغفر واستغفري، ابن أبي أصيبعة ١ : ٨٨ :

سقياً ورعياً لجالينوس من رجل ورهط بقراط عاضوا بعد أو زادوا
فكل ما أصلوه غير منتقض به استغاث أولو سقم وعواد
كتب لطاف عليهم خف حملها لكنها في شفاء الداء أطواد

(٢٥) في المرقص والمطرب لصاحب المغرب في حلى المغرب ص ٤٦ :

(١) أجاب عنه ابن مالك وابن الوردي فراجع الأشباه.

وصبح قد فلونا الليل عنه كما تفلي عن النار الرمادا
(٢٦) في الوافي بالوفيات (خط) في تأخر مشبهه :

قد أورقت عمد الخيام وأعشبت فلك الحبال (؟) ولو رأسي أغبر
ولقد سلوت عن الشباب كما سلا غيري ولكن للحزين تذكر
(٢٧) من جامع الأوزان - التنوير ١ : ١٣ :

إن تخمدي يا نار فما عليك عار
عار فأين النار
(٢٨) الغيث ٢ : ٢٤٤ :

راح من راح والثريا الثريا والسماك السماك والغفر غفر
ونجوم السماء تعجب منا كيف تبقى من بعدنا ونمر
(٢٩) ابن أبي الحديد ٣ : ٥٣ :

أستغفر الله ما عندي لكم خبر وما خطابي إلا معشراً قبروا
أصبحتم في البلى غبراً ملابسكم من الهباء فأين البرد والقطر
كنتم على كل خطب فادح صبراً فهل شعرتهم وقد جادتكم الصبر
وما درى يوم أحد بالذين ثووا فيه ولا يوم بدر أنهم نصروا
(٣٠) تمة اليتيمة (خط باريس) أدباء ١ : ١٧٣ أملاه في جواب كتاب عن بعض
الرؤساء :

وافي الكتاب فأوجب الشكرا فضمامته ولثمته عشرا
وفضضته وقرأته فإذا أحلى كتاب في الوري يقرأ
فمحاه دمعني من تحدره شوقاً إليك فلم يدع سطرا
(٣١) ذهبي : ١٣١ وأدباء : ١٩٣ والعياذ بالله :

ولا تحسب مقال الرسل حقاً ولكن قول زور سطره
وكان الناس في عيش رغيد فجأؤوا بالمحال فكدره
(٣٢) أدباء : ١٧٦ من خبر ذكرناه في كتابنا :

هذا أبو القاسم أعجوبة لكل من يدري ولا يدري
لا ينظم الشعر ولا يحفظ القـ رآن وهو الشاعر المقري
(٣٣) الشريشي ٢ : ١٥٢ :

عجبت هند من تسرع شيبني قلت هذا عقبى فطام السرور
عوضتني يد السفاسف من مس لك عذاري ريشاً من الكافور
كان لي في انتظار شيبني حساب غالطتني فيه صروف الدهور

(٣٤) ومما عزي له الغيث ٢ : ١٩٣ ، والنكت ٧٢ والعجب منه حيث عزاه مع آخر بعد أربع صفحات ٧٦ إلى أبي الحسن الحصري كما في الشريشي ٢ : ٨٩ ولفظه ومما يعزى للحصري . قال ياقوت ٥ : ٢٦٢ إن البيتين متنازعان بين الحصري وبين تلميذه أبي العباس الأعمى :

سواد العين زاد سواد قلبي ليجمعنا على فهم الأمور
(٣٥) أبو الفداء ٢ : ١٧٦ والعياذ بالله :

عجبت لكسرى وأشيعاه وغسل الوجوه ببول البقر
وقول النصرارى إله يضام ويظلم حياً ولا ينتصر
وقول اليهود إله يحب رسيس الدماء وريح الفتر
وقوم أتوا من أقاصي البلاد لرمي الجمار ولثم الحجر
فواعجباً! من مقالاتهم أيعمى عن الحق كل البشر
(٣٦) وله فيما ظن الصفدي في الغيث ٢ : ١٩٩ :

الناس كالناس إلا أن تجربهم وللبصيرة حكم ليس للبصر
والأليك مشتبهات في مناظرها وإنما يقع للتفضيل في الثمر
(٣٧) في روضات الجنات والعهد على صاحبه أن المعري لما خرج من العراق سئل عن المرتضى فقال :

يا سائلي عنه لما جئت أسأله^(١) ألا هو الرجل العاري من العار
لو جئته لرأيت الناس في رجل والدهر في ساعة والأرض في دار
(٣٨) لغز في القمح ، الشريشي ٢ : ٥٩ :

وسراء في بيض الحسان شريتها بصفر من العين الشبيهة بالشمس
وقد غيببت في الخدر عصراً مصونة محجبة عن أعين الجن والإنس
فلما بدت عنه بدت سيمة النوى عليها ولم تجزع لحادثة الأمس
فأهلاً بأنشى لم ترد يد لامس بسوء ولا أبدت نفاراً من اللمس

(١) ذكرنا ما دار بينهما من الأسئلة في غير هذا الموضع من كتابنا وإن كنا نرى هذا تلفيقاً.

(٣٩) أبو الفداء ٢: ١٧٧ والبراءة إليه تعالى:

زعموا أنني سأبعث حياً بعد طول المقام في الأرماس
وأحوز الجنان أرتع فيها بين حور وولدة أكياس
أي شيء أصاب عقلك يا مس كين حتى رميت بالوسواس
(٤٠) في مدح حلب الدر المنتخب لابن الشحنة ص ١٥٤:

يا شاكي النوب انهض طالباً حلباً نهوض مضنى لجسم الداء ملتمس
وفي الأصل: «الجسم» مُصحفاً.
واخلع حذاك إذا حاذيتها ورعاً كنعل موسى كليم الله في القدس
كذا والصواب إن شاء الله كفعل موسى.

(٤١) دمية القصر (خط ورق ٦):

وما ازدحمت غير على ورد منهل دنا خمساً ترعى الخيل من الحمض
وفي نسخة المتحف البريطاني من الدُّمية ترعى النحيل من الحمض. بين
العرينين. صفوة المحض وهو الصواب. بعد الطعائن أم يمضي. وفي أخرى بلُنْدَره
بالخط المغربي خمسهَا يرعى النخيل. بعد العرينين. صفوة المحض. أم تمضي.
واسم الراوي أبو محمد الحمداني بالحاء، كذا والنسخة محرفة ولعل الأصل: دنت بعد
خمس ترتعي الخل بالحمض:

تزاحم دمي في الجفون وقد غدت ركائبهم بين العرين فالعرض
العرين كذا وورد في معجم الكبرى عريات والعرينات وأما العريان فإني لم أجده
في المعجمين:

ولا أم خشف أقبلت بعد فيقة لتمنحه من درها - صفوه - المحض
ولا أم بكر ساف عنها حوارها ظلوم سعاة في الزكاة من الفرض
بأوجع مني يوم قال رسولهم أمستوطن؟ بعد الطعائن لم تمض!
(٤٢) رواية السلفي عن أبي المكارم الأبهري عنه ذهبي: ١٣٣:

رغبت إلى الدنيا زماناً فلم تجد بغير عناء والحياة بلاغ
وألقي ابنة الناس (?) الكريم وبنته لدي فعندي راحة وفراغ
وزاد فساد الناس في كل بلدة أحاديث مين تفتري وتصاغ
ومن شر ما أسرجت في الصبح والدهي؟ كملت لها بالشاربين مراغ

والدهى كذا - ولعله والضحي أو والدجى .

(٤٣) الديميري سنة ١٣١٩ هـ مصر ١ : ٢٩٧ :

يا طالب الرزق الهنيء بقوة هيهات أنت بباطل مشغوف
رعت الأسود بقوة جيف الفلا ورعى الذباب الشهد وهو ضعيف
(٤٤) الأدباء ١ : ١٧٢ وزيادة على ما في اللزوم ٢ : ٨٧ :

فلا تشرف بدنيا عنك معرضة فما التشرف بالدنيا هو الشرف
واصرف فؤادك منها مثلما انصرفت فكلنا عن مغانيها سينصرف
يا أم دفر البيت، لو أنك العرس البيت، ولكن البيت الثاني أفسد اللزوم الذي
التزمه أبو العلاء .

(٤٥) وقال الأدباء ١ : ١٩٢ ولعله منحول :

إذا كان لا يحظى برزقك عاقل وترزق مجنوناً وترزق أحمقا
فلا ذنب يا رب السماء على امرئ رأى منك ما لا يشتهي فتزندقا
(٤٦) الأدباء ١ : ١٧٩ والنكت والمعاهد والبغية :

لا أطلب الأرزاق والسـ مولي يفيض على رزقي
أن أعط بعض القوت أعـ لم أن ذلك ضعف حقي
والبيتان ضد لما مضى .

(٤٧) الغيث ١ : ٤٨ ، ولفظه ووجدت منسوباً إلى أبي العلاء المعري ونزهة

الجلس ١ : ٢٨٣ ونسمة السحر ١ : ١١٠ :

زعم الجهول ومن يقول بقوله أن المعاصي من قضاء الخالق
إن كان حقاً ما يقول فلم قضى حد الزناء وقطع كف السارق
(..) وزعم ابن السبكي في طبقاته ٣ : ٩٧ أن هذين البيتين :

كم عاقل عاقل أعيت مذاهبه وجاهل جاهل تلقاه مرزوقا
هذا الذي ترك الأوهام حائرة وصير العالم النحرير زنديقا
له - وكالإجماع أنهما لابن الراوندي وانظر المعاهد ١ : ٥٣ - ومر آنفاً بيتان في
معناهما .

(٤٩) في مطالع البدور ١ : ١٠٢ قال أبو العلاء المعري الشروي (؟ وانظره)

يهجو النرجس :

أنظر إلى نرجس تبدت صباحاً لعينيك منه طاقه
واكتب أسامي مشبهيه بالعين - في دفتر الحماقه
كرائة ركبت عليها صفرة بيض على رقاغه
(٥٠) الأدباء ١ : ١٧٥ والمعاهد ١ : ٥٠ :

يا ظبية علقتني في تصيدها أشراكها وهي لم تعلق بأشراكي
رعيت قلبي وما راعيت حرمة فلم رعيت وما راعيت مرعاك
أتحرقين فؤاداً قد حللت به بنار حبك عمداً وهو مأواك
نسخة ما راك مخفف ما رآك لغة في رأى :

أسكنته حين لم يسكن به أحد وليس يحسن أن تسخي بسكناك
ما بال داعي غرامي حين يأمرني بأن أكابد حر الوجد ينهاك
وكم غدا القلب ذا يأس وذا طمع يرجوك أن ترحميه ثم يخشاك
(٥١) نهاية الأرب للنويري ١ : ٣٤ :

يا ليت شعري وهل ليت بنافعة ما وراءك أو ما أنت يا فلک؟
كم خاض في إثرك الأقوام واختلفوا فدما فما أوضحوا حقاً ولا تركوا
شمس تغيب ويقفوا أثرها قمر ونور صبح يوافي بعده حلك
طحنت طحن الرحي من قبلنا أمما شتى ولم يدر خلق أية سلكوا
وقال إنك طبع خامس نفر عمري! لقد زعموا بطلاً وقد أفكوا
راءوا سرائر للرحمن حجبها ما ناله نبي لا ولا ملك

(٥٢) وعزا إليه صاحب روضات الجنات ص ٧٤ ولعله منحول :

فلا تياس إذا ما سد باب فأرض الله واسعة الممالك
ولا تجزع إذا ما اهتاض^(١) أمر «لعل الله يحدث بعد ذلك»

(٥٣) البيتان من العمدة لابن رشيق ٢ : ٨٢. ثم رأيت في التكملة لابن الأبار في
ترجمة أبي طالب محمد بن إبراهيم القيسي الذي عاش إلى سنة ٤٩٠هـ : «قرأت
بخطه لأبي القاسم بن المغربي الوزير : بَعُدُوا فلا . البيت لم يبق غير . البيت :

الليل عندي والنهار كأدهم لا غرة فيه ولا تحجيل»

فتعين أن المعري في العمدة مصحف المغربي وكم قد تصحف أحدهما بالآخر
لشبابهما في الخط.

لم يبق غير المذل من أسبابهم فأحب من يدنو إلى عذول
يغدو فلا مستخبر عن حالهم غيري ولا مستخبر مسؤول
(٥٤) بدائع البدائه بهامش المعاهد ٢: ١١٤، والوفيات ١: ٢٢٣، والياضي ٣:
٧٠ قال القاضي أبو الطيب الطبري كتبت إلى أبي العلاء المعري حين وافى بغداد:

وما ذات در لا يحل لحالب تناوله واللحم منها محلل
لمن شاء في الحالين حياً وميتاً ومن شاء شرب الدر فهو مضلل
إذا طعنت في السن فاللحم طيب وأكله عند الجميع معقل
وخرفانها للأكل فيها كزاة فما لحصيف الرأي فيهن مأكـل
ما يجتني معناه إلا مبرز عليم بأسرار القلوب محصل
فأجابني وأملى على الرسول في الحال ارتجالاً:

جوابان عن هذا السؤال كلاهما صواب وبعض القائلين مضلل
فمن ظنه كرمأ فليس بكاذب ومن ظنه نخلاً فليس يجهل
لحومهما الأعناب والرطب الذي هو الحل - والدر الرحيق المسلسل
ولكن ثمار النخل وهي غضيضة تمر وغض الكرم يجيء ويؤكل
يكلفني القاضي الجليل مسائل هي النجم قدراً بل أعز وأطول
ولو لم أجب عنها لكنت بجهلها جديراً ولكن من يودك مقبل
فأجبت عنه وقلت:

أثار ضميري من يعز نظيره من الناس طراً سابغ الفضل مكمل
ومن قلبه كل العلوم بأسرها وخاطره في حدة النار يشعل
تساوى له سر المعاني وجهرها ومعضلها باد لديه مفصل
ولما أثار الحب قاد صنيعة أسيراً بأنواع البيان يكبل
وقربه من كل فهم بكشفه وإيضاحه حتى رآه المغفل
وأعجب منه نظمه الدر مسرعاً ومرتجلاً من غير ما يتمهل
فيخرج من بحر ويسمو مكانه جلالاً إلى حيث الكواكب تنزل
فهناه الله الكريم بفضله محاسنه والعمر منها مطول

فأجاب مرتجلاً وأملى على الرسول:

ألا أيها القاضي الذي بدهائه
فؤادك معمور من العلم أهل
فإن كنت بين الناس غير ممول
إذا أنت خاطبت الخصوم مجادلاً
كأنك من في الشافعي مخاطب
وكيف يرى علم ابن إدريس دارساً
تفضلت حتى ضاق ذرعي بشكر ما
لأنك في كنه الثريا فصاحة
فعذري! في أنني أجبتك واثقاً
وأخطأت في إنفاذ رقعتك التي
ولكن عداني أن أروم احتفاظها
ومن حقها أن يصبح المسك عاطراً
فمن كان في أشعاره متمثلاً
تجملت الدنيا بأنك فوقها

وجدت في الصارم البتار في رحلة سالار لعبد الله بن قائد المكي المطبوع
بكلكتة نحو سنة ١٢٥٦هـ وليس صاحبه من الأثبات هذه الأبيات منسوبة لأبي العلاء
والعهدة عليه:

الدهر يقصر ساعة ويطول والمرء يصمت ساعة ويقول
والقول مختلف إذا ميّزته هذا يردّ وبعضه مقبول
لا تقعدن مع البخيل بمجلس إن البخيل على الفراش ثقیل
لا تقطعن مع البخيل مسافة أن الطريق مع البخيل طويل
(٥٥) وأملى على الهكاري في خبره مع وزير محمود بن صالح وقد ذكرناه في
موضعه. النكت: ١٠٨، وسو العالمين بومباي ص ٣٩ من البيت العاشر وكذا نسمة
السحر ١: ١٠٩ «خط»:

أستغفر الله في أمني وأوجالي من غفلتي وتوالي سواء أعمالي
قالوا: هرمت ولم تطرق تهامة في مشاة وفد ولا ركبان أجمال

فقلت إني ضرير والذين لهم
 ما حج جدي ولم يحجج أبي وأخي
 وحج عنهم قضاء بعد ما ارتحلوا
 فإن يفوزوا بغفران أفز معهم
 ولا أروم نعيماً لا يكون لهم
 فهل أسر إذا حمت محاسبتني؟
 من لي! بروضان أدعوه فيرحمني
 باتوا وحتفي أمانهم مصورة
 وفوقوا لي سهاماً من سهامهم
 فما ظنونك إذ جندي ملائكة
 لقيتهم بعصا موسى التي منعت
 أقيم خمسي وصوم الدهر ألفه
 عيدين أفطر في عامي إذا حضرا
 إذا تنافست الجهال في حلل
 لا آكل الحيوان الدهر مائة
 وكيف أقرب طعم الشهد وهو كذا
 نهيتهم عن حرام الشرع كلهم
 وأعبد الله لا أرجو مثوبته
 أصون ديني عن جعل أوامله
 (٥٦) ومن بديع أفانيه - الغيث ٢ : ٢١٥ والوافي الصفدي.

هزت إليك من القد ابن ذي يزن (سيفاً)
 أرتك عم رسول الله منتقباً (عباساً)
 (٥٧) ابن أبي الحديد ٤ : ٤٧٦.

ما قضى الحاجات إلا شملّ نومه فوق فراش من نمال

(٥٨) عن التبريزي عنه أدباء ١ : ١٧٥ والصواب ما قاله ابن القارح ص ٢٠٠

(١) في نسمة السحر عن سر العالمين وابن أبي أصيبعة (أقوال وأفعالي).

قال: أنشدني الظاهر لنفسه:

أرى جيل التصوف شرحبيل فقل لهم وأهون بالحلول
أقال الله حين عشقتموه كلوا أكل كل البهائم وارقصوا لي
(٥٩) في المجلة الألمانية ٣٨ : ٥١٨ بعد قوله في اللزوم ٢ : ٢٢٧ عقيمتها زيادة

بيت وهو:

يبلى ويبلى البدر من سقم به فما لنفوس لا يبلى سقيمها
(٦٠) في البعوض - من الوافي للصفدي:

إذا هي غنت لم يشقني غناؤها فبعداً لها من قينة لم تكرم
تجش من لا يبتغي اللهو عندها وتطرد نوم الناسك المتأيم
وأحلف لا عانقتها ولقد غدا أبر (?) ما بين كفي ومعصمي
(٦١) من العدل والتحري لابن العديم الحلبي.

وقال في ابن أخيه القاضي أبي محمد عبد الله بن أبي المجد وكان يستملي له
ومرضه في عدة أمراض وكان برّاً بعمه مشفقاً عليه:

أعبد الله ما أسدي جميلاً نظير جميل فعلك غير أُمي
سقتني درها ودعت وباتت تعوذني وتقرأ أو تسمي
هممت بأن تجنّبني الرزايا فرمت وقايتي من كل هم
كأن الله يلهمك اختياري فتفعله ولم يخطر بوهمي
حمدتك في الحياة أتم حمد وأيامي ذممت أتم ذم
أجذك ما تركت وأنت قاض تعهد مقعد أعمى أصم
جزاك الباري ابن أخ كريماً أبر بمعجز في بر عم
(٦٢) منه أيضاً.

وقال فيه أيضاً لما مرضه بمرضه الأخير:

وقاض لا ينام الليل عني وطول نهاره بين الخصوم
يكون أبر بي من فرخ نسر بوالده وألطف من حميم
سأنشر شكره في يوم حشر أجل وعلى الصراط المستقيم

(٦٣) فهرست دار الكتب ببرلين العدد ٣٣١٩ قصيدة أولها:

ضاقت عليّ برحبها الدنيا وجرى من الجفن القريح دما

(٦٤) لغز في الإبرة، الخزانة الصغرى ٣٩٣:

سعت ذات سم في قميصي فغادرت به أثراً والله شاف من السم
كست قيصراً ثوب الجمال وتبعاً وكسرى وعادت وهي عارية الجسم
(٦٥) في الشريشي ٢: ٢٥٦ زيادة بيت على ما في اللزوم ٢: ٢٦٠:

لا يستوي ابنك في خلق ولا خلق إن الحديد أم السيف والجلم
فاضرب وليدك البيت. فرب شق البيت.

(٦٦) وفي الغيث ٢: ١٩٨ زيادة بيت وهو الثالث على ما في اللزوم ٢: ٢٤٩:

أرى ولد الفتى عبئاً عليه لقد سعد الذي أضحى عقيماً
فأما أن يربيّه عدواً وأما أن يخلفه يتيماً
وأما أن يصادفه حمام فيبقى حزنه أبداً مقيماً
(..) وزعم صاحب النفع ٣: ١٣٠ مصر أن بيت اللغز المعروف للمعري وهو:
أقول لعبد الله لما سقاؤنا ونحن بوادي عبد شمس وهاشم
ومعناه أقول لعبدة: اتقي الله أو لعبد الله لما وهي سقاؤنا ونحن بوادي عبد
شمس لنا البرق.

وهذا خطأ منه فإن البيت عاثر وضع للمعاني وانظر مقدمة اللزوم ١: ٥.

(٦٧) ومن المنحول له (النكت ٧٥ والغيب ٢: ١٨٨، ونزهة الجليس ١:
٢٧٩، ونسمة السحر ١: ١٠٧، وفي الشريشي ١: ٨٩ أنه لبشار وفي غرر الخصائص
أنه لأبي العيناء ص ١٦١).

قالوا العمى منظر قبيح قلت بفقدانكم يهون
والله ما في الوجود شيء تأسى على فقدته العيون
(٦٨) وله (النكت ٧٥ وابن الشيخ ١: ٣٨٢ وتذكرة دولت شاه ٢٥، والتكملة
لابن الأبار العدد ١٩٥٧ مسنداً).

أبا العلاء ابن سليمان عماك قد أولاك إحساناً
لو أبصرت عيناك هذا الورى لم ير إنسانك إنساناً
(٦٩) حسن التوسل ٦١:

لم يبق غيرك إنساناً يلاذ به فلا برحت لعين الدهر إنساناً
(٧٠) أيضاً ٦٢:

لو زار طيف ذات الخال أحياناً ونحن في حفر الأجداث أحياناً
(٧١) الأدباء ١ : ١٩٠ والنكت ١٠٦ والعياذ بالله :

إذا ما ذكرنا آدمأ وفعاله وتزويجه بنتيه لا بنيه في الخنى
علمنا بأن الخلق من أصل ريبة وأن جميع الناس من عنصر الزنا
(٧٢) أدباء ١ : ١٧٣ عن التتمة ، وليس في نسخة باريس منها :

لست أدري ولا المنجم يدري ما يريد القضاء بالإنسان
غير أنني أقول غير محق قد يرى الغيب فيه مثل العيان
إن من كان محسناً فأبكر يه لجميل عواقب الإحسان
كذا ولعل الأصل فأبكر لجميل بل فأبكره جميل .

(٧٣) وفي المجلة الألمانية ٣٨ : ٥٢١ بعد قوله من اللزوم ٢ : ٢٨٥ أشطان

زيادة بيت وهو :

وتزهر القيقظ بالخرصان مثمرة بالهام وهي من الخطي خيطان
(٧٤) ذهبي : ١٣٤ :

أتتني من الأيام ستون حجة وما أمسكت كفاي ثنى عنان
ولا كان لي دار ولا ربع منزل وما مسني من ذاك روع جنان
ويمكن أن يكون ربع :

تذكرت أنني هالك وابن هالك فهانت عليّ الأرض والثقلان
(٧٥) روى أبو اليسر أن المستنصر الفاطمي بذل له ما ببيت المال بالمعرة من
الحلال فلم يقبل وقال (أدباء ١ : ١٧٨) :

كأنما لي غاية من غنى فعد عن معدن أسوان
سرت برغمي عن زمان الصبا يعجلني وقتي وأكواني
ضد أبي الطيب لما غدا منصرفاً عن شعب بوان
وفي الأصل غاية لي وهو قلب غلطا . وصد إلا أننا نرجح ضد .

(٧٦) أدباء ١ : ١٧٩ والنكت ١٠٥ والمعاهد ١ : ٥٠ .

حاول إهواني قوم فما واجهتهم إلا بإهواني
يحرشوني بسعائياتهم فغيروا نية إخواني
لو استطاعوا لوشوا بي إلى المـ ريوخ في الشهب وكيوان

(٧٧) أدباء ١ : ١٩٢ ، ١٩٤ ، وذهمي : ١٣١ ، والنكت : ١٠٦ :

صرف الزمان مفرق الألفين فاحكم إلهي بين ذاك وبينني
أنهيت عن قتل النفوس تعمداً وبعثت أنت لقبضها ملكين
وزعمت أن لها معاداً ثانياً ما كان أغناها عن الحاليين
(٧٨) حسن التوسل ٨٧ :

طول حياة ما لها طائل نغص عندي كل ما يشتهي
أصبحت مثل الطفل في ضعفه تشابه المبدأ والمنتهى
فلا تلم سمعي إذا خانني «إن الثمانين . وبلغتها»
(٧٩) في الغيث ١ : ٤٨ زيادة بيتين على ما في اللزوم ٢ : ٣٤٥ بعد قوله : فإذا
كان ما يقولون البيت :

وإذا كان راضياً بقضاهم فاشكروهم لأجل ما عذبوه
وإذا كان ساخطاً بأذاهم فاعبدوهم لأنهم غلبوه
(٨٠) من جامع الأوزان . التنوير ١ : ١٢ :

ألا يا عالماً ما العلم جار منه في نيه
فقيه خامل إذ لج يطوي تحتك الطيه
وخفأك عروضياً ن والناقاة نحويه
يقال : فحل فقيه إذا كان حاذقاً بالضراب . وعروض مكة وما والاها أي عملا من
أديمها . ونحو حي .

المقري (مصر ١ : ٥٠٥) نقل عن أبي حيان عن شيخه الرضي الشاطبي أنه أنشده
للمعري^(١) لغزاً في ورد :

إذا ما شئت معرفة لما حار الورى فيه
فخذ خمساً لأربعة ودع للثوب رافيه

(١) وفي طبعة ليدن من النسخ ص ٧١١ بدله «المقري» وأظنه تصحيحاً .

كلمات في الكتاب ومؤلفه

للأستاذ العلامة مؤلف هذا الكتاب النفيس محبوبون في الشرق العربي معجبون بنفثات يراعه ومآثر فضله، وهذا بعض ما كتبوه غب اطلاعهم على هذه المجموعة وهي تحت الطبع .

- ١ -

فمن ذلك ما أذن ينشره العلامة المحقق الجليل صاحب السعادة أحمد تيمور باشا عضو مجلس الشيوخ المصري، والعلامة المفضل صاحب الفضيلة السيد محمد الخضر حسين من علماء الجامع الأزهر في مصر وجامع الزيتونة في تونس :

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وصلَّى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين أما بعد فإن المشتغلين بالأدب العربي في هذا الشرق الإسلامي ما برحوا منذ بضع سنوات ينظرون بعيون الانتهاج والغبطة إلى ما ينشره العلامة الجليل الأستاذ الشيخ عبد العزيز الميمني الراجكوتي من مآثر يخدم بها الآداب العربية والعلوم الإسلامية بتحقيقٍ وثبتٍ لا يقوى على مثلهما إلا مَنْ أشرب قلبه حبَّ العلم، واستلذَّ التعب في تحصيله، وطابت نفسه بالصبر على تمحيصه .

ولقد كنا نحسب قبل ذلك أن يد الاستعمار الأجنبي المتصرف في برامج التعليم في الشرق الإسلامي - إما مباشرة أو بالواسطة - تمكَّن من عزل أقطاره بعضها عن بعض، وتوصَّلت إلى فصم ما بين أهلها من أواصر كان العلماء فيما مضى يزيدها بتعاونهم العلمي توثيقاً وتأيداً، فجاءت أعمال العلامة الميمني حلقة ذهبية في سلسلة ما للهند في محصول الإسلام العلمي من حسنات خالدها . وبتنا نرجو الله أن يكون ذلك فاتحة دور جديد في تاريخ رابطة العلم الإسلامي يملأه الأستاذ المؤلف وأصدقائه من أفاضل (دار المصنِّفين) وزملاؤهم من أساتذة الجامعات الهندية الإسلامية والمتخرجون على أيديهم من نجباء تلاميذهم بما تُباهي به الهند الأمم مقداراً وقيمة . وما ذلك على الله بعزيز .

مصر: جمادى الأولى ١٣٤٦هـ

أحمد تيمور

محمد الخضر حسين

- ٢ -

وكتب العلامة الجليل الشيخ أحمد الإسكندري من كبار أساتذة (دار العلوم) بمصر:

من مدرّس إلى مدرّس

إلى أخي الأستاذ الكبير والعلامة الجليل الشيخ عبد العزيز الميمني الراجكوتي حفظه الله .

أخي! كنت أقرأ بسرور كثير وإعجاب عظيم تلك الرسائل الجليّة ذوات البحوث الدقيقة التي كنت تتحف بها قراء مجلة الزهراء . وكنت أحرص على اقتنائها بعد جمعها كتباً . وما كدت أسمع بأن المطبعة السلفية تطبع لك كتاباً في حياة أبي العلاء وأدبه حتى بادرت إلى قراءة الجزء الأول منه قبل أن يتم طبع ما ألحق به .

والحق أقول: إني قلّما قرأت لأديب معاصر بحثاً في أدب القدماء وشؤون حياتهم بمثل ما قرأت في كتابك الكريم من استقامة مذهب ونصفة حكم ونزاهة جدل وتأويل متشابه وتفتيح بحث وترفيف باطل وجه مغرور .

ولقد استفدت منه في نفسي ودرسي واقتبست منه وعزوت إليه . فله أنت والله بلاد أنجبت مثلك . والله ما أعنت طلاب العربية وما زدت في ثروة آدابها .

فجزاك الله عن الأدب العربي وأهله خيراً وأكثر في حماة العربية من أمثالك ومدّ في أجلك وأمتع بأدبك والسلام عليك ورحمة الله .

مصر: ١٥ صفر ١٣٤٦هـ

أحمد الإسكندري

مدرس تاريخ الأدب وفقه اللغة بدار العلوم بمصر

- ٣ -

وكتب العلامة الجليل الشيخ أحمد إبراهيم من كبار مدرسي كلية الحقوق في الجامعة المصرية:

إلى الأخ الفاضل رب العلم والأدب الأستاذ عبد العزيز الراجكوتي:

أشكر لمجلة الزهراء أن عرّفتنا بمحقق فذّ مثلك معرفة أحلتك منا محل المحب المكرم، ولقد كنتُ أترقب صدور أجزاء هذه المجلة الممتعة بفروغ صبر حتى إذا ظفرت منها ببحث من أبحاثك القيمة المتينة أكون كأني قد عثرت على كنز ثمين. وما زلت كذلك حتى زفت إلينا البشرى بطبع كتابك «أبو العلاء وما إليه» فما كان أشوقني إليه لما أعلمه من سابق فضل مؤلفه ودقة بحثه وغازة علمه، ولقد ظفرتُ من ذلك بأمنيّتي إذ وجدت الكتاب على ما كنت أتوقع: استيعابٌ للبحث وإحاطة كلية بما يتطلبه المقام وسلامة نظر ونقد يقظ بصير وإنصاف في الحكم بحسب ما تؤدّي إليه المقدمات واحتياط في كل ما يحكيه عن أبي العلاء سواء أكان له أم عليه مما لا يصدر إلا عن المؤرخ الخبير المنصف.

ولقد كنتُ أيها الأستاذ الجليل موفقاً في كل ما كتبت، حتى كأنك لشدة مخالطتك لكل ما أثر عن هذا الرجل وقوة اتصالك به وبكل ما يحيط به، واستنباطك بفضل الله تعالى ونعمته ما استنبطته مما حدثنا به عنه، تغلّغت إلى أعماق نفسه ونفذت ببصيرتك إلى ما انطوت عليه جوانحه فلم يغادر قلمك صغيرة ولا كبيرة من شؤونه إلا أحصاها، فقد تناولته من جميع نواحيه وحلّلتها أيما تحليل فكنت في صنيعك هذا كأمر المصورين إذ أخرجت للناس صورة صحيحة جليلة لأبي العلاء صورتها بيد الأمانة تصوير من أحاط بصاحبها خبراً. نفع الله بك الأدب والعلم، وبارك فيك وكان لك ناصراً ومعيناً.

كتبه

أحمد إبراهيم إبراهيم

أستاذ الشريعة الإسلامية بكلية الحقوق بالجامعة المصرية

- ٤ -

وكتب العلامة الجليل الشيخ عبد الوهاب النجار من كبار أساتذة دار العلوم، وهو من محبي أبي العلاء والمعجبين بمن يشيد بذكر هذا الأديب العظيم:

قرأتُ كتاب (أبي العلاء وما إليه) الذي كتبه العلامة المحقق الواسع الاطلاع السيد عبد العزيز الميمني الراجكوتي؛ فوجدته كتاباً ممتعاً قد جمع إلى الفوائد الأدبية التحقيق الدقيق، والعناية الفائقة بتحقيق المسائل وتصحيح غلط المؤلفين في شأن أبي العلاء، وتزييف ما راجع عندهم من الأوهام الباطلة بردّ الحق إلى نصابه، وإبراز الحقائق ناصعة الجبين سافرة المحيا. والكتاب ينبىء عن سعة اطلاع كاتبه وصفاء ذهنه ونفوذ بصيرته وتنزهه من المحاباة وبراءته من التحامل لا تأخذه فيما يراه حقاً لومة لائم.

بحث في كتابه أحوال أبي العلاء من جميع نواحيه أتم بحث وأدقه مع صبر طويل على مراجعة الكتب والاطلاع على الأخبار في مظانها وعزو كل قول إلى قائله والدلالة عليه دلالة تسهل على القارئ الرجوع إلى تلك المظان، فجاء كتابه فريداً في باب لم ينسج على منواله أحد ممن كتب في شأن أبي العلاء شافياً لما في النفس كافياً لمن طالعه عن طلب المزيد من سواء وافياً بحاجة محبي الاطلاع.

إن إعجابي بذلك الكتاب الفائق في الوضع، والترتيب المقنع في بحوثه لا يمنعني من أن أبدي ملاحظات قليلة راجياً من حضرة المؤلف الذي أنا معجب به كل الإعجاب مقدراً لما لقي من النَّصَب كل التقدير أن يتقبل ذلك بقبول حسن وأن يحمل ذلك مني على النقد البريء الذي يقدره أفاضل الكتاب والمؤلفين قدره.

(١) جاء في صفحة ٢٨ بعد أن أوردت بيت أبي العلاء:

ولقد علمت فما التضر نافعي أني سأتبع نيسباً لا بني سبا
ما نصه: وليعلم أن التضر هنا التمعدد.

وحضرة المؤلف الفاضل يعلم ولوع أبي العلاء بإرادة المعنى البعيد للفظ ذي المعنيين. وفي رأيي أنه تبع ذلك في هذا الموضع، فلم يرد بالتضر النسبة إلى مضر أو معدّ وإنما أراد سمن المال كما في «تاج العروس» (ج: ٢، ص: ٥٤٤) وعلى ذلك يكون المعنى: ولقد علمت أني سأتبع طرق الموت التي سلكها ابنا سبا فليس سمن المال نافعي، ولم يرد أنه يتبع طريقهما في النسب، ولو فرضنا أن المعنى هو الذي ذكره المؤلف الفاضل في قوله: (التضر) فإنني لا أزال أرى أنه أراد طريق ابني سبا وهو الموت فنسبته إلى مضر غير نافعة ما دام ماله الموت ولم يرد أنه سيتبع سبيلهما في النسب.

(٢) يظهر من عبارة المؤلف صفحة ٣٩ أن أبا العلاء يعني نفسه بقوله:

فلا أجذك رديئاً في ذوي أمم وكن نبيلاً مع القوم التنابيل
وسياق قوله في اللزوم لا يشعر بذلك.

(٣) جاء في صفحة ٤٣ (وسكنى الوبر والمدر) والصواب أن يحذف لفظ (والمدر) إذ سكان المدر هم أهل الحواضر وعندهم الوسيلة المغنية عن الحفظ وهي الكتابة، وأما أهل الوبر وهم البدو فذلك عندهم معوز.

(٤) في صفحة ٧٠ (وقال الحافظ ابن حجر أنه مكث بصنعاء سنة لا يأكل اللحم) وقد عقب عليها الفاضل المؤلف بقوله: «أقول ولعله يريد قبل رحلته إلى بغداد الخ» وذلك تسليم منه بأنه مكث بصنعاء سنة لا يأكل اللحم - ونحن لم نسمع برحلة أبي العلاء إلى

صنعاء - ولعلها محرفة عن (بضعا) ويكون في كلام ابن حجر نقص لم يصلح .

(٥) جاء في صفحة ٩٧ :

يقولون في المصر العدول وإنما حقيقة ما قالوا العدول عن الحق وبعد أبيات أخرى قال : «والمصر المحلى بأل هو مصر لا غير كما نرجح» وأنا لم أفهم هذه الجملة كان يريد أن لفظ (المصر) في البيت يراد به مصر أي الإقليم المعروف ، وأنه يرجح ذلك غير ما رجح وأقول إنه يريد أي مصر من الأمصار أي أن العدول يوجدون في الأمصار وحقيقتهم أنهم عدول عن الحق . والعدل يطلق على الشاهد الذي أعد نفسه لتحمل الشهادة وأدائها بباب القاضي بعد تعديله :

في البدو خراب أذواد وماشية وفي الجوامع والأسواق خراب
فهؤلاء تسموا بالتجار أو الـ العدول واسم أولاك القوم أعراب
(٦) في صفحة ١٨٧ : (وذكر لنا أنه عجز في هرمه عن الوضوء أيضاً . قال
يخاطب الدنيا :

لك أوقاتي فخليني إذ قمت أصلي
ودعيني ساعة فيك لمولاي الأجل

فعد جسدي للعنصر الطهر تسترح إذا صرت تقضي الفرض عند التيمم
ولعل حضرة الفاضل أخذ عجزه عن الوضوء من البيت الأخير . والذي أراه أن له
معنى سوى ما استنتجه حضرة المؤلف ، ذلك أنه يخاطب جسده بالعودة إلى عنصر
الطهر وهو التراب وأن ذلك راحة له وأن المؤدي للفريضة سيتيمم به وهو في تلك
الحال . وليس المعنى أن المعري يتيمم عند أداء الفرض .

أما لغة الكتاب ففنية محكمة . ولا أخذ عليه فيها إلا أنه يساق أبا العلاء في
أسلوبه وسجعه . وفي سجع أبي العلاء بعض الصنعة والتعمل . ولو أن المؤلف أطلق
قلمه من ذلك القيد لكان أجمل به . من ذلك قوله في صفحة : ٦٥ : «ولا يتحاشى من
ذلك ولا يتحرج وهو ممن على أقران ابن خالويه تخرج» . وفي صفحة : ٩٩ : «وهي
من غرر المراثي وحسناتها ، ودرر التأبين لا خرزاتها» .

هذا كل ما عني لي أن ألاحظه على هذا الكتاب الفريد في باب الممتع في مباحثه
وتحقيقه .

أما اعتقاد المؤلف في دين أبي العلاء فهو على حال الاقتصاد : يعتقد فيه الخير
وحسن الاعتقاد بعد مكافحة للحيرة ومعالجة للشك ، وقد شهد الله له بالدفاع عنه في

مواطن صالحات.

وإني لا أخفي على حضرته أنني أخالفه بعض المخالفة في شأن حيرة أبي العلاء ووجود ما يوجب الكفر في أقواله. فإني من أولئك الذين يقول حضرة المؤلف عنهم في صفحة: ٢٩٩ (وأولع كثير من الناس بتأويل ما جاء مما يحتمل إلى المجاز في اعتقاد السوء في رجل من المؤمنين).

وبعد ذلك فإني آمل أن يجد هذا الكتاب القيم من إقبال أهل الفضل ومحبي الاطلاع ما هو جدير به، وأسأل الله تعالى لمؤلفه المعونة وحسن الجزاء.

عبد الوهاب النجار

مدرس بدار العلوم بمصر

- ٥ -

وكتب العالم الفاضل الشيخ أحمد محمد شاكر من علماء الأزهر، والقاضي بالمحاكم الشرعية في الديار المصرية:

إلى الأخ العالم، الباحث، المنقب، السيد عبد العزيز الراجكوتي الميمني:
السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

قرأت كتابكم (أبو العلاء وما إليه) وما اعتدت تقرّظ كتاب، فلم أملك قلبي عن الكتابة إليكم. وجدتكم أوفيتم البحث حقه واستوعبتم كل ما يستحقه موضوعه من الأدلة والحجاج. مع دقة نظر وحسن ترتيب.

ولقد أخذ يلبي إنصافكم القول في شأن «أبي العلاء» فإن رجلاً من أهل عصرنا يريد أن ينشر بين المسلمين إلحاده حاول أن يأخذ على «أبي العلاء» كلمات - لعله لم يحسن فهمها - ليذيع بين الناس أن له إماماً يتبع طريقه فأجهد نفسه وأتعب كاتبه وأخرج للقراء كتاباً يزعم به أنه نحو جديد من التأليف، وما هو بجديد ولا بقديم.

وأرجو أن تقبل تهنتي على ما أوتيت من بسطة في العلم، ومن سعة في الاطلاع ومن قدرة على امتلاك ناصية القول، وأسأل الله أن يزيدك من فضله، وأن ينفع بك العرب واللغة العربية، والمسلمين والإسلام. والسلام.

مصر: في ١٠ جمادى الأولى سنة ١٣٤٦هـ

كتبه

أحمد محمد شاكر

القاضي الشرعي

فهرس المحتويات

٥	التعريف بجمعية «دار المصنفين» في أعظم كرة - الهند
٧	فهرس الاختصارات والطبعات المخصوصة وأما المآخذ والمواد فهي أضعاف أضعافها
١٣	مَعْرَة النعمان لفظها وموقعها ووصفها
١٩	نبهاء أهلها
٢٢	أبو العلاء المعري اسمه، وكُنْيته، وسياق نسبه
٢٣	قُضاة أمن عدنان هي؟، أمن من قحطان؟
٢٥	تَنَوُّحٌ وجلاؤها إلى العواصم
٢٧	عمود بني سليمان
٣١	أخواله آل سبيكة
٣٣	ولادته
٣٣	عماه وبعض خصائصه
٣٦	حفظه وواعيته
٤٢	طلبه للعلم
٤٨	بمه ذكر هاتيك العلوم، في اللزوم النحو واللغة والعروض
٤٩	التجويد
٤٩	ابن خالويه وأصحابه وآل حمدان
٥٣	وفاة والده
٥٤	رحلته إلى بلاد الشام وتشت آرائه وزهده في ملاذ الحياة
٥٧	بضاعته وعسره أو يسره
٦٦	شعر صباه
٦٦	فترة الشباب أو خمسة عشر عاماً وأشهر
٦٩	أبو القاسم الوزير المغربي وأبوه أبو الحسن
٧٢	عماد المعري
٧٧	القاضي أبو حمزة التنوخي وأبو الحسين النكتي وأبو الخطاب الجبلي
٨٠	أسباب رحلته إلى بغداد
٨٢	بغداد فيم كانت إذ ذاك؟

٨٤	تجهزه للسفر ووصف طريقه إليها
٨٧	مقامه بها ومنزله
٨٩	دار الكتب القديمة وأبو أحمد الموسوي وولده
٩٣	الشيخ أبو أحمد عبد السلام المعروف بالواجكا خازن دار العلم ٣٢٩ - ٤٠٥
٩٧	أبو منصور خازن دار العلم
١٠٠	القاضي التنوخي الصغير ٣٧٠ - ٤٤٧
١٠٢	هو في حلقة الربيعي
١٠٣	اعتراض له على فقهاها
١٠٦	هو بحضرة القائم الخليفة
١٠٧	عرض الأشعار عليه بها
١٠٩	رواة شعره بها
١١١	بعض ما استفاد بها
١١٤	سائر معارفه بها
١١٤	موت النقيب أبي أحمد الموسوي
١١٦	هو في مجلس المرتضى أولاً وآخرأ
١٢٠	شعره بها في الحنين إلى الشام
١٢٢	أبو علي ابن فورة البروجردي
١٢٤	مادحوه ومراسلوه شعراً
١٢٦	احتفال البغادة لوداعه وتحفيهم به
١٢٨	نيتة على العزلة وهو بها
١٣٠	سبب رجوعه ورجوعه وطريقه
١٣٣	موت أمه
١٣٤	الحنين إلى بغداد وأهلها وقصائده في أمرها
١٣٨	نظرة عامة على حياته وعاداته
١٤٠	في اللباس
١٤١	هو حيساً
١٤١	الصلاة
١٤١	صومه الدهر
١٤٢	صرورة
١٤٢	خدامه
١٤٣	الإقراء والإملاء

١٤٥	مشيه
١٤٦	فذلكة أفكاره وآرائه في معتزله
١٥٠	نباهته وطيران صيته بعد الرجوع
١٥٢	هو والأندلس
١٥٥	هو والحساد
١٥٦	تلامذته والرواة عنه
١٦٧	زواره بالمعزة ممن لم يرووا شعره فيما بلغنا
١٧٠	ولع الناس به وبشيره ونظامه
١٧١	ملوك حلب لعده وأمرأها
١٧٦	قضاء الحاجات
١٧٨	هو وصالح بن مرداس الكلابي
١٨١	هو وابن القارح دوخلة سنة ٤٢٤هـ وابن المهذب نحو سنة ٤٣٥هـ
١٨٣	ناصر خسرو العلوي الحكيم الفيلسوف
١٨٣	هو وداعي الدعاة الفاطمي
١٨٥	هو ووزير محمود بن نصر بن صالح
١٨٧	أمراضه وعالله
١٨٩	موته
١٩٢	ذكراه مدحاً وذماً
١٩٣	التأيين
١٩٥	ما كتب فيه
١٩٦	تأليفه
٢١١	دار كتبه
٢١٦	الآراء في تليينه من جهة الدين
٢١٧	التقائض
٢١٩	تركته أو القول بحيرته
٢٢٠	القول الفصل في القضية
٢٣١	فوائد
٢٣٣	رسالة الملائكة
٢٣٣	من إنشاء أبي العلاء المعري
٢٣٣	أبرزها وصححها وشرحها

٢٣٣	عبد العزيز الميمني الراجكوتي السلفي الهندي
٢٣٣	الأستاذ بالجامعة الإسلامية في مدينة على كره (الهند)
٢٣٣	لطف الله به وكرمه
٢٣٥	كلمة الناشر
٢٣٧	«رسالة الملائكة»
٢٥٧	فائت شعز أبي العلاء
٢٥٧	جمعه
٢٥٧	عبد العزيز الميمني السلفي الراجكوتي
٢٧٧	كلمات في الكتاب ومؤلفه
٢٧٧	١ -
٢٧٨	٢ -
٢٧٨	من مدرّس إلى مدرّس
٢٧٨	٣ -
٢٧٩	٤ -
٢٨٢	٥ -